استثناء

آلاء عبداللاه حسين

استثنـاء

بقلم / آلاء عبداللاه حسين

إهداء :

إلى أسرتي وخاصة من أحمل في شهادة ميلادي اسميهما أمي وأبي..إلى صديقاتي..إلى جدي وحفيدته آلاء عليهما رحمة من الله تعالى، إلى كل من شجعني وآمن بموهبتي ونصحني وساعدني، إلى كل إنسان لديه روح صافية وقلب أبيض لا يعرف الخداع أو التلون..إلى أصحاب الحق ممن يحلمون دوما بالانتصار في حروبهم.

إليكم أنتم يا أجمل قراء..

إلى الجميلة سماح حافظ؛ أهديكِ هذا الشكر لمساعدتك لي ونُصحك ووقتك الذي سرقته منك .. 😅

المسلم أقوال وأفعال فكن مسلماً بصدق..

مقدمة :

"جنب الحيط" جملة يرددها الكثير باقتناع أو بغير اقتناع فقط للعيش بسلام؛ فمن رددها باقتناع أيده عقله بها قلباً وقالباً منقوشة بجملة" لا شأن لك بما يحدث طالما لم تصب بضرر فأكمل المسير ولا تلتفت " ومطرزة بجملة " نفسك أولا قبل كل شيء"، أما مناصري الجملة بغير اقتناع فقد قاسوا جميع الآلام الغير محتملة إلى أن وصلت للحلقوم، فاستسلموا خوفاً على ذويهم أو أحبائهم أو حتى ما بقي من كرامتهم مقتنعين بجملة " ما تحملته صعب عليهم تحمل ربعه لذلك توقف عن التمرد"..

إن نظرت للرأيين بنظرة حيادية ستجد كلا الفريقين صائب ومحق في رأيه، فكلاهما يحمي شيئاً مهماً بغض النظر عن الطريقة؛ المهم النتيجة.

ولكن إن أمعنت النظر قليلاً ونظرت بنظرةٍ ثاقبة ستجد فريقاً ثالثاً أصوب منهما وشعاره ثابت:" قاوم تسلم " بمعنى؛ لا تستسلم للخوف لا من بداية الطريق ولا حتى منتصفه، بل أكمل للأخير حتى تسلم روحك وترضى ويسعد قلبك ويرتح ضميرك ويتحرر جسدك، فأنت حر لست عبداً أو مأجوراً لذلك قاوم" ..

****

تحذير ☠:

لكل من يهمه الأمر.. احذر!! فالكاتب ليس مسئولاً عما سيلاقيه القارئ في هذه الصفحات، ربما ستصاب بلعنة خطيرة تلازمك أبد الدهر، أو ربما سيتغلغل

بداخلك شعور لا تقوى على التخلص منه بسهولة فتتحول حياتك لجحيم بسببه، أبشع ما سيصيبك هو أن تتمنى ألا تعيش يوماً آخراً بعد هذا اليوم؛ ربما ستلتجئ للمهدئات أو المسكنات نتيجة للآلام التي ستصيبك، وربما ستتمنى لو أن يتحول قلبك لقطعة من جليد فلا تشعر بعدها بشيء أبداً.. سأترك لكم حرية الاختيار فإما أن تكملوا ما بدأتموه وإما أن تكتفوا بتلك الجمل وتفروا هاربين، وإما غالباً أو مغلوب... فأياً يكن الاختيار فمرحباً بكم في عالم التشتت والاضطراب.

ظلام دامس، دقات قلب متسارعة، تنفس مضطرب، أصوات غامضة مخيفة، حركات متتالية، برودة قارصة تجمد العروق، رائحة نفاذة تخترق الصدور، وجسد ميت لا يتحرك.. أين أنا؟!

الفصل الأول :

بقايا حلم :

استيقظت مي على أصواتٍ منخفضة غير مفهومة، همسات متداخلة وكأنها بقايا حلم استيقظت منه للتو، نظرت حولها فلم ترَ شيئاً..

الظلام يلُفها من كل جانب وصوت الهمسات لا يتوقف، مدت يدها حيث أباجورتها الزهرية ذات العامود الأسود القابعة بجوار فراشها على المنضدة الدائرية الصغيرة، باحثة بأصابعها المرتجفة عن مكان الزر لإضاءته حتى وجدته وضغطت عليه أكثر من مرة متحدثة بصوت مرتجف :" هيا تباً لك فلتضيء هذه المرة ".

كررتها مراراً لكن بلا جدوى! وفجأة رأت ظلالاً منعكسة على الحائط المجاور لفراشها بسبب ضوء القمر المنبعث من نافذتها المقابلة للحائط، وما هي إلا دقائق قليلة حتى تشكلت تلك الظلال بأشكال غريبة بدت ككتابة تمايلت يميناً ويساراً، للأعلى وللأسفل، حاولت مي فرك عينيها لتتمكن من تمييز تلك الكتابة ولكنها اختفت قبل أن تقرأها.

ليمتلئ قلب مي رعباً، فتفر هرعاً من فراشها وتقفز على الأرض دون انتباه لموطئ قدمها، باتجاه الباب محاولة فتحه والخروج ولكنه أبى أن يُفتح، حاولت مي أكثر من مرة فتح الباب ولكن دون جدوى فبدأت تطرق عليه عسى أن يسمعها أحدهم فيأتي ويخلصها، حتى إنها أرادت الصراخ ولكن أبى صوتها أن يخرج من مكانه وأبى لسانها أن يتحرك.

أثناء تلك المحاولات البائسة في الصراخ والطرقات المتتالية، التي ربما دامت في عرف مي وموقفها هذا الذي لا تحسد عليه أكثر من ساعة.

وفجأة بدأت أصوات تلك الهمسات في الارتفاع شيئاً فشيئاً وبشكل متداخل حتى كادت تخرق الآذان، لتضع مي يديها على أذنيها في محاولة كتم هذا الصوت المخيف من الولوج أكثر للداخل، فجلست مكانها متخذة وضع القرفصاء ضامة ركبتيها لصدرها، راخية رأسها هلعاً وخوفاً، مغمضة العينين بقلب مضطرب ودقات متسارعة، تحاول تهدئة نفسها بكلمات غير منطوقة ولسان حالها يريد أن يصرخ قائلاً:" لا بأس، مجرد كابوس وسيختفي"

وما هي إلا دقائق قليلة من ارتفاع الصوت، حتى بدأت كلماته في الوضوح شيئاً فشيئاً وكأنها خيوط معقدة تنحل عن بعضها خيطاً خيطاً، لتتضح الهمسات وترسم الظلال ما يقال مكونة جملة غير متناسقة من أربعة كلمات:" حادث..فتاة..هجمات..الحقيقة.

ثم صمت رهيب بعدها دام قرابة النصف ساعة لم تكد تتنفس فيهم مي الصعداء، حتى تبعه صوت فتاة وكأنها تحادث نفسها وتتكلم بحزن قائلة:" يريدون قتلي وتشويه سمعتي" ليتلاشى الصوت نهائياً مخلفاً ورائه صدمة أوقفت جسد مي تماماً عن الحراك دقائق معدودة ..

بعد أسبوع :

تقلبت مي على فراشها المريح لم تستطع النوم بسهولة كعادتها منذ ليالٍ، حتى انتفخت جفونها وأحاطتهما هالات سوداء نتيجة للأرق المستمر.

ظلت على حالها ذاك قرابة ساعة تتنقل يمنةً ويُسرةً محاولة النوم لكن دون جدوى، لتقرر أخيراً النهوض من الفراش متلففة برداء نومها الفيروزي الطويل ذي الأكمام الزرقاء، وعاقدة رباطه جيداً محتضنة ذراعيها، وتوجهت لنافذة غرفتها المغلقة لفتحها، فلعل هواء أبريل النقي يخدر جسدها فتتمكن من النعاس..أزاحت الستائر وفتحت النافذة، ورفعت رأسها للأعلى وبعيون مغمضة أخذت شهيقاً بطيئاً ليتغلغل الهواء النقي داخل رئتيها مخرجة الزفير بهدوء فيمتلئ داخلها بالسكون.

وما إن انتهت من طقسها ذاك المعتاد كلما غلبها الأرق، حتى فتحت عينيها ونظرت للأسفل حيث الطريق المجاور لمنزلها.

ولكن الدماء تلك المرة تجمدت في عروقها وهالها ما رأته؛ شبحاً أسوداً قائماً ربما كان أم جالساً، لم تتأكد إلا حينما فركت عينيها جيداً وأحدت البصر إليها لتتضح لها الرؤية جيداً.

شيئاً فشيئاً بدأت بعضٌ من ملامحه في الظهور، لقد بدا كفتاة يلفها السواد من كل جانب كأفلام الأبيض والأسود فلا يتضح منها لون الملابس التي ترتديها أو حتى لون ما يلفها، الشيء الذي ميزها كفتاة هو شعرها المتوسط الطول المعقود خلفها، وتنورتها الطويلة التي أخفت ما فوق كعبيها.

كانت جالسة على مقعد خشبي تولي مي ظهرها، منكسة رأسها للأسفل تنظر لشيء ما على طاولة مربعة الشكل صغيرة، نظرت مي جيداً لتتشكل جيداً معالم هذا الشيء، فلقد كان كتاباً هكذا عرفت مي بسبب تقلب صفحات الكتاب.

تعجبت مي من هذا المنظر، وما زاد تعجبها أكثر هو ما الذي تفعله فتاة مثلها في ذلك الوقت من الليل وبمفردها في مكان كهذا!! "ربما أتخيل" هكذا حدثت مي نفسها وهي تفرك عينيها مجدداً.

"اللعنة" صرخت مي بصوت عالٍ، لم تلتفت إليها الفتاة بل ظلت في موضعها وعلى هيئتها تلك، وفجأة أنير المكان وأحاطت الفتاة غرفة زجاجية صغيرة، أوسع من الطاولة بنصف متر طولاً وعرضاً تقريباً بدون باب، مغلقة بإحكام وظلت الفتاة كما هي ملونة بالأسود والأبيض.

بعدها بلحظات بدأت الفتاة في القراءة ولصوتها صدى عالٍ تمكنت مي من سماعه جيداً؛ بدأت الفتاة بقراءة ما كُتب وبدأت مي بالإنصات جيداً لها..

"بداية الأمر :

كنت استيقظ كل يوم الساعة الثانية صباحاً فجأة؛ أنظف المنزل مراراً وتكراراً رغم نظافته، ثم أخلد للنوم مجدداً، وفي الصباح كنت أنسى لمَ ومتى استيقظت؟!

لم أكن أتذكر شيئاً مطلقاً سوى وميض من الضوء وذكريات متشابكة لم أفهمها، كنت أشعر بالألم في رأسي وذراعي اليمنى وقدمي اليسرى لم أستطع تذكر سبب الألم ولا سبب تلك الخدوش أو تلك الكدمات.. كل شيء كان مبهماً وغير واضح المعالم..

أحياناً كنت أسمع أصوات صراخ وعويل ونحيب ولا أجد أو أعلم مصدر تلك الأصوات وقتها.. كنت أرى أحلاماً مخيفة وغريبة وأستيقظ فزعة وأصرخ باسم رامي..من كان ذاك؟! لا أعلم..

كنت أكره أن يتلوث جسدي بتراب أجن إن لمحت تراباً على ملابسي، أصرخ وأفزع إن وجدت شيئاً ملوثاً بالتراب والغبرة.. كنت أنسى سبب استيقاظي وفزعي وعدد أيامي العجيبة؛ إلى أن قررت أن أدون ما أفعله يومياً حتى لا أنساه في اليوم التالي.

وبعدها فقط علمت كل هذا وتذكرت ما أقوم به، وتذكرت روتيني اليومي لذلك؛ تابعت طبيباً نفسياً وحدثته عما يجري لي يومياً وعن أحلامي وعاداتي الغريبة تلك!!

طبيبي أخبرني يوماً بأني أتخيل أشياءً وأهلوس، وأن أحلامي تلك ما هي إلا نتيجة لتفكيري الزائد وخيالاتي الكثيرة، نصحني حينها بأن أسافر" أغير جو" لمكان حيث الخضرة أو البحر، فهذا سيحسن من حالتي وأن بقائي وحيدة هو سبب تلك الهواجس والخيالات ..

أذكر آخر متابعة لي لديه، حيث أقنعته كذباً بأن تشخيصه صحيح وكلامه حقيقي، ووعدته بأن أسافر اليوم التالي للغردقة وأمكث هناك شهراً، أو حتى تتحسن صحتي ونفسيتي..

لم أسافر بالطبع ولم أقتنع بكلامه فلطالما شعرت بأن لخيالاتي وأحلامي وكل ما يحدث سبب؛ لابد من وجود سبب علمي وحقيقي لمَ يحدث لي..

أذكر يوماً بعدها عند تصفحي لشبكة المعلومات" الانترنت" أني قرأت قصة عن شاب، كانت تحدث له أشياءٌ مشابهة لحالتي، لم تتبدل حالته إلا عندما دله أحدهم لشيخ يعالج السحر ويطرد الجن، والذي أكتشف بعدها بأنه كان ممسوساً بجان، وهو سبب كل ما حدث له.

كانت مي تركز على كل كلمة تُقال وتشعر بها وكأنها جزءً من تلك القصة وتلكم الأحداث، بدون ملل أو كلل بل استمرت في الاستماع لحديث الفتاة وقراءتها بإذعانٍ تام.

توقفت الفتاة لثانية أو ربما نصف الثانية دون أن تلتفت خلفها، حيث تنظر مي التي بدت منغمسة بكل جوارحها في تلك القصة، ثم أكملت قراءتها..

"تغير حال الشاب وعاد لطبيعته ولحياته السابقة، بعد نجاح الشيخ من طرد الجني من جسده". حقيقة ولأكن صادقة لم أقتنع كلياً بهذه القصة ولا بهذا الشيخ، فما أعلمه أن معظم هؤلاء الشيوخ دجالون وكاذبون ولا يجيدون سوى الدجل والخداع مقابل الأموال، ولكن جزءً مني أراد الاقتناع بهذه القصة بل وأن يطبقها على حالتي، ولكن كيف أتأكد من صحة هذا الأمر أو عدمه؟! وأنا لم

يسبق لي الذهاب لشيخ كهذا من قبل!! لذا قررت المجازفة والتجربة فربما تخلصت من تلك الهواجس المخيفة وذاك العويل المرعب.

بحثت على شبكة الإنترنت عن شيخ يعالج المس، وبعد بحث طويل وجدت ضالتي _الشيخ صالح المدبولي_ أمهر شيخ عرفه المصريون؛ هكذا وجدت عنوان البحث، وبعد الضغط عليه وجدت مقالاً يتحدث عنه، لم يستغرق الأمر مني سوى عشر دقائق في مطالعة المقال، حيث علمت مكان عمله، وسجلت رقم هاتف السكرتير.

وبعد دقائق من التفكير قررت الاتصال به، وتمكنت من حجز موعدٍ ليوم السبت القادم، الساعة الرابعة عصراً أي بعد يومين.

مكان الدجال :

مر اليومان ببطءٍ مريع، كنت فيهما كطالبٍ منتظر نتيجة شهادته الثانوية على موقع الوزارة، التي تتحمل منذ ساعتين ولا تظهر في الشاشة غير جملة " النتيجة بعد دقائق".. لكم أن تتخيلوا حالتي وما كنت أشعر به وقتها من آلامٍ في المعدة، وتسارع في نبضات قلبي الذي كاد أن يقفز خارج قفصي الصدري من شدة خوفي واضطرابي الشديدين.

وأخيراً وبعد طول انتظار ظهرت النتيجة وأتى السبت؛ لم أستطع النوم اليوم السابق فظللت أتقلب على الفراش مترقبة السويعات والدقائق حتى أشرقت الشمس، فتجهزت وخرجت لا أعلم إلى أين سأذهب؟! فمازال الوقت مبكراً حتى الرابعة عصراً، ولكني وجدت قدماي تقودانني في الطرقات بدون وجهة محددة، لذلك لم أبخل عليهما في التخفيف من وطأة توترهما ذاك، وتجولت هنا وهناك حتى اقترب الظهر.

فعدت للمنزل للصلاة وللراحة قبل المغامرة المجهولة النتائج، وبقيت هناك حتى الثانية والنصف، لم أستطع تحمل المزيد لذلك خرجت قبل موعدي بكثير حتى لا أتأخر ويفوتني الموعد.

وما إن وصلت للمكان وولجت للداخل حتى أذهلني ما رأيت، حقيقة لم أتخيل أن يكون المكان بهذا الجمال" جمال التصميم؛ أقصد بالطبع" فهو فاخر كمنظرٍ وكبناء، فنتيجة لهذا دجل لابد أن تكون هناك ثروة مهولة..".

****

في تلك اللحظة شعرت مي بألم في معدتها فجأة، ولابد لها من الذهاب لدورة المياة، فتحدثت لنفسها بغيظ:" ليس وقتك الآن يا معدتي".

ولكن ما شجعها على الذهاب هو توقف الفتاة المفاجئ أيضاً عن السرد، فركضت مي بسرعة حيث دورة المياة، حتى كادت أن تصدم قدمها بالأريكة في طريقها ولكنها نجت بأعجوبة، وما هي إلا دقائق حتى عادت راكضة لنفس المكان لتستمع لباقي القصة، فجلست على طرف النافذة وتلففت جيداً بردائها وانتظرت القصة.

وعلى الطرف الآخر ظلت الفتاة خمسة دقائق صامتة لا تتحرك ربما كانت تريح فكيها، حتى عادت لتكمل القراءة من جديد، فعادت مي لحماسها وازداد هذه المرة؛ لتعلم بقية القصة ولتكمل امتزاجها مع أحداثها..

"المهم في الساعة الرابعة؛ دفعت مبلغاً ليس بالكثير كما تصورت للسكرتير ودخلت للشيخ، المكان بالخارج شيء وبالداخل شيء آخر..

كانت الغرفة رخامية فسيحة، ملونة بالأزرق الباهت لتبعث في الروح شعوراً ممتلئً بالراحة والسكينة، تتوسطها طاولة دائرية كبيرة، تعلوها مبخرة عجت بأجمل الروائح، تحيط بها عشرة مقاعد جلدية فاخرة، وفي آخر الغرفة مكتب الشيخ؛ يعلوه كمبيوتر وعلى الحائط المجاور له علقت شاشة عرض كبيرة، مما دفعني للتعليق بداخلي ساخرة:" فخامة وشيخ كوول كمان، ما كله من فلوس النصب أكيد..".

وما أذهلني أكثر هو الشيخ فلقد عجبت من هيئته؛ فهو تقريباً في الأربعين من عمره، متوسط الجسم ليس بالطويل الفارع ولا بالقصير، حتى إنه كان متوسط الحجم أيضاً، لا نحيفاً ولا ممتلئ الجسد"، جسمه حلو ومظبط يعني ".

يرتدي بذلة سوداء اللون تبدو من تصميمها مكلفة جداً، لم يكن كما تصورته عجوزاً ذا عباءة بيضاء وعمامة، بمسبحة في يده ذات خرزات كبيرة خضراء.

ابتسم الشيخ بمجرد رؤيتي متفحصاً إياي بعيونه العسليتان الحادة، شعرت بقشعريرة اجتاحتني عندما تلاقت أعيننا، شعرت كما لو أني رأيته من قبل.

بعد التحية جلست، وبدأ حديثه معي عن اسمي وعمري ووظيفتي ومع من اسكن ومكان إقامتي، وهل أنا متزوجة أم مطلقة أم أرملة " تف من بوقك يا جدع" أم عزباء، وإن كان لدي ابناء ذكور أم إناث أم عقيم "بيعملي بطاقة باين" ، وإن كان لدي أعداء أو أصدقاء أو أقارب يكرهونني أو أكرههم.

وجه لي أسئلة كثيرة؛ لم أجب عنها إلا بكلمتين لمللي من كثرتها " أجل، ولا".

بعد محاضرة الأسئلة والأجوبة تلك، ابتسم وقال:"الآن تعرفت إليك فهيا لندخل صلب الموضوع، ما المشكلة التي تؤرقك؟!" نظرت له بغرابة وبحاجب مرفوع، نطقت بضيق شديد" المفترض أنك شيخ وتعلم ما بي من قبل أن أحدثك أنا عنه!"

رمقني بنظرة حادة ثم ضحك ضحكة ساخرة قائلاً:" لا..فلست غيبياً كي أعلم ما لا أعلم، فهيا قصِ علي قصتك ولا تعطليني فوقتي ثمين".

أجبته على مضض:"حسناً، أسمع بالليل أحاديث وهمسات، حولي في كل مكان في غرفتي وفي الصالة حتى في الحمام والمطبخ؛ ولا أعلم مصدرها.

وأسمع صراخاً وعويلاً ولهجات غريبة، كأني محاطة بمجموعة من الأشخاص، كما أقوم بأشياءٍ عجيبة؛ فاستيقظ في الثانية صباحاً كل يوم، أنظف البيت مراراً وتكراراً رغم نظافته، ثم أخلد للنوم مجدداً، كما أشعر بآلام في أنحاء جسدي.

ويوجد كدمات أيضاً وخدوش لا أتذكر متى أصابتني ولا من مسببها، كنت أتابع طبيباً نفسياً ولكنه لم يفدني بشيءٍ، إذ ظن أني أهلوس وأتخيل، ولو استمررت معه لأدخلني مستشفى المجانين..

أعلم أن هناك سبباً لما يحدث لي، وأني لست بمجنونة وأن ذلك ليس من وحي خيالي، لذلك جئت إليك لأعلم سبب كل هذا، فأخبرني أهذا مس شيطاني أم هو سحر أم هي فعلاً خيالات من وحي عقلي الباطن؟!"..

صمت عشر دقائق وهو ينظر إليّ، ثم أمسك بقلمه وقام بتدوين شيئاً في مفكرته، لينظر لي بعدها قائلاً:" حقاً إن حالتك عجيبة، ولم أصادف مثلها أبداً، فهي كما يقولون حالة استثنائية، ولكن في قصتك ما أكد لي شكوكي فور رؤيتك؛ نعم يا عزيزتي فأنت مصابة بكل ما تفوهت به؛ مس شيطاني وسحر وتداخل لمخيلتك في كل ذلك".

سخرت بداخلي من جوابه فسألته بدون تصديق:" كيف هذا؟" فأجاب على الفور:"هناك شخص يكرهك جداً، لدرجة الاستعانة بساحرٍ خطير ليصنع لك سحراً، وذاك الساحر استعان بشيطان قوي، وهذا فقط ليجعلك تبدين كامرأة مجنون ذات خيالات وهلوسات، وذاك الطبيب يعلم هذا الأمر جيداً، ولكنه أراد أن يوهمك بأنك مجنونة فهو بالتأكيد يساعدهم، وقد يكون شريك في هذا الأمر.

بعدها ناولني ورقة كتب فيها بضعة أسئلة منها:" هل ورثتِ مبلغاً طائلاً؟ أو هل لديك ثروة، أو كنزاً تخفينه في مكان ما؟ من هم أصدقاءك ومن هم أعدائك؟ أين تسكنين ومع من؟ وما الذي تذكرينه وما الذي نسيته؟ ".

أمرني بالإجابة عليهم وإحضار الورقة المرة القادمة مع أية صور لديّ، وودعني بلهجة سريعة معتذراً:" الآن وقتك انتهى للأسف ولدي مواعيد كثيرة غيرك فاعذريني، يمكنك مقابلة السكرتير بالخارج وحجز موعد ثانٍ لبدأ العلاج، هذا إن كنت مهتمة بمعالجة نفسك من هذا المس، ويهمني أن أساعدك حقاً؛ فأنت كما أخبرتك سابقاً " حالة استثنائية".

خرجت من الغرفة بدون أن أهمس بحرف، توجهت لخارج المكان على الفور، حتى دون أن أقابل ذاك السكرتير..

بمجرد خروجي من هذا المكان انتابتني رغبة عارمة بالضحك، فضحكت إلى أن آلمتني معدتي من كثرة الضحك ولظن كل من رآني بأني مجنونة؛ نظراً لضحكي المتواصل دون أي سبب واضح..

بعد مغامرة اليوم عدت للمنزل وأنا أضحك، حتى دمعت عيناي فتحول ضحكي لبكاءٍ متواصل، حتى احمرت وجنتاي ولظن من رآني بأني فقدت عزيزاً على قلبي فبكيته كل هذا البكاء.

وبمجرد ولوجي للداخل حتى جلست على أريكتي، فقدت وعيي بدون شعور تماماً، ولم استيقظ إلا اليوم التالي بعد العصر، فاستيقظت وأنا أشعر بألم رهيب في رأسي، لم يمضي حتى بعد تناولي لثلاث أقراص مسكنة، لأعود للنوم مجدداً عل صداع رأسي يذهب لذاك الشيخ فيصيبه ما أصابني ويتركني وشأني".

توقفت الفتاة مجدداً عن القراءة.. ووضعت مي يديها على رأسها بتلقائية؛ شعرت كما لو أن ألم الفتاة هو ألمها، بل حتى إنها شعرت بالقليل من الصداع وانقباضاً في قلبها دام لثانية ثم مضى".

لا أعلم ما الذي حدث لي، كأني جزءً من تلك القصة، أشعر بما شعرت به الفتاة" تحدثت مي لنفسها بإرهاق.

وبمجرد أن أنهت جملتها تلك حتى عادت الفتاة لسرد القصة، ولكن هذه المرة حركت مقعدها لليمين قليلاً وفردت قدميها ويديها الاثنتين، فبسبب جلوسها مطولاً على المقعد شعرت بتخدير في أطراف جسدها.. وما إن أنهت ما تفعله حتى عادت لجلستها، وأعادت المقعد لمكانه ثم أكملت القصة :"

الاثنين صباحاً :

..يومان متواصلان وأنا مستغرقة في نومي العميق ذاك، وعندما استيقظت كالعادة في الثانية صباحاً، قمت بروتيني اليومي من تنظيف وكأني لا أتحكم في جسدي؛ كما لو أني دمية وهناك من يحركني ويتحكم فيّ.

لم أغفوُ بعدها بل جلست حتى الصباح، أمام جهاز الكمبيوتر أتصفح بريدي وأبحث عن علاجٍ لما بي.. "هلوسات وخيالات، مس شيطاني، الشيخ المدبولي حقيقة أم كذبة؟! تهيؤات، جنون، وحدة واكتئاب....".

هكذا كانت عناوين عشرات المواقع التي تصفحتها دون جدوى، كما وجدت كماً هائلاً من الرسائل المتعددة في بريدي، والتي كانت أغلبها من شخصٍ واحد اسمه_ محمد_ وكلها تبدو غامضة، لم أفهم كلمة مما يظهر منها، المميز فيها أنها مرقمة من الواحدة حتى الثامنة؛ بعدد الأيام التي عانيت فيها من هلوساتي كما لاحظت في المذكرات.

ربما للأرقام وحالتي نفس المعني، أو ربما كان هذا ال" محمد" يعرفني من قبل وأنا لا أتذكره، أو ربما كان مجرد متطفل كغيره من المتطفلين الذين يستلذون بمضايقة الفتيات على مواقع التواصل الاجتماعي..

لا أريد التفكير كثيراً في تلك الرسائل، فأغلقت الحاسوب وتناولت إفطاري وأمضيت يومي اقرأ قصصاً وأشاهد التلفاز..."

الفصل الثاني :

...لم تنتبه مي للساعة أثناء إنصاتها العميق للقصة، لذا ما قطع تركيزها وقراءة الفتاة هو أذان الفجر، فعندما رفع الأذان في المسجد القريب من منزل مي توقفت الفتاة عن القراءة، وذهبت مي للوضوء وتأدية فرضها..

وما إن أنهت مي فرضها حتى أسرعت للنافذة؛ لتكمل الاستماع ولكنها لم تجد الفتاة، فلقد فرغ مكانها تماماً، حتى من الغرفة الزجاجية..

شعرت مي بحزن لذهاب الفتاة واختفائها، لذا قررت العودة خائبة الأمل لفراشها، محاولة التغلب على أرقها الصديق الجديد لها، ولكن محاولاتها جميعاً باءت بالفشل، فاستمرت تتقلب في فراشها حتى الصباح، وأخيراً جافاها النعاس في السابعة صباحاً، فغفت كما لو أنها فاقدة للحياة؛ كما يقولون:"مثل القتيل".

ظلت مي في سباتها ذاك حتى الظهر، عندما استيقظت فزعة على صوت طرقات عالية على الباب.. لتنهض من فورها متجهة إلى الباب، بدون حتى أن تغسل وجهها.

كانت تتمايل يميناً ويساراً لنعاسها، جارة أقدامها الحافيتين جراً، حتى وصلت للباب لتنظر من العين السحرية، لتمد بعدها يدها اليمنى لفتح الباب، وبيدها اليسرى تحك شعرها في تثاؤب .

"لمَ كل هذا النوم؟! لقد أذن الظهر وأنتِ ما زلتِ غارقة في نومك!! هيا فلتخبريني الحقيقة كاملة من كنت تهاتفي طيلة الليل؟!" قالتها صديقتها بمزاح وهي تهز كتفي صديقتها..

بادرتها مي بابتسامة كلها نعاس وتثاؤب، بعين مغلقة والأخرى مفتوحة أخبرتها:" هيا تفضلي بالدخول، ولا تلقيِ عليّ تلك المحاضرة المملة ككل يوم،

هيا للداخل ولتصنعي لنا إفطاراً شهياً مع كوبين من الشاي الساخن، وأوقفي هذا المذياع عن الصراخ" واضعة يدها على فم صديقتها.

وبالفعل أذعنت الصديقة لأوامر مي، لتزيل بعدها مي يدها عن فمها، وبتربيتةٍ خفيفة على شعرها الغير مرتب بادلتها الابتسامة، لتتوجه بعدها للمطبخ، في حين توجهت الأخرى لدورة المياة لتغتسل وتتوضأ للظهر، لتخرج بعدها وتصلي فرضها وتتوجه حيث صديقتها.

ظلت الفتاتان تتجاذبان أطراف الحديث في المطبخ، وقصت مي لصديقتها ما حدث بالأمس عن قصة الفتاة الغريبة وكتابها الأغرب..

"لعلك تتخيلين" قالتها صديقتها، وهي تسكب الشاي في الأكواب، لتستشيط بعدها مي غضباً، وتبادرها بنظرة غاضبة مجيبة بثقةٍ:" بالتأكيد..لا، لقد كان كل ما حدث حقيقياً؛ صوتها والغرفة الزجاجية والإنارة الليلية والقصة الغريبة، لقد شعرت بكل كلمة..

لقد شعرت كما لو أني جزءً منها، كأنها قصتي أنا؛ لقد كانت متقنة جداً في الوصف والحديث وطريقة السرد حتى! وصوت الفتاة هو ما جذبني لداخل القصة..أقسم لك أني لم أكن أتخيل أو أتهيأ"..

.."حسناً حسناً، أصدقك" أسرعت الصديقة بموافقة مي في حديثها وهي ممسكة بكتفي مي.

وبعد الانتهاء من تجهيز الفطور، خرجتا لتناوله في الصالة حيث التلفاز، وما إن وضعت مي الصينية على الطاولة أمام التلفاز، حتى جلست على الأريكة بجوار صديقتها، وأسرعت بفتح التلفاز مختطفة جهاز التحكم قبل صديقتها.

ضغطت الأزرار وقلبت بين القنوات، حتى وصلت لإحدى قنواتها المعتادة_ الأخبار_..

لتعترض صديقتها بضيق:" لااااا ليس اليوم، أرجوك فلتبدلي القناة لشيء آخر، فهو لك باقي اليوم وما هي إلا سويعات قليلة أظلها هنا"..

تجاذبت الفتاتان جهاز التحكم، فكل واحدة تريد مشاهدة قناتها المفضلة، وفي النهاية فازت الصديقة بجهاز التحكم، والتي أسرعت لتبديل الأخبار إلى قناة الكرتون المفضلة لديها؛ فهذا هو موعد عرض فيلمها الكرتوني المُفضل The brave نظرت مي لصديقتها بغيظ، واعتلت وجهها نظرة مستنكرة مدى تفاهة صديقتها قائلة:"حقاً!! أهذا هو الأفضل من الأخبار؟! لكم أنت مملة يا صديقتي وتافهة لأقصى درجة، حتى أنك أكثر طفولة من شقيقك الأصغر، ألا تملين أبداً من تكرار هذا الفيلم؟!".

أنهت حديثها الغاضب وبدأت ترتشف من كوبها بعض الرشفات من الشاي بعد تحوله لمشروب بارد، لتسرع صديقتها مجيبة إياها بمرح، وابتسامة الانتصار تضيء وجهها قائلة:" لاا ولن أمل أبدا"..

..بعد مضي ساعة على الإفطار، انتهى فيلم الكارتون وذهبت الصديقة لشقتها لتنظيم بعض الأمور قبل اللقاء مجدداً بعد ساعات.

ظلت مي على حالها تتابع الأخبار بشغف، تجول بحدقتيها أسفل الشاشة بصمت مطبق؛ كالأسد الذي يراقب فريسته بحذر شديد، كأنها تنتظر خبراً هاماً سيعرض بعد قليل..وما هي إلا دقائق حتى نهضت مي متأففة، لتغلق التلفاز وتتوجه لغرفتها لإكمال ما عليها من دروس.

ظلت هكذا حتى آذان العصر؛ وما إن صلت فرضها حتى بدلت ملابسها وخرجت للمكتبة؛ للبحث عن مراجع لبحثها في الجامعة برفقة صديقتها.

ثلاث ساعات كاملة يبحثن ويدوّن ما وجدتاه لبحثهم، ظلت مي وصديقتها هذه المدة في صمت تام، وهما تكتبان ما تجدانه حتى آلمتهم مفاصل أيديهم، لذلك قررتا الاكتفاء بهذا القدر من البحث لتعودا في الغد مجدداً، والخروج للتجول قليلاً قبل العودة للمنزل.

"كم أكره التدوين والكتابة" زفرتها مي بتعب لصديقتها، وهي تركل في حجارة صغيرة أمامها على الطريق، و سرعان ما وافقتها صديقتها الحديث بزفير طويل:"جداًا، إنه لأمر مرهق لأقصى حد".

ظلت الفتاتان تتحدثان عن البحث تارة وعن الفتاة الغريبة ذات الحجرة الزجاجية تارةً أخرى، لينتقل الموضوع بدون تخطيط للحديث عن الموضة هذا الشهر؛ من الملابس التي عُرضت في المجلات البارحة.

ظلت تثرثران كثيراً عن الملابس الغريبة الشكل، فهذه عارضة ارتدت فستاناً مصنوعاً من ورق الجرائد، وتلك عارضة ارتدت ثوباً بكم واحد، وهاتان عارضتان ارتدت كلتاهما بنطالاً بفردة واحدة لكل ساق.

وبدأن في انتقاد المصممات وطريقة رؤيتهن للتصميم، وأنهن لا يعرفن شيئاً عن الإبداع في التصميم والمزيد المزيد من الثرثرة الغير مفيدة بين الفتيات..

أثناء ثرثرتهن تلك الغير مفيدة صرخت مي مصفقة بكفيها، ملتفتة لصديقتها قائلة:" أليس من الجميل لو أننا نرى الكثير من المصممات المحجبات لأزياء محجبة وغير فاتنة بالكامل؟! تخيلي لو أن جميع الفتيات والسيدات المسلمات

ارتدين هكذا أزياء، لما وجد التحرش أو لأكون صادقة أكثر، ربما انخفضت نسب التحرش قليلاً".

نظرت لها صديقتها مؤيدة لما قالته مي ثم عقبت:" نعم بالطبع، لقد ازدادت نسب التحرش بسبب الملابس الفاتنة المعروضة في الأفلام والمسلسلات، وتصويرهم للنساء كمادة لعرض منتجاتهم بأكثر الملابس عرياً، وخاصة في البرامج التلفازية وفي أغلب القنوات الفضائية.

صحيح المتحرش يُلام ويعاقب بالطبع أشد عقوبة، ويُجرّم على تطاوله على الفتيات أشد وأبشع تجريم، ولكنهم أيضاً بعرضهم للملابس الخليعة تلك، مصدراً مهماً في زيادة نسب التحرش في جميع أنحاء البلاد، لا أنكر أن معظم الفتيات محجبات بالكامل ويتعرضن للتحرش أيضاً، وذلك بسبب عقلية بعض الذكور العقيمة في مضايقة كل ما هو أنثوي، ويرجع ذلك أيضاً لخوف بعض الفتيات من الدفاع عن حقهن أو وصمهن بالعار لتعرضهم للتحرش، فيزيد ذلك من كثرة مضايقات الذئاب البشرية لهن ظناً منهم بموافقتهن على تلك المضايقات المقززة".

لتتوقف منى صديقة مي عن الحديث فجأة، ممسكة بهاتفها الجوال باحثة عن شيء ما، لتكمل بعدها الحديث مرةً أخرى بعدما وجدت ما تبحث عنه:" هل تعلمين يا مي أن أكثر النساء عرضة للتحرش والاغتصاب هن النساء العاملات والصغيرات، ويفضلن الصمت بدلاً عن مجابهة ما يتعرضن له.

فكما هو مذكور في إحدى المواقع هنا المحفوظة على الهاتف؛ بأن بعض الأسر قد تقتل فتياتها إن خسرن عذريتهن بسبب الاغتصاب، كما أوضحت مديرة معهد الدراسات النسائية في العالم العربي في لبنان(لينا أبي رافع)؛ بأن أكثر النساء

عرضة لتلك الجرائم؛ هن النساء اللواتي يندرجن تحت إطار العمالة الوافدة أو المنزلية، واللواتي يفتقرن للتمثيل الحقوقي والقدرات المادية، وبحسب تقرير أجرته هيئة الأمم المتحدة للمرأة في مصر في العام 2013 فإن 99% من النساء اللواتي تمت مقابلتهن في سبع مناطق مختلفة في البلاد قد تعرضن لأحد أنواع التحرش الجنسي.

أنهت منى قراءة ما حفظته على هاتفها المحمول، ليرتسم الذهول على وجه مي التي قالت في حزن:" لم أكن أعلم كل ذلك، لكم هو أمر مؤسف ومجحف ما تتعرض له هؤلاء المسكينات على وجه الأرض".

لتتوقف مي عن ركل الحجارة وتكمل سيرها في صمت، مما دفع صديقتها لإكمال سرد الأخبار المؤلمة على مسامع مي:" أتعلمين أيضاً، قرأت مؤخراً على شبكة الإنترنت بأن نسبة التحرش اللفظي في العالم بلغت 40-60% وخصوصا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الشوارع ، و 35% من نساء العالم عانين إما من عنف جسدي أو جنسي من قبل شركائهن في الحياة أوعنف جنسي من قبل أشخاص مجهولين في مرحلة ما من حياتهن*حقيقة1* .

كما قرأت أيضاً أن أعلى الدول نسبة في التحرش هي الدول الأوروبية؛ وهذا نسبة إلى الحرية الزائدة يا صديقتي كما يدعون، فهم يريدون التحرر في كل شيء.

فكلما وجدوا المرأة سلعة سهل الوصول إليها كلما زاد التحرش والاغتصاب *حقيقة2*، هل تعلمين أن بأمريكا واحدة من بين كل 6 نساء تعرضت للاغتصاب على الأقل مرة واحدة في حياتها.

و 14.8% اغتصاب فعلي و2.8محاولة اغتصاب *حقيقة3*" لتوقفها مي غير مصدقة قائلة:" غير معقول، كل تلك النسب في أوروبا المنفتحة بعكس بلادنا المنغلقة كما يصفونها، لكم هم حمقى من يدعون بيننا بحق المرأة في الحرية والانفتاح التام والتحرر من قيود الرجعية، كما يصفون قوانين ديننا الحنيف، إنه أمر مخزي أن توصف تعاليم وقواعد ديننا على ألسنة مدعي الحرية بالتخلف

والتأخر، لو يعلمون حقاً نسب التحرش تلك والاغتصاب، لخجلت أعناقهم المتكبرة ولخسئت كلماتهم وادعاءاتهم الكاذبة".

توقفت مي عن حديثها الغاضب وعادت لركل الحجارة بقدمها، لشدة غضبها ومحاولة في التنفيس عنه بركل تلك الحجارة، لتكمل منى قراءة ما تركته ناقصاً:" وأن أكثر من 80% من حالات الاغتصاب في أمريكا لا يتم الإبلاغ عنها وفقا لوزارة العدل الأمريكية، ومصداقاً لذلك شاركت آلاف النساء في استطلاع رأي عن الاغتصاب وجاءت نتيجته صادمة؛ وهي أن أكثر من نصف مليون سيدة- تحديدا 652676 سيدة في 2019 وحدها- تعرضن للاغتصاب.

وأكد التقرير أن النسبة تزداد بمعدل 2.9 % سنويا ولا يبدو أنها ستتراجع، كما أن 13% من نساء ولاية كاليفورنيا كانوا ضحايا للاغتصاب *حقيقة4*، كل تلك الأحداث جعلت أمريكا تقع في المركز العاشر ضمن أكثر الدول خطورة على النساء من حيث العنف والتحرش الجنسي وقلة تحقيق العدالة في قضايا الاغتصاب.

كما يقال بأن خطر أمريكا على النساء يتشابه مع سوريا- دولة الحرب- رغم استقرار أمريكا وقوتها التي قادتها النساء على وسائل التواصل، وكشفن ما تعرضن له من تحرش واغتصاب حتى المشهورات منهن، وهو ما كشفته حملة #Metoo والحمد لله بأنه لا توجد دولة عربية أو إسلامية واحدة في أعلى تلك الـ50 دولة في معدلات الاغتصاب"

لتتوقف عن القراءة وتكمل بمرارة وحزن يبدوان في حديثها وهي ملتفتة لمي:" لا أنكر بأنه انتشرت في الفترة الأخيرة العديد من حالات التحرش والاغتصاب في عدد من دولنا وبلادنا العربية للأسف، ومنهم من ضجت وسائل الأخبار بها، وأدمت قلوبنا وأرواحنا بسماعها، والتي أخجلتنا ووددنا لو انخسفت الأرض بأولئك المتحرشين ولاقوا في الدنيا أضعافاً مضاعفة من العقاب قبل أن يلاقوها في الآخرة.

وكل هذا يعود لرغبة معظم المحسوبين على جنس البشر بالتحرر الجنسي، ولكن كما أخبرتك يا مي في حديثي السابق عن نسب التحرش في أمريكا فيبدو هنا أن العلاقة بين التحرر الجنسي والتحرش أو الاغتصاب طردية عكس ما

يدعي البعض! فكلما زادت الحرية الجنسية كلما ازدادت معدلات الاغتصاب والتحرش".

لتعود وتقرأ من هاتفها مرة أخرى:" فكما قرأت من على مواقع الإنترنت بأن الدولة الأعلى في معدلات الاغتصاب عالمياً هي جنوب أفريقيا بنسبة 132% والدول الأفريقية عامة في المقدمة، لكن الأكثر إثارة للدهشة هو أن دولة السويد الغنية والمثقفة وقعت في المرتبة الخامسة في معدلات الاغتصاب، والتي كانت نسبتها 63.5% وجاءت أستراليا في المرتبة الحادية عشر بنسبة اغتصاب وصلت 23.8% ، كما جاءت الولايات المتحدة في المرتبة الثالثة عشر بنسبة اغتصاب وصلت إلى 27.3% بعدد مغتصبات وصل إلى 84 ألف و767 مغتصبة في 2020 وحدها وفقا للإحصائية".

لتوقفها مي مطالبة إياها بالتوقف قليلاً للراحة:" انتظري قليلاً لآخذ استراحة قصيرة، فلقد تشنجت ساقي من كثرة السير، ألا تشعرين بالتعب أيضا؟" وجهت مي سؤالها الغاضب لصديقتها التي أجابت بضحك:" بلى أشعر ولكني لم أهرم بعد حتى تتشنج قدماي من شدة السير يا عجوز" لتضحك بصوت عال، مما أغضب مي كثيراً لتلقي عليها حقيبتها فتصيبها في ذراعها بلكمة خفيفة، لتصرخ منى بألم مصطنع:" أي أوجعتني يا عجوز" وتقفز بعيدا عنها خوفا من تعرضها للضرب مرةً أخرى ولكن تلك المرة أشد من سابقتها.

"حسناً توقفي يا مي، لنأخذ هدنة سريعة فأنا لم أكمل بعد، هيا أرجوك لتمهليني دقيقة بعد حتى أنهي حديثي، فأنا لا أحب أن أترك كلامي في منتصفه كما تعلمين"، نظرت مي لصديقتها بطرف عينيها قائلة:" حسناً، موافقة لن أعاقبك على ما بدر منك يا سعادة الصحفية، وسأدعك تكملين حديثك ليس لأن صوتك جذاب بل لشغفي في معرفة المزيد، فكما تعلمين بأني أهتم بالأخبار، ولكن إن بدر منك موقفاً سخيفاً أو أوصافاً سخيفة مرةً أخرى فسألغي الاتفاق وأنقض الهدنة وألقنك درسا يا صديقتي الجميلة، اتفقنا؟"

أنهت حديثها محذرة صديقتها بإصبعها الإبهام، لتجيبها صديقتها بابتسامة كادت أن تتحول لضحكاً هيستيرياً:" اتفقنا" لتتصافح الصديقتان موافقتين على الهدنة.
أشارت مي بيدها لصديقتها بطريقة مسرحية لتحثها على إكمال الحديث مرةً أخرى، لتكمل الصديقة القراءة من هاتفها بشيء من الجدية وهي تعدل نظارتها الطبية:" ولكن يا مي أمريكا ليست بمفردها الممتلئة بالتحرش، فهنالك الهند

اشتهرت بالتحرش الجسدي أيضا لتصل نسبة النساء اللاتي تعرضن للمس بشكل جنسي من قبل شخص في مكان عام إلى 44% في عام 2016 فقط، حسب تقرير منظمة ActionAid الخيرية والتي أوضحت أيضاً بأن في كمبوديا وفيتنام بالتحديد تختبر ثلاثة من كل أربع نساء تحرشاً جنسياً جسدياً أو لفظياً.
ولكن حالات الاغتصاب في الهند عرفت من قبل عام 2012 ، بشيوع حالات الاغتصاب عقب حادثة اغتصاب لطالبة*حقيقة5*.
ولكن أتعلمين ما الأكثر عجباً في تلك الأخبار؟" لتسألها مي بسرعة:" ماذا؟ " ، فتجيبها الصديقة بحماس :"الرجال!! فالرجال أنفسهم لم يسلموا من التحرش الجنسي"
لتصرخ مي في تقزز:" يا للهول، ماذا؟" لتضحك صديقتها على منظر مي ومشهد التقزز الذي ارتسم على وجهها، فتكمل حديثها:" نعم كما أخبرتك، فالسجون بصفة عامة وخاصة في أمريكا تضج وتمتلئ بحالات تعرض فيها بعض المدانين للتحرش الجنسي أو الاغتصاب، لكن هناك 21.4% من الرجال الأمريكيين أوردوا أنهم تعرضوا للتحرش الجنسي، وكان ذلك خارج أي سجن أو مؤسسة عقابية، والأدهى أن ربع هؤلاء الرجال كانوا أطفالاً تحت سن العاشرة*حقيقة6*.

لذلك لا أظن بأن التحرر الجنسي هو الحل لتلك الظاهرة المقززة، بل هي اتجاهنا نحو الدين أكثر وفرض أقصى العقوبات على المتحرشين سواء كانوا صغاراً أم كباراً، ولا بد من توعية الأطفال أكثر وتحذيرهم من الغرباء أو حتى البعد عن ما يدفع المتحرش للاقتراب منهم".

كان ذهول مي من تلك المعلومة متضحاً من نظراتها وتعبيرات وجهها، التي تشكلت في لوحة كلها تقزز وألم بعد سماع تلك التقارير، لتنهي هذا الحديث الطويل المؤلم قائلة:" لا بد لنا من توعية الفتيات يا صديقتي وخصوصاً في بلدنا سواء على مواقع التواصل الاجتماعي أو حتى المشاركة في ندوات واجتماعات خاصة بحقوق المرأة، لتوعيتهن بكيفية الدفاع عن أنفسهن وابنائهن من تلك الهجمات الشرسة على شرفهن، ولكن من أين لك بكل تلك المعلومات والأخبار؟ ولمَ تحتفظين بها في هاتفك الجوال؟ ".

أجابتها صديقتها وهي تعدل من نظارتها وكلها ثقة:" من مدونتنا الإلكترونية يا عزيزتي، فكما تعلمين بأني عضوة في تلك المدونة ولا أكتب سوى عن الموضوعات المهمة المتواجدة في عالمنا، والجدير بالذكر أيضاً أنك عضوة فيها

أيضاً، يا صاحبة القسم الخاص بالسياسة، كيف لم تقرأي بحثي هذا؟" وجهت سؤالها الأخير لمي بشيء من الغضب المصطنع، لتتهرب مي على الفور من الإجابة عليه خوفاً من عقاب صديقتها لإهمالها بحثها الأخير ذاك، لتدعو لإنهاء الجدال وهي رافعة كفيها قائلة:" لندعوا الله أن يهدي شباب وبنات المسلمين جميعاً"..."آمين" قالتها الفتاتان في صوتٍ واحد..

#حقائق

حقيقة1 النسب صحيحة نسبة لموقع RT حسب تقرير منظمة الأمم المتحدة المعنية بشؤون المرأة (UN Women) .

حقيقة2-6 81% من النساء في السويد تعرضن للتحرش الجنسي و75% في فرنسا و68% في بريطانيا و60% في الولايات المتحدة فوق سن ال15 ، كما يبلغ متوسط الأمريكيين الذين تعرضوا للتحرش الجنسي أو الاغتصاب 433.648 كل عام بين 12 عام فما فوق، معنى ذلك أن كل بضعة ثواني يتعرض شخص أمريكي- بغض النظر عن نوعه- للتحرش كما في موقع Opera News للصحفية والمدونة الزهراء عزازي ، كما في موقع CNN بالعربية بلغ عدد النساء في الدنمارك اللاتي تعرضن للتحرش ل 52% وفي بريطانيا لأكثر من 40% عام 2012 حسب تقرير لوكالة الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية، وفي تقرير لمؤسسة Stop Street Harassment البريطانية تعرضت 35% من النساء في بريطانيا للمس بشكل غير مرغوب فيه.

*حقيقة3*تقرير لصحيفة LA Times . *حقيقة4* تقرير لصحيفة RAINN .

حقيقة5 عام 2012 تعرضت طالبة جماعية لاغتصاب جماعي في إحدى حافلات العاصمة نيودلهي حسب موقع CNN بالعربية.

بعد انتهاء هذا الشوط الكبير من التجوال والثرثرة والألم النفسي، عادت كلتاهما لشقتها قبل حلول الظلام.. وما إن دخلت مي للمنزل حتى خلعت حذائها وأسرعت لتلقي بجسدها على الأريكة من شدة التعب، فتريح جسدها المنهك وقدميها المتورمتين من السير مطولاً، أراحت جسدها عشرة دقائق ثم نهضت وبدلت ملابسها وتوضأت وأدت فرضها "المغرب" .

بعد الانتهاء من الصلاة، أعدت مي طعام العشاء، وأحضرته للصالة وجلست لتناوله أمام التلفاز، وقبل أن تمد يدها لتمسك بجهاز التحكم، حتى سمعت رنين هاتفها الجوال في غرفتها، لتنهض سريعاً لإحضاره، وما إن وقعت عيناها على اسم المتصل حتى قفز قلبها فرحاً، وأسرعت لتجيب قائلة في حنان:" أمي،

مرحباً لقد أوحشني صوتك، ما أخبارك وكيف هو أبي وجدي؟...... الحمد لله أنا بخير ومنى كذلك أجل، ... لا ليست بجواري فلقد افترقنا هذا العام، لا تقلقي المسافة بيننا بضعة سنتيمترات، لم أقصد ذلك بل هي بالطابق العلوي.

..أجل أخبرتك مسبقاً، لا لا تقلقي فهي بخير ودراستنا بخير، وأبي كيف حاله؟ .. حقاً!! متى هذا؟ لماذا لم تخبريني؟ سامحك الله يا أماه، هل هو بخير الآن؟ حمداً لله، وجدي هل ما زال يتابع المباريات؟ حقاً !! " ضحك"

لماذا؟ هل اعتزل لاعبه المفضل الكرة أم خسر فريقه؟ غريب!! هكذا بدون مقدمات؟ " ضحك".

... هااي جدي مرحباً كيف حالك؟ ...وأنا أكثر، هل تأخذ أدويتك في الموعد؟ لقد أخبرتني أمي أنك تهملها ولا تنتظم كثيراً لماذا؟ لا، هي لا تكذب عليّ فأنا أعرفك جيداً " ضحك"

...كل هذا بسبب خسارة فريقك المفضل؟ " تضحك" لا يا جدي، لا تقل ذلك فأنت أفضل مشجع عرفته على الإطلاق، هل أخبرك سراً؟ أنت أفضل حتى من أبي " ضحك" أقسم لك " ضحك" .

....حسناً اتفقنا، ولكن إن علمت أنك تهمل أدويتك فلن أحضرها معي، اتفقنا؟ حسناً، لا تقلق عليّ فنحن بخير هنا، لا لم نتعرض لأية حوادث والحمد لله، لا تقلق فنحن هنا كثر ولسنا بمفردنا، فالله معنا يا جدي، حسناً، وأبي عندما يصل للمنزل سالماً فليهاتفني، حسناً؟

حسناً... فلتسلم صحتك يا جدي، وداعاً، وداعاً...... وما إن أنهت مي مكالمتها حتى تنفست الصعداء، وهي تضع هاتفها بقرب قلبها، لتبدأ دمعاتها في التسابق

واحدة تلو الأخرى، المتجمعة في مقلتيها وبدأت تسرح بذاكرتها للماضي؛ عند أول يوم علمت فيه بقبولهما في البعثة هي ومنى...

بين الماضي والحاضر:

وضعت منى حقيبتها بقوة على المنضدة الخشبية أمامها، وصرخت موجهة حديثها لمي الجالسة مقابلها:" والآن كيف سنخبرهم؟" ، لتجيب الثانية مهدئة إياها بصوت منخفض:" ششششش اخفضي صوتك، فلسنا بمفردنا، كما إنه لا يجب أن ترفعي صوتك في المكتبة كما تعلمين"

لتجلس منى على المقعد وهي تزفر بضيق، عاقدة ذراعيها على صدرها، قائلة في حيرة:" لا يهمني ذلك، ما يهمني هو كيف سنخبرهم بما حدث؟ هيا فلتفكري أنت فأنا لا أستطيع التفكير لإيجاد طريقة وأنا غاضبة هكذ حيثاً".
أنهت جملتها تلك وهي تهز قدميها من شدة التوتر، مما دفع مي للتوتر أيضاً لتوجه لها الحديث بنفس وتيرة صوتها المنخفضة:" حسناً توقفي عن الاهتزاز هكذا فلقد أصبتني بالتوتر أيضاً، اهدأي_حسنا_ فلتهدأي لأتمكن من التفكير بهدوء عن طريقة ما لإخبارهم".

أنهت مي حديثها ذاك وانغمست في التفكير جيداً، واضعة بذراعها على المنضدة ممسكة ذقنها بأصابعها تبحث عن فكرة جيدة، وما هي إلا دقائق حتى صرخت مي في فرح:" وجدتها" لتصيح فيها مسئولة المكتبة مصمتة إياها:" شششششش، الرجاء الالتزام بالهدوء وإلا خرجتما" وأشارت بإصبعها باتجاه باب الخروج.
لتسرع مي في الاعتذار إليها ساحبة يد منى للنهوض متوجهتان للخارج، وما إن خرجتا الصديقتان للخارج حتى سحبت منى يدها بهدوء، موجهة سؤالها لمي بغير فهم:" ما الذي وجدته بالتحديد؟" لتسرع مي في الإجابة وبابتسامة عريضة ملأت وجنتيها:" عرفت كيف سنخبرهم، نعم ما عليك سوى مجاراتي فيما سأخبره لوالداي في الهاتف الآن".

أنهت مي كلماتها وهي تخرج هاتفها الجوال من حقيبة يدها، وتضغط على رقم والدها لتتصل به ليجيبها بعد أول رنة، قبل أن تضغط مي على زر المكبر

ويدور بينهما هذا الحوار:" مرحباً يا عزيزتي كيف حالك؟" مي:" بخير يا أبي العزيز، في الحقيقة هناك ما أود إخبارك إياه".
والدها:" حسناً، ما هو؟" مي:" في الحقيقة إنها مفاجأة ولا يجب أن تعرف هكذا، فتخبو روعتها ويهدأ حماس معرفتها، أليس هذا ما علمتني إياه عن المفاجآت؟" ليضحك والدها مجيباً إياها:" بلى هكذا علمتك، ولكن لما هاتفتني؟ إن كانت مفاجأة؟".

لتجيبه مي ضاحكة:" أرد سماع نبرة صوتك عند سماعك لكلمة مفاجأة" ضحك الأب وقال:"حسنا سأعود للمنزل اليوم باكراً، فقلبي لا يستطيع تحمل المزيد من التشويق يا صغيرتي، وداعاً الآن وسنتحدث بعد ربع ساعة من الآن في المنزل" ، مي:" حسناً، إلى اللقاء " لتغلق هاتفها وتضعه مكانه، موجهة حديثها لمنى وبتنهيدة سريعة :" ها قد تم الجزء الكبير، وما بقي فيسير أمره".

بادرتها صديقتها بنظرة بلهاء وقالت:" حقاً!! فأنا لم أفهم كلمة مما تفوهت به الآن، ما هذا الجزء الذي تم وما هو اليسير المتبقي؟ فأنت لم تخبريه من الأساس، هل تسخرين من خوفي يا مي؟ لأنك لو كنت تسخرين فستنتهي صداقتنا الآن وستبدأ عداوتنا" أنهت منى تحذيرها لمي، وهي عاقدة بذراعيها مشيحة بوجهها لليسار وبنظرة جادة مرتسمة عليها.

لتجيبها مي بجدية أكثر:" بالتأكيد لم أقصد السخرية يا حمقاء، بل أنا الآن أكثر جدية من ذي قبل، كل ما قصدته بأن"جزءً كبيراً انتهى" هو إلقاء الطعم حيث الهدف، ثم الانتظار حتى يمسكه لنتمكن من سحب الخيط والفوز بالكنز يا عزيزتي الغاضبة، هل فهمتي الآن ما قصدته؟".

وبنفس النظرة السابقة من عدم الفهم، ارتسمت على وجه منى ولكن سرعان ما أزالتها واستبدلتها بنظرة الفهم، قائلة في فهم مصطنع:" آااه ، هل هذا ما قصدته؟ بالطبع فهمت مقصدك يا فيلسوفة عصرك، هل ظننتني حمقاء لتلك الدرجة كي يصعب عليّ فهم خطتك المتذاكية؟ بالطبع فهمتك".

أنهت حديثها وهي تحك رأسها مفكرة، وتضحك قائلة من جديد:" الحقيقة لم أفهم ولكن لن أستبق الأمور، وسأنتظر للنهاية حتى أفهم جيداً ما قصدته، أما الآن فهيا لمنزلك يا عزيزتي لنرى سوياً سير خطتك" أنهت حديثها متوجهتان لمنزل مي.

في المنزل:
جلس الأب والأم والجد كذلك؛ مستمعين لمفاجآت مي، ومنى جالسة معهم فهي ليست غريبة على أي حال، بل هي العضو الخامس في هذه الأسرة حتى وإن لم تكن تحمل نفس الدم.
في تلك الجلسة العائلية بدأ الوالد الحديث متوجهاً بنظراته لمي قائلاً في حماس:" والآن، أخبرينا ما هي تلك المفاجأة يا مي؟"
لتتحول كل النظرات حيث مي بما فيهم منى لتجيب مي في هدوء:" حسناً، لقد فزنا بالمركز الأول أنا ومنى" فجرت قنبلتها بهدوء تام واتكأت للخلف منتظرة ردود الفعل، التي كادت تفجر طبلات أذن منى من شدة الدوى والصراخ.

فصرخ الجد والأب من شدة الفرح، ونظرت الأم بغير فهم لمي التي سرعان ما أصمتت صراخ الاثنين متحدثة بغير فهم:" فزتما في ماذا؟ فنحن نعلم بأنكما أنهيتما الثانوية للتو بدرجاتٍ مرتفعة، فما الذي فزتما فيه والتنسيق لم يبدأ بعد؟"، أحدث استفسار الأم خللاً في فرحة الجد وابنه، ليلتفت كلاهما حيث الأم، ليشيحا بنظرهما بعدها حيث مي، منتظرين في صمت إجابة مي على والدتها.

زاد توتر منى وازدادت اهتزازات قدميها، عندما توجهت كل الأنظار لمي منتظرين حديثها، لتعتدل مي في جلستها رامقة منى بنظرة اطمئنان مع هزة خفيفة من رأسها، لتتوقف الأخيرة عن هز قدميها والسكون بصمتٍ تام للاستماع لدوى القنبلة الثانية، والتي بدأ فتيلها بالاشتعال عند بدأ مي في الحديث:" نعم أعلم بأننا أنهينا شهادتنا للتو بأعلى الدرجات، وبأن التنسيق لم يفتح أبوابه بعد ولكن ما قصدته بالفوز هو نتيجة التنسيق في الخارج، فلقد قمنا بالتقديم في بعثة للخارج وفزنا بالمركز الأول بها، وسنسافر بعد شهر من هذه اللحظة، وهذا إن سمحتم بالتأكيد".

صمت تام أطبق أفواه من بالصالون، وضربات قلبين بدأت في الارتفاع أحدهما لمنى التي كادت أن تسقط مغشياً عليها من شدة التوتر، والآخر لمي التي تصنعت الشجاعة رغم خوفها بالداخل، وارتجاف قلبها أكثر من ردة فعل أهلها، وخاصة والدتها التي نظرت لها والدموع متمركزة في عينيها منتظرة انطلاق الصافرة لتبدأ بالتساقط.

حاولت منى النهوض من مكانها والانسحاب للخارج، قبل أن ينهدم المكان رأساً على عقب بسبب تأثير القنبلة التي ألقتها مي على مسامع أهلها، والتي كانت متأكدة من نفس ردة الفعل بل وأكثر من أهلها هي.
ولكن قدماها أبتا الحراك من مقعدها الذي غاصت بثقل خوفها فيه، لم يقطع هذا الصمت إلا تصفيقات الجد المتكررة وصراخه بالفرح الممتزج بالفخر، تبعتها تصفيقات ابنه وتبريكاته، والدموع تتساقط من عينيه، ليتحدث الجد والفرح يملأ حروفه قائلاً:" أحسنت يا حفيدتي المتفوقة، مبارك عليكما الفوز، لقد ملأتنا فخراً وفرحاً يا طفلتي".
أنهى حديثه محتضناً مي، وتبعه والدها الذي اغرورق وجهه بدموع الفرح والخوف على وحيدته، قفز قلب منى فرحاً بعد ردة فعل جد منى ووالدها تلك، واطمأن قلبها وهدأت روحها فهي تعلم بأن جزءً كبيراً في موافقة أهلها سيكون بسبب موافقة أهل مي رفيقة طفولتها، فقفزت من مكانها وودعت مي وأهلها لتنهي الجزء الصعب في خطتهما وذهبت لمنزلها.

فرحت مي بسبب ردة فعل والدها وجدها تلك، وفرحتهم لها ولكن فرحتها لم تكتمل بعد فوالدتها مذ سماعها الخبر وهي لم تتفوه بأي كلمة، بل نهضت من مكانها وانسحبت للداخل تاركة من خلفها قلب مي ناقص الفرحة.
استأذنت مي جدها ووالدها وأسرعت خلف والدتها، التي أغلقت الباب بمجرد ولوجها للداخل، طرقت مي باب غرفة والديها، ولكنها لم تلق جواباً فطرقت الباب مرة أخرى، لتفتح بعدها الباب معتذرة من الدخول بدون إذن، وما إن دخلت مي واقتربت من فراش والدتها حتى سحبتها الأم للأسفل محتضنة إياها والدموع تتساقط من عينيها كأنها في سباق.

لم تعلم مي كم من الوقت ظلتا كذلك بدون حديث أو حتى عتاب، ولكن حديث القلوب كان أكثر وقعاً، فمي تعلم جيداً أن والدتها لا تتمنى لطفلتها سوى السعادة والتفوق، وإن كانت سعادتها في البعد عن عائلتها فستلبي رغبتها بالتأكيد.
بعدها بأيام هاتفتها منى لتخبرها بقبول والديها السفر أيضاً، بعد معاناة من طرف والدها فلقد كان متخوفا من معاملة الأجانب لهما، وهما وحيدتان بدون عائلة وبسبب الأحداث الجارية في الفترات الأخيرة وحوادث الإسلاموفوبيا المنتشرة في بلاد الغرب، ولكنه اطمأن عندما علم بأمر الهيئة المشرفة على البعثة ومن محل سكن الفتاتين بالقرب من الجالية المسلمة هناك، وسيسافر معهما والديهما إلى أن يتأقلما على الوضع هناك بمفردهما، وحتى يطمأنا عليهما في غربتهما أشهراً طويلة.

****

عادت مي لواقعها لتجد نفسها بمكانها في غرفتها، محتضنة هاتفها والدموع تسيل على وجنتيها، لتقبل الهاتف حيث اسم والدتها وتضعه على المنضدة بجانب الأباجورة، وتطلق تنهيدة طويلة مزيلة عبراتها لتتوجه بعدها خارجاً، حيث تركت التلفاز مضاءً وطعام العشاء بالخارج.
عادت مي لأريكتها وجهاز التحكم بيدها، لتضغط على أزراره، وتبدل بين القنوات بدون وجهة محددة وببال مشغول بوطنها وأهلها في جهة، وبما سمعته منذ قليل من صديقتها؛ من نسب وأخبار مؤلمة في جهة أخرى، ليتوقف تقليبها عند قناة الأخبار مجدداً، فتضع جهاز التحكم جانباً وتستمع لما يعرض من أخبار، مبتدأة بتناول طعامها، ماضغة إياه بدون استمتاع لزوال نكهته بعدما تركته السخونة هاربة وولت..

وما هي إلا دقائق قليلة مضت في ملل حتى وقعت عينيها على كلمة (عاجل) باللون الأحمر، ليعقبها ما أذهلها وجعلها تعتدل واقفة دون إكمال طعامها، لتمسك بجاز التحكم من جديد وترفع الصوت لتستمع جيداً لما يقال وتقرأ بصمت ما يُكتب.." #حقيقة #2/1":جريمة قتل لثلاثة مسلمين رمياً بالرصاص في إحدى الدول الأوروبية، أودت بحياتهم جميعاً بدون رحمة أو حتى شفقة" ********

#حقيقة # ١ حادثة إطلاق نار تشابل هيل 2015 حدثت في 10 فبراير 2015 وراح ضحيتها 3 طلاب مسلمين بعد اقتحام منزل شقيقتين وزوج أكبرهما ..# وهم ضياء شادي بركات (23 عاماً) وزوجته يسر محمد أبو صالحة (21 عاماً) وشقيقتها رزان محمد أبو صالحة (19 عاماً)

حقيقة # ٢. أطلق مجهولون الرصاص على 3 شباب مسلمين في ولاية أنديانا الأمريكية، في فبراير ٢٠١٦ عدة مرات حتى الموت، حسبما ذكرت وسائل إعلامية، اليوم الأحد. وقالت سلطات الولاية، إنها عثرت على جثث كل من محمد طه عمر "23 عاما"، وآدم مكى "20 عاما"، ومهند تاراب "17 عاما" داخل منزل محلى في مقاطعة فورت واين بولاية أنديانا، بعدما أطلق القاتل الرصاص عدة مرات على كل منهم.

وقع الخبر على مي كالصاعقة، مفجراً معه ينابيع من الدموع الحارة بمجرد عرض صور المجني عليهم، لقد كانوا شباباً كالزهور اليانعة.. بكت مي وهي تتابع بألم وحزن شديدين هذا الخبر على قناة الأخبار.." لقد كان الأمر بشعاً" .. "لم نصدق ما رأيناه وسمعناه في تلك اللحظة" .. "لم يكن أياً من الثلاثة سيئين، فقد كانوا مرحين محبين لغيرهم ودودين" .. "لهو أمر مؤلم أن يقتل أحد بتلك الوحشية"..هكذا ترددت الشهادات باللغة الأجنبية بين شهود يقال أنهم رأوا الحادث بأم أعينهم وآخرين عرفوا الثلاثة وجاوروهم..

شعرت مي بغصة في قلبها وحدثت نفسها باكية:" إلى متى سيظل هذا التوحش؟ إلى متى سيظل العالم يلعن المسلمين وينعتهم بالإرهابيين؟! الآن المسلمون هم الضحايا وهم المستضعفون؛ ولا يجرأ أحد على التحدث من أولئك الكاذبون المخادعون المتملقون المختبئون خلف رداء الحرية وحقوق الإنسان، ألا لعنة الله عليهم، ألا لعنة الله عليهم، ألا لعنة الله عليهم، فلينظروا بصدق لمن المجرم ومن الضحية!! فليحكموا بالعدل الذي يدعون به نحن الضحية وهم المجرمون ألا لعنة الله عليهم".. تذكرت مي مخاوف والد منى وشعرت بالقلق على أهليهما وبدأت

تدور المخاوف وتتناطح الأسئلة بداخلها؛ ماذا لو وصلت تلك الأخبار إلى والد منى، ماذا لو اعتقد بأننا في نفس بلد الضحايا، ماذا لو أخافهم أحدهم وأوصل لهم أخباراً كاذبة عنا، ترى ماذا سيحدث لوالدتها إن أخافها أحدهم بتلك الأخبار، وأوضح لها بأننا هنا في خطر؟

لم تستطع مي التوقف لحظة عن تفكيرها بقلق، حتى إن عينيها لم تساعدها كثيراً بل سرعان ما أجهشت بالبكاء وشعرت بالترنح يميناً ويساراً، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى خارت قواها وانخفض ضغطها فجأة فلم تتحمل ساقيها كثيرا لتسقط مغشياً عليها..

ظلت مي هكذا حتى منتصف الليل عندما عادت لوعيها، لتجد نفسها ملقاة على الأرض، والتلفاز مضاءً والطعام مازال على الطاولة، لتمسك رأسها وتتذكر ما حدث أثناء تناولها للعشاء، تذكرت كل شيء وما سبب لها الإغماء، فحاولت النهوض وهي محتملة على الأريكة خلفها، فاستطاعت الجلوس حتى تعيد لجسدها اتزانه، قبل أن تنهض لدورة المياه وتصب الماء على وجهها لتنشط نفسها وتصلي فرضها.. بعد صلاتها للعشاء توجهت لغرفتها لتريح جسدها وعقلها وروحها من تذكر ذاك الحادث الأليم الذي شاهدته قبل ساعات، وقلقها على أهلها وخوفها من تكرار هذا الحادث لها أو لمنى، حاولت نسيان وجوه الضحايا لكن لم تستطع إزالة وجوههم من عقلها، بل حتى إنها رأت وجهها على أحد الضحايا من شدة توترها وقلقها، فكيف ستكون ردة فعل أهالي الضحايا عندما يصل إليهم الخبر؟ بل كيف ستكون ردة فعل أهلها هي إن كانت هي مكان الضحايا، لم تستطع تهدئة نفسها لتعود الدمعات للتساقط مجدداً..

ظلت مي هكذا منذ الواحدة صباحاً حتى السادسة، تحاول النوم لتنسى ذاك الحادث البشع ولتستريح من ألم رأسها لكنها لم تستطع حتى، تريد أن تنسى كي لا تفكر طويلاً وتهلك نفسها وفي نفس الوقت لا تريد أن تنسى كي تتذكر ما حييت وجوه ضحايا الإرهاب العنصري وتكتب عنه للجميع حتى يعلم العالم من الضحية ومن المجرم .

ولسبب ما شعرت بأنها تعرف الضحايا، لسبب ما أحست بأنها قابلتهم من قبل لكن لا تتذكر أين أو لماذا هذا الإحساس بالألم الذي ينخر في قلبها وينهش في روحها..

كاد عقلها ينفجر بسبب تلك التناقضات المتصارعة في عقلها وفكرها، حتى قررت الذهاب لأقرب صيدلية وشراء بعض الأقراص المنومة" البنزوديازبين"*حقيقة1* والتي كان قد وصفها لها طبيبها قبل شهر، لتتمكن من النوم بسبب إرهاقها وأرقها المتكرر، وللهروب لعالم الأحلام علها تريح عقلها وتستريح نفسياً، وهذا ما فعلته حيث بدلت ملابسها وتوجهت للخارج فذهبت لشراء الأقراص وبعد دقائق عادت للمنزل ومعها الأقراص.

وما إن توجهت للداخل حتى أمسكت بهاتفها لترسل رسالة لصديقتها؛ بأن لا تزعج نفسها وتأتي اليوم لعدم تمكنها من النوم بالليل جيداً، حتى لا تأتي وتنتظر كثيراً أمام الباب دون جدوى فهي لن تستيقظ بسهولة مهما دقوا من طبول بعد هذا الشوط الطويل من السهر، وبعدما أرسلت تلك الرسالة لصديقتها تناولت قرصاً منوماً وتوجهت لفراشها وما هي إلا دقائق حتى غاصت في نوم عميق..

وهنا حلمت بالفتاة العجيبة التي جعلت من أمام منزل مي مكتباً صغيراً للقراءة، أولت لمي ظهرها مجدداً وجلست في مكانها، وأحاطتها الغرفة الزجاجية كما حدث من قبل وأكملت قراءة ما توقفت عنده ومي تنصت كعادتها..

حقيقة1 " البنزوديازبين أو البنزوديازيبيات " تمتلك تأثيرات مهبطة نفسيا ومهدئة ومنومة ومزيلة للقلق ومرخية للعضلات وتؤدي لفقدان ذاكرة معظمها فمويا ، ملحوظة لا تستخدم إلا بعد استشارة الطبيب نظرا لأعراضها الجانبية وضررها على المدى الطويل.

الفصل الثالث :

" فزعٌ وعويل :

..في مساء ذلك اليوم حدث شيء عجيب جعلني أصرخ فزعاً وهلعاً وأنا على أريكتي المفضلة مندمجة في قصتي، إذ بجسدي يتحرك بمفرده دون إذن مني كنت جالسة وفجأة وجدت نفسي استلقي نائمة وبدأت في التشنج والارتعاش والدم يسيل من أنفي، أحسست بنغز آلام شديدة في قلبي كأن احدهم يضغط عليه أو يضربه بقوة لم استطع التنفس؛ فجأة كتم نفسي وبدأت عيني بالجحوظ و زاد ارتعاش جسدي بطريقة مرعبة، وسمعت الأصوات مجدداً ولكنها هذه المرة مختلفة، فهناك أصوات رجال ونساء مختلطة يتحدثون بسرعة بالإنجليزية، لم أفهم كلمة مما قالوه ولكن فقط بعض الحروف التي استطعت تمييزها he..t , da....s , qu...ly.

فجأة سكن كل شيء وساد الصمت وعدت لحركتي مجدداً وتنفست واستطعت الحراك من جديد، فبدأت في الصراخ فزعاً مما حدث لي، صرخت وصرخت حتى شعرت بأن رأسي سينفجر وأذني ستخرج من مكانها فتوقفت وبدأت في تهدئة نفسي، في محاولة استيعاب ما حدث لكن دون جدوى فقررت الهروب بالنوم وهذا ما فعلته ..

تسعة أيام متواصلة وأنا أهلوس وأتخيل وأسمع أصواتاً بدون أصحابها، تسعة أيام وأنا بمفردي لا أنيس أو جليس أو حتى معرفة إن كان لدي أصدقاء أو

عائلة، لا أعلم شيء سوى مكان الطبيبة ومكان الشيخ الدجال ومكان منزلي وعملي الذي لم أذهب إليه أبداً، ولم يتصل بي منه احدهم يخبرني بسبب غيابي عن العمل، خمنت ذلك ب ربما كنت في إجازة طويلة المدى لذلك لم يهاتفني احد، أو ربما أنا لا أعمل ولكن كيف أنفق على نفسي؟! ومن أين لي بالمال.

ربما كان الشيخ محقاً وأنا ثرية ومعي نقوداً كثيرة وأرث ثروة طائلة، لاا بدأت أجن، سحقاً سأذهب للمستشفى وأمكث بها حتى أشفى من جنوني، أو ربما أخلد للنوم مجدداً فهذا ما أبرع به..

منذ ذهابي للشيخ وأنا حالتي يرثى لها؛ كأن الله عاقبني لتصديقي بالشيخ والدجل الذي يقوم به، ولكني لم أصدق قط بل كنت أجرب علي اهتدي لتفسير يطمئنني ويهدئ من روعي، فما عدت أحتمل هذا الجنون ولا تلك الأصوات، فجأة أنارت بعقلي فكرة_كيف لم أنتبه لها منذ البداية؟! كيف لم أفكر جيداً لكل هذا؟!

نعم؛ لعله كابوس بشع فيه تحذير لي، لأني أؤخر فروضي ولا أؤديها بترتيب نعم، هذه هي فأنا أحلم وسأنهض الآن مستغفرة وأنوي التوبة وأتوضأ وأصلي نوافل ما فاتني لمدة تسعة أيام واستغفر ربي، فبالطبع لن يردني الله خائبة وسيطمئن روحي المشتتة وقلبي المرتجف..

بالفعل نهضت من النوم وتوضأت وصليت حتى أرهقتني قدماي، فجلست للاستراحة قبل أن أكمل ما تبقى لي من فروض.. يوم كامل في الصلاة حتى قضيت ما علي من صلوات وأخيراً جلست لأدعو الله؛ دعوته بأن يغفر لي ويرضى عني ويردني لصحتي وعافيتي، ويهدني للطريق القويم ويخلصني من تلك الغفلة، ثم قرأت القرآن ورددت الكثير من الأذكار حتى هدأ قلبي واطمأن، وأحسست براحة كبيرة اجتاحتني فغفوت على سجادة الصلاة وحلمت حلماً عجيباً..

الحلم :

كنت في غرفة غريبة مضاءة من كل جهة، ورأيت أشخاصاً كثيرون يحيطون بي من كل جانب لا أعلمهم، كانوا يحادثوني بكلمات وجمل غير مفهومة، كانت خليطاً من العربية والإنجليزية وربما الألمانية لا أعلم بالظبط .

كانوا يتناقشون في أمرٍ مهم، هكذا خمنت من نظراتهم لبعضهم البعض تارة ولي تارةً أخرى، ولكني أشعر داخل قرارة نفسي أني أعرفهم واحداً واحداً ولكن من كانوا؟! هذا ما لا أستطيع تذكره.

في منتصف تلك الأحاديث سمعت بعض الأسماء التي ترددت هنا وهناك، ولكن اسمين فقط علقا في ذاكرتي بعد استيقاظي وهم"رامي و محمد" نعم؛هذا يعني أني لم أكن أحلم طيلة الأيام الماضية بل كانت حقيقة، فاذكر أني صرخت باسم رامي مرة وتلك الرسائل باسم محمد؛ نعم تلك حقيقة..

استيقظت مي فجأة لشدة سخونة جسدها ولكثرة تصبب العرق على وجهها، فنهضت متوجهة للثلاجة حيث شربت كوبين ممتلئين من الماء، وعادت للنوم مجدداً دون أن تلتفت للساعة أو حتى يتغير مسار سيرها لهنا أو هناك، بدت كما لو أنها تسير في نومها أو ربما كانت كذلك بالفعل، لتعود لإكمال حلمها الناقص، حيث سمعت صوت طفولي يتحدث، لم تر المتحدث بل سمعت صدى صوته يتردد من حولها عالياً، ظلت تتلفت يميناً ويساراً باحثة عن مصدر الصوت أو صاحبه لكن دون جدوى، بدا الصوت كأنه يبلغها رسالة قائلاً فيها:" انظري للرسائل وفي الصور بالهاتف" ليختفي الصوت فجأة كما ظهر فجأة، وتظهر الفتاة الغريبة مجددا لتكمل سرد قصتها:

" رسائل غامضة :

نهضت مسرعه للحاسوب وفتحت الرسائل وبدأت اقرأها بعناية، وأدون ما بها في مفكرتي حتى أفهم ما يحدث.

فتحت أول رسالة كان مضمونها بالعربية:" السلام عليكم، مرحباً يا آنسة مي كيف صحتك اليوم؟! يؤسفني ما حدث لك من خسارة، لهو أمر مؤسف حقاً أن يحدث لك كل هذا، بمجرد سماعي بما حدث جئت مسرعاً حاولت التحدث معك لكن دون جدوى..أجيبيني من الذي فعل هذا؟" ..وانتهت الرسالة، حقيقة؛ فوجئت بمضمون الرسالة ولم أفهم ما الذي يقصده بالذي حدث لي؟! تباً! حقاً إنه لمخبول...

أغلقت الحاسوب فلقد خمنت بأنها رسالة خاطئة؛ صحيح نفس المرسل إليه فأنا مي، لكن لا أعلم شخصاً باسم محمد.. لم أكف وقتها عن التفكير بتلك الرسالة فقررت فتح الحاسوب مجدداً، وإكمال باقي الرسائل حتى أفهم لمن هي موجهة بالضبط، أهي لي حقاً أم هو خطأ وتشابه أسماء؟.. ففتحت الرسالة الثانية وقرأت ما بها:"مرحباً يا آنسة اعذريني على حديثي السابق هكذا بدون مقدمات، فأنا حقاً خفت عليك وقلقت ولكن ما حدث حقاً كان قاسياً، ليتك استمعت لتحذيراتي وأطعت أوامري فما خسرته حقاً كان مؤلماً.."

انتهت الرسالة، وعقبت بعدها بسخرية:"بالتأكيد مخبول"..، الحقيقة شعرت بالخوف من مضمون الرسالتين وعدم الفهم، فأنا لا أفهم ماذا يقصد وما المؤلم الذي حدث لي؟! ربما يتحدث عن نسياني لبعض الأمور أو ماذا لو كان يقصد هلوساتي والأصوات التي اسمعها؟! ..نعم؛ لا بد أن هذا ما قصده..

فقررت بعدها فتح الرسالة الثالثة وقراءتها:"آنسة مي أخبروني أن حالتك سيئة ولكني لن أستسلم أو أيأس فربما ساعدتك في معرفة مَن الذي فعل كل هذا بك؟...ولكن أخبريني أولاً ما الذي تشعرين به الآن؟! آنسة مي هل وصلتك رسائلي؟! أقصد متى ستجيبين عليها؟! أرجوك ساعديني فأنا هنا لمساعدتك، حسناً!! لا بأس.."

زادني ذلك حيرة أكثر فأسرعت و فتحت الرسالة الرابعة التي كانت:" مر أسبوع على الحادث وهذا لا يساعدنا بشيء، تعاوني معي أرجوك فربما استطعنا الإمساك بالمتسبب لكل هذا..أرجوك هيا فلتشعريني بأنك تسمعين رسائلي وتفهمين مدى حرصي على مساعدتك"...وانتهت الرسالة..

بدأت أشعر بالخوف حقاً!! ..ما الحادث الذي يتحدث عنه؟! ألهذه الدرجة حالتي خطيرة؟! هل سأموت بعد هذه الهلوسات أو هذا السحر؟! إن كان بالفعل سحراً..

تشجعت وفتحت الرسالة الخامسة والتي كانت أغرب من سابقيها:" مي طفح بي الكيل فأنا لست كمحمد في تهاونه ولا حنانه، هيا أخبرينا من الذي نفذ الحادث؟! فأنا أعلم أنك شريكته ربما ليس في التنفيذ لكن في التستر وكل ما حدث لك ما هو إلا تكفيراً لذنوبك، هيا اخبرينا وإلا لمناك أنت وحملناك كل

المسئولية..عدم موتك هو بالتأكيد بسبب تعاونك معهم، هيا أخبرينا فأعناقنا مطوّقة بالكامل من كل جهة بسببك.."

احمر وجهي غضباً وصرخت محدثة نفسي:"من هذا الأحمق الذي بعث تلك الرسالة؟! بالتأكيد إنهم مجانين، يتحدثون كلهم في رسالة واحدة، تباً له، فهو مخبول بالتأكيد.

أطفأت الحاسوب وخلدت للنوم فلقد أصبحت كثيرة النوم هذه الأيام؛ بالطبع إنها" اشتغالة من شباب صايعة" تفوهت بهذه الجملة لكثرة تفكيري بالرسائل.

حاولت النوم لكن لم استطع، فعادت الأصوات ولكنها أتت هذه المرة متداخلة بصوتٍ مهموس ومنخفض، فلم أسمع وأفهم منها إلا جملة واحدة "هي المذنبة بالطبع لا تدافع عنها"..

لم أعد أحتمل سماع المزيد فضغطت على أذني علي امنعها من الدخول والتغلغل بداخل أذني فلقد ضقت ذرعاً بكل تلك الضوضاء، تركت الفراش و جلست أرضاً محتضنة ركبتاي أسفل ذقني كالجنين في رحم والدته، وانهمرت في البكاء والصراخ متذللة لله أن يزيل تلك الهواجس عني فما عدت أحتمل.
المفرح أنها توقفت بعد صراخي فيها بالتوقف والمحزن أنها فترة مؤقتة وستعود بالتأكيد...

الفصل الرابع :

المنزل المهجور :

كانت السادسة مساءً عندما قررت الخروج من المنزل لمكان عملي، علّي أجد من يفهمني ما يحدث، لم أفكر إن كنت سأجد أحداً هناك أم لا، كل ما فكرت به هو أني سأخرج من منزل المجانين هذا للبحث عن طرف خيط، فربما الجواب

كان في مكان عملي.. بدلت ملابسي وغادرت مسرعة، ذهبت سيراً على الأقدام حتى وصلت بعدها بساعة ونصف أي السابعة والنصف وهناك رأيت ما لم يكن بالحسبان..

رأيت بناءً مهجوراً ملطخاً بالدماء وعلى جدرانه آثار حريق تبدو حديثة، أفزعني المنظر بالطبع وخاصة أنه بالليل مما رسم منظراً مرعباً، كأن مجزرة حدثت هنا وبعدها تم إحراق الأدلة..

في البداية لم أتجرأ على الدخول بعد رؤيتي لهذا المنظر الغير محبب على الإطلاق، ولكن صراخ طفل بالداخل طلباً للنجدة هو ما دفعني للتجرؤ والدخول بعد فترة ليست بالكثيرة من التفكير، فاستجمعت قواي وهرولت مسرعة للداخل لأبحث عن هذا المستنجد علّي أنقذه.

المبنى كان عبارة عن منزل من طابقين، واسع، بابه حديدي، الجدير بالذكر أني متأكدة أن هذا مكان عملي ولكن الأجدر بالذكر أني لا أتذكر طبيعة عملي، فما العمل الذي أعمله ومكانه منزل !! وليس شركة أو مصنع أو مكتب حتى!! بل المفترض هو ماذا أعمل ؟!هل أنا موظفة شركة أم مبرمجة أم معلمة، طبيبة ربما!!..

شعرت بالصداع لمجرد التفكير في طبيعة عملي ذاك، حقيقة؛ الصداع أصبح أنيسي المرافق لي تلك الأيام فلم اكترث كثيراً لآلام رأسي وأكملت طريقي وفتحت الباب وولجت للداخل.

البيت بالداخل كان مضاءً كأنه يغريني لدخوله والبحث فيه عن مصدر الصراخ المفزع، لم أخف كثيراً فهكذا صوت طفولي ليس شيئاً مقارنة بالأصوات التي اعتدت على سماعها، ولكن للحقيقة رددت الأذكار والآيات القرآنية حتى اطمئن نفسي وأكمل البحث عن الطفل..

لم أجد شيئاً في الطابق السفلي؛ كان عبارة عن صالون كبير وأرائك مبعثرة هنا وهناك.. أكملت سيري ووجدت درجاً فصعدته، كلما صعدت درجة زاد صوت الصراخ، أكملت الصعود حتى انتهى الدرج. وجدت غرفة بجانب الدرج ففتحت بابها أو بمعنى أدق كان الباب مفتوحاً فولجت للداخل، نظرت فلم أجد ما يثير

الانتباه، لذا خرجت ودخلت أخرى ولكن دون جدوى أيضاً، لم أجد أي شيء فخرجت وأكملت البحث...

الطابق كان به أربع غرف ودورتي مياة ومطبخ، ولكنهم فارغين لا أحد بهم، كل ما وجدته كان ملابس لثلاثة أشخاص ممزق بعضها؛ ولكن ما لاحظته من الثياب هو أن الاثنين زوجين والثالث طفل وربما هو من كان ولا يزال يصرخ حتى الآن.

تركت ما بيدي من ملابس وخرجت منادية على الطفل وحثه على الاطمئنان، فلقد قدمت لمساعدته وعليه أن يدلني على مكانه ولكن دون جدوى لم ألقَ أية استجابة، حتى ظننته ربما كان شبحاً أو شيطاناً وسيقتلني الآن، فاقشعر جسدي لمجرد ذاك التخمين، واضطرب قلبي خوفاً وبدأت الهواجس تتجمع لتكون سحابة من الفزع، ولكني سرعان ما بعثرتها بالأذكار والآيات القرآنية حتى نجحت إلى حد ما..

وأنا بمكاني في الطابق العلوي سمعت أصواتاً قادمة من الأسفل، بدا كأنه شجاراً بين اثنين بلغة لم أفهمها لم تكن عربية ولا حتى انجليزية، ثم تحول الشجار لأصوات تخريب، كانوا يبعثرون في المكان؛ آثاث وأرائك تمزق وزجاج يتهشم، فجأة توقف الاضطراب وساد الصمت تماماً وكأنهم تنبهوا لمكاني من فوقهم، فأسرعت بحذر شديد أخطو خطواتي بهدوء داخل الغرفة الثانية واختبأت تحت الفراش؛ فهذه الغرفة تجذبني لسبب ما لا أعلمه، حاولت كتم أنفاسي حتى لا يسمعوا أي همس مني وبعد دقيقتين تقريباً سمعت أصوات أقدامهم وهي تقترب من الدرج، ثم من الطابق ثم اقترب الصوت من الغرفة التي اختبأت بها ثم إلى الداخل، أغمضت عيني ودعوت ربي ألا يعرفوا مكاني وتجمدت في موضعي، خفت من أن يفضحني قلبي ودقاته السريعة المضطربة فحاولت تهدئته..

سمعت حديثهم كانوا يتحدثون بسرعة وبنفس اللغة التي لم أفهمها، ربما كانت ألمانية أو اسبانية لا أعلم، ظننت لوهلة أنها لغة السحرة تباً لتفكيري، لمَ لا أزال أفكر بالسحر وبكلام ذاك الشيخ؟! ولكن ربما كانا فعلا سحرة ويريدون قتلي أو

قتل الطفل، أو ماذا لو أرادا أن يقدماننا كقربان لشيطانهم الكبير الذي يسيرهم ويأمرهم!! بدأت أجن بهذا الشيخ وبكلامه الكاذب..

وفجأة انتقل الصوت لخلفي وتجمدت الدماء في عروقي، ربما عثرا علي وسيقتلانني الآن، رجوت الله كثيراً يارب يارب، وأغمضت عيني بقوة متمنية أن يكون هذا كله كابوساً وأن استيقظ منه الآن ..

ولكنه ليس بكابوس بشع بل هي حقيقة مخيفة، شعرت بالارتياح إلى حد ما بمجرد ابتعاد الصوت لخروجهم وإكمالهم البحث في الغرف الأخرى، وما هي إلا دقائق حتى عم الهدوء فانفلت لساني في ارتياح وبدون وعيٍ مني:" لقد ذهبا، نعم ذهبا وسأخرج الآن من أسفل هذا الفراش".

خرجت من الغرفة وسرت برفق حتى لا يُسمع صوت خطواتي، وحمداً لله بأني اخترت ارتداء حذاءً رياضياً، إن امتلاك الشخص لهكذا أنواع من الأحذية لهو نعمة كبيرة يجب حمد الله عليها كل يوم.

أكملت المسير ببطء حتى اقتربت من الدرج ونظرت للأسفل فلم أسمع أي صوت ولم أر أحداً، فتنفست الصعداء وارتاح قلبي ربما قليلاً.. ولكن سرعان ما دبّ الاضطراب في نفسي مجدداً لتنبهي لشيئاً غاب عن مسمعي بغتة، فصوت صراخ الطفل لم يتوقف بعد، ولكن كيف لم يسمعاه؟! ربما كان مجرد هاجس في فكري أنا وأنا فقط من اسمعه..!!

"جيد جداً تركت منزلي كي أهرب من الهواجس فلحقت بي أيضاً إلى الخارج"، ولكن هذا الصوت ليس ببعيد عني، كما أشعر بأني سمعته من قبل!! ترى من صاحبه؟!..عدت للغرفة مجدداً حيث كنت اختبأ ودققت السمع جيداً، حتى أيقنت أن الصوت يخرج من هذه الغرفة.

تسمرت مكاني عندما تداخل معه صوت امرأة تهمس في خوف قائلة:" امكث هنا و لا تخرج إلا إن سمعت صوتي يناديك، لا تخف يا رامي وثق بي سآتي إليك مجدداً ولن أسمح لهم بأذيتك؛ أتفهمني؟!" ليجيبها الطفل بقلق:" نعم أفهمك وأثق بك.. أحبك كثيراً فلا تتأخري عليّ أتعدينني؟".لتجيب الفتاة مسرعة:" أعدك يا رامي..أحبك كثيراً".

قالت جملتها تلك لينقطع بعدها الصوت تماماً وينتهي الحوار!!

تلفت يمنة ويسرة بسرعة في ارتياب فلم أجد احد، فقط كنت أنا بمفردي وكانت تلك هواجس في مخيلتي أنا فقط..

سكن الصوت نهائياً ولم يعد الطفل يصرخ.. شعرت بفزع شديد فخرجت من الغرفة راكضة، وهبطت الدرج بسرعة شديدة وخرجت من المنزل مغلقة الباب بقوة من خلفي، عدت إلى منزلي راكضة وأنا واثقة بشيء واحد وهو أني"ملبوسة حقاً" وأسمع أصوات الأشباح وربما كنت أنا شبحاً ولكن لا أشعر!!..

وصلت لمنزلي في نصف ساعة لا أعلم كيف أو متى ولكن فلتضرب الفيزياء وقوانين سرعتها بعرض الحائط، فالمسافات لا تعلم قوانيناً وصاحبها في ذروة رعبه وخوفه .

وبمجرد وصولي للمنزل حتى حمدت الله وشكرته، تاركة العنان لضربات قلبي المتسارعة حد الجنون لتستريح، عدت حيث غرفتي وفراشي وحاسوبي وقصصي وعملي الروتيني في النظافة الباكرة، واستسلمت حقاً فلأغرق في هواجسي فقد طفح الكيل ولن أبحث عن حل أو علاج لحالتي مجدداً، وسأبقى هكذا حتى أموت أو أقتل نفسي فأريحها واسترح من تلك الأصوات وهذا العذاب.

خلدت للنوم مجدداً كعادتي تلك الأيام... بدون أن تتوقف الفتاة لحظة عن سرد القصة أو مي عن حلمها الطويل ونومها العميق، واستمرت الفتاة في سردها:

" الحلم العجيب الثاني :

حلمت حلماً عجيباً آخر كحياتي المليئة بالأعاجيب كان فيه؛" منزلاً محترقاً بالكامل ومسجداً تلتهب النيران أبوابه #حقيقة # يكتظ بمصلين يصرخون لنجدتهم، وشخصان ملثمان يحملان قنبلة صغيرة بين أيديهم بدون خوف أو احتياطات، فتاة كانت في العشرينيات ربما، ملقاة على الأرض مصابة بشدة وتنزف من رأسها، عندما اقتربت منها لرؤية وجهها جيداً صدمت فقد كانت أنا".

نهضت فزعة من نومي مستعيذة بالله من الشيطان الرجيم من هذا الكابوس البشع، وذهبت بعد هدوئي قليلاً لدورة المياة لأتوضأ وأصلي ركعتين، حتى يهدأ خوفي ويطمئن قلبي تماماً، بكيت بحرقة وأنا ساجدة داعية الله أن يريحني من كل هذا العبث وتلك الهواجس قبل أن أجن أو أقتل نفسي وأُكتب عاصية.

#حقيقة# أبريل 2018 : تعرض جامع "المسجد الأقصى"، في العاصمة الألمانية برلين، لاعتداء من قبل مجهولين، أشعلوا النار فيه، ولطخوا نوافذ المسجد بالألوان: الأخضر والأحمر والأصفر، وتركوا كتابات فوق الدهان.

7 يوليو 2017 : تعرض شارع هامبورغ بألمانيا لأعمال شغب كبيرة، ومن بينها تعرض مسجد الإمام علي للحرق.

4 مارس 2016: تعرض مسجد الفاتح في مدينة بريمن شمال ألمانيا للحرق، وكتبت على جدرانه شتائم وعبارات معادية للإسلام كما تم الاعتداء أيضا على مركز تعليمي قيد الإنشاء يقع خلف المسجد.

15 إبريل 2015: مجهول يحرق مسجد "السلطان أحمد كامي"، وسكب عبوة بنزين بداخل غرفة المسجد وبعد أن اشتعلت النار هرب من بوابته.

20 أغسطس 2014: حريق مسجد مولانا في برلين، من قبل متطرفين يحملون مشاعر الكراهية ضد المسلمين هناك، واستمر الحريق عدة ساعات إلي أن تمت السيطرة عليه.

عام2013: تعرض مسجد "إتسهويه" في ولاية شليسفيغ هولشتاين بشمال ألمانيا، لقنبلة أدت إلي حرق المسجد ، مما أسفر عن إصابة عدد من المصلين.

29 أغسطس 2012: حاول شخص مجهول حرق مسجد "هاجن"، الذي تشرف عليه رابطة المراكز الثقافية الإسلامي، في ولاية "شمال الراين- وستفاليا"، غربي ألمانيا.

3أغسطس 2011: تعرض "مسجد الشهداء الأتراك" بالعاصمة برلين، الذي يُعد من أقدم المساجد هناك، لمحاولة حرق، عن طريق إشعال النيران في نظام التهوية الموجود في نوافذ القبو الملحق بالمسجد والموجود خلفه.

28 نوفمبر 2010: تعرّض مسجد النور في العاصمة الألمانية برلين لعملية حرق متعمّدة يوم الأحد الماضي من قبل أشخاص مجهولي الهوية.

فبراير 2009: هاجم مجموعة من المجهولين، مسجد الأحمدية الواقع بمنطقة بانكوف في برلين، وحاولوا إحراق المسجد، باستخدام مواد مشتعلة وهشموا بعض نوافذه.

مايو 2008: أشعل مجهولون النار في مسجد " كوكا سنان" الواقع في منطقة رينكندورف بالعاصمة برلين، ما تسبب في حرق المسجد بالكامل، نتيجة تعرضه لهجوم بزجاجات حارقة، ولم يسفر الحادث عن ضحايا، أو مصابين، وتسبب في أضرار بالغة في الجزء الداخلي من المبنى.

الفصل الخامس :

ثلاث رسائل وتفكيك الرموز :

بعدما هدأت من توتري ذاك تذكرت أمر الرسائل، فنهضت من على سجادة الصلاة وذهبت حيث الحاسوب وفتحت الرسائل لإكمالها عسى أن أتوصل لما يطمئن روحي المشتتة.

قبل أن أضغط على الرسالة السادسة أخذت نفساً عميقاً ثم أخرجته ودعوت الله أن يفسر ولو حتى القليل مما يحدث لي، ثم ضغطت على الرسالة والتي كان مضمونها:" مي اعتذر عن معاملة فاروق لك فما حدث لم يكن سهلاً عليه، فلقد كاد أن يفقد ابنته لذلك اعذريه، ومرة ثانية أجدد اعتذاري نيابة عنه فأنت أكثر دراية بالمرور بتلك الحالة نظراً؛ لما حدث لك وما فقدته ذلك اليوم.

يكفي ذلك القدر فلقد تحاملنا عليك كثيراً فاعذرينا مرة ثالثة، وداعاً الآن وسنكمل حديثنا في وقت لاحق، الآن ارتاحي وكل شيء سيزول بإذن الله".

ربما استطعت تخمين أمرين من تلك الرسالة؛ الأمر الأول أني تأذيت بحادث، والثاني أن هذين الشخصين محمد وفاروق يحققان في تلك الحادثة، حتماً زادني ذلك توتراً لكنه في نفس الوقت ربما أراحني قليلاً، فلقد علمت أمرين ربما سيفيدانني لاحقاً في رؤية الصورة بأكملها وفهم ما يحدث لي.

لذلك صنعت لنفسي كوباً من القهوة الساخنة، وعدت لقراءة الرسالة السابعة :"مرحباً كيف حالك اليوم أتمنى أن تكوني أفضل؛ أتعلمين ذاك اليوم عندما أتيت إليّ تخبريني عن ذاك الشاب الذي يزعجك ويتطاول عليك بالكلام والسباب والإهانة ؟! وعدتك وقتها بأنه لن يتعرض لك مجدداً وسأضعه عند حده وأنت رفضتي أن تبلغي عنه الشرطة عسى أن يتغير، طلبت منك أن تعيدي التفكير جيداً وتبلغي عنه لأنه يستحق، ليتك عملتِ بنصيحتي يومها وأبلغتي عنه، ربما لما حدث كل هذا ولما تأذيتي كل هذا الأذى، أو تعلمين؟ لقد تم القبض على ذاك الشاب ولكنه أنكر كل الاتهامات الموجهة إليه، بل واتهمك بأنك طرف في هذا الحادث، والكثير يصدقونه للأسف فعدم إبلاغك عنه في صفه لا صفك.

لذلك اطلب منك وأرجوك أن تجيبيني عن أسئلتي كلها كي نضع حداً لكل تلك الاتهامات ونبرأ اسمك منها ونمسك بالجناة الحقيقيين، أرجوك يا آنسة ساعدينا..".

انتهت الرسالة وما علمته منها أنني متهمة أيضا بشيء لا أعلمه وذاك مخيف إلى حد ما، أن تكون مجرماً والأكثر إرعاباً ألا تعرف ما هي الجريمة المتهم بها.

"أخيراً حانت اللحظة الحاسمة" بزفير طويل حدثت نفسي قبل أن اقرأ الرسالة الثامنة والأخيرة داعية ربي أن تدلني ولو على طرف خيط لذاك اللغز الذي بدأ يصعب أكثر فأكثر، فتحت الرسالة والتي كانت تقول:" مرحباً يا مي ربما كانت هذه آخر مرة أحادثك ولكم أتمني أن لا تكون الأخيرة، اسمعي؛ بمكان الحادث كانت توجد كاميرة مراقبة تحوي تقريباً نصف الحقيقة؛ وهي محاولة قتلك ولكنها لم تظهر للأسف وجوه المعتدين، أما ذاك الشاب الذي أخبرتك عنه سابقاً_المقبوض عليه_ تم إمساكه بالقرب من منزلك في محاولة لحرقه؛ هيا انهضي بالله عليك واخبرينا القصة كاملة، لم نتمكن من العثور على هاتفك الجوال ربما كان سيفيدنا في التحقيق وكان هذا سيكون ربما دليلنا الوحيد على الواقعة.

لا أعلم لمَ أشعر بأن ما فعلته حتى هذا اليوم هو محاولات بائسة، فأنت لن تجيبينني على أية حال وأشك إن كنت تسمعينني أيضاً، في الواقع اعتذر عن

إرهاقك كل هذه الأيام واعتذر لأني أحاول دون جدوى، أخبروني أن حالتك حرجة ولكني لم أصغِ ولم أهتم سوى بأني أريد مساعدتك؛ فاعذري غلظتي وحديثي المستمر ومحاولتي البائسة لجعلك تستيقظي وتجيبينني، حسناً أراك لاحقاً يا آنستي!".

انتهت الرسالة الأخيرة وبداخلي شغفاً واحداً؛ وهو أني يجب أن أعلم كل شيء حتى لو تطلب الأمر محاولات عديدة، لابد لي من فهم ما يحدث.

عزمت أمري على البحث عن أطراف خيط أخرى تدلني على فهم الحقيقة ومعرفتها، لذلك أحضرت المفكرة ودونت فيها هذه الكلمات الآتية (حادثة- محمد وفاروق- رامي- هواجس- حركات لا إرادية وأحلام غريبة- مكان عملي منزل محترق حديثاً لا أحد به- شيخ دجال وسحر- وحيدة لا عائلة..) توقفت عن الكتابة عند آخر كلمتين: وحيدة ولا عائلة.. كيف لم انتبه منذ البداية أني أهملت التفكير بوجود عائلة وأهل حولي؟ لمَ أنا بهذا المنزل بمفردي، لا صور لهم ولا حتى ملابس لهم ولا أثر يدل على وجودهم؟!

الغريب أني لم أبالِ سابقاً بل لم أفكر بهم مطلقاً، ربما دل هذا على شيء وحيد، وهو أني فاقدة لذاكرتي جراء ذاك الحادث المذكور في الرسائل، ولا أحد يعلم من عائلتي عن مكاني هذا، ولكن لمَ لم أحاول البحث عنهم؟ لمَ أهملت أمراً مهماً كهذا؟ ألهذه الدرجة لا يشغل بالي وجودهم ؟..

ظلت الفتاة تسرد القصة ولم تتوقف لحظة واحدة، كما ظلت مي عالقة في حلمها ذاك تستمع وتنصت باهتمام لما سيحدث...

" أين عائلتي؟! :

قررت أن أذهب لقسم الشرطة لأسأل عن أهلي أو لمعرفة أي شيء يدلني لأحد معارفي، فبدلت ملابسي وخرجت، لا أعلم أين يقع أقرب مركز للشرطة، لذا ظللت أسير حتى أُرهقت قدماي فجلست على الرصيف لاستريح من شدة التعب.

الغريب أني كنت بمفردي في الطريق، والأغرب من ذلك أني لم انتبه لكوني منذ البداية بمفردي.

مذ خروجي من المنزل حتى هذا المكان، أين ذهب الجميع؟! نهضت من مكاني لأكمل الطريق وأنا أتلفت حولي علي أجد أي شخص، ودون أي سابق نية أو عزم وجدت نفسي أمام مكان الشيخ الدجال!

لم أعلم في الحقيقة سبب قدومي لهذا المكان بالتحديد ولا كيف سرت حتى أتيت إلى هنا، كنت سأعود من حيث أتيت، ولكن صوت ما جذبني فمكثت مكاني أنصت بحذر:" فلتتركوني أذهب بالله عليكم، لن أخبر أي شخص بما رأيته، أقسم لكم، لدي أطفال صغار بمفردهم في المنزل، أرجوكم فلتتركوني أعود إليهم حتى لا يقلقوا بمفردهم، أرجوكم سأقبل أيديكم واحداً واحداً إن أردتم، ولكن اتركوني أمضي في طريقي، أرجوكم فأنا لم أرَ أو أسمع أي شيء على الإطلاق بالله عليكم فلتتركوني وشأني، بالله عليكم"

.. صوت سيدة تبكي بحرقة وتترجى أحدهم أن يتركها تذهب لبيتها، خفت كثيراً عليها وعلمت أنها في خطر؛ فبالتأكيد يهددها أحدهم أو يختطفها ولكن من ذاك الذي يهددها؟! لابد من أنه الشيخ الدجال ومعاونه، لابد من أنهم لصوص ومجرمين؛ ربما شاهدتهم تلك السيدة وهم يرتكبون جرماً خطيراً لذلك يهددونها.

الصوت ليس بداخل المكان بل بجواره؛ زقاق ضيق بجانبه حيث صوت المرأة.. حاولت الاقتراب ببطء وحذر كي لا يسمعني الدجالان، ولكن فجأة شعرت بألم شديد في رأسي كمن هوى بحمل ثقيل عليها، فدارت الدنيا من حولي وسقطت مغشياً عليّ.

عندما استيقظت وجدت نفسي بداخل مكان لا أعلمه؛ غرفة كبيرة تبدو كمخزن، وصناديق كثيرة من حولي متنوعة كبيرة وصغيرة، لا توجد نوافذ، ورائحة قذرة تسللت لداخل أنفي، تبدو كرائحة عفن قديم مختلطة برائحة معقمات.

على الأرض بعيدة عني ببضع خطوات؛ رأيت سيدة ربما هي تلك التي كانت تستنجد، كانت مقيدة اليدين والقدمين، هممت بالصراخ أناديها ولكن صوتي كان مكتوماً، فلقد كنت مكممة الفم ومقيدة أيضاً ولكن في مقعد حديدي لا أستطيع الحراك ولا حتى الصراخ.

سمعت أصواتاً متداخلة، أشياء تكسر وأحمال تجر على الأرض محدثة صريراً، وأشياء تلقى على الأرض محدثة ارتطاماً وأقداماً تقترب؛ يبدو أنهم الدجالان الذين اختطفا تلك السيدة وقيداني ..

فتح الباب ودخل الشيخ ومساعده كما توقعت، اقتربا مني وعلى وجوههم ابتسامة ساخرة، بدأ الشيخ حديثه إليّ:" يبدو أن آنستنا الصغيرة استيقظت من نومها العميق، أعلم أنك كنت تتمنين حلماً جميلاً، لكنك للأسف استيقظت على كابوس بشع كهواجسك التي جئت بسببها إليّ تطلبين الاستشارة وربما الخلاص، وكما اعتدتِ سأبدأ بأسئلتي مباشرة بدون مقدمات؛ ما الذي آتى بك إلى هنا وبدون موعد؟! ولمَ اليوم بالتحديد؟! هيا فلتجيبي" أنهى حديثه بإزالة ما كمم به فمي.

تظاهرت بالقوة وأجبته بنفس الابتسامة الساخرة:" جئت لأكشف حقيقتك ككاذب مخادع، هيا أخبرني من تلك السيدة ولمَ تختطفها ولمَ قيدتني هنا؟!".

ضحك من سؤالي فأجاب بنبرة كلها سخرية:" أنا فقط من أسأل يا عزيزتي؛ وأنت من عليه الإجابة، فهيا أجيبي فأنا لا أنوي إضاعة وقتي الثمين وأنا أستمع لثرثرتك واستفساراتك".

أزعجني حديثه لكم هو وقح يختطف النساء بدون وجه حق، ثم يطلب منهن الإجابة على تساؤلاته السخيفة؛ لم أكن مضطرة للإجابة عليه، فقط اكتفيت بالبصق على الأرض تحت قدميه والصراخ عل أحدهم يسمعني فيخلصنا من بين أيديهم، لم أكمل الكلمة" النج.." حتى هوى بكفه على وجهي.

شعرت بأن رأسي سيقتلع من مكانه وبألم بشع في رأسي من شدة اللطمة.. نظرت إليه بغضب وصرخت فيه وأنا أتألم:" ليس من المروءة أن تضرب النساء بقسوة هكذا دون ذنب، كنت محقة في أمرك فأنت مخادع ومجرم أيضاً" .. ثم بصقت مرة أخرى ولكن هذه المرة بصقت على وجهه، فهوى بكفه الآخر على وجهي بقوة أكثر حتى شعرت وكأن المكان يدور بي وغبت عن الوعي مرة أخرى.

حلمت حلماً جديداً بأني ممدة على فراش في مستشفى، وتخرج مني خراطيم موصولة بأجهزة غريبة، وحولي أطباء كثيرون يركضون من حولي كأنهم

يحاولون إنقاذي من الموت، وهرج ومرج، وسمعت خارج الغرفة صوت طفولي يبكي ويصرخ باسمي، برفقة والديه اللذان يحاولان تهدئته ويخبرانه بأني سأكون بخير وألا يخاف.

أحسست بالأطباء وهم يحاولون إنعاش قلبي وجعله ينبض، حتى إني شعرت بأن جسدي كله يرتعش، وشعرت بقشعريرة باردة اجتاحتني وفجأة توقف كل شيء، كأن أحدهم ضغط على زر الإيقاف فشعرت بأن روحي تسحب مني وصوتي مكتوم لا استطيع إخراجه و صوت جهاز ضربات القلب يتوقف وفجأة مت...

استيقظت فزعة من حلمي ويدي ترتعش، وخيطٌ دافئ من الدماء ينساب من أنفي، حاولت استيعاب ما حدث لي من تقييدي في مخزن لا أدري أين هو؟! ولا ما هو؟! ولمَ اختطف الدجالان هذه السيدة؟ وما الذي يخفيانه؟

وبينما أنا حائرة في تساؤلاتي تلك، إذ بالسيدة تتحرك وتفتح عينيها وتنظر لي، كانت تهمهم محاولة إخباري بشيءٍ ما، ولكني لم استطع تمييز ما تقول بسبب تكميم فمها، استمرت هي في همهمتها تلك وحاولت أنا فهم ما ترمي إليه، إلى أن غيرت أسلوبها وبدأت تشير برأسها بدلاً من الهمهمة لشيء خلفي، فنظرت للخلف ووجدت مفتاحاً إلكترونياً بالقرب مني لا أدري لمَ هو؟! ولمَ تشير السيدة إليه؟

خمنت بداخلي فربما كان لباب المخزن أو ربما كان للكهرباء، وعند ضغطي عليه تنقطع الكهرباء في كل مكان فيعلم من بالمكان أن شخصاً ما محجوزاً بالمخزن، أو ربما فتح الباب ورآنا أحدهم فيأتي وينقذنا؛ حاولت الاقتراب منه بيدي الموثقتين لكني لم استطع لمسه، حاولت أن أتحرك بالمقعد لكنه كان ثقيلاً، فحاولت الإفلات من قيود يدي ولم أنجح.

لم استسلم بل حاولت مرات عديدة لكن دون جدوى، فبدأت أترنح وأتأرجح بجسدي علي أسقط من على المقعد، فلم يتحرك سوى سنتيمتراً واحداً، مرة تلو مرة وفجأة سقط المقعد على إحدى جانبيه، محدثاً ارتطاماً قوياً مع آلام متضاعفة من آلام الرأس وكدمات بكتفي.

سمعت أصوات أقدامٍ تقترب من الباب، وفجأة فتح وظهر شخص ثالث، لم أره من قبل ولكني خفت من أن يكون تابعاً للدجال قد جاء بعد سماع صوت الارتطام، اقترب الرجل من السيدة مشيراً لي بيديه، فلم أفهم منه شيئاً وخمنت أنه أصم لا يتحدث.

ثم انحنى وبدأ بفك وثاق السيدة، حينها تنفست الصعداء وفرحت بأننا سنخرج من هذا المكان أخيراً؛ بعدما أنهى فك وثاق السيدة نظر إليّ مشيراً بيديه مجددا كأنه يقول لي: انهضي ولكن كيف؟! وأنا مقيدة هكذا، بدأت في الصراخ لتزداد همهماتي، ويأتي ويحررني أيضاً لكنه أخذ السيدة وذهب ولم ينظر خلفه حتى.

أكملا طريقهما بدون النظر للوراء وخرجا من الباب تاركاً إياه مفتوحاً، صدمني ما حدث منذ قليل فاستمررت في الصراخ عله يعود ويفك وثاقي، لكنه لم يعد، فلم استسلم لحظة وظللت على صراخي ذاك وارتفع صراخي عل أحدهم يسمعني فيهرول منجداً لي، استمررت هكذا قرابة نصف ساعة بدون جدوى محدثة نفسي حانقة على هذا الرجل:" ما الذي دفع ذلك الرجل لتركي هنا بينما حرر تلك المرأة لمَ لم يكمل جميله ويحررني أيضا؟!" ؛

الفصل السادس :

دموع وأمل :

ظللت أدعو ربي أن ينجدني وأنا أبكي، كدت أن استسلم لكني تذكرت قول ربي" إن مع العسر يسراً" لذلك رجوت ربي أن ينقذني ويحررني من ذلك المكان، فدعوت ودعوت من قلبي وأنا موقنة بأن الله لن يردني خائبة وأنه سينجدني.

رجوته بأن يساعدني ولن أفوت فرضاً مرة أخرى، ولن أعصه ما دمت حية.

وعدته بأن أطيعه وألا أتوقف عن طاعته ما حييت، فجأة أحسست براحة اجتاحتني ويداً كأنها تتحسسني على وجهي، وسمعت صوتاً حنوناً يردد" يا رب

أنقذها وردها إلينا ولا تفجعنا فيها يا رب يا رحيم يا لطيف" وإذ بالقيود تفك من تلقاء نفسها لأتحرر وأنهض مسرعة للخارج .

بدأت في الركض حتى وصلت للمنزل، أغلقت الباب من خلفي وضربات قلبي تتقافز قفزاً من شدة الركض، لم أخلع سوى حذائي وتوجهت حيث سجادة الصلاة وسجدت وأنا أحمد الله وأبكي.

لم أشعر بالوقت ولا بنفسي إلا في الصباح وأنا مرتاحة القلب، ولا أشعر بأي خوف ولا رهبة كأنني لم اختطف أو أقيد في مخزن وكأن كل ذلك كان حلماً بشعاً وانجلى..

عندما نهضت أمسكت مفكرتي وشرعت أكتب ما حدث لي بالتفصيل، كي أتذكره وأربط الأحداث ببعضها البعض عسى أن أجد أو اكتشف شيئاً جديداً.

عندما انتهيت نظرت ملياً لمآ دونته فيما مضى والآن، أمسكت بالحاسوب وفتحت الرسائل مجدداً وقرأتها بتمعن مراراً وتكراراً وهنا صمت دقيقة أمام كلمة " تسمعينني" ولكن كيف يعقل هذا؟!" تساءلت متعجبة ثم أكملت:" فإن كانت الرسالة مكتوبة فلمَ لم يكتب محمد تقرأي أو تنظري، لمَ كتب تسمعين؟! كيف أسمع ما هو مكتوب؟ إلا إذا كان خطئاً في الكتابة، ولكن ماذا لو لم يكن خطئاً وكان يقصد الفعل حقاً؟! هل أعرفه شخصياً؟! ربما هاتفني من قبل، لكن لحظة ربما كان معي رقم له أو حتى عنوان".

نهضت بسرعة باحثة عن أي ورق مخبأ في الغرفة أو أي مفكرات أخرى لكن دون جدوى، وبينما أنا في حيرتي تلك إذ تنبهت لشيء من الحمق أنه غاب عني أين هاتفي المحمول؟! هل أمتلك واحداً من الأساس؟ بحثت في أنحاء الغرفة فلم أجد شيء، لا هاتف جوال ولا مذكرات ولا حتى أوراقاً، لا شيء سوى هاتف أرضي وقصص أو بالأحرى خمس قصص؛ اثنان منهم للأطفال والآخرين مغامرات وكتب تبدو أنها للمرحلة الابتدائية، وكتابين لمرحلة جامعية مكتوب عليهما أدب انجليزي ونصوص انجليزية، خمنت أنهم لكلية آداب مثلاً أو ربما تربية لا أعلم.

فقط مجرد كتب في مكتبتي بالغرفة ولا شيء آخر، لا دليل هاتف أو عناوين مدونة أو أية أسماء مكتوبة هنا أو هناك، ولا حتى ملاحظات.

حتى إن الغرفة معدة لي فقط!! لشخص واحد فقط، لا أثر لملابس أحد غيري أو أواني للطعام غيري أو حتى أكواب إلا واحد، كوب واحد فقط!! شعرت كما لو أني بسجن معد ومرتب خصيصاً لي، لأمكث فيه وأتعذب ما بقي من حياتي.

حسناً؛ يبدو أنني سأبحث عن هويتي قبل أن أبحث عما يحدث أو بمعنى أدق حدث لي..

البحث بإصرار :

حاولت إرسال رسالة لذاك المدعو محمد ولكن لم استطع الإرسال، فكلما ضغطت زر الإرسال ظهر لي" لقد تعذر الإرسال".

قررت ترك الحاسوب والعودة لمفكرتي مرة أخرى، فاستجمعت قواي وفكري وقرأت ما كتب بتمعن أكبر للمرةِ الثانية، لخصت مما كتب بضع جمل؛ أولاها:" اسمي- وحيدة- تعرضت لحادث مؤلم وهناك شخصان يحققان في ذاك الأمر ودجال اختطفني- أعرف طفلاً يدعى رامي وأعمل في منزل من طابقين، وربما أدرس أو درست في كلية الآداب أو التربية- هذا بالإضافة لهلوساتي وتشنجاتي وروتيني اليومي المعتاد" .

أخرجت زفيراً طويلاً وقررت ترك التفكير في كل تلك الأمور للراحة، فتركت المفكرة وأنهيت فروضي وخلدت للنوم مجدداً، فكلما ضاقت بي الحال وتعثرت طرقاتي هربت للنوم.

يا لي حقاً من بائسة صغيرة تائهة، حالة استثنائية كما قال الدجال، فهذا الشيء الوحيد الذي صدق به، فليذهب للجحيم كل هذا الهراء فما عدت احتمل.

في نومي انقلبت الأمور رأسا على عقب، فلقد شعرت فجأة بأن نفسي بدأ يضيق وضربات قلبي تقل، وشعرت بالبرودة في أطراف جسدي كله؛ هأنذا أتشنج من جديد وترتعش كل أطرافي، شعرت بضغطات شديدة على صدري وسمعت صوتاً حنوناً يتوسل ويرجو الله أن يردني لعافيتي ويخرجني من حالتي تلك.

شعرت وكأن أياماً عديدة قد ولت، وأنا في تلك الحالة من شبه السكون ولازالت ضربات قلبي تقل كما كانت حتى بعد استيقاظي، ربما مر ثلاثة أيام على حالتي الساكنة تلك!!

لا أتذكر إن كان هذا حلماً أم واقعاً، وإن كنت استيقظت من حلمي بعد أم لم استيقظ، كل ما أتذكره هو تلك الدعوات المتكررة وهذا الصوت الحنون الذي يتوسل ويبكي بحرقة وحزن شديد عسى الله أن يشفيني ويعافيني.

لا أعلم سبب خمولي ذاك فأنا لم أعد أميز بين أحلامي وواقعي، فتشابكت الأحداث واختلطت وشعرت بأن طاقتي تخور يوماً تلو يوم، وجسدي بدأ في الذبول وأصفر وجهي، فلم أعد قادرة على الحراك كثيراً، فأنا إما جالسة أو مستلقية لا أقدر حتى على الوقوف أثناء فروضي.

ربما استمررت هكذا أربعة أيام متواصلة أو ربما خمسة_ لا خمسة_ بالتأكيد كما دونت في المذكرة وكما ظهر من إرتجاف حروفي المكتوبة.

في ذلكم اليومين الأخيرين لم تصبني الهواجس أو تأتيِ الأصوات المتداخلة، ربما انزوت بعيداً بعدما امتصت كل طاقتي.

بينما أنا في ضعفي وبؤسي ذاك إذ بالهاتف الأرضي يرن وحمداً لله أنه بجانبي، مددت يدي نحو الهاتف ورفعت السماعة لكي أعلم من المتحدث؟! صوت رجل!! ولكنه لا يتحدث العربية بل الإنجليزية قال لي بلهجة تهديد:" احضري لنا الفيديوهات أو قتلناكِ، سنعطيكِ يوم، يوماً واحداً فقط!" ثم انقطع الاتصال.

لم أفهم بالطبع أي فيديوهات يقصد أو من هذا الشخص، لم أعلم ماذا سأفعل أو لمن التجأ سوى ربي؟! ولكن من أين لي بتلك الفيديوهات؟! بكيت بمرارة ودعوت ربي"يا الله أغثني ودلني واهدني وأعني فلا مغيث ولا معين سواك"

فكرت ملياً أن الاستسلام لم يفد بشيء حتى تلك اللحظة، وعليّ باستعادة قوتي لكي أحارب ما يؤذيني، ولكن كيف الطريق لمن لا أعلمه أو حتى أراه؟!..ربما المنزل هو الحل!! نعم ربما وجدت ما يريده هؤلاء الأشخاص هناك و ربما علمت من رامي؟! و من أنا؟! ولمَ يحدث كل هذا؟! صحيح أني ذهبت لهناك من

قبل ولم أجد شيء، ولكن بعد وجود كل تلك الأدلة بين يديّ، ربما عثرت على خيط ما يوصلني للنهاية.

بثثت في روحي طاقة ايجابية؛ فحاولت النهوض لكن دون جدوى فهزالي هذا يعيقني عن الحركة، مرة تلو الأخرى بدأت بالنهوض متمسكة بالجدار والأشياء من حولي، تحركت إلى أن وصلت للباب خرجت وأنا مستندة على الجدران_لكم هو مرهق هذا الأمر_ شعرت كأني عجوز لا تستطيع الحراك لشدة وهن عظامها وهزالها، لكني لن أستسلم حتى لو كان الأمر متعباً سأستمر إلى أن أصل للمنزل المحترق.

كلما تقدمت خطوة توقفت لحظة لأستريح وأتنفس، بقيت هكذا اليوم بطوله إلى أن وصلت أخيراً للمنزل المنشود، وبينما أنا أسير مستندة على الجدران دخلت للمنزل وأنرت الأضواء.

أذكر أن المرة السابقة وجدتها مضاءة، وعندما خرجت لم أطفئها لا أعلم من أطفأها؟! ربما مر أحدهم من هنا ووجدها مضاءة فأطفأها، لا يهم!

بعد دخولي لمنتصف الصالون تقريباً في الطابق السفلي، جلست لأخذ نفسي وأستريح فأمامي عمل شاق، وبعد مرور ربع ساعة من الاستراحة نهضت مجدداً، ابحث عن أي فيديوهات هنا أو أية أوراق تفيد بشيء.

أثناء بحثي وجدت أوراقاً شخصية لأهل المنزل؛ فالوالد طبيب جراح يدعى "إسحق يوسف" والوالدة مهندسة كهربائية تدعى "ماري عزيز" والابن رامي كما توقعت في التاسعة من عمره، كما وجدت أوراقاً تخص مربية أطفال، لكن فشلت بمعرفة اسمها لأن الورقة كانت محترقة، ما علمته أنهم جميعاً عرب يعيشون الآن في بلاد أجنبية، حتى لم أعلم ما هي البلد؟! لا بلدهم الأصلية ولا هذا البلد؟ فأخذت الأوراق معي وأكملت البحث عن أي شيء آخر.

صعدت الدرج وأنا اتكأ عليه إلى أن وصلت للطابق العلوي، دخلت أول غرفة لم أجد بها شيء، فتوجهت للثانية حيث اختبأت سابقاً؛ نظرت في الدولاب والمكتبة فوجدت مذكرة معنونة بكلمة "كنزي" في غلافها لم ألحظها في الزيارة الأولى لخوفي من اللصين وصوت الطفل المستنجد فأخذتها معي أيضاً، واتجهت للغرفة

الثالثة وجدت بها أجهزة مراقبة ولكنها كانت معطلة، كما وجدت أشرطة الفيديو كلها محطمة، فتوجهت للغرفة الرابعة لم أجد بها شيء، إلا الملابس الممزقة وأبحاث طبية وملفات وصور مجسمات خمنت أنها للمهندسة لذا أحضرتها معي علها تفيدني بشيء.

البحث المستمر ذاك أتعبني كثيراً، فعدت للغرفة الثانية وجلست على الفراش لأستريح، أخرجت المذكرة التي وجدتها وأخذت اقرأ فيها؛ أول صفحة كان يتوسطها عنواناً بخط عريض" رامي وحارستي م" وبجوارها قلبين ووجهين لطفل وامرأة محجبة، تعجبت للرسمة نظراً لأن الولد يبدو من اسم والديه ليس مسلماً، ربما تكون الحارسة هي المربية، ويبدو أنها مسلمة كما تظهر الرسمة.

عجيب أن مثل هذا يحدث؛ ربما هو طبيعي في بلاد العرب لكن هنا في دولة أوروبية هذا حقاً غريب، فهنا يطلقون على أي مسلم يرونه إرهابياً ويحاربونه، أيمكن لأن هؤلاء الأهل عرب ولا يثقون سوى بالعرب؟ لذلك من الطبيعي أن يوظفوا مربية مسلمة عربية لبيتهم ترعى طفلهم أثناء غيابهم.

تركت التخمين جانباً وأكملت القراءة في المذكرة، في الصفحة الثانية كان مكتوب" أول يوم رأيتها فيه أحببتها فهي لطيفة كأمي متبسمة دائماً، هي من علمني أن أدون كل شيء في مذكرتي تلك، لا أهتم إن كانت مسلمة فهذا لن يغير حقيقتها اللطيفة.

ناديتها فور رؤيتها بأختي وابتسمت هي بدورها عند سماعها لتلك الكلمة، يومها لم نتوقف عن الحديث، تحدثنا كثيراً عن أنفسنا؛ عرفتها بنفسي وعرّفت هي بدورها عن نفسها، نصحتني أن أكتب بالعربية فهي لغتنا الأم، وأنا عملت بنصيحتها، فكنت أكتب وهي تصحح لي الأخطاء، فأنا لم أكن بارعاً كفاية في الكتابة بالعربية.

أخبرتني أنها مازالت طالبة في الجامعة لم تنهي دراستها بعد، فهي مازالت بالسنة الثانية بكلية الآداب والعلوم، جاءت هنا في بعثة دراسية برفقة صديقتها، وتمكث مع زميلاتها بسكن جامعي قريب من الجامعة، أخبرتني إن أردت يوماً الحديث لأول مرة مع أحدهم وخجلت، أن أكتب في البداية ما أشعر به أو ما أريد، ثم اقرأه أمامه فأتشجع وبعدها ستتوالى الكلمات بسهولة أمامه.

تأتي إلينا الساعة الواحدة ظهراً وتعود في التاسعة مساءً لبيتها، بعد أن يعود والداي وأخلد للنوم.

أول يوم عادت لبيتها متأخرة في الحادي عشرة ليلاً، وأوصلها والدي حيث تمكث، لم أرد التوقف عن الحديث معها ليلتها وصممت أن تبيت معنا، ولكن لا يمكن بسبب دوامها الجامعي صباحاً، لذلك اتفقنا أن تذهب في التاسعة مساءً بعد ذلك اليوم، ويوم الإجازة تبيت معنا في الغرفة المجاورة لغرفتي، أتذكر هذا اليوم جيداً لأن اليوم هو الذكرى الأولى للقائنا، لذلك ذكرت هذا اليوم ودونته في أولى صفحات مذكرتي كي لا أنساه".

في الصفحة التالية كان العنوان:" أنا ورامي" ومكتوب تحته:" مرحباً رامي أنا حارستك م كما تحب أن تطلق علي، أتذكر هذا اليوم جيداً حين أتيت لمنزلك لأول مرة كمربية لك ومعلمة ورأيتك، حينها شعرت بأني أعرفك من قبل.

خشيت في البداية حقيقة من مقابلتك لأول مرة؛ من أن تأبى بقائي معكم وعملي هنا، نظراً لاختلاف ديانتينا لكني تشجعت عندما رأيتك وبدأت الحديث معك وبادرتك بابتسامة حين ناديتني بأختي، وددت لو كنت حقاً شقيقتك ولكني بعدها اعتبرتك أخي كما اعتبرتني أنت أختك.

تبعها في الأسطر التالية تعريفاً بهذا ال "رامي" فكتبت مربيته:

"رامي ولد مهذب وماهر في دراسته، في السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية، ذكي يجيد التعبير الكتابي جيداً، لذلك نصحته أن يدون كل ما يشعر به لأنه كان خجولاً، ولكنه الآن صار اجتماعياً مرحاً لبق الحديث يحبه الجميع ويحبنا جميعاً.

أتدري يا رامي؟! حين أصررت على بقائي معك أول يوم لأبيت لديكم بالمنزل، وددت ذلك كثيراً لكن لم أستطع بسبب الاختبار لنا في اليوم التالي في الكلية للأسف.

لو كنت متفرغة ذاك اليوم لوددت بالطبع أن أبقى معكم فالحديث معك ممتع، أتممت اليوم عاماً معكم وأحببت أن تبقى تلك الصفحة هديتي لك يا أخي العزيز". وانتهت الكلمات عن رامي .

أكملت القراءة فلقد كانت باقي الصفحات ذكريات عادية، إلى أن وقفت عند تلك الأسطر التي كانت آخر ما كتب" اليوم الخميس حدث شيء سيء مع حارستي، فلقد كانت قلقة عندما أتت وكانت متوترة كثيراً، كانت يداها ترتجف بشدة، وعندما سألتها ما الذي حدث؟! لم تجبني على الفور، كررت السؤال ثلاث مرات ولم تجبني أيضاً، لم تكن في وعيها ولكن عندما هززت يدها نظرت إليّ بدهشة متسائلة:" ماذا قلت؟" فكررت السؤال للمرة الرابعة لتكتفي بقول:"لا تقلق، مجرد توتر لاقتراب الاختبارات النهائية"..

لم أقتنع بالطبع من جوابها ولكن لم اسألها مجدداً، وأيقنت أنها ستخبرني بمفردها عندما تهدأ وصح يقيني، ففي اليوم التالي أخبرتني بما كان يقلقها لأننا أصدقاء ولا نخفي الأسرار عن بعضنا البعض؛ أخبرتني بابتسامتها المعتادة " لم أجبك لأني خفت أن تقلق عليّ وتتحمل ما لا تطيق بسببي.

وأنا في طريقي إلى هنا تعرض لي شابان وتطاولا عليّ بالسباب، نعتاني بالإرهابية اللعينة وأمراني أن أعود من حيث أتيت لموطني فأنا ليس مرحباً بي هنا، تلك كانت أول مرة يحاول أن يؤذيني أحدهم لذلك خفت كثيراً وركضت حتى تواريت عنهما؛ أتعلم؟! أنا لا ألومهما فنحن السبب، نحن من يقبح صورتنا أمامهم- أمام العالم أجمع- نحن من نصمت عندما يتم نعتنا بتلكم الصفات المخزية، نحن من يصفق لكل من يخطئ فينا ويسبنا، نحن الذين نصمت ونساق كما يريدون دون أن نعترض أو ندافع عن أنفسنا، لذلك إن فكرنا بالدفاع نعتونا بالإرهاب والمجرمين؛هذا ما حدث يا صغيري".

شعرت من حديثها بألم يغور داخلها وبحزن دفين تحاول أن تخفيه عني لكني رأيته وشعرت به، نظرت إليها وأمسكت يديها وأخبرتها بأنني هنا ولن أسمح لأحد أن يتجرأ ويغضب أختي أو يحاول آذيتها، وأخبرتها أن تقدم شكوى للشرطة وتخبرهم بما حدث حتى لا يتعرض لها هؤلاء الحمقى مجدداً، ولكنها رفضت مبررة ذلك بأنه طيش شباب وهذه أول مرة لهما وربما اتعظا وتوقفا عن تكرار ما فعلاه لذلك لا داعي لتضخيم الأمور.

لكني لم استمع لكلامها وأخبرت والدي، الذي بدوره أخبر صديق له مصري يعمل في قسم الشرطة يدعى محمد_ كان متخصصاً في شئون الجالية العربية

في هذا الحي_ في اليوم التالي غضبت عليّ حارستي وحدثتني بجدية بأنه لم يكن يجدر بي إخبار والدي وتضخيم الأمر لهذا الحد، كما فهمت من حديثها أنها أنكرت ما حدث لها و حاولت تسوية الأمور وأصرت على عدم تقديم شكوى ضدهما.

حاولت ثنيها عن ما قررته ولكنها غضبت عليّ، لذا أذعنت لها في النهاية وحاولت إرضائها، واتفقنا على ألا أضخم الأمور وأن تقدم شكوى إن تعرضا لها أو أي شخص مجدداً فتراضى الطرفان على ذلك؛ أي أنا وهي"..

قلبت الصفحة لأجد آخر صفحة كتب فيها بعض الجمل والكلمات الغير مركبة وهي:"

1/ حاولوا تهديدها ولكنها لم تخبرني كي لا أخبر الشرطة.

2/ المسجد أثناء الصلاة ومحاولة تفجير فاشلة.

3 / المحاولة الأولى لحرق المنزل وخوفها علينا وخاصة أنا.

4/ المحاولة الثانية للحرق ونجحت.

5/ خبأتني في المنزل وذهبت ولم تعد.

6/ وأخيراً الحادثة المؤلمة لحارستي ولم أرها مجدداً، لم يسمحوا لي برؤيتها أو الدخول إليها، أختي بريئة بل هي مجني عليها وليست المذنبة، الدليل؛ الهاتف المحمول وكاميرات المراقبة ابحثوا جيداً!!

الفصل السابع :

طرف خيط :

وانتهت الكلمات، الغريب هو شعوري بالنشاط مجدداً يملأ جسدي بعد هزالي ذاك لأيام، لذا قررت العودة للمنزل وأخذ المذكرة معي.

عند عودتي توضأت وأنهيت فرضي، وبعدها توجهت للمطبخ حيث صنعت كوباً ساخناً من القهوة، ثم جلست على الفراش أعيد قراءة المذكرة مراراً وتكراراً كي أربط الأحداث معاً، لم أعلم ما الذي يربطني بتلك الأحداث، فأنا تعرضت لحادث كما ذكرت رسائل محمد ومربية رامي أيضاً تعرضت لحادث

فيالها من صدفة، لا أتذكر شيء ولا أعلم إن كنت أعرف تلك المربية أم لا، لا أتذكر أي شيء.

ولكن ماذا لو تعرضت كلتانا لنفس الحادث واتهمت كلتانا بنفس الجرائم؟! ربما أعرفها!! ربما هي صديقتي أو شقيقتي !! لم أعلم اسمها، كل ما علمته أنه يبدأ بحرف "الميم" فأقنعت نفسي بأننا قريبتان_ أنا وتلك الحارسة_ كما كان يسميها رامي، لا أعلم لماذا أشعر بأن هنالك رابطاً قوياً يربطنا كروابط الدم ربما هي شقيقتي حقاً!!

يجب أن أبحث جيداً عن ما يدلني عليها؛ اسمها، عنوانها، أية معلومات عنها، أي شيء!! وعندما أجدها سأعلم كل شيء، كل ما حدث بالتفصيل سأعرف كل الأجوبة التي لم أعرفها حتى الآن.

لكن حقيقة لا أعلم من أين أبدأ؟! ولا من سأسأل؟! أو أستفسر فأنا لم أجد سوى هذه المذكرة بالمنزل ولا أعلم سوى تلك المعلومات، وفي منتصف حيرتي تلك تذكرت أمراً صغيراً تناسيته تماماً ربما كانت معلومة وستقودني لتفصيل مهم ،" كتب رامي في مذكرته أن مربيته طالبة في السنة الثانية من الجامعة وتعيش في سكن طلبة بالقرب من الجامعة"، لذا سأبحث عن الجامعة القريبة من هنا فربما عثرت على شيء مهم.

أما الآن فسأخلد إلى النوم فالوقت تأخر جداً وفي الصباح بإذن الله سأخرج باحثة عن الجامعة والسكن، وستقودني بالطبع تلك المعلومات لتلك المربية..
تركت التفكير جانباً وخلدت للنوم وفي الصباح استيقظت كعادتي الثانية صباحاً أنظف كالمعتاد بدون أية إرادة مني أو تحكم في جسدي.

أنهيت التنظيف وتحممت ثم أعددت فطوري وتناولته، بدلت ملابسي ثم خرجت أبحث عن تلك الجامعة.

سرت على قدماي حتى توقفت فجأة أمام الجامعة لا أعلم كيف؟! ولكن كنت واثقة في خطواتي وكأني أعلم مكانها من قبل؛ كانت الجامعة عريقة كما يبدو من منظرها أنها قديمة جداً.

بحثت عن الكلية المقصودة حتى وجدتها، مبانيها عالية؛ تقريباً كانت الأعلى في الجامعة، يبدو من تشييدها ومعمارها أنها الأروع من بين الكليات، يوحي شكلها بالأصالة.

لا عجب أن مصممها كان مولعاً بالآداب والفنون وبتلك المهنة ويعلم جيداً أهميتها، كانت فارغة ربما اليوم عطلة لم أجد فيها أحداً إلا عاملاً كان ينظف في الحديقة، ولجت للداخل حاولت دخول غرفة السكرتارية لكنها كانت موصدة، وكذلك باقي الغرف والقاعات.

حزنت في البداية لأنني على هذه الحال لن أجد شيء أو أعلم أي شيء عن تلك المربية، فقررت النظر في كشف الأسماء الذي كان معلقاً على الحائط في المقدمة.

بحثت عن أسماء الطلاب في المرحلة الثانية، كانت القوائم كثيرة والأسماء أكثر!!

مازلت أبحث إلى أن وجدت أسماء طالبات عرب؛ كن خمسة طالبات كما ظهر من أسمائهن، لكن لم يكن مكتوب جنسياتهن، ولكن تيسر عليّ البحث فلم تكن سوى ثلاث منهن مسلمات، واحدة تدعى إيمان والثانية مريم والثالثة مي، تيسر البحث أكثر فالمطلوبة كانت تبدأ بحرف الميم وها هما اثنتان تحملن حرف الميم"مريم ومي" نعم نجحت في أول محاولة للبحث.

فلقد أمسكت بأول الخيط وهو اسمها "مي كانت أم مريم" ليس بالشيء الجلل، فالمهم أني اقتربت كثيراً، زادني ذلك تفاؤلاً وسروراً لاقترابي من الحقيقة.

دونت الاسمين في مفكرتي وغادرت، صحيح أني لم أعلم مكان سكنهن لكني خرجت وكلي يقين بأني سأعلم المكان عاجلاً أم آجلاً.

خرجت من الجامعة وانتظرت قليلاً أمامها أجول بناظري وأبحث عن سكن طالبات بالقرب من هنا، فخرجت من شارع الجامعة تلك ودخلت شارعاً جانبياً لها، شعرت بأني أعلم ذاك الطريق وتلك المباني، لذلك تبعت حدسي إلى أن وقعت عيناي على بناية من خمسة طوابق، تمعنت النظر إليها جيداً فشعرت وكأني أعرفها سابقاً، فقررت الدخول لأؤكد شعوري هذا.

فدخلت إلى أن وصلت للطابق الرابع، وجدت به شقة مكتوب عليها باللغة العربية والانجليزية ولغة ثالثة لم أميزها "سكن جامعي للطالبات" .

كان الباب موصداً فلم استطع الدخول، فطرقت عليه كثيراً فلم يفتح أحد، انتظرت طويلاً عل أحدهم يأتي فيفتح لي الباب لكن دون فائدة ترجى، ربما كانت الطالبات في إجازة وذهبت كلا منهن لبيتها لقضاء الإجازة هناك.

انتظرت هناك قرابة الساعتين لكن دون جدوى، خاب أملي وعدت للمنزل وقررت المحاولة مرة أخرى في الغد فربما جاءت إحداهن وفتحت لي الباب.. صحيح أني شعرت بخيبة أمل، لكني أيضاً فرحت لأني حققت انتصاراً ولو كان قليلاً المهم أني وجدت طرفاً سيوصلني لبقية الأطراف.

عدت للمنزل أخذت حماما دافئاً يريح جسدي المنهك، وتوضأت وصليت فروضي وجلست اقرأ القرآن والأذكار حتى هدأت روحي واطمأنت، فجلست على الأريكة وفتحت مفكرتي وأمعنت النظر فيها كثيراً محاولة ربط الأحداث ببعضها البعض حتى أصل لنتيجة، وأنا أقلب في مفكرتي وقعت عيناي على كلمة "مفتاح" لا أعلم لمَ هو ولا ما الذي يفتحه، لم أتذكر متى كتبت تلك الكلمة ولا أين هو المفتاح؟ أغلقت المفكرة ووضعتها على الأريكة وشرعت أبحث عن المفتاح، لم استطع إيجاده في أي مكان لا في الأدراج ولا حتى الأرفف ولا تحت الفراش، ترى أين وضعته؟ إن كنت أنا من خبأه من الأساس.

عدت للأريكة مجدداً واستلقيت على ظهري ونظرت مطولاً لسقف الغرفة أفكر أين المفتاح؟ وأنا أجول بعيني يمنة ويسرة، التفت برأسي قليلاً للحائط بجواري حيث كانت صورة معلقة، رسمت فيها الطبيعة بأبهى منظر حيث الأشجار الخضراء المتراصة في مستوى واحد، والأزهار الملونة المتعددة والسماء الصافية والنهر الأزرق الخلاب، والأولاد يلعبون الكرة والأهل يجلسون يدردشون معاً صورة جميلة بل رائعة فهي توحي بالاطمئنان والهدوء والاسترخاء.

نظرت جيداً للنهر كان يرسو عليه قارب صيد فضي اللون، بدا كأنه بارزاً في الصورة، اعتدلت ونهضت من الأريكة واقتربت من الصورة وأنا أمعن النظر

جيداً في القارب، ثم وضعت يدي استشعر بروز الصورة فوجدت أن البروز ما هو إلا المفتاح الذي أبحث عنه، فضحكت من الموقف حتى علت ضحكاتي.

أوقفت الضحك الجنوني، وأخذت المفتاح وأنا أنظر له مطولاً ثم وضعته في الحقيبة وخلدت للنوم وأنا مسرورة من حل لغز آخر، مؤمنة بأن الغد سيكون مهماً في اكتشاف طرف خيط جديد ولا بد لي من الراحة الكافية كي يتحمل جسدي مغامرة الغد.

استيقظت فزعة على حركة لا إرادية بجسدي كله ونداء عالٍ باسمي:" استيقظي يا مي استيقظي لا بد أن تستيقظي الآن وإلا خسرنا كل شيء!!" .

دامت حركة جسدي عشرة دقائق كأن احدهم يهزني بقوة ثم توقف كل شيء؛ الحركة والصوت.

تنبهت للساعة فكانت الخامسة فجراً نهضت من على الفراش استعيذ بالله من الشيطان الرجيم، تعجبت من أنني لم استيقظ في الثانية صباحاً ككل يوم، ولكني رجحت ذلك ب ربما من تعب البارحة لم استطع النهوض.

تركت الفراش وتوجهت لدورة المياة توضأت وصليت الفجر وجلست أذكر الله حتى شروق الشمس كي أتجهز للخروج بعد الشروق بزمن في حوالي الثامنة صباحاً، وبعد تناولي الفطور خرجت للسكن الجامعي مجدداً ومعي المفتاح وبداخلي إصرار لأعلم ما الذي خبأ خلف الباب..

عندما وصلت كانت الساعة العاشرة، فدخلت البناء وصعدت الدرج ثم أخرجت المفتاح من حقيبتي ووضعته في الباب، بسملت ثم فتحت ودخلت وما إن وقعت عيناي على ما بداخل الغرفة حتى أصابني الذهول وصرخت من المفاجأة، حاولت التهدئة من روعي لكن لم أستطع فما بالداخل قد شل تفكيري لدقائق، ظللت مكاني واقفة مذهولة، فمي مفتوح وعيناي متسعتان عن آخرهما، لا أفكر بشيء سوى هذا المنظر وفجأة بدون أية مقدمات إختل توازني ودارت الدنيا من حولي وسقطت أرضاً بدون حركة، فقط محدقة بعيناي في الفراغ، لكن بدون وعي لا أدري كم مكثت وأنا على تلك الحال لكن عندما استجمعت قواي وعدت لحركتي.

نهضت من على الأرض وأنا أمسك برأسي فلقد عاد رفيقي الصداع مجدداً، واتكأت على الباب كي أنهض وعند نهوضي نظرت جيداً حولي وصرت أصرخ بصوت عالٍ كيف؟ أين أنا؟ ما الذي حدث؟ لا يعقل بل لا يمكن..إنها شقتي نعم هي شقتي كأنها نسخة منها كأني متواجدة في منزلي!! ولكن كيف يعقل هذا؟! لقد تركت المنزل من حوالي أربع ساعات كيف عدت إليه؟!

لاا هذا هو السكن الجامعي ولكن كيف يمكن أن يكون شبيه بسكني؛ نفس اللون ونفس الأثاث لا يمكن..لا ما الذي يحدث لي هل جننت؟ و تطورت الهلوسات لدي حتى صارت جنوناً، لا أصدق لا استطيع أن استوعب!! كيف كل هذا الشبه؟

لم تستطع قدماي التحمل فاقتربت للأريكة وألقيت بثقل جسدي كله عليها، لاستريح واستجمع قواي من جديد وأعيد ترتيب أفكاري بعد تلك الصدمة، جلست وتمعنت النظر جيداً، أنظر للحوائط و الآثاث مراراً وتكراراً، أغمض عيناي علي أحلم ثم أفتحها مجدداً فعلت ذلك أكثر من مرة لكن دون جدوى، الشكل لم يتغير، نعم هي شقتي!!

أحسست بأن رأسي سينفجر من كثرة التفكير، لذا نهضت واقتربت من الباب وخرجت، أغلقت الباب ثم فتحته مجدداً عل المكان يتغير لكن لا، ظل كما هو كررتها أكثر من مرة لكن دون جدوى.

خرجت من البناية للطريق ثم دخلتها مجدداً، صعدت الدرج وقفت أمام الشقة وضعت المفتاح متمنية بأن يتغير الشكل، وفتحت الباب وأنا مغمضة العينين وعندما فتحتهما لم يتغير أيضاً شيء استسلمت، نعم فالشقة كمنزلي بل هما الاثنتين نفس المكان، توجهت للشقة المقابلة لتلك الشقة ووضعت المفتاح فيها لكنها لم تفتح حاولت مجدداً فلم يفلح الأمر، فحاولت فتح الباب بأي شيء، لكن لم أجد شيء فقررت كسر الباب.

أجل لابد لي من فهم ما يحدث، فلو كانت تلك الشقة نفس شكل منزلي فهذا يدل على أن كل الشقق هنا متشابهة وهذا ليس لغزاً، ولكن إن كانت مختلفة فهذا سيدل على أنني وجدت من أبحث عنها..

حاولت كسر الباب، صحيح أن جسدي هزيل ولا يقوى على تحمل كل تلك الضربات، لكن إن كان أي أحد في مكاني مشتت التركيز هكذا بين كل ما يحدث له ويريد الوصول لتفسير لفعل كل هذا وزيادة، المهم حاولت ضرب الباب مراراً وتكراراً إلى أن كسر الباب وانخلع كتفي من شدة الضرب، ولكن لم تكن الشقة نفس شكل السابقة إذاً هذا يفسر كل شيء؛ أن المربية هي أنا وأني أعرف رامي وذاك المنزل المحترق أعرفه أيضا.

إذاً أنا مشتركة في تلك الحادثة، ولكن ماذا لو كنت أنا المتسببة بها كما ذكر فاروق في رسالة محمد؟! لا..لا يعقل فأنا لا أقدر أن أؤذي حشرة فكيف أؤذي إنساناً؟! ولكن كيف لا استطيع تذكر الذي حدث!! أو أتذكر رامي أو هويتي أو حتى مكان عملي!!

لم أعلم حينها ماذا أفعل؟! وكيف أتصرف؟! خرجت من المبنى وأنا أحدث نفسي والناس ينظرون لي بنظرات الخوف كمن ينظرون لمجنون يسير في الطرقات، سرت أتخبط في طريقي يميناً ويساراً لا أدري أين أذهب ولا أين وجهتي؟! سرت بدون وعي مني إلى أن وجدت نفسي أمام مسجد كبير جميل المنظر فافترشت الأرض أمامه.

لم استطع الوقوف حتى اقتربت مني سيدة أجنبية كما بدا من شكلها، وأخذت بيدي وأنهضتني وأدخلتني المسجد في مصلى السيدات.

بالداخل أحضرت لي مشروباً وأجبرتني على شربه، تحدثت لي بلغة لم أفهمها وابتسمت لي ولكني لم أجبها بأي شيء، فاكتفيت بوضع رأسي على كتفها وغصت في سبات عميق..

الفصل الثامن :

مريم الحنون :

سمعت ترتيلاً عذباً لآيات من سورة "الأعراف" (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ۝ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين ۝) ..

اقشعر له بدني لم أعلم أكان ذاك في الحلم أم الواقع، لكن الصوت كان عذباً وجميلاً، وعندما فتحت عيني وجدت أني لا زلت في المسجد متكئة على كتف السيدة، التي ابتسمت لي سرعان ما فتحت عيناي ونظرت إليها فقالت لي بصوتها الحنون "حمداً لله على سلامتك" بلغة عربية ركيكة قلبت فيها الحاء لهاء، فابتسمت لنطقها وأجبتها بضعف "الله يسلمك من كل سوء وشر".

اعتدلت في الجلسة والتفت إليها ثم سألتها عن اسمها وما الذي جعلها تفعل هذا لي، فهي لا تعرفني ولا حتى أنا أعرفها، وماذا تفعل هنا في هذا الوقت فهذا ليس بوقت صلاة؟! فبدأت تجبني سؤالاً سؤالاً..

فاسمها مريم ريتشارد ألمانية الجنسية، أسلمت منذ ثلاث سنوات، تعمل طبيبة في المستشفى المجاور للمسجد ومحفظة قرءان هنا، متزوجة من مسلم عربي مصري الجنسية منذ خمس سنوات مضت، يعمل شرطياً اسمه فاروق، تنبهت للاسم وتذكرت أني سمعته من قبل.. ثم تذكرته ففاروق إذاً الذي راسلني هو زوجها وابنته التي أصيبت في الحادث.

يا للصدف!! ما أصغر تلك الدنيا حقاً!!

ولكن فاروق يبدو غليظاً، فكيف لنسمة رقيقة كتلك السيدة أن تتزوج غليظاً قاسياً كهذا ال فاروق أو ربما هو شخص جيد، ولكن ما حدث لابنته أفقده السيطرة.

لاحظت السيدة مريم شرودي فسألتني ما الخطب؟ وإن كنت أشعر بألم أو إرهاق؟ فهززت رأسي نفياً وأجبتها على الفور بأني بخير، ترددت في سؤالي عن زوجها في البداية ولكني تشجعت وسألتها كيف تزوجتِ من شخص شديد اللهجة كفاروق؟! ضحكت لوصفي له بشديد اللهجة وفوجئت لسؤالي ذاك لأنها لم تصفه لي فكيف حكمت عليه بالقسوة، ولكنها لم تسألني إن كنت أعرفه أم لا بل بدأت تسرد لي عنه بكافة جوارحها وبحب ارتسم على وجهها.

فأخبرتني بأن شدة لهجته تلك هي ما جذبها، فلقد تعرفت عليه قبل إسلامها بعامين، ذات يوم حيث كانت عائدة من عملها في الليل، تعرض لها سكيران بالتحرش اللفظي في البداية، ثم سرعان ما وصل الأمر للتحرش الجسدي فلقد بدأ الرجلان يتجاذبانها يميناً ويساراً محاولين الاعتداء عليها، فدافعت عن نفسها لتخليص نفسها من براثنهما بالركل والضرب بيديها وقدماها وأثناء ركلها بكل ما أوتيت من قوة أصابت أحدهما في ساقه بحذائها المدبب، فصرخ ولطمها على وجهها بقوة عدة مرات حتى غابت عن وعيها ولم تفق إلا عندما صب أحدهم على وجهها ماءً لتفتح عينيها وتراه أمامها؛ شرطياً يبدو من ملامحه الوسيمة عربياً، كان يتحدث بشدة يبدو أنه يسب ويلعن وبمجرد إفاقتها سألها بخوف إن كانت بخير، فاكتفت بهز رأسها إيجاباً، لم تبعد عينيها قط عن وجهه مما أدى لارتباكه وخجله وتحول خوفه عليها لغضب، فصرخ فيها بأن تتوقف عن النظر وتنهض سريعاً وتذهب لبيتها إن كان قريباً، أو يوقف لها سيارة أجرة إن كان بعيداً، لكنها لم تتفوه بأي رد عن مكان إقامتها مما دفعه لصراخه عليها بأن تستيقظ من غفلتها وتجيبه وإلا تركها في هذا المكان بمفردها ورحل، وبعد نصف ساعة من الأسئلة والسرحان ساعدها على النهوض على قدميها وأوقف لها سيارة أجرة، لتعود لمنزلها وتختفي عن هذا المكان الخطر كي لا يعاود الرجلان الاعتداء مجدداً عليها.

ضحكت عندما سمعت تلك القصة وتخيلت ما حدث، فزادت ضحكاتي أكثر فلقد تخيلت فاروق سميناً بكرش متدلي أمامه، لا أعلم لماذا هذا الشكل؟! لكنه قفز فجأة في مخيلتي بهذه الصورة، فلم أستطع التوقف عن الضحك حتى إن السيدة توقفت عن السرد وضحكت معي، لا أعلم إن كانت خمنت ما تخيلته أم لا لكننا ضحكنا ذلك الوقت حتى دمعت عينانا.

وأكملت قصتها فمنذ ذاك اليوم وهي تتابعه وتتعمد أن تضايقه، حتى جاء اليوم الذي اعترف لها فيه بحبه، وتوّج هذا الحب بالزواج ورزقا بابنة جميلة، وبعد سنتين من البحث والقراءة عن الإسلام والاقتناع أسلمت وغيرت اسمها من ماري لمريم.

عند انتهائها من سرد قصتها كاملة عاد استغرابها إليها بخصوص وصفي لفاروق بشديد اللهجة!! فسألتني كيف عرفت أن فاروق شديد اللهجة؟! فأجبتها بعد ارتباك لم يدم طويلاً، بأني سمعته مرة يحادث أحدهم بلهجة شديدة فعلمت اسمه حينها من صديقه الذي كان يحثه على الهدوء.. لم أخبرها بالطبع عن الرسالة ولا عن تلك الهلوسات فربما أقلقتها أو أشعرتها بالحزن إن علمت أني فاقدة للذاكرة، وربما شعرت بالخوف إن علمت أني مشتبه به في حادث ابنتها.

بعد حوالي نصف ساعة شعرت بالتحسن فشكرتها ناهضة على قدماي، وبابتسامة ودعتها ووعدتها أن أزورها بين الحين والحين الآخر، وأخبرتني إن احتجت لأي شيء أو واجهتني أية مشكلات أن أحادثها على الفور وأعطتني رقم زوجها ورقمها ثم انطلقت في طريقي عائدة للمنزل.

أفكر فيما حدث بداية من الشبه بين الشقة ومنزلي ثم مريم والصدفة العجيبة عن زوجها فاروق المرسل لي الرسالة، وما أضحكني كثيراً وخفف عني قليلاً قصة تعارفهم سوياً ثم زواجهم وإسلامها فلم أكن أتوقع أن ذاك ال"فاروق" خفيف الروح كما وصفته زوجته، وضحكت عندما تخيلت مرة أخرى هيئته التي رسمتها في ذهني..

المزيد من الألغاز :

بمجرد وصولي للمنزل ودخولي تنبهت للحاسوب الذي كان مضاءً فتذكرت أني نسيت إغلاقه، لذا توجهت إليه لأجد إشعاراً عن وصول ثلاثة رسائل جديدة، جلست وأخذت نفساً عميقاً ثم فتحت الرسائل؛ أول واحدة كانت من مجهول كانت بالانجليزية "هرعت إليك بمجرد سماعي عن الحادث الأليم الذي تعرضتِ له، حاولت الدخول إليك في الغرفة لكنهم منعوني، أدعو كل يوم أن تفيقي وتستعيدي عافيتك، حزنت عليك كثيراً وقلقت لذا كوني بخير من أجلي أرجوك!!"..

وانتهت الرسالة مع زيادة مفاجئة في ضربات قلبي، كادت أن تفجر قفصي الصدري هاربة للخارج، حاولت التذكر أو تخمين ممن هي لكن لم أعلم أو أتذكر من هذا!! ، فأغلقتها وبداخلي علامات تعجب كثيرة لذا تركت التفكير بها جانباً، و فتحت الرسالة الثانية كانت من محمد" أخبرنا الطبيب أن حالتك في تحسن والحمد لله، لا أستطيع التصديق بأن ثلاثة أسابيع مرت علينا ونحن في انتظار الجديد لا تعلمين مدى فرحتي بسماع هذا الخبر، هيا قاومي واستيقظي بسرعة يا آنسة فبعد أسبوع سينظرون في قضيتك وسينطقون بالحكم النهائي هيا أفيقي كي توضحي لهم الصورة كاملة وتثبتي براءتك، فأنا مؤمن ببراءتك كما فاروق مؤمن وكلهم هنا مؤمنون كذلك، فهيا أفيقي وكممي أفواههم الحاقدة وأرهم من هي مي المسلمة الطيبة المدافعة عن الحق لا المجرمة"..

صدمت حقيقة من تلك الرسالة وازدادت ضربات قلبي أكثر عن ذي قبل ولكن هذه المرة خوفاً، فهذه الرسالة تحمل الكثير من الصدمات كيف استيقظ؟ هل أنا أحلم أم ماذا؟ وعن أي شفاء هذا الذي يحكي عنه وثلاثة أسابيع!!

مر علي قرابة شهر وأنا في هذا المرض، كيف؟! لم استطع الاستيعاب أو الفهم فأنا بمفردي لا أحد معي يفهمني ما يجري ولا عن ماذا تتحدث تلك الرسالة، لم أفكر سوى بأن اتصل بمريم فهي التي أعرفها وربما هي من ستساعدني فلقد شعرت بالراحة عندما أفقت ورأيت وجهها قبل قليل.

طلبت رقمها عدة مرات ولكن لم ألقَ أي رد، لذا بعثت لها رسالة بأني أريد محادثتها بشيء مهم وأن تتصل بي ريثما تقرأ رسالتي، انتظرت طويلاً لكن لم تتصل، دارت بعقلي المخاوف وتسارعت الأفكار وظنت بعقلي الظنون، فربما علمت من فاروق زوجها شيئاً سيئاً عني، لذلك لا تريد مهاتفتي أو الحديث معي؛ لكن ماذا لو اتهمني زورا بشيء لم أفعله جعلها تبغضني ولا تريد محادثتي مجدداً، لاا فهذا لا يبدو من طباع فاروق كما وصفته هي، فيبدو من حديثها عنه أنه لا يكذب أو يتهم أحدهم زوراً وبهتاناً؛ لكن ما الذي حدث لها؟! لمَ كل هذا التأخير لمهاتفتي؟! لكن ماذا لو كانت بخطر!! نعم لابد أن شيئاً ما أصابها أو ربما تعاني من مشكلة تمنعها من الوصول لهاتفها، سأذهب للمسجد وأبحث عنها ربما كانت في ورطة وتريد المساعدة؛ نهضت فوراً وتوجهت للباب وخرجت من المنزل، هرولت مسرعة حيث المسجد.

تقريباً وصلت للمسجد في نصف ساعة نتيجة لركضي بسرعة، عندما وصلت للمسجد ودخلت مصلى السيدات بحثت عنها لكن لم أجدها، سألت من بالداخل إن كن يعلمن أين هي أو أين منزلها؟! لكن لا أحد يعلم عنها شيء، سوى أنها تأتي هنا يومياً بعد العصر وتذهب بعد العشاء.

شعرت بالقلق الشديد عليها، ترى أين ذهبت ولماذا لا ترد على هاتفها أو تحاول الاتصال بي؟ لذا قررت البقاء في المصلى وانتظارها فربما تأتي، فالمغرب قارب على الآذان، انتظرت حتى الآذان ثم الصلاة لكنها لم تأتي حتى إن العشاء أقيمت صلاته وصلينا ولكنها لم تأتِ أيضاً، لذلك قررت البقاء هنا وانتظارها حتى الصباح.

غفوت بعد انتظاري الطويل هذا واستيقظت الفجر صليته ولم أغفُ بعدها حتى الصباح، وبعد طول انتظار حتى العصر أتت مريم وأخيراً ولكن، كان هناك خطباً بها فهي لم تكن بخير، ربما مرضت لذلك لم تأتي للمسجد أو ربما حدث شيء في عملها أخرها كل هذا التأخير، ولأقطع شكوكي تلك وأسئلتي الكثيرة اقتربت منها محييه ففرحت لرؤيتي وتحدثنا كثيراً علمت منها بأن حادثاً أصاب ابنتها بعد ذهابي بالأمس لمنزلي، وأن زوجها اتصل بها وأخبرها أن ابنته في المستشفى لتعرضها لإصابة في ساقها جراء محاولة تفجير فاشلة لمسجد بالقرب من مدرسة ابنتها، وأثناء تدافع الناس عند هروبهم من القنبلة سقطت ابنتها وأصيبت بكسر في ساقها وتم تجبيرها.

أخبرتني أنها كانت خائفة كثيراً على ابنتها لذلك لم تستطع الإجابة على هاتفها أو النظر إليه حتى_بالطبع فهي أم.

ولكنها حمدت الله أنها لم تتأذى كثيراً ولم تنفجر تلك القنبلة، فلو انفجرت لا يعلم أحد سوى الله ماذا كان سيحدث؟!

شعرت بعد سماعي عن هذا الحادث أني تعرضت لمثل هذا الموقف، كما لو أني كنت هناك من قبل أو ربما سمعت عن هذه الحادثة لكن متى وأين لا أتذكر؟! لاا-إنه الحلم لقد رأيت القنبلة بالحلم والمسجد كل شيء رأيته في حلمي.. توترت كثيراً عند تذكري للحلم لذا قررت الانسحاب والعودة لمنزلي؛ حقيقة ولأكن صادقة لم استطع أن أتحدث مع مريم أو إخبارها عن سبب

اتصالاتي المتعددة لها، فما حدث لابنتها أقلقها ولا داعي لزيادة القلق لديها، لذلك عندما سألتني عن سبب اتصالي بها أخبرتها بأني اشتقت لها وأردت الجلوس معها قليلاً للدردشة سوياً.

لم أطل الحديث معها وودعتها قبل أن تتعجب فهي لم تقابلني سوى بالأمس، فعن أي اشتياق هذا الذي أقصده؟ وسألتها عن عنوان منزلها للمرور غدا والاطمئنان على ابنتها متمنية لها الشفاء العاجل والسلامة من كل شر.

الفصل التاسع :

تشتت :

عدت لمنزلي وأول ما فعلته عند دخولي هو توجهي للحاسوب، ولجت على شبكة الإنترنت وبحثت عن خبر لمحاولة تفجير مسجد، بحثت إلى أن وجدت خبراً حدث بالأمس عن وجود قنبلة داخل إحدى حمامات المسجد ونجاح فرقة المتفجرات تعطيلها قبل أن تنفجر.

العجيب أن المسجد كان هو نفس المسجد الذي حلمت به من قبل، وصور الجرحى كانوا هم نفس من رأيتهم بحلمي نتيجة للتدافع، وكانت معهم صورة لابنة فاروق ومريم وهي مصابة في ساقها، نعم لقد كان نفس ما حلمت به؛ المسجد والأحداث والتفجير، لكن في الحلم كان هناك دمار ودماء على الأرض وكنت أنا صاحبة الدماء، لكن في الواقع لم أكن هناك ولم أذهب قط لذاك المسجد فما تفسير حلمي ذاك؟!

لا أعلم حقيقة ما يحدث وإن كان هناك فعلاً ارتباط بين الحلم والحادث، أم هو من وحي خيالي وعقلي الباطن، أغلقت الحاسوب واستلقيت على الأريكة أقلب في مفكرتي وأدون بها ما حدث وما توصلت إليه حتى الآن.

أثناء تفكيري ذاك تذكرت أمر الرسالة الثالثة فأنا لم أقرأ سوى رسالتين، لذا أسرعت نحو الحاسوب وولجت للإنترنت وفتحت الرسالة الثالثة والتي كانت مفاجأة لي:"مرحباً بك حاميتي وحارستي م اشتقت لك كثيراً، واشتقت للهونا سوياً؛ هيا انهضي وأفيقي من نومك الطويل هذا لأسلمك أمانتك التي حفظتها لك، الصندوق كما هو لا أحد يعلم ما بداخله ولا حتى أنا، وعدتك أن أحافظ عليه إلى أن تعودي وتأخذيه.

أتذكر كلماتك جيداً بآخر مرة رأيتك فيها، عندما أخبرتني أن أحافظ على هذا الصندوق جيداً، وأخبؤه في مخبئنا السري حتى عودتك لي، انتظرتك طويلاً يومها ولكن لم تأت، وصدمت عندما علمت أنك أصبت بحادث وترقدين بالمستشفى.

أسرعت إليك مع والداي لرؤيتك ولكنهم رفضوا إدخالنا لخطورة حالتك، خفت كثيراً أن لا أراك مرة أخرى، ولكن تذكرت دعائك الذي كنت تكررينه كلما ازداد بك الأمر سوءً، فدعوت به مراراً وتكراراً.

حتى إن والداي ساعداني في الدعاء أيضاً، فكررناه سوياً ولا زالوا يكررونه حتى تلك اللحظة.

هيا أفيقي فهناك ما أود إخبارك به، حضرنا لك مفاجأة ستسعدك كثيراً، فهيا انهضي لتنفذي وعدك الذي وعدتني به؛ وعدك بأن تأخذيني في رحلة لبلدك.

فهيا حققي وعدك لي، فلقد أخبرتني عن الأهرامات وأبو الهول كثيراً، وعن المساجد الأثرية والمتاحف الجميلة في مصر وشوقتني لرؤيتها، فهيا انهضي لنسافر سوياً وسيذهب والداي معنا أيضاً، هيا انهضي يا أختي فأنا انتظرك هنا، هل تعلمين؟! آتي يومياً لرؤيتك لكنهم لا يسمحون لأحد سوى الشرطة بالاقتراب منك، واليوم سمحوا لنا بالدخول عندما أخبرتهم أني أخيك وأنك أختي فسمحوا لي برؤيتك..

والآن هيا انهضي، سأذهب الآن كي لا أطيل عليك فلتكوني بخير من أجلي ومن أجل الذين يحبونك" وانتهت الرسالة.

شعرت بفرح وحزن في آن واحد، فرحت لأني أمتلك أخاً كرامي يحبني ويقدرني حتى لو لم نكن من نفس الدم، وحزنت لأنهم يظنون أني مازلت أتألم بالمستشفى، لا يعلمون أني صحيحة معافاة ربما كنت في الماضي بالمستشفى لكني الآن بخير.

فهمت لغزاً حيرني طويلاً، فهمت أني كنت أبحث عن نفسي منذ البداية؛ فأنا المربية وأنا الطالبة الجامعية الوحيدة في بلاد غريبة، لكن قصة الهلوسات مازالت محيرة وقصة الدجال أيضاً محيرة.

وأين هو محمد وفاروق؟! لم لا أستطيع رؤيتهم!! فكل ما وصلني منهم رسائل فقط وما هو سبب تلك الحادثة ولمَ أنا مشتبه فيها؟! وأين هو رامي وعائلته لمَ منزلهم فارغ؟! ربما غيروا مكانهم بسبب التهديدات وإحتراق المنزل!!

ما هذا الشعور المؤلم؟ أشعر بالاختناق بمفردي، ولهيباً محرقاً بقلبي فلا أحد بجانبي، ما هذه البعثة المؤلمة كم أود أن أعود لموطني حول أهلي وأحبتي، لكم هو محزن عدم تذكري لشيء أو عدم معرفتي لأين أذهب؟! ولا لمن ألتجأ، لا أعلم سوى البقاء في المنزل حتى يجدني أحدهم، لكن ماذا لو لم يأت أحدهم لإنقاذي من هذا كله؟!

لا أريد الموت وحيدة بدون رفقة حولي، أريد العودة لأهلي، لا استطيع التحمل أكثر.

أشعر بخيبة أمل مريرة، وبأن الأمل الذي كنت أتطلع إليه ما هو إلا وهم وتحايل على الواقع، فأنا وحيدة وسأظل وحيدة برفقة هلوساتي ونسياني وبؤسي حتى الموت.

استسلام :

مر اليوم وأنا في حالة استسلام وتسليم تام بلا حراك أو طعام، فقط استلقيت على الفراش وعدت لضعفي من جديد، بقيت هكذا أكثر من يوم وبدأ الأمر يحدث من

جديد فلقد ارتفعت درجة حرارتي كثيراً، وصرت أهلوس وأرى أناساً حولي يرتدون الأبيض و منهم الأزرق، بدوا كأنهم أطباء وممرضات، كنت أغمض عينياي وأفتحهما من جديد، وأرى تلك الهلوسات وأسمعها بدون وعي مني أو حتى مقدرة على الحديث .

كنت أسمعهم يصرخون ويتحدثون بسرعة، ويركضون في جميع أنحاء الغرفة.

كحلمي الذي حلمت به من قبل ولكن ذاك كان مرئياً أكثر من اللازم، شخص نظري للأعلى ثم أغمضت جفوني ولم أفتحها مجدداً، شعرت بضربات قلبي تبطئ وتنفسي يكتم، وشعرت بسائل دافئ يتسلل لداخل جسدي، وضربات ثقيلة في صدري وغمامة على وجهي.

استمر ذاك الشعور طويلاً ثم اختفى فجأة، لأدخل بعدها في سبات عميق.

كنت في فراغ؛ محاطة بالفراغ من كل مكان بمفردي ولا أحد معي، وهدوء يغمر المكان كله، و فجأة إمتلأ المكان بالصراخ وعج بأناس كثر، كانوا يشيرون إليّ ويتحدثون، لم أتمكن من سماع حديثهم فلقد كنت خائفة من نظراتهم إليّ؛ كان الجميع يحدقون فيّ بعيون مرعبة، يحملقون فيّ كما لو يضمرون شراً.

وضعت يداي على أذناي كي أوقف الضجيج، فلم أعد احتمل المزيد، فصرخت فيهم بأن يتوقفوا وازداد صراخي إلى أن صمتوا وذهبوا جميعاً.

حينها رأيت ضوءً من بعيد يقترب ويقترب إلى أن ملأ المكان بأكمله، فبدت الصورة تظهر بوضوح أكثر وأدركت أني كنت أحلم واستيقظت الآن، فرأيت غرفة تبدو كغرف المستشفى وأيقنت أنها بالفعل غرفة بالمستشفى؛ حين رأيت الخراطيم المعلقة بجواري والآلات من حولي، ولكن كيف أتيت إلى هنا ومن الذي أحضرني؟ ترى هل ساءت حالتي فأحضرني أحد الجيران للمستشفى؟ ولكن هل لديّ جيران فعلاً؟!

أفكار وتساؤلات كثيرة جالت بخاطري لم يقطعها سوى نظرات تلك الممرضة التي كانت بالقرب من الفراش تراقبني، والتي بدا على وجهها مشاعر مختلطة بين الفرح والصدمة حينما وقعت عيناها عليّ، فخرجت مسرعة تصرخ بالانجليزية باسم الطبيب" دكتور من فضلك أسرع".

ظللت أراقب الغرفة وأتفقدها من حولي وكأنني كنت غائبة عن الوعي لشهور، بدوت كأنني أفقت للتو من نوم عميق، لم أسمع الهلوسات وقتها، فتنفست الصعداء فرحة، حاولت أن أتمتم بالشكر لله لكن كأن هناك حمل وثقل بلساني يمنعه عن الحراك، حاولت النهوض من على الفراش لم استطع الحراك كأن جسدي مخدراً لا يقوى على الحراك أيضاً.

وأنا في حالي ذاك دخل الأطباء غير مصدقين وهم محملقين بي، متمتمين بالانجليزية:" حمداً لله".

فبدت على وجوههم مشاعر مختلطة بين عدم التصديق والفرح، اقترب مني أحد الأطباء في هدوء وسألني:" مرحباً كيف حالك الآن؟! هل تشعرين بأي ألم؟!"

لكني لم أجبه، حقيقة لم استطع التحدث والإجابة عليه فالكلام يأبى الخروج من فمي.

حاولت الحديث لكن دون جدوى لم استطع، فكرر سؤاله وانتظر مني الجواب لكن بدون فائدة، لم يسمع مني جواباً بل حتى حرفاً لم يسمعه، فأدركت وقتها بأنني لن أتحدث مجدداً.

ربما أصابني البكم ولن استطيع التحدث مرة أخرى، وأدرك هو أنني لا استطيع التحدث فتحدث لزملائه بصوت منخفض، وأشار للممرضة أن تبقى هنا معي وخرجوا هم.

حاولت الحديث أكثر من مرة بل وحاولت أن أشير بإصبعي إليها، ربما تفهمني لكن لم استطع تحريك يدي ولا حتى أصابعي، لا أعلم ما الذي حدث لي وكيف صرت بتلك الحالة؟ فلقد كان جسدي من نصف ساعة يتحرك و كنت أتحدث، و لولا هذا الحلم لا بل هو كابوس!! لولا هذا الكابوس البشع الذي أزعج هدوئي وتلك الهواجس والهلوسات التي آرقتني لما حدث كل هذا لي، ولما صرت بتلك الحالة الميئوس منها.

.دمعت عيناي لحالتي تلك؛ وكيف لا تدمع وحالي يرثى لها، فقد أصبحت عاجزة عن الحركة والحديث ولا أعلم السبب"..

الفصل العاشر :

الواقع المؤلم:

طرقات عالية بالباب.. فجأة نهضت مي فزعة وكان العرق يتصبب منها بغزارة؛ لقد نهضت فجأة نتيجة لتلك الطرقات العالية على الباب، متلفتة حولها تبحث عن الأطباء والخراطيم ولكنها لم تجد شيء، لتحدث نفسها بفزع:" لقد كان حلماً كل ذلك ولم يكن حقيقة إذاً".

أنهت جملتها واضعة يدها على جبهتها، فربما هي تهلوس بسبب الحمى ولكنها تأكدت من أنها لا تهلوس فهي ليست محمومة، ففكرت إن كانت مازالت تحلم، فقرصت نفسها لترى إن كانت تحلم أم هي مستيقظة ولم تتأكد سوى عندما صرخت نتيجة لقرصها ذراعها، فتمتمت في راحة " إذاً كان حلماً".

حاولت تهدئة نفسها قليلاً، وبعد هدوئها انتبهت لطرقات الباب الشديدة فلقد كاد الباب أن يخلع من مكانه.

فتوجهت مسرعة صوبه متسائلة بفزع:" من بالباب؟!" لتسمع صوت صديقتها تصرخ:" أنا!! من سيكون برأيك، هيا أسرعي وافتحي الباب اللعين، فقد تورمت يداي من شدة الطرق عليه".

أسرعت مي وأدارت المقبض، وما إن فتحت مي الباب حتى انهالت عليها صديقتها بالضرب على كتفيها لتأخرها في فتح الباب ظناً منها أنها بخطر أو أن مكروهاً ما قد حدث لها، أو أصابتها نوبة إغماء بسبب الأقراص المنومة..

لذلك ظلت تصرخ فيها معاتبة بأن لا تكرر ذلك مرة أخرى وإلا خاصمتها للأبد، فاستطاعت مي بعد نصف ساعة من تهدئتها والقسم بأنها لن تكرر ذلك مرة أخرى، وأنها ستكون أكثر حذراً في المرات القادمة من ألا تغفو وتنام كل هذا الوقت مجدداً فأخذتها للداخل وتوجهت لدورة المياة لتغتسل ثم خرجت حيث

صديقتها بالصالة، وبدأن في الحديث مبررة لنومها الثقيل هذا والتي كانت صدمتها كبيرة عندما علمت أنها نامت أربع وعشرين ساعة بل وأكثر.

فآخر ما تذكرته أنها نامت في الصباح واستيقظت الظهيرة؛ لتفاجئها صديقتها بأن اليوم يوماً جديداً وأنها نامت يوماً كاملاً دون أن تنتبه لساعة أو منبهاً، وكل هذا نتيجة للقرص المنوم الذي تناولته.

بعد صدمتها تلك ذهبت لتستحم وتتوضأ لتصلي ما فاتها بالأمس قبل ظهر اليوم، وبعد انتهائها جلست مع صديقتها تقص عليها السبب وراء تناولها للمنوم، و تذكرها للماضي واشتياقها لأهلها، والحادث الذي شاهدته بالأخبار وضعف جسدها الذي أرهقها كثيراً؛ وغيره الكثير من الحوادث البشعة التي يتعرض لها الكثير من المسلمين بالخارج ولا يجرؤ أحد على التحدث عنها أو إلقاء اللوم على المجرم الحقيقي.

ظلت الصديقتان يومها معاً فلم تستطع منى ترك مي بمفردها في حالتها تلك، بل ظلت معها حتى حل الليل؛ فكادت أن تغادر لولا رفض مي وإصرارها على البقاء والمبيت معها، وما أجبرها على البقاء هو الحلم الذي حلمت به مي.

والمخيف أن فتاة الحلم هي نفسها مي؛ ربما لم ترى شكلها ولكنها تملك نفس الاسم وتدرس في نفس الكلية، مما أخافها كثيراً.

لذا قصت لصديقتها الحلم كما كان من بدايته حتى نهايته.. وبعد ساعات من السرد لم تتفوه الصديقة بأي كلمة حتى أنها لم تعلم بماذا تتحدث أو ما المفترض أن تخبره لمي، فهي حائرة كصديقتها بذاك الحلم ولا تعلم إن كان له معنى أم مجرد أضغاث أحلام كما يقولون، ولكن لتهدأ من روع مي ولتوضح لها بأنه لا داعي للخوف بسبب حلم كهذا؛ توجهت للحاسوب وبحثت على الانترنت عن تفسير لذاك الحلم، ولم تجد سوى بعض المواقع التي تتحدث عن وجود بعض الأحلام التي لا تفسر، والتي ربما تكون بسبب تفكير الشخص الزائد ببعض الأمور فتتراءى له على شكل أحلام؛ أي أنه لا معنى لها..

وذلك ما هدأ من روع مي ربما قليلاً أو ربما هذا ما أظهرته لصديقتها كي تتوقف عن القلق عليها، فأخبرتها بهدوء مصطنع:" حسناً؛ أعتقد بأنك على حق

وأني ربما فكرت كثيراً في تلك الفتاة الغريبة لذلك حلمت بها، تصبحين على خير الآن".

وذهبت كلتاهما للنوم، ولكن ظلت مي تتقلب يميناً ويساراً على الفراش تعاني من الأرق، ولمَ لا فأي شخص بنفس حالتها ونومها يوماً كاملاً، لابد وأن يظل هكذا يعاني من الأرق، فما غفته حتى الآن ليس بالهين.

لذلك قررت النهوض من الفراش والتجول قليلاً في المنزل علها تصاب بالتعب فيأتيها النعاس على طبق من فضة، ولكن محاولاتها تلك باءت بالفشل؛ فلقد ظلت هكذا ذهاباً وإياباً إلى أن قارب الفجر على الآذان.

فجأة تصلبت أطرافها حين سمعت ذاك الصوت بالخارج، الذي اعتادت على سماعه منذ أيامٍ، فركضت نحو النافذة لتتأكد بأم عينيها عن حقيقة هذا الصوت، لتجد الفتاة بغرفتها الزجاجية ومكتبها ومقعدها نفسه في الزاوية مقابل البيت؛ تتأهب لتكملة القصة، شرعت مي تنصت في اهتمام وهي جالسة على طرف النافذة.. لتكمل الفتاة من حيث انتهى حلم مي..

أمل جديد :

"؛ ولكن ربما هي حالة مؤقتة وستعود لي صحتي، نعم ربما هي فترة مؤقتة وسأتحرك وأتحدث من جديد، بدأت أشبع روحي بذاك الأمل والتفاؤل، فرامي اخبرني ألا استسلم وأقاوم فهو يستحق تلك الرحلة لمصر كما وعدته؛ بالطبع لا أتذكر متى كان هذا الوعد؟!

لكن رسالته أخبرتني عن ذاك الوعد، لذا لا يجب عليّ أن استسلم الآن؛ فلقد مررت بمواقف أصعب منذ بداية تلك الهواجس ومروراً بالاختطاف حتى هذه اللحظة.

نعم فاليأس لن يعرفني مجدداً ولن أسمح له بذلك، بدأت في إقناع نفسي بل والتسليم بذاك الأمر؛ وهو أن حالتي تلك مؤقتة وستعود لعهدها بل وأفضل من ذي قبل، رجوت الله ودعوته كثيراً وظللت باقي اليوم أدعو ربي أن ينقذني من حالتي تلك، حتى دخل الغرفة من لم أتوقعه وصدمت لرؤيته..

كيف دخل؟! ومن سمح له بالدخول؟! وكيف لم يوقفه أحد؟! ما هذه الممرضة كيف تسمح لذاك الرجل بالدخول عندي ولماذا يرتدي هذا الزي؟! لا..لابد من أنه جاء ليقتلني نعم أو ليختطفني ولكن!! لاا لا استطيع الحديث.. النجدة أنقذوني؛ أنتِ اخرجي هذا الرجل من الغرفة إنه خطر.. لن يسمعني أحد سحقاً.. ماذا يفعل؟! لماذا يعبث بجهاز تنفسي ولماذا يمسك بيدي؟ لاا ما هذا السائل الموجود بالإبرة لاا إنه سم بالتأكيد، لا تضعه هنا أرجوك.. توقف سيقتلني.

حاولت تحريك جسدي أو أحد أصابعي فربما أتمكن من جذب انتباه الممرضة، ولكن جسدي كان متصلباً كالجثة.. لاا! أبعديه عن المحلول المعلق، سيضع فيه السم ويقتلني..لاا لقد وضعه.. والآن سأموت سيقتلني ذاك الدجال.

تباً لقد بدأ مفعول السم بالسريان في عروقي فلقد تشوشت الصورة بعيني، لم أعد أرى جيداً كما أن الغرفة صارت تدور من حولي؛ كيف استطاع أن يتنكر في زي طبيب ويلحق بي إلى هنا، ويقتلني ولماذا؟! بل كيف علم بمكاني؟! فأنا لم أفعل شيء، ولم أعلم حتى لمَ اختطف السيدة، والآن سيقتلني ولن استطيع البحث عن أهلي وعائلتي، بل لن استطيع التعرف أبداً على ماضيّ ونفسي..

شعرت بأن الغرفة تدور من حولي وبدأت جفوني بالتراخي شيئاً فشيئاً حتى غفلت بالكامل..لا أعلم ما الذي حدث، لكن عندما استيقظت أيقنت أنني لم أمت بعد، فما زلت بالغرفة نفسها ومن حولي الأجهزة كما كانت من قبل؛ ولكن لمَ لم يقتلني ذاك الدجال بل اكتفى بتنويمي فقط؟ لا.. ربما فعل شيئاً بشعاً لي هل سرق عضو من أعضائي؟ لا لا يمكن فأنا لا أشعر بالألم في معدتي، ولكن ما الذي دفعه لفعل ذلك وما سبب قدومه لغرفتي؟ ربما حاول قتلي ولكنه أخطأ بالإبرة، نعم هذا هو.

تلفت حولي في الغرفة علي أجد شيئاً آخر غير تلك الأجهزة وتلك الأدوات، فلمحت أوراقاً بجواري على منضدة صغيرة وطرف صورة يتدلى من تلك الأوراق، لم استطع رؤيتها جيداً أو حتى معرفة ما تحويه الأوراق، لكن ما تأكدت منه هو أنها لم تكن هنا من قبل؛ ربما الدجال تركهم هنا أو ربما نسيهم.

وبينما أنا في تفكيري ذاك إذ بالباب يفتح وتدخل الممرضة، ولكن تلك المرة لم تكن بمفردها، فلقد أحضرت معها طبيبة؛ جلست الطبيبة بجواري بينما ظلت الممرضة بجانب الأجهزة.

بدأت الطبيبة بالحديث معي وهي مبتسمة قائلة لي:" مرحباً يا مي كيف حالك الآن؟ حمداً لله أنك تحسنتِ، أعلم أن الأمر صعب عليك لكنك قوية وستخرجين من هذه المحنة بسرعة، لم يتوقع الزملاء أن تفيقي سريعاً ولكني كنت على يقين أنك لن تستسلمي للسكون وستبذلين قصارى جهدك كي تفيقي من غيبوبتك، لقد أبهرتنا جميعاً بإصرارك وتشبثك بالحياة فمرحباً بك حولنا هنا.

أعلم أنك تريدين الحديث معي ولكنك قلقة من أن تعودي لحالتك السابقة مجدداً، لكني أؤكد لك أنها مرحلة مخيفة وتجربة بشعة وولت ولن تعود أبداً، طالما أنت تساعدينا فلن تنتكسي مجدداً، هيا أجيبيني يا مي وتحدثي معي فيخف حملك قليلاً، هيا حاولي الحديث معي"..

غريبة تلك الطبيبة ولطيفة في نفس الوقت، في الواقع وددت لو استطيع التحدث لتحدثت معك بالفعل وشكرتك لمؤازرتي، ولكن تأبى الحروف أن تخرج، لا أعلم ما الذي حدث لي وجعلني بتلك الحالة، ولكن حديثها معي خفف عني قليلاً، لذا اكتفيت بالنظر إليها والابتسام لعلها تفهم ما أريد قوله، فبادرتني بابتسامة أيضاً وربتت على يدي ونهضت، فتحدثت مع الممرضة قليلاً ثم غادرت بعد أن وعدتني بأن تمر علي مرة أخرى.

عدت لسكوني ووحدتي لكن تلك المرة شاركتني وحدتي الممرضة، فبقيت معي باقي اليوم وحتى اليوم التالي لم تغادر قط؛ مملة تلك الممرضة فهي لم تتفوه بكلمة واحدة حتى!! تكتفي فقط بملاحظة الأجهزة وإعطائي الأدوية فقط لا شيء آخر.

تمنيت لو تخرج وألا تعود هنا مجدداً، وأن تمر تلك الطبيبة مرة أخرى فوجودها يريحني بعكس تلك الممرضة الآلية؛ وكأن أمنيتي أجيبت فلقد جاءت الطبيبة ولكن تلك المرة خرجت الممرضة وبقينا أنا والطبيبة فقط.

اقتربت مني هامسة في أذني:" أنت بطلة أتعلمين؟! وكم يتمنى الجميع أن يكون مثلك يوماً ما" وابتعدت عني لتقف عاقدة ذراعيها على صدرها متحدثة بصوت يشوبه الحنق قائلة:" لكن أتعلمين أنا لست منهم، فأنا لا أتمنى أن أصير مثلك، فحالتك تلك مخزية وسيئة.. فأنا لا أرى ما هو بطولي بتصرفك هذا ولا أعترف بأن تلك شجاعة، بل هي حمق وغباء أن تضعي نفسك أمام الخطر لأجل غيرك فتلك هي الحماقة بعينها.. لماذا لم تموتي وحسب؟! لماذا تشبثتِ بالحياة وظللت على قيد الحياة حتى الآن؟! لكم أتمنى موتك الآن، أتمنى أن أقتلك هنا وبطريقة أبشع مما تتصورين.. لكني مقيدة ولا استطيع للأسف.

تلك الوظيفة الحمقاء هي من تقيدني؛ لكني أعترف لكِ إن لم أكن في دوامي لقتلتك وبيديّ هاتين". صدمت من ذاك التحول السريع أهي مختلة؟! أهي طبيبة من الأصل؟! ما الذي غيرها لتلك الدرجة؟! إنها مجنونة بالفعل.

خشيت من أن تفعل لي مكروهاً، فحاولت الحراك أو الصراخ لكني لم أستطع، حتى عيناي أبتا أن تدمعا.. للحظات ظننت أني سأقتل على يد تلك المخبولة، فبدأت بترديد الشهادتين في داخلي وظللت أدعو الله أن يسامحني ويغفر لي عثراتي وضياعي لأوقات الصلوات، وفجأة طرقت الممرضة الباب ونادت على الطبيبة لتتوجه صوب الباب وتخرج..

تنفست الصعداء وحمدت الله على ذهابها وسررت لوجود تلك المملة بجواري من جديد؛ حقاً لقد صدق القائل" لا تحكم على الثمرة من مظهرها فربما كانت مرة الطعم من الداخل", أخطأت الظن بتلك الطبيبة وظلمت الممرضة فاتضح الحال أن الظاهر غير الباطن.

لم أستطع إغلاق عيني ليلتها من شدة الخوف والتفكير في تلك الطبيبة المخبولة، فدارت الأسئلة ببالي وتناطحت الاستفسارات برأسي، لدرجة أني شعرت بالصداع وكأن طاحونة برأسي تدور وتدور؛ لم أستطع التوصل لنتيجة واحدة تبرر ما فعلته تلك الطبيبة ولم أفهم ما الذي حدث لها فجأة، ولمَ هذا التغير والتحول الغريب المفاجئ.. أهي مجنونة؟! ربما جنت من كثرة علاجها وملازمتها للمرضى النفسيين لم أتوصل إلا لتلك النتيجة..

الفصل الحادي عشر :

اقتحام :

لا أدري متى أغلقت جفوني وخلدت للنوم، لكن ما أعلمه جيداً أني استيقظت فزعة من صوت ارتطام قوي وصراخ وأصوات رصاص يتطاير يمنة ويسرة خارج الغرفة؛ خلع قلبي لعلو الصوت وخفت من شدة وطأته لدرجة أني لم أعي للساني وهو يردد الأذكار والأدعية بالحفظ والحماية.

رددتها مراراً و تكراراً "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، زاد الترديد وارتفع الصوت حتى تنبهت لصوتي؛ فلقد تحدثت وخرج الصوت أخيراً من فمي، لفرحتي صرت أضحك وأحمد الله على رده لصوتي وقدرتي على الكلام، ونسيت ما يحدث بالخارج حتى وإن جسدي تحرك من جديد..

فتحركت من على الفراش ونهضت بحذر واتجهت لباب الغرفة ببطء وتروي أنصت لما يحدث بالخارج، عند اقترابي من الباب سمعت أصواتاً مميزة كأني سمعتها من قبل، كان صوت رجلين يتناقشان في شيء ما ربما أو يتشاجران، وفجأة ساد الصمت وسمعت خطوات أقدام تقترب من الغرفة فاختبأت خلف الباب وأمسكت بمزهرية ورد كانت بجواري على المنضدة وتأهبت للدفاع عن نفسي وحياتي، وعندما فتح الباب هويت بالمزهرية فوق رأس الداخل.

لم أنتبه لهيئته ولا لشكله أو حجمه إلا عندما سقط على الأرض ورأيته، "تباً إنه الدجال، ما الذي جاء به إلي هنا مجدداً وما هذا الذي يحمله بيده؟!.. إنها..إنها سكين لاا...لا لقد جاء لقتلي".

حاولت بصعوبة سحب جسده للداخل وبعد الانتهاء من جر هذا الحمل، توجهت للباب وأخرجت رأسي أنظر يميناً ويساراً بحذر فلم أرى أحداً، فخرجت مسرعة راكضة بقدمين عاريتين أبحث عن أي شخص، ولكن كأن المستشفى خالية لا أحد بها، ترى أين ذهب الجميع؟!" لا يوجد أحد بهذا الطابق" نطقتها بصوت هامس وهممت للبحث في جميع الغرف فلم أجد أحد لا أطباء ولا حتى مرضى، أين اختفى الجميع؟! وجدت المصعد فاقتربت منه وضغطت على الزر، وحين فتح رأيت دماءً كثيرة على الأرض والحائط وباب المصعد من الداخل.

يا إلهي ما الذي حدث هنا؟! فزعت من المنظر فتركت المصعد وركضت نحو الدرج، هبطت للأسفل علي أفهم ما يحدث هنا، وعندما اقتربت من الدرج السفلي سمعت أصواتاً كثيرة فهبطت ببطء، ونظرت بحذر فوجدت رجالاً ملثمين بسواد؛ يحملون أسلحة ويجبرون الجميع على الجلوس أرضاً كانوا كلهم مقيدين.

أطباء وممرضات ومرضى حتى إن العمال مقيدون أيضاً، ورأيت حارس أمن وحيد ملقى على الأرض ينزف دماً من جسده؛ ربما الدم بالمصعد هو دمه.

"يا إلهي إن المستشفى يتعرض للمداهمة ولكن لماذا؟! وكيف؟ ولمَ أنا تركت بمفردي بالغرفة في حين أن جميع المرضى هنا مقيدون؛ وما الذي أراده الدجال مني ربما هو معهم وأتى ليقيدني، مثلهم ولكن لمَ جلب السكين معه ربما جاء لقتلي كما اعتقدت، يا إلهي أنقذنا جميعاً من هذا الإرهاب.

لا أدري ما الذي سأفعله ولا كيف أتصرف، من أين احضر النجدة فأنا لا أعلم أحداً هنا ولا هاتف لدي لاتصل بالشرطة.. ولكني تذكرت شيئاً؛ بالأعلى رأيت هاتفاً أرضياً في الاستقبال، سأصعد وأحاول الاتصال برقم الشرطة".

دارت بعقلي العديد من الاستفسارات المتلاحقة، وبالفعل صعدت ببطء وحذر شديدين حتى وصلت للهاتف وحاولت الاتصال، لكن دون جدوى فلقد كان الهاتف معطلاً؛ بالطبع قطعوا جميع الخطوط كي لا يتصل أحدهم بالشرطة.

بحثت في جميع الغرف علي أجد هاتفاً محمولاً؛ وأحمد الله أني وجدته في النهاية وطلبت رقم النجدة:" مرحباً الشرطة معي؟ أنا مريضة بالمستشفى ونتعرض للاختطاف من قبل ملثمين ..لا أعلم اسم المستشفى أرجوك أنقذنا، ماذاا؟! لاا..لا لست مجنونة أقسم لك أننا مختطفون، ما الذي تقصده ب كيف اتصلت بكم ونحن مختطفون؟ لقد كنت بغرفتي ولم أكن أعلم أننا مختطفون، ولكنني خرجت من غرفتي ورأيتهم بالأسفل، لقد كانوا مقيدين والأمن قتل على أيديهم أرجوكم أسرعوا، أنقذونا فنحن في خطر.. لاا لا تغلق الهاتف انتظر..لا أعلم اسم المستشفى!! ولكن انتظر سأبحث عن اسمها، من المفترض أن يكون مكتوباً هنا على الأوراق.. نعم وجدته..مستشفى السلام الخاص، أسرع أرجوك.. شكراً؛ حسناً سأنتظر في غرفة آمنه وأغلق على نفسي حسناً حسناً، أسرعوا..شكراً"..

وما إن أنهيت الاتصال حتى ومض بعقلي سؤالاً مهماً:" كيف الاسم بالعربية وأنا في بلاد أجنبية؟! ما الذي يحدث هنا؟! كل الأوراق بالعربية حتى إن أسماء الأطباء عرب أيضاً..

كيف حدث هذا؟ ألم أكن قبل أيام بدولة أجنبية بريطانيا أعتقد أم هي الولايات المتحدة؟! لا أتذكر ولكن كيف جئت إلى هنا، ما الذي يحدث لي؟! تباً لم أعد أعي شيئاً..

دارت رأسي من جديد وشعرت بالدوار والصداع مجدداً.."لاا لقد عادت الأصوات لتلاحقني مرة أخرى لاا؛ أخرجي من رأسي فهذا ليس وقتك أرجوك اتركيني وشأني، فأنا لم أعد أحتمل.. ما الذي يحدث لي؟ فكل شيء يدور من حولي و الأرض تتحرك، كما أن السقف يقترب مني".

صرخت وأنا أنظر من حولي ممسكة برأسي، وفجأة أظلم كل شيء فصرخت بفزع:" لاا..ما هذا الظلام؟ أين أنا؟ من أطفأ الأضواء؟ ما الذي حدث؟ من هنا؟ أصوات من هذه هاااي؟ هل هناك أحد؟ النجدة..هيا أشعلوا الأضواء فأنا أشعر بالخوف أرجوكم أضيئوا الأنوار..

حاولت البحث عن أي شيء بجواري والبحث عن مصدر تلك الأصوات أو لمس أي شيء بجواري، لكن لم أجد شيء فقط الصوت ولا شيء آخر، ربما كانت أطيافاً تجوب من حولي، فصرخت إلى أن بدأ صوتي في الخفوت

وأحسست بضيقاً في النفس فحاولت التهوية بكفي مستنجدة" أرجوكم أرجوكم أرجوك....م"وغبت عن الوعي..

متاهة بداخل متاهة :

.."لا أعلم ما الذي حدث؟! بعدما كادت حالتها تتحسن عادت للخلف مجدداً؛ لقد توقعنا أنها ستستيقظ خلال هذا الأسبوع نظراً لإشاراتها الحيوية الجيدة لكن توقعاتنا كللت بالفشل.

في حياتي كلها لم أقابل أو أتعامل مع حالة كتلك، إنها حالة استثنائية بالفعل؛ لا بالطبع أنا لا أخدعكم، هذا ليس اتهاماً لي وحسب بل هو لمهنتي أيضاً!! سيدي انظر أفضل الأطباء العرب هم من يتعاملون معها وهم متخصصون في ذلك النوع من الحوادث؛ لذلك وجب عليك احترام عملنا ومحاولاتنا المبذولة؛ حسناً حسناً.. سأنتظرك في مكتبي والآن وداعاً كي لا أزعج الحالة أكثر بمكالمتي"..

أفقت على تلك الجمل، شعرت بأني سمعت ذاك الصوت من قبل، ولكني لا أرى أي أحد هنا فالظلام حالك؛ هااي هل من أحد هنا؟ هل يسمعني أحد؟ أرجوك يا صاحب الصوت أنقذني من هذا الظلام فأنا أخاف من الظلام أرجوك!! لقد اختفى الصوت لابد أنه رحل وتركني بمفردي.. أرجوكم لينقذني أحدكم أرجوكم.

ازداد صراخي ممتزجاً بالدموع.. حاولت تهدئة نفسي والصمت ولكن لم أستطع، فالظلام هذا مرعب كما أني أسمع أشياءً تتحرك هنا وهناك وخربشة تقترب مني وأشتم رائحة غبرة، يا إلهي كم أكره الغبار لا استطيع التنفس وسط كل تلك الغبرة أرجوكم"

..بدأت في السعال حتى ظننت أن صدري سينفجر" أنقذوني من هنا، يكاد نفسي أن يكتم أرجوكم ساعدوني"، لا أعلم أين أنا ولا ما الذي يحدث من حولي ولا أصوات ماذا تلك، كل ما أعلمه هو أني خائفة لدرجة الموت رعباً من هذا المكان..

أغمضت عيني كي أكسر هذا الظلام بظلام عيني، فظلام عيني يشعرني بالراحة إلى حد ما مقارنة بالظلام الحالك المحيط بي من كل مكان؛ ورددت الأذكار ودعوت ربي ورجوته أن يخلصني من هذا المكان وأن يدلني لمكان أفضل من

هذا كله، دعوت ودعوت و دعوت بدون كلل أو ملل فأنا على ثقة تامة أن الله سينقذني من ذاك الوحش المحيط بي بكل أطرافه؛ وما كدت أنتهي من دعائي هذا حتى آتى الفرج فلقد رأيت ضوءً يقترب من بعيد، بدأ يقترب مني شيئاً فشيئاً حتى صرخت" يا للهول إنه طفل؛ ولكن ما الذي يفعله طفل مثلك هنا؟ المكان موحش يا فتى فما الذي جاء بك إلى هنا، هيا أخبرني؟"

فجأة تحدث صاحب الضوء في حنان:" مرحباً يا حارستي ألم تتعرفي عليّ؟ أنا رامي أخوك"، شعرت بسعادة تغمرني فصحت بفرح "راامي!! أنت هو رامي إذاً؟ أعذرني لم أعرفك في البداية، رامي سامحني فأنا لا أتذكر أحد ولكن ماذا تفعل هنا؟ وبمفردك!!"

فأجاب سؤالي وكله ثقة:" لقد أتيت لإنقاذك وإخراجك من هنا يا أختي، هيا بنا" تهللت أساريري من حديثه فأسرعت مستفسرة:" ولكن كيف علمت مكاني وكيف آتيت بمفردك؟" فأجابني باطمئنان تام:" أنا أعلم مكانك منذ مدة، حاولت إنقاذك ولكن لم أستطع فآتيت بمساعدة والداي وإصرار من عائلتك".

وقعت الكلمة الأخيرة على مسمعي كالجمر:"عائلتي!!"، فبادرته متسائلة:"عائلتي و والديك يعلمون مكاني؟ ولكن أين هم؟ أين هي أمي وأبي، أين هم؟"، فأجابني والبسمة على وجهه:" هم هنا لطالما كانوا هنا"...

نظرت حولي لأبحث عنهم فسألته بلوعة:" أين، أنا لا أراهم؟ " فأجابني مشيراً لقلبه:" بالطبع لا ترينهم لأنهم بقلبك وعقلك وروحك"، شعرت بخيبة أمل فأنفلت من لساني سؤالاً بعدم صبر:" لا أفهم ما الذي تعنيه؟ لمَ كل هذا التعقيد؟!".

نظر لي ضاحكاً فأسرع مطمئناً لي:" لا تغضبي فنحن جميعنا لطالما كنا بذكرياتك وبمشاعرك وعواطفك وأدعيتك وأمانيك وأحلامك، نحن بقلبك يا مي متربعين في قلبك الأبيض الصافي، فهيا انهضي وخذي بيدي لنخرج من هنا".

فرحت لجملته تلك فسألته بلهفة:" إلى أين؟! أتعلم طريق الخروج رغم هذه الظلمة؟"، فأجاب:" نعم أعلم هيا انهضي واتبعيني وسنخرج؛ فقط هاتي يدك واتبعي هذا الضوء هيا"، نهضت من فوري وأخبرته:" حسناً سأمسك بيدك واتبعك، ولكن لا تترك يدي مهما حدث ومهما واجهتنا صعاب".

مد يده لي لأمسكها ووعدني:" وعد مني لن أتركك ولكن ثقي بربك وبنفسك وبي وسنخرج سالمين من هذا الكابوس البشع.. هيا انهضي يا مي، مي اتسمعيني؟ مي انهضي كفاكِ يأساً وسلبية هيا انهضي، فلقد وعدتني أن نعود سوياً لمصر وعدتني برحلة طويلة الأجل لمصر، هيا فلتنفذي وعدك فوعد الحر دين عليه.

هكذا علمتني هيا يا أختي فلتنهضي من سباتك الطويل هذا هيا هيا" ..شعرت بيداً تربت على كتفي ويداً تهزني ودموعاً حارة تسقط على وجهي..

الفصل الثاني عشر :

بصيص من الضوء :

..فجأة توقفت الفتاة عن سرد القصة ونهضت بإتجاه الباب الزجاجي دون أن ترفع رأسها تحاول فتحه دون جدوى، كررت فتح الباب مراراً وتكراراً ولكن باءت محاولاتها بالفشل.

فجأة توقفت ورفعت رأسها لأعلى وثبتت عينيها على مي فتجمدت الدماء في عروق مي، لقد كانت بلا ملامح، لا يوجد بوجهها شيء سوى عينين!! صرخت مي وقفزت للداخل عائدة للوراء فزعة من هول ما رأته، فلم تستطع تصديق ما رأته للتو.

حدثت نفسها بخوف:" ولكن كيف؟! إذاً كيف كانت تتحدث وتروي القصة بدون فم؟! بل كيف تستطيع التنفس بلا أنف؟! لا أستطيع تخيل نفسي مكانها، بل لا

أستطيع تصديق ما رأيته منذ قليل كيف ومن تلك؟! لا أعلم!! حاولت مي الاقتراب من النافذة والنظر جيداً للفتاة ولكن قدماها أبتا التحرك فلقد تجمدتا من الخوف.

حاولت مي تحريك قدميها والتوجه للأمام قليلاً، ولكن دون جدوى وأثناء محاولاتها تلك سمعت صوت الفتاة بالخارج تتحدث بصوت مرتفع؛ موجهة حديثها تلك المرة لمي منادية باسمها:" مي مي مي" مما أفزع مي أكثر وكاد قلبها أن يتوقف من شدة خوفها:" كيف علمت تلك الفتاة أن اسمي مي؟!" تقافزت ضربات قلب مي عالياً وتصبب العرق من وجهها، وازدادت درجة حرارتها فشعرت بأن جسدها سينصهر من شدة الحرارة وبدأ جسدها يرتجف خوفاً، ولا زالت الفتاة تنادي بأعلى صوتها:" مي..مي..مي"، ولاشيء آخر سوى النداء بصوت جهوري قوي، وفجأة وبدون أية مقدمات بدأ جسد مي يترنح وشعرت بهبوط مفاجئ في ضغطها لتسقط مغشياً عليها..

غاصت مي في إغمائها العميق ذاك وتداخلت الفتاة معها في حلمها مكملة ما تركته سابقا.. كان أحدهم يبكي بجواري فتحت عيناي ببطء ووقعت عيناي عليه إنه رامي بالفعل ولكن كيف؟! "إذاً كل هذا كان حلماً".. بمجرد استيقاظي صرخ رامي فرحاً مناديا باسمي:"مي أفاقت، فتحت عينيها، مي أفاقت، مي أفاقت هيا اركضوا"..

وبعد ثواني وجدت الغرفة قد امتلأت على عقبيها بالأطباء يتحدثون بلغات عدة، فمنهم العربي ومنهم الأجنبي وتكرر نفس المشهد، فجميعهم مندهشون مما حدث كما بدا جلياً على وجوههم.. وبينما أنا في مراقبتي تلك لوجوههم وجهاً وجهاً، توقفت عيناي عند وجه أحدهم بدا لي مألوفاً؛ نعم لقد رأيت هذا الوجه من قبل؛ أجل أشعر أنني رأيته من قبل ولكن أين؟ ومتى؟ ومن يا ترى؟

ولكن نظراتها لي كانت عجيبة فهي لم تزل عينيها من عليّ، ولم تتحدث أيضاً معهم.

فقط كانت تكتفي بالنظر لي، كأن عينيها تريد إخباري بشيء نعم، أهو خوف ربما، لا بل امتنان ولكن لمَ وهل تعرفني؟..

أجل!! تذكرت إنها هي بالتأكيد هي، نعم تذكرتها إنها السيدة المختطفة في مخزن الدجال وشريكه، أجل السيدة التي سمعتها تصرخ وترجو منهم تركها وشأنها لأطفالها أجل هي!! ولكن ما الذي تفعله هنا وبهذا الزي؟ ما الذي يحدث هنا؟ لمَ كل من أعرفهم يرتدون زي الأطباء؟ لم أعد أفهم شيئاً مما يحدث لي، ربما أنا في حلم مجدداً وهؤلاء كلهم شخصيات في مخيلتي فقط، ولكن كيف؟ فأنا أشعر هذه المرة بشيء مختلف نعم، أشعر بأن هذا كله حقيقي وهذا واقع وكل من بالغرفة حقيقي وليس مجرد حلم أو خيال.

نعم فهذا رامي الذي يمسك بيدي إنه حقيقي أستطيع الشعور بدفء كفيه، وهؤلاء الأطباء حقيقيون فصراخهم وحديثهم ثقب طبلة أذني؛ وتلك النظرات حقيقية فهي توصل لي رسالة امتنان وشكر ولكن لا أعلم لماذا؟! فأنا لم أحررها من ذاك المخزن بل الرجل الغريب.

وبينما أنا في شرودي ذاك تنبهت لأحد الأطباء وهو يتحدث إليّ قائلاً :"آنسة مي هل تسمعين أحاديثنا؟ هل أنت موقنة لمَ يحدث من حولك؟" لم أتحمل تأجيل الرد ثانية بعد، فوراً تحدثت كي أسمع صوتي مجدداً:" أجل أسمعكم، نعم موقنة أنا بخير تماماً".

فرح الأطباء عندما سمعوا صوتي، وسمعت عبارات شكر الله بمختلف اللغات فأحدهم قالها بالعربية والآخر بالإنجليزية والثالث قالها بالفرنسية..

في الحقيقة فرحتي بسماعي لصوتي فاقت فرحتي بنهوضي من غيبوبتي تلك، كما سمعت الأطباء يتحدثون؛ حينها علمت بأنني كنت بغيبوبة مدة شهر تقريباً، لم أفق إلا نادراً كنت أفتح عيناي وأغلقهما مجدداً بدون حركة أو صوت؛ لم أصدق!! قرابة شهر بقيت في سباتي ذاك، شهر إلا بضعة أيام دون حراك أو كلام أو حتى دون شعور بما حولي؛ شهر إلا القليل وأنا نائمة لا أعي ما حولي ولا أعلم كيف تدهور حالي لتلك الدرجة ولا ما هو السبب؟ شهر تقريباً وأنا أعتقد بأن كل ما يحدث لي من أصوات وأحداث غريبة وهواجس هو حقيقة!!

شهر تقريباً وأنا معتقدة بأني مسحورة وأهلوس؛ يا لها من مدة طويلة كفاية كي تحدث فيها حروب وحوادث!!..

خرج الأطباء وبقيت أنا ورامي بمفردنا بناءً على رغبتي؛ تحدثنا كثيراً كم هو لطيف ومرح لم أكن أتوقع أنه بمثل تلك اللطافة والخفة والمسئولية أيضاً؛ تذكرت أحداثاً من كلامه وتذكرت بعض أوقاتنا معاً، تذكرت شيئاً مهماً وأنا أتحدث مع رامي؛ فسألته:" رامي اعذرني لأني لا أتذكر الكثير ولكن هناك شيئاً مهماً حدثتني به في حلمي، لقد أخبرتني عن عائلتي أين هم؟ لا أرى أحداً هنا سواك والأطباء، أين هي عائلتي؟! " تغير لون رامي بعد سماعه لسؤالي وصمت قليلاً ثم قال بتردد.....

المسخ:

"الله أكبر... الله أكبر"...استيقظت مي فجأة على صوت آذان الفجر، متلفتة حولها بفزع لتعلم إن كان كل ذلك حقيقة أم حلم، لتجد نفسها ملقاة على الأرض بجوار النافذة بحوالي متر.

وما إن وقعت عيناها على النافذة المفتوحة حتى تذكرت الفتاة المشوهة وتذكرت آخر شيء وهو نداءها المتكرر لاسم مي، سرت قشعريرة باردة بجسد مي نتيجة للهواء البارد المنبعث من النافذة فتحاملت على نفسها حتى نهضت وتوجهت لإغلاقها، كانت تقترب بخوف منها داعية الله بأن تكون الفتاة اختفت وكلما اقتربت سنتيمتراً واحداً تسارعت ضربات قلبها، وما إن التصقت بالنافذة حتى أغمضت عيناها ودعت الله أن يكون الطريق خالياً تماماً، ثم بدأت تفتح جفونها شيئاً فشيئاً حتى تنفست الصعداء فلقد كان الطريق كما تمنت خالياً لا غرفة به ولا حتى الفتاة، تلفتت يميناً ويساراً لتطمئن أكثر بأن الفتاة اختفت وقد كان ما ترجوه.

وما إن فرغ المؤذن من الآذان حتى أغلقت مي النافذة، وتوجهت لإيقاظ صديقتها لصلاة الفجر وبعد الإنتهاء من الصلاة ذهبت منى لإكمال نومها، أما مي فظلت مستيقظة تفكر بالفتاة وما حل بها ليتشوه وجهها بتلك الطريقة البشعة، أو ربما ولدت بتلك الهيئة ولكن كيف تتنفس وكيف تتحدث؟!

ظلت مي حتى شروق الشمس تفكر بالفتاة لم يغمض لها جفن بعد ما عاشته طيلة الليل، وكيف يغمض لها جفن وقد عاشت قصة رعب حقيقية وليس فيلماً أو

رواية خياليين!! ولكن ما غفلته مي هو؛ ماذا أرادت منها تلك الفتاة؟! ما الذي دفعها لتنادي باسمها، هل تعرفها؟!

بعد هذا الشوط الطويل من التفكير نهضت منى من نومها العميق وتوجهت لخارج الغرفة؛ حيث دورة المياة وصدمت عندما رأت مي جالسة على الأريكة شاحبة الوجه تحيط بعينيها هالات سوداء، فنظرت لساعة الحائط المعلقة بالصالون لتجدها التاسعة صباحاً، فركضت تجاه مي الجالسة على الأريكة العاقدة لرأسها بحزام لرداء نومها من شدة صداعها، لتنهال عليها بالأسئلة إن كانت بخير أم لا؟ وما الذي حدث حتى تتحول لهذا المنظر، ولماذا تزال مستيقظة حتى هذه الساعة؟ ألم تغفو بعد الصلاة؟! بدا عليها الخوف عند رؤية صديقتها بتلك الهيئة فما الذي حدث لك يا مي حتى بدوتِ بتلك الحال؟!

كالأم المتورمة الرأس نتيجة لصراخ طفلها الرضيع طيلة الليل ولم تستطع النوم نتيجة لبكائه المتواصل، ضحكت مي رغم إرهاقها لهذا التشبيه المضحك مما أزعج منى كثيراً التي صرخت عليها لسخريتها من خوفها عليها، غضبت منى كثيراً وانهالت على مي باللكمات حتى إنها قامت بضربها بالوسائد، فاستمرت حرب الوسائد هذه طويلاً حتى صبت كافة غضبها على صديقتها علها تشعر بالأسف من سخريتها تلك.

اكتفت مي بتلقي الهجمات من منى بدون دفاع أو حتى مواجهة علها تستريح من حمل هذا العبء قليلاً، أو ربما حتى تمتص تلك الوسائد غضب صديقتها.. بعد انتهاء معركة الوسائد تلك وفوز منى بالتأكيد لإلقائها أكبر كم من الوسائد على صديقتها، اتفقتا الصديقتان على عقد هدنة بينهما مدتها مدى الحياة بعدم تعرض إحداهما بالغدر للأخرى، وتم الاتفاق ولكن بعد عقاب الخاسر الذي كان:- إعداد الثلاثة وجبات الأساسية: الإفطار والغداء والعشاء بجانب المشروبات والوجبات الخفيفة بين كل وجبة والأخرى.

وبعد الإنتهاء من تناول الإفطار قررت الصديقة الإنصات التام لمي ومعرفة ما يقلقها كل هذا الكم، وأقسمت بمساعدتها مهما حدث ومهما واجهتها من صعاب، حتى وإن كان ما تواجهه أحلاماً وكوابيساً لا أصل لها في الواقع، لذلك بعدما

أعدت الخاسرة كوبين من الشاي بالليمون كما تحبانه جلست بجانب منى على الأريكة حيث كانت متربعة ومعها قلم ومفكرة لتدون ما تقصه عليها مي.

فبدأت مي بقص التالي على صديقتها بصوت مرتجف وصداع يكاد أن يفتك برأسها، بعد أن ارتشفت رشفة من كوب الشاي بالليمون:" حسناً، لقد بدأ الأمر منذ ظهور الفتاة الغريبة والحجرة الزجاجية التي حدثتك عنهم، لقد كانت تقرأ ما دُوّن في كتاب كان أمامها، كانت يوميات ربما.. عن فتاة تدعى مي، تحمل الاسم ذاته ربما هي صدفة، لا أعلم ولكن اليوميات تتحدث عن هلوسات تسمعها مي وأحاديث، فهي لا ترى من يتحدث بها فقط تسمع أصواتاً وتحدث لها تشنجات أعتقد أو شيء من هذا القبيل، وارتجافاً في كافة جسدها، كما يؤلمها رأسها فكلما سمعت تلك الهلوسات وحدثت لها تلك التشنجات أعقبها ألم شديد في الرأس.

الفتاة؛ أي مي أقصد!! ما علمته من يومياتها أنها تدرس في الخارج في بعثة تعليمية في إحدى الدول الأوروبية، بمفردها في تلك البلاد لا رفيق أو أنيس معها، كما أنها لا تعلم أي شيء عن عائلتها ولا تتذكر عنهم شيء، كل ما تعلمه هو بضعة رسائل إلكترونية من شخصين محمد وفاروق تظن أنهما ضابطان في الشرطة أو شيء من هذا القبيل.

حسناً كما أن مي تعرضت لحادث أظنه حادث سيارة؛ نتيجة له أُصيبت في يدها وساقها ورأسها، ولديها أخٍ ليس بشقيق يدعى رامي ليس مسلماً كما أعتقد، تعرفت عليه في عملها فهي مربية لهذا الفتى، عملت في منزلهم كما أن عائلته من أصل عربي، والده طبيب ووالدته مهندسة كما أتذكر، أعتقد أن أسماءهم كانت:" إسحاق يوسف وماري عزيز".

لا أعلم ما جنسيتهما ولكن ما أذكره من أحلامي ومن سرد الفتاة أن مي لم تكن تعلم جنسياتهم، في اليوميات ذكرت مي أيضاً أنها قابلت مريم أوروبية الجنسية مسلمة الديانة _زوجة فاروق الشرطي_ كانت لديهم ابنة صغيرة أصيبت في حادث تفجير فاشل لمسجد قريب من مدرسة الطفلة..

الطفلة لم تصب إصابة بالغة لذلك أعتقد أنها بخير إلى حد ما، إمممممم ماذا بعد؟!! نعم؛ نسيت الدجال.. لقد ذهبت مي لدجال ظناً منها أنها مسحورة ولكنها اكتشفت أن الدجال ما هو إلا لص ومختطف، فلقد اختطف سيدة واختطف مي

أيضاً عندما سمعت صراخ السيدة، ولكن الغريب أن مي رأت هذا الدجال وتلك السيدة بزي الأطباء في مستشفى ما، فلقد كانت مي مريضة في تلك المستشفى ورأت أيضاً طبيبة مجنونة كانت تتشفى في ما أصاب مي وتتهمها بالإجرام والإرهاب، هذا ما أذكره" ثم أكملت ارتشاف ما تبقي من كوب الشاي.

صمتت صديقة مي قرابة العشر دقائق مفكرة، بعدما انتهت من تدوين ما قصته مي عليها لتنهض صارخة:" وجدتها".

لم تستوعب مي سبب صراخ صديقتها ولا ما الذي تقصده بهذه الكلمة، لذلك نظرت إليها بعدم فهم فكررت صديقتها نفس الكلمة ولكن مع بعض التفسير:" وجدتها، لقد وجدت طرف خيط لأحلامك تلك كل ما علينا فعله هو الذهاب للمكتبة فوراً والبحث في الانترنت، فباقتي انتهت للأسف لذا هيا انهضي بسرعة، صحيح أننا بحثنا من قبل عن تفسير لتلك الأحلام ولم نحصل على نتيجة، لكن تلك المرة أعتقد بأننا سنجد الإجابة".

ساقتها صديقتها بدون وعي كالماعز، وأسرعتا لتبديل ملابسهما للخروج بسرعة بدون أن تتفوه مي بكلمة، فقط رافقت صديقتها وفضلت أن تُساق كيفما تشاء صديقتها.

وما هي إلا نصف ساعة حتى وصلتا للمكتبة، وبالداخل أسرعت صديقة مي إلى الكمبيوتر باحثة في متصفح" جوجل" عن جملة" محاولة تفجير فاشلة لمسجد في دولة أوروبية"، لتظهر لها العشرات من المواقع والصور والأخبار عن تلك الحادثة أو عن حوادث أخرى شبيهة لها حدثت لمسلمين في أكثر من دولة وبلد أوروبي ... # حقيقة#

#حقيقة# 28 يناير : 2017حريق يلتهم معظم مبنى مسجد في بلدة فيكتوريا التابعة لمدينة هيوستن بولاية تكساس الأمريكية.

– 16 أكتوبر 2016 مجهولون يرشقون بالحجارة مسجد «رانشلاندس» التابع لجمعية «شمال غربي كالغاري الإسلامية» في مدينة كالغاري بمقاطعة ألبرتا الكندية، مما أدى إلى تحطم نوافذه

_ 28 سبتمبر 2016 :انفجار عبوة ناسفة بدائية الصنع داخل مسجد بمدينة «دريسدن» شرقي ألمانيا.

_ 25 ديسمبر 2015 : إطلاق نار من نقاط عدة على مسجد بمركز تجاري في مدينة هيوستن الأمريكية ، مما أدى إلى إندلاع حريق داخل المسجد دون أن يصاب أحد بأذى.

_ 2015مجموعة من المتظاهرين تهاجم مصلى للمسلمين داخل حي شعبي في أجاكسيو بجزيرة كورسيكا جنوبي فرنسا، وتخربه وتحرق مصاحف فيه وتكتب عبارات معادية للعرب.

20ديسمبر :2015: مجموعة من الشباب اليميني المتطرف تطلق على نفسها _حماة الهوية_ تحتل مسجد الفتح في مدينة دوردريخت جنوب غربي هولندا وترفع عليه أعلاما ولافتات معادية للإسلام والمسلمين، وقد تمكنت قوات الأمن من محاصرة الطرق المؤدية إلى المسجد وإيقاف المجموعة المعتدية.

_ 7-8 يناير 2015 : تعرض ثلاث مساجد لإعتداءات لم توقع أية ضحايا في ثلاث مدن فرنسية، حيث ألقيت قنابل يدوية صوتية على مسجد بمدينة لومان، بينما أطلقت رصاصتان على قاعة صلاة للمسلمين في بور لا نوفيل، ووقع إعتداء ثالث في فيل فرنش، ولكن خسائره اقتصرت على تضرر لمطعم محاذ للمسجد.

الفصل الثالث عشر :

سر جديد يتكشف:

وها هي تبحث عن ما حدث من تفجير لمسجد قريب من مدرسة، لتجد مقالاً طويلاً يتحدث عن تلك الحادثة التي حدثت منذ شهر، مرفقة بمقطعاً مصوراً لذلك الخبر باللغة الإنجليزية.. حيث أوضحت المذيعة في الفيديو أقوال لشهود

عيان رأوا الحادث بأم أعينهم، وآخرين تعرض أبناءهم لإصابات جراء التزاحم والهرج والمرج بجوار المدرسة، ومنهم شهادة الشرطي فاروق الذي كان قريباً من المسجد عندما أبلغه أحد المتواجدين بالداخل عن الاشتباه في جسم غريب بداخل إحدى دورات مياة المسجد حيث قال فاروق:" لقد آتينا مسرعين برفقة فرقة لتفكيك المتفجرات إلى مسجد" السلام" عندما هاتفنا أحد المشايخ بالداخل متخوفاً من وجود جسم غريب، داخل صندوق بلاستيكي صغير في دورة المياة للسيدات وبالتالي؛ أسرعنا برفقة الفرقة حيث البلاغ لنفاجأ بوجود قنبلة بالصندوق وأثناء محاولة تفكيكها فوجئنا بتسرب الأخبار وانتشارها سريعاً في مدرسة الطفل"The child" المجاورة للمسجد، مما أدى لهروب المعلمات والأطفال خارج المدرسة وتكدس المارة وبالتالي حدوث إصابات بين الأطفال واختناق نتيجة للتزاحم، ولكننا بفضل الله استطعنا السيطرة على القنبلة قبل انفجارها.

ونجحت فرقة التفكيك بإحباط عملية التفجير" كان هذا كلام الشرطي فاروق المسئول عن أمن الجالية المسلمة بهذه المنطقة والذي علمنا فيما بعد عن إصابة ابنته ذات العشرة سنوات في ذلك الازدحام عند المدرسة المذكورة..

كما ذكرت عدة مصادر عن إصابة خطرة لشابة تبلغ من العمر الواحد والعشرين، قيل أنها مكتشفة القنبلة داخل المسجد، أصيبت نتيجة لمحاولة دعسها خارج المسجد لرؤيتها المتسببين عن وضع القنبلة بالداخل..

ولكن هذا ليس بخبر مؤكد بعد، كما يقال أيضاً بأنها متورطة في بعض أعمال شغب منذ شهر في إحدى دور السينما المتواجدة في هذه المنطقة نتيجة لأقوال شهود آخرين.. وفي النهاية نتوجه بالشكر لإمام المسجد الذي أبلغ الشرطة على الفور بوجود القنبلة كما نتوجه بشكر الشرطة وعلى رأسهم فاروق الذي نتمنى الشفاء العاجل لطفلته ولكل مصاب في هذا الحادث الشنيع..

انتهى الفيديو وانتهت الأخبار عن تلك الحادثة الأليمة، التي لم يذكروا فيها لا اسم الفتاة ولا ديانتها أو حتى صورة لها..

ولكن ما قرأته مي وصديقتها عن الحادث وعن ابنة مريم وفاروق أكد لهما حقيقة أحلام مي الغامضة، وحقيقة الفتاة الغريبة خارج المنزل وأن هناك بالفعل

لغزاً فيما يجري، بحثت مي وصديقتها عن نفس الخبر للإطلاع أكثر ولمعرفة المزيد، ولكن محاولاتهما باءت بالفشل لذلك قررتا الكف عن البحث عن تلك الحادثة لهذا اليوم والعودة للمنزل لترتاح مي، فما رأته وعلمته حتى الآن قد أعاد لها حالة الشحوب كما ازداد ألم الصداع مجدداً..

بمجرد عودتهما للمنزل ذهبت مي لغرفتها وألقت بجسدها المنهك على الفراش، وما هي إلا دقائق حتى غطت في سبات عميق وعادت الفتاة الغريبة للسيطرة على أحلامها، وإكمال ما بدأته منذ ليالٍ فظهرت لها الفتاة بغرفتها الزجاجية وطاولتها ومقعدها المعتادين، وها هي تبدأ سرد الباقي من القصة...

" الحقيقة الناقصة :

:"عائلتك.. إنهم هنا بالطبع ألست أنا منهم؟"، فأجبته بسرعة:" أجل بالطبع أنت أخي فبالتأكيد أنت من عائلتي، ولكن أقصد أبي وأمي وأشقائي إن كان لي أشقاء، أين هم؟!" فأجاب رامي بحنان:" أخبرتك مسبقاً إنهم هنا في قلبك وعقلك".

"رامي لا تخفني أكثر وتزد من توتري، أخبرني الحقيقة بدون ألغاز أين هم؟"..هم رامي متحدثاً:" حسناً..إنهم..." ولكن قاطعته الممرضة عندما دخلت الغرفة فجأة وطلبت منه الخروج، فلقد انتهت الزيارة وسيعود في الغد صباحاً فودعني وخرج؛ لقد أقلقني الأمر كثيراً فلماذا لم يقل ويخبرني منذ البداية، لمَ يلف ويدور بالحديث؟ أيعقل أن يكون قد حدث شيئاً سيئاً لهم؟!

"لاا.. أنفضي تلك المخاوف من عقلك فلا يوجد شيء سيء حدث لهم، ربما هم في مصر ولم يأتوا بعد، نعم ربما!! ظللت هكذا طوال الليل لم أستطع النوم، فلقد طار النوم من عيني فما غفوته حتى الآن يكفيني شهوراً؛ حاولت النهوض من على الفراش ولكن شعرت بآلام في ساقي وذراعي؛ وبعد محاولات متكررة استطعت الجلوس بصعوبة ووضع الوسادة خلف ظهري متكئة عليها، وظللت هكذا أتأمل في الغرفة وأقرأ اليوميات التي تركها لي رامي على الطاولة بجواري، كان كل شيء بها كما حلمت به.

أول لقاء بيننا أنا ورامي، والحادثة كذلك كما جاءت في حلمي، لم أجد حرفاً زائداً عن الحلم" .. تنفست الصعداء بصوت متحدثة لنفسي:"هيييه ما هذا الملل

لاشيء غريب أو مريب، تباً فأنا في هذه اللحظة أفكر في الغرابة، وأنا التي كنت قد كرهت الغرابة والمفاجآت والألغاز التي كانت تحدث لي وتبين أن كلها أحلام وأوهام؛ حسناً ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ ما الذي سيحدث بعد أن أفقت من سباتي العميق؟ جميلة تلك الجملة " سباتي العميق" هل سيحدث لي كما حدث للأميرة النائمة؟ عندما التقت بفارس أحلامها الذي أيقظها من نومها الطويل؟! امممم لا أظن ذلك فأنا استيقظت بمفردي.. لاا... بل بسبب صوت رامي نعم رامي هو من أيقظني لمَ لم أفكر بذلك منذ البداية.

فربما يكمن مفتاح هذا اللغز كله عند رامي، بالتأكيد فهو منذ البداية من يدلني؛ يومياته.. حديثه.. بالطبع السر يبدأ برامي..

لم أستطع الصبر حتى الصباح لأرى رامي فناديت للممرضة، التي اكتشفت أنها تغيرت لأخرى، لم أبالي كثيراً لتغيرها لذلك تجاهلت الأمر وطلبت منها هاتفاً كي اتصل برامي وبالفعل اتصلت به.. :" أهلا رامي أنا مي أعتذر لمكالمتك في هذا الوقت المتأخر، وأعتذر لأني أيقظتك من نومك الهانئ ولكن لم أستطع الانتظار حتى الصباح، حسناً.. حسناً سأهدأ ولكن يجب أن تعدني في البداية أنك ستخبرني بكل شيء، وستجيب على جميع تساؤلاتي.. أجل لابد أن تعدني.. حسناً حسناً هدأت، في بداية الأمر؛ هل تعلم حقيقة الحادث الذي حدث لي؟ هيا أجبني فأنت وعدتني.. حسناً إني أستمع فهيا أجبني.. سأهدأ كما أخبرتك، نعم لقد أخذت أدويتي أقسم بالله أني أخذتها لا تقلق عليّ، وهيا لا تدر بالكلام وأخبرني ما الذي حدث لي يومها ومتى كان؟! آلو آلو مرحبا رامي أين ذهبت!!" .." تباً لقد انقطع الاتصال.

أحسنت يا هاتف لقد اخترت الوقت الغير مناسب لتنقطع عليك اللعنة هاتف أحمق". أنهت جملتها وألقت الهاتف على الفراش من شدة الغضب.

في تلك اللحظة دخلت الممرضة الغرفة وأخذت الهاتف ثم أطفأت الأضواء و خرجت، حاولت النوم ولكن دون جدوى لم أستطع حتى إغلاق جفوني، وظللت هكذا حتى أذان الفجر وطلبت من الممرضة أن تحضر لي ماءً كي أتوضأ وأصلي، بعد صلاتي دعوت الله كثيراً ورجوته أن يلهمني الفهم والوعي الكافيين لأعلم ما حدث وما يحدث وأن تهدأ روحي المضطربة ويهتدي عقلي المشتت.

انتظرت حتى أشرقت الشمس وملأ النور المكان، انتظرت قدوم رامي وأنا أعد الدقائق والساعات، وها قد حان الوقت واقتربت الساعة من التاسعة صباحاً، فنظرت للباب متلهفة للقاء رامي وما إن فتح الباب حتى أسرعت متحدثة بنبرة عالية معاتبة:" لقد انتظرتك طويلاً لم يغمض لي جفن حتى الآن بسببك لتعلم.. ماذا؟! أين رامي، ومن أنت؟! ما الذي يحدث هنا؟! ولمَ هذا الكرسي؟ فلتخبرني من أنت؟ وأين رامي؟ من المفترض أن يكون هو مكانك في تلك اللحظة فأين هو؟" .

نظر لي هذا القادم ببرود أعصاب وتقدم نحوي قائلاً:" لن أجيب على أسئلتك الكثيرة هذه لأني لا أهتم ولا أعلم من هو رامي ذاك، كما أني لا أحب أن أطيل الحديث فأرجوك ساعديني يا ممرضة لنضع المريضة على الكرسي ولأكمل عملي"

لم أستطع الحديث بعد حديثه الفظ هذا، فلقد شعرت بالذهول وفضل لساني الصمت في تلك اللحظة، لذا تجاوبت مع الممرضة وجلست على الكرسي المتحرك، وأخذني هذا الشخص الغريب وخرج بي لغرفة الأشعة بدون أن يهمس أو يصدر حتى صوتاً واحداً.

بعد عمل الأشعة المطلوبة مني عدت لغرفتي مع الصامت الغريب، ولكنه طلب من الممرضة أن تبقيني على الكرسي وألا تعيدني إلى الفراش. لا أعلم لماذا؟! لكني لم أستفسر عن الأمر فقد أردت أن أغيظه ببرود أعصابي كما أغاظني هو، والممل أنه بقي معي في الغرفة أيضاً، بالطبع ليتابع السجلات ويفحص الأجهزة ونبضات قلبي.

وفجأة همس بجملة لم تسمعها الممرضة ولم تعلق عليها لكني سمعتها وكانت:" ستخرجين إذاً وأخيراً، لكم هذا مفرح"

خمنت أنه يقصدني بالطبع ففرحت لاقتراب موعد خروجي من المستشفى، ومن شدة فرحتي طلبت من الممرضة التي تعجبت لتغير حالتي تلك من صامتة لضاحكة أن تعطيني هاتفها مرة أخرى، لكي اتصل وأخبر رامي بالأخبار الجيدة، ففي النهاية ليس لي أحد أعرفه سواه، همت الممرضة لإعطائي الهاتف ولكن الصامت الغريب اعترضها بنبرة غاضبة:" تعلمين أن هذا ممنوع رغم

ذلك تخالفين القواعد، كيف لممرضة متميزة في عملها أن تخطأ مثل هذا الخطأ، إياك وتكرير هذا الخطأ مجدداً وإلا تعرضت لعقاب قاسٍ يا آنسة"

ثم التفت إلي بوجه جامد وصرخ فيّ قائلاً:" أتمنى ألا يتكرر هذا الموقف مرة أخرى فنحن هنا في مستشفى، ولسنا بفندق خمس نجوم كي ننفذ طلباتك يا آنسة، والهاتف هنا ممنوع منعاً باتاً أتسمعين كلامي؟"

لم أستوعب ما فعلته فيما بعد فلقد أجبت صراخه بصراخ:" أأنت أحمق يا هذا؟! أهكذا التعامل مع المرضى؛ من أنت كي تحدثها وتحدثني بتلك الطريقة الفظة على أي حال؟ أنا هنا حرة ولست أَمَة لك يا هذا كي تخاطبني بتلك القسوة؛ فاسمعني أنت جيداً؛ سأخرج من هذا المكان قريباً، وأفعل ما أريد فحالتي أنا أعلم بها أكثر منك وصحتي تهمني أكثر منك، لذلك سأفعل ما أريد ومتى أريد ولن تستطيع أنت ولا أمثالك بأمري: ماذا أفعل ولماذا؟ أفهمت يا غريب؟" ..

لا أعلم كيف انفجرت فيه بهذا الشكل، فأنا لست معتادة على هكذا أسلوب كما أن هذا لا يليق بي ، ولكني لم أتمكن من كبح غضبي أكثر.

كان تصرف الغريب أغرب من اسمه، فلقد اقترب مني وانحنى ناظراً إلى عيناي قائلاً ببرود تام وبابتسامة عريضة شامتة:" جميل.. ظننت أن المجرمين لا حق لهم في الحديث أو حتى الهمس ولكن خابت ظنوني"؛ ليعتدل بعدها ويكمل:" فآنستنا الصغيرة خرج لها صوت بعد فعلتها الشنيعة والأشنع أنها ترفع صوتها علينا نحن من ساعدها على التحسن؛ أهكذا رد الجميل يا مجرمتي الصغيرة اللطيفة؟"

لم أتحمل كلماته فصرخت فيه مرة أخرى، وصراخي هذه المرة زاد جداً لدرجة أني ظننت أن أذني ستنفجر من شدته:" لقد نفذ صبري يا هذا، أنت مخبول بالطبع.. ومن تقصد بالمجرمة؟ أجننت أم أصبت بالعمى فلا ترى من تحدث؟

أنا لدي اسم وهو مي، ولست مجرمة بل أنت المجرم بغرورك هذا ومعاملتك الفظة تلك، ومحادثتك لنا كأننا جواري و إماء لك، أقسم بالله أني لن أصمت عن ما بدر منك من سوء تصرف وسوء أدب وحديث معي، و سأشكوك إلى مدرائك بالمستشفى ولأخي رامي".

نظر لي بابتسامة أعرض من سابقتها ولم يتحدث، فقط اكتفى بوضع يديه في جيوبه ثم خرج، وتركني مع الممرضة التي ارتسم الذهول على ملامحها وفتحت فمها من شدة ذهولها ذاك، فلقد فوجئت بحوارنا الصارخ لتضحك في النهاية قائلة لي:" حقاً لقد اندهشت من ردة فعلك، كما أشكرك على الدفاع عني والرد بدلاً مني فأنت الوحيدة التي استطاعت محادثته بتلك الطريقة، لا أقول أنها طريقة صحيحة ولكنها أبردت ناري الموقدة بداخلي فشكراً مرة أخرى ..".

ولكن سرعان ما تبدلت ملامحها لقلق وحزن لتكمل قائلة:" ولكن أرجو ألا يؤذيكِ بالحديث مرةً أخرى فهذا الطبيب لا يصمت أو يترك حقه أبداً، أتمنى أن يكتفي بهذا القدر لهذا اليوم وألا يعود مجدداً لغرفتك أو يتحدث مع المدير بتلك القصة وإلا فالله وحده يعلم ما الذي سيحدث إن تحقق ما قلت..

نفضت الممرضة عن وجهها القلق وأكملت:" الآن سأحضر لكِ الطعام وستتناولينه بأكمله، لتأخذي بعده دوائك وبعد ساعة سيأتي أخوك رامي فلقد تأخر في طلب إذن الزيارة وسمحوا له بأن يأتي الساعة الحادية عشر بدلاً من التاسعة، والآن سأذهب وأحضر لك الطعام فلتستريحي".

شكرتها كثيراً وانتظرت بغرفتي على حالتي تلك، حتى أتناول الطعام وآخذ دوائي وعندما أصبحت الحادية عشر جاء رامي، فرحت كثيراً لرؤيته وتفاجأ هو عندما رآني جالسة على الكرسي ولست على الفراش، ولكنه فرح لأن حالتي تحسنت وأخبرته باقتراب موعد خروجي من المستشفى وعن سعادتي بذلك، ولكن أشعر أيضاً بالحزن فأنا لم أتذكر عائلتي ولا أعلم منهم أحد، هممت أن أخبره بما حدث منذ قليل ولكني خفت من تبدل ملامحه السعيدة تلك لأخرى غاضبة لذا فضلت الصمت.

تذكرت حديثنا الناقص بالأمس وكررت السؤال عليه مرةً أخرى:" صحيح لم تخبرني أين هي عائلتي؟ ولمَ لم يأتي منهم أحد لزيارتي؟" تململ في البداية عن الجواب ولكنه سرعان ما قال:" الحقيقة هي ليست أني لا أريد إخبارك بل بأي وجه سأخبرك!" ليأخذ بعدها نفسا عميقا ويزفره قبل أن يكمل" حسناً حاولت كثيرا ألا أتحدث معك في هذا الموضوع ولكنك مصرة فلتنصتي إذاً، عائلتك ليست هنا، فهي لم تأت قط إلى هنا؛ بعد الذي حدث لك وبعد تداول الأخبار

السيئة عنك بأنك إرهابية ومحاولاتك للتسبب بأذية للآخرين لم يأت منهم أحد إلى هنا.

وعلى أية حال لم يكن لك سوى والدتك؛ ولقد أصيبت بأزمة قلبية بعد سماعها الأخبار، ودخلت في غيبوبة ومازالت حتى الآن في المستشفى بالقاهرة، أما باقي أسرتك فوالدك توفاه الله وأنت في العاشرة من عمرك وليس لديك أشقاء، حتى أقربائك لا نعرف منهم أحد سوى والدتك كما أخبرتك؛ التي كانت تأتي لزيارتك كل أجازة في بريطانيا أو تعودان سويا إلى مصر كل إجازة حسب فراغكما، لم أستطع الحديث معك عن هذا من قبل خفت من تدهور صحتك، ولكن قبل أن آتي إليك أخبرني الأطباء بأن الخطر زال لذلك قررت إخبارك و الإجابة على تساؤلاتك" ..

الفصل الرابع عشر:

العودة للصفر :

لم أنطق بحرف بعد الذي قاله رامي، وفهم هو وخرج وتركني بمفردي بعدما أخبرني أنه سيمر علي غداً ليرى إن كنت سأخرج حقاً أم ليس بعد.

ظللت اليوم بطوله على حالتي تلك لا أحدث أحد ولا حتى يحاولون محادثتي، ظنت الممرضة أني عدت للصفر من جديد وأن حالتي ساءت مجدداً، ولكن الطبيب طمأنها عندما قام بتشخيصي.

لا أدري ما الذي حدث ولكني شعرت بأن روحي قبضت عندما أخبرني رامي عن عائلتي، فصرت أحدث نفسي بحزن قائلة:" ليتني لم أعلم وليته لم يخبرني وظل على إصراره بعدم إخباري، حقاً أحياناً الحقيقة توجع بل وتدمي القلب والروح، لذلك لا يجدر بنا البحث عن بعض الحقائق حتى لا نتعذب بعد ذلك".

بعد صراعي الداخلي هذا وأحزاني ودموعي المتساقطة تلك، خلدت للنوم وعدت لعادتي القديمة الهروب بالنوم، وهناك رأيت جزءً آخر من روايتي؛ رأيت المستشفى والمشرحة، رأيت الأطباء والممرضات، رأيت جثثاً محملة فوق بعضها البعض بدون أعضاء خاوية تماماً، رأيت المرأة المختطفة ورأيت الدجال ومساعده كانوا جميعهم سوياً يتحدثون عن سرقة أعضاء والمتاجرة بها.

لكن المستشفى لم يكن كهذا المتواجدون به، بل كان أقدم وأبشع، في الحقيقة شعرت أني رأيته مسبقاً لكن لا أتذكر أين ومتى؟ سمعت حديثهم كانوا يتحدثون عن صفقة أعضاء بشرية كلى وأعصاب وقلوب ربما.

وفجأة؛ تحولت أنظارهم جميعاً لمكاني حيث كنت أقف، وركض الدجال نحوي فصرخت فيّ المرأة قائلة:" أهربي وانشري الصور والفيديوهات واحتمي بالشرطة".

رأيت نفسي وأنا أركض بأقصى سرعتي وفجأة سقطت، لأن أحدهم ضربني على رأسي أو ربما سقط شيئاً ما علي مما أفقدني توازني لم أر جيداً فالظلام كان حالكاً.

لم ينته الحلم بل أخذوني للمخزن الذي اختطفت فيه من قبل، وقيدوني كما القيد الأول وها هي المرأة مكبلة مثلي؛ حسناً إنه يبدو كأنه الحلم الأول! نعم هو بعينه فلقد جاء الدجال بعد إفاقتي ولطمني بقوة حتى سالت الدماء من فمي، وكرر الضرب حتى فقدت وعيي وهنا رأيت ما خفي في المرة الأولى، كانا يتحدثان عني يريدان قتلي وسرقة أعضائي؛ نعم كانا يتجادلان بقوة عن ذلك، حتى جاء رجل ثالث وهمس في أذن الدجال شيئاً ثم فك قيود المرأة وترك الباب مفتوحاً وذهب.

رأيت مساعد الدجال يفك قيدي أنا الأخرى ويتركني ويخرج، وما هي إلا ثواني حتى عاد مجدداً واقترب مني هامساً بشيء في أذني فنظر لي ثم غادر وانتهى الحلم" ..

سر جديد :

نهضت لأجدها الخامسة فجراً فاستدعيت الممرضة لكي أتوضأ وأصلي الفجر، بعدها طلبت منها قلماً ودونت ما حلمت به كله في "يومياتي ورامي"، وتفحصت ما دونته جيداً مرة تلو الأخرى أحاول أن أربط بين الأفكار؛ "هناك سراً في تلك الطبيبة وذاك الدجال".

هكذا حدثت نفسي حتى إن الممرضة نظرت لي بغير فهم متسائلة:" أقلت شيئاً؟!" فأجبتها فوراً:" هاا، لا لا شيء ".

ولكن شيئاً ما بداخلي أراد أن يسألها ويستفسر عن الطبيبة، لذلك أسرعت قائلة:" في الحقيقة نعم يوجد، أتذكرين كل الأطباء الذين جاءوا لغرفتي عندما استيقظت وأفقت من الغيبوبة؟ أتعلمين أسماءهم؟".

نظرت لي الممرضة بنظرات متخللاً وجهها عدم فهم لمقصدي، ولكنها أجابت:" حسناً، معظمهم وليس جميعهم فكما تعلمين أنا عربية مصرية وجديدة هنا لذلك لا أعلم سوى العرب مثلي، وربما أعرف قليلاً الطبيب الإنجليزي، ولكن دعيني أتذكر؛ حسناً... كانوا ستة أطباء؛ اثنان منهم مصريين الطبيبة شيرين والطبيب العصبي ماجد، أما الثالث فمغربي الجنسية اسمه قدير أعتقد،

والرابعة كانت فرنسية والخامسة ألمانية والسادس البروفيسور البريطاني ألبرت هكذا يسمونه، البروفيسور فهو أستاذ جامعي".

"حسناً والمصريين تعرفينهم جميعاً جيداً، الذين هنا؟" بادرتها بسؤال، فأجابت:" لا ليسوا جميعهم بالطبع فأنا لم أتعرف على جميعهم بعد، فليس لي هنا سوى شهرين ولكني أعرف معظمهم أيضاً، هل تسألين عن شخص محدد؟"

" لا، أقصد في الحقيقة هناك أطباء غريبوا الأطوار وآخرين أعتقد أني رأيتهم من قبل، لا أتذكر أين؟! ولكن أعتقد أني أعرفهم" أجبتها على الفور، فقالت لي:" حسناً يمكنك إخباري بما يقلقك فربما ساعدتك" .

تململت في الإجابة في البداية ولكني أريد ربط الأحداث معاً لذلك أخبرتها:" أسأل عن ثلاثة أطباء؛ الطبيبة شيرين هل هي حديثة هنا أم قديمة؟! وما تخصصها؟! كل شيء عنها، والطبيبة النفسية التي جاءت إلى الغرفة من قبل وكنت معها في ذلك الوقت، والطبيب الذي جاء بإبرة وقام بحقنها في المحلول وكنت جالسة معي في الغرفة حينها" .

أخذت وقتاً طويلاً قبل أن تجيبني وبدا عليها التفكير العميق ثم قالت:" حسناً؛ الطبيبة شيرين اختصاصية نساء وتوليد جاءت معهم للغرفة لأنهم كانوا يشتبهون بوجود مشاكل في الرحم لديك نتيجة للحادث ولكن لم تتأذي الحمد لله، وهي نعم قديمة هنا؛ يقولون إنها تعمل هنا منذ عامين، أما الطبيبة سلوى النفسية فأنا لا أعلم عنها سوى أنها منتدبة لحالتك فقط، كما لا أظن أنها عربية من الأصل فلهجتها غريبة بعض الشيء ربما هي أوروبية وتتحدث العربية لا أعلم، ولكني أحاول الابتعاد عنها لأني أتعامل بحذر مع الأطباء النفسيين" .. قالتها بضحك

فأسرعت أسألها:" حسناً والطبيب الثالث، من هو؟" فنظرت لي مطولاً ثم قالت:" أحمد ربما كان هذا اسمه.. لا بل محمد.. حسناً لا أتذكر اسمه ولكنه، طبيب تغذية كان مسئولاً عنك في غيبوبتك الطويلة لا يبقى كثيراً هنا، فلديه عمل آخر يبقى منقسماً بينهما هنا وهناك ولا أعلم عنه سوى هذا، هل تريدين شيئاً آخر؟!"

لم أسمعها حين سألتني آخر سؤال فقد كنت أفكر في هذا الطبيب، فهو الدجال الذي كان في حلمي فكيف يكون طبيباً؟ ولكن في الحلم لم أسمعهم ينادون بعضهم بهذين الاسمين لا أحمد ولا محمد، لقد سمعت اسماً آخر لا أتذكره، ولكني متأكدة أنه ليس من ضمن هذين الاسمين" فكررت سؤالها مجدداً:" هل تريدين شيئاً آخراً، هااي أين شردتي؟!"

انتبهت أخيراً على سؤالها فأجبتها:" لا شكراً جزيلاً، لقد ساعدتني بما فيه الكفاية أشكرك ويكفي حديثاً كي لا أعطلك عن عملك، فربما يأتي الطبيب العصبي ويجرحك بالحديث مجدداً"، فضحكت قائلة:" لا تخافي فأنا أمرت أن أبقى هنا معك، أي لن يستطيع أحد توبيخي، لذا لا تقلقي" .. ظللت هكذا أفكر وأقلب الأفكار وحديث الممرضة عن الأطباء واسم الدجال الذي لا أتذكره في رأسي، ظللت هكذا حتى جاء وقت الزيارة فخرجت الممرضة وجاء رامي مرةً أخرى فقررت أن أحدثه عن حلمي وعن شكي في أولئك الأطباء.

رامي والصندوق:

ولكن رامي اليوم كان مختلفاً لم يكن بخير كأنه يخفي شيئاً عني، لم يدخل ضاحكاً كما عهدته بل كان قلقاً، ربما حاول أن يخفي عني قلقه لكني لاحظت تغير وجهه.

هناك شيئاً بالطبع يجول في خاطره، فأسرعت استفسر منه:" رامي أأنت بخير؟ لست كعادتك ما بك؟ هل هناك خطب ما بالمنزل؟ أخبرني ولا تخفِ عني شيء"، نظر لي بعينين دامعتين حاول جاهداً ألا يظهرهما لي:" لا شيء يا أختي، أنا بخير لا تقلقِ" .

" أنت تكذب هناك شيء بالتأكيد، أخبرني أرجوك ما الأمر؟" صرخت فيه، وهنا أطلق العنان لدموعه كي تغرق هدوئه المصطنع وقال بصوت يرتجف:" لقد أخذوا سرنا، لم أجده بحثت كثيراً عنه دون جدوى، أقسم أني خبأته في مخبئنا ولم يرني أحد ولكن عندما ذهبت لإحضاره لك لم أجده، لم أعثر عليه".

حاولت تهدئته وأنا ممسكة بيديه المرتجفتين حتى توقفت عن الارتجاف، ثم ربت على كتفه لأهدئه قائلة في حنان:" لا بأس لا بأس، فقط اهدأ وكل شيء

سيكون بخير، لا تقلق هيا أمسح دموعك تلك، وأخبرني من البداية وأعدك أن كل شيء سيكون بخير وسنجد ما تبحث عنه معاً، حسناً؟".

هدأ قليلاً مجففاً دموعه ثم قال لي:" حسناً هدأت ولكن لا أعلم كيف اختفى الصندوق؟ لقد خبأته جيداً ولم أخبر أحداً بمكانه، سأجن".

حاولت الفهم لكن دون جدوى فسألته مستفهمة:" عن أي صندوق تتحدث؟ " فأجاب على الفور:" الصندوق الذي أمنته عندي قبل يوم الحادث، ألا تتذكرين؟"، نظرت إليه بغير فهم:" لا ، لا أتذكر أية صناديق، فكما أخبرتك سابقاً لا أتذكر الكثير مما حدث لي، ولكن ما محتوى هذا الصندوق أتعلم؟" نظر لي بحزن:" لا فأنا لم أفتحه كما وعدتك، بمجرد إعطائك لي إياه خبأته فوراً في المخبأ".

حاولت استيعاب ما يحدث:" حسناً في البداية ذكرني بيوم ما قبل الحادث، ذكرني بما حدث بالضبط دون إهمال لأية تفصيل حتى لو كان صغيراً" .. بعدها بدأ يسرد لي اليوم بالتفصيل:" يومها كان الخميس_ كان إجازة_ لذا قررتي قضاء اليوم معي من بدايته؛ منذ الثامنة صباحاً حتى خروجك وقت الظهيرة لا أعلم إلى أين؟! ولكن عندما عدتِ مجدداً كنت متوترة قليلاً، وكان بين يديك صندوق ورقي ليس بالكبير جداً ولا الصغير، كان تقريباً في حجم الراديو الموجود بالصالون، حينها أخبرتني أن أخبأ الصندوق في مخبأنا السري وألا أريه لأحد إلا حينما تطلبي مني ذلك، وحذرتني من أن أنظر لما بداخله إلا إذا أردتي أنت هذا، وأنا حينها لم أسأل أو أعترض، لذا ذهبت فوراً وخبأته، وأكملنا باقي اليوم كالعادة، ولكن أذكر وقتها أنك لم تزيلي عينيك قط عن هاتفك المحمول، كأنك تنتظرين مكالمة مهمة أو ربما رسالة من أحد، لا أعلم ولم أرد وقتها إزعاجك بأسئلتي الكثيرة".

حاولت تذكر هذا اليوم ورامي يقص علي ما حدث تواتراً ولكن دون جدوى، لم أستطع كالمعتاد التذكر، ولكن ظل شيئين عالقين في ذهني أين ذهبت بعد الظهر؟ وما كان سبب توتري ومراقبتي لهاتفي باستمرار؟

حقيقة حاولت جاهدة كثيراً هذا اليوم تذكر ما حدث ولكن لم يحالفني الحظ بالتوصل لأي شيء، لم أحصل إلا على المزيد من آلام الرأس لذا استسلمت

وخلدت للنوم، كانت الساعة حينها حوالي الحادية عشر بعد ذهاب رامي لمنزله وخروج الممرضة.

حلمت حلماً كالمعتاد ولكن تلك المرة حلمت بيوم الحادث، كنت في طريقي للشقة ورأيت شخصين على دراجة هوائية لم أنتبه جيداً إلى أنهم كانا يراقباني، فأنا لا أعرفهم ولم أرهم من قبل، ولكنهم فجأة اقتربا مني وحاولا سرقة حقيبتي، فركضت فزعة بدون تفكير إلى أن وصلت للشقة ودخلت وقمت بإغلاق الباب بسرعة من خلفي، جلست على الأرض محاولة في تهدئة نفسي، بعدها طرق أحدهم الباب فنهضت فزعة خفت من أن يكون الطارق اللصين، اقتربت بسرعة ونظرت من العين السحرية ولكن لم أجد أحد.

فتحت الباب برفق ووقعت عيناي على ما هالني وصدمني، كانت جملة مكتوبة بلون الدماء على الباب لقد كانت بالإنجليزية "ستموتين".

صرخت عند قراءتها وانهمرت دموعي بكثرة على خدي، فخرج الجيران فزعين لصراخي، وفزعوا مما رأوه مكتوباً على الباب فحاولوا تهدئتي، ولكني لم أتحمل فسقطت مغشياً عليّ.

نهضت فزعة من حلمي صارخة:" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " وظللت أردد كلمة سأموت سأموت لدرجة أن الممرضة هلعت لصراخي، وركضت نحوي محاولة تهدئتي ومستفهمة لمآ حدث قائلة:" لا بأس لا بأس لقد كان كابوساً، أنت بأمان هنا ولكن ما الذي حدث في الحلم ولمَ كل ذلك الخوف؟!" نظرت إليها بعينين يملؤهما الفزع وانهمرت باكية محتضنة إياها؛ قائلة بصوت يملؤه الخوف:"لا تدعيهم يؤذونني أرجوك فما عدت أحتمل؛ لا أعلم شيء ولا أتذكر على الإطلاق ولكني ما عدت أحتمل المزيد بعد اليوم؛ أرجوك ساعديني فأنا لا أريد سوى أن يتوقف كل هذا" .

ظلت المسكينة عاجزة عن الحديث؛ لا تفهم ما أقول ولا عن ماذا أتحدث فاكتفت باحتضاني و التربيت على ظهري، حتى توقفت عن البكاء ولم تتوقف هي لحظة عن ترديد الأذكار والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ مرددة لأكثر من مرة بصوت يملؤه الرجاء:" لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم رب

الناس أذهب الباس لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم أحفظها من كل سوء ومن شر الشيطان ونصبه".

لم تتوقف لحظة حتى اطمأنت تماما من هدوئي وأنني بخير، تركتني مستلقية على الفراش وخرجت لرؤية الطبيب وإخباره عن حالي ذاك، وبعد نصف ساعة عادت ولكن ليس بمفردها فلقد جاء العصبي معها أعطاني إبرة وظل في الغرفة حتى أغمضت جفوني مرة أخرى وعندما فتحتهما، أول ما وقعت عليه عيناي كان هو_ذاك العصبي_كان يجلس بعيداً عني بجوار الباب، يراقب من بعيد وما إن التقت أعيننا حتى نهض مسرعاً، فتحدث مع الممرضة ثم خرج وقبل أن يخرج قال بصوت مسموع كفاية" سأمر بعد ساعة" ثم أغلق الباب خلفه وذهب.

تحدثت معي الممرضة واطمأنت عليّ فسألتني إن كنت بخير حقاً أم لا؟!
فطمأنتها أنني الآن أفضل من ذي قبل، فحمدنا الله سوياً وأكملت حديثها معي عن أشياء عديدة محاولة إبعادي عن التوتر، فلقد لاحظت أنها لم تسألني مجدداً عن الحلم ولا عن ما حلمت به فأعجبني هذا الأمر كثيراً، فبمجرد تذكر الحلم يتكدر صفو قلبي وأنا في تلك اللحظة لا أريد العودة للتوتر مجدداً.

الفصل السادس عشر:

ابتسامة أمل:

بعد مرور ساعة مر العصبي مرة أخرى كما وعد، تحدث مع الممرضة كالمعتاد مقترباً مني سائلاً إياي إن كنت أشعر بألم أو توتر أو قلق؟ فأخبرته بأني بخير الآن ولا أشعر بأي ألم سوى ذاك الألم المعتاد في ساقي وذراعي، وقبل خروجه نظر إليّ بوجه بريء قائلاً:" أعتذر إن كنت أزعجتك بحديثي سابقاً وأتمنى أن تسامحيني على حدتي وفظاظتي"، واعتذر للممرضة أيضاً ثم خرج تاركاً آثار ابتسامة معلقة في الهواء من خلفه، حقيقة لأكن صادقة لم تصدق أذناي ما سمعته ولكن قلبي أراد التصديق فصدق، فيبدو أن العصبي لين القلب كفاروق فسبحان مغير القلوب والأحوال.

تضاحكنا سوياً أنا والممرضة من الاعتذار المفاجئ للعصبي وأكملنا ثرثرة في توافه الأمور ولم تتركني هي إلا بعدما حل الليل، لذا خرجت لانتهاء مناوبتها المعتادة لهذا الأسبوع وذهبت لمنزلها وتركتني أكمل ليلي بمفردي، ولكنه كان أعجب ليل قضيته، فبعد دقائق ليست بالكثيرة سمعت رنات هاتف بالغرفة بحثت عنه بعيناي من حولي، وحمداً لله أنه كان بجواري على الفراش حتى لا أرهق جسدي المتعب أكثر، علمت بعدها أنه للممرضة، فحدثت نفسي:" يبدو أنها تعبت اليوم كثيراً لدرجة أن تنسى أخذ هاتفها؛ لطيفة هي منى_كان اسمها منى_ حسناً ليبقى هنا وتأخذه عندما تأتي صباحاً".

لم يتوقف الهاتف عن الرنين فقررت وبعد طول تفكير الرد فربما كانت منى تسأل عن هاتفها أو أحد أقاربها يحاول العثور على الهاتف، لذا أجبت مسرعة:"

أعتذر ولكن صاحبة الهاتف نسيت أن تأخذه وتركته بالمستشفى فإن ك..".. لم أكمل حديثي حتى سمعت ضحكات المتحدث لقد كانت منى:" حسناً لا بأس يا مي كنت أريد الاطمئنان من أني نسيته بغرفتك وليس بمكان آخر، من الجيد أنك مازلت مستيقظة ولم أوقظك، أم تراني أيقظتك باتصالاتي المتكررة؟ أعتذر حقاً ... ح .. فبادرتها مسرعة:" لا تقلقي فلم أكن نائمة" لتكمل في ارتياح:" حسناً لكم هو مريح أني لم أوقظك، حسناً اسمعيني إن اتصل أحد أجيبي وأخبريهم بأني نسيت الهاتف وسآخذه في الصباح، حسناً؟!" فأجبتها:" حسناً" فأكملت:" جيد .. اتفقنا والآن لن أطيل عليك، هيا تصبحين على خير" لأكرر لها جملتها:" تصبحين على خير".

وما إن انتهت المكالمة حتى تركت العنان لضحكاتي، ضحكت ليلها كثيراً لا أعلم إن كان بسبب موقف الهاتف الطريف أم لا، ولكني وقتها أردت التخفيف عن نفسي فاخترت أن أضحك حتى دمعت عيناي من كثرة الضحك، وتحول ضحكي لبكاء فبكيت حتى انتفخت جفوني وتورمت من كثرة البكاء، حينها ارتاح قلبي كأن حملاً ثقيلاً انزاح عنه.

لا أعلم متى اكتسبت تلك العادة الغريبة؛ أن أبكي بعد ضحكي، ولكني أظنها من إحدى الأسلحة الفعالة المنفسة عن آلامي وضيقي الداخلي.

وبينما أنا في صفوي هذا إذ بالهاتف يرن مجدداً فأجبت هذه المرة ضاحكة:" حسناً يا م .." لم أكمل لأن ما سمعته كان قد أوقف الحروف عن مجراها وجعل دقات قلبي تتسارع، فما سمعته كان أول مرة أسمعه في حياتي، لذلك لم أتوقع أن يكون له كل هذا الوقع في نفسي.

" أحبك".. هكذا قالها المتحدث بلغة إنجليزية عذبة وأنهى مكالمته.

ظللت هكذا ربما قرابة النصف ساعة مذهولة بما سمعته، أنظر للهاتف دون أن أتفوه بحرف واحد، فقط شعرت بسخونة تلفح وجهي فجأة، واحمراراً يصبغ وجنتاي كان كفيلاً بتأكيد هذا الشعور الحار.

لقد نبض قلبي فرحاً بمجرد سماع تلك الكلمة، " إذاً هذا هو الشعور بالحب كما يوصف في الأفلام؟!" هكذا حدثت نفسي بعد حالة الجمود التي وقعت فيها لم أستطع النوم بعدها.

ظللت أتقلب على الفراش يميناً ويساراً أفكر فيما سمعته، وأعيد صياغتها في ذهني كما قالها المتصل، ظللت أرددها مراراً وتكراراً بابتسامة إلى أن تنبهت لشيء كنت قد نسيته لشدة فرحي وتوهمي، وهو أن الهاتف لمنى وليس لي، إذاً المتحدث كان يقصد منى وليس أنا، خمد فرحي وأحسست بخيبة أمل بعد تذكر هذا.

" ليت هذا الشعور دام قليلاً بعد؛ لربما عوضني عن ما عايشته من حزن وألم ووحدة، حقاً إنها محظوظة، ليتها تسعد دائماً ويجتمعان سوياً" كنت أتحدث لنفسي ولم أنتبه إلى أنني، تركت الفراش متوجهة لخارج الغرفة، إلا حينما نادى عليّ أحدهم من خلفي بالانجليزية صارخاً ومكرراً للمرة الثانية:" هاي يا آنسة خيراً إلى أين في هذا الوقت؟" .

نظرت خلفي وأجبته بنفس لغته:" لم أفهم، ماذا تقصد؟" .

فرفع حاجبه ورمقني بنظرة كمن يتحدث مع مجنون ثم قال بشيء من السخرية:" هل أنت بخير؟ ما الذي لم تفهميه بالتحديد؟ أنت بالخارج!! خارج غرفتك بالليل لماذا؟".

حينها فقط فهمت مقصده عندما نظرت حولي ورأيت الباب من خلفي، فوجئت وأسرعت أخبره:" أعتذر لم أكن بوعيي حينما خرجت؛ حقاً أعتذر.

سأعود للغرفة ولكن.. لماذا تقف هنا بجوار غرفتي أليس مكان الأمن بالخارج، خارج المستشفى؟".

فأجاب في جمود وعلى وجهه علت ابتسامة ساخرة:" حسناً هكذا أمرت أن أحرس هذه الغرفة، فربما كنت مشهورة لدرجة أن تحرسك الشرطة، امم لا أدري أو ربما مجرمة متهمة بمحاولة قتل العشرات من المواطنين الأوروبيين!! أيهما أصح برأيك؟ "

صمتُ بعد رده ذاك فلم أستطع التحدث معه لشدة ذهولي بسبب حديثه معي بتلك القسوة، فاكتفيت بالركض دون الالتفات لآلام ساقي متجهة لغرفتي، وصفقت الباب بقوة من خلفي وافترشت الأرض و انهمرت في البكاء.

لا أعلم متى توقفت عن البكاء ولا متى غفوت، كل ما أعلمه أنني لم أستيقظ إلا وأشعة الشمس تغمر وجهي كله، فلم أستطع رؤية منى عند حضورها، ولم أعلم بذلك إلا عندما صرخت باسمي.

اعتدلت من نومي فزعة ووضعت كفي أمام وجهي كي أمنع أشعة الشمس من حرقه أكثر.

وقعت عيوني على وجه الممرضة منى التي بدت على وجهها علامات الذهول المختلطة بالفزع من حالي تلك وافتراشي للأرض ونومي، أسرعت ناحيتي وأخذت بيدي وساعدتني على النهوض والجلوس على الفراش قائلة لي بصوت حنون:" ما الذي حدث لك؟ لمَ تفترشين الأرض؟! هل غفوت الليل كله في مكانك هذا؟! ولمَ يبدو عليك الإرهاق والبكاء؟ من أزعجك لتلك الدرجة؟ هيا أخبريني يا مي؟ ".

لم أعلم بما سأخبرها فقد تساءلت بداخلي والعبرات تحاول الفرار من بين جفوني لتنسل بين الحين والآخر، فحدثت نفسي قبل أن أتفوه بكلمة أمام منى:" لا أعلم بماذا أبدأ؟! أبالاتصال الغريب وخيبة أملي، أم باتهامات الشرطي ومن قبله العصبي ومن قبلهم الطبيبة النفسية؟ أم بضياعي التام بين كل تلك الأحداث التي لا أتذكر منها سوى الإحساس بالألم والضياع وعدم الفهم".

لذلك قررت أن أتوقف عن البكاء أولاً، فكفكفت عبراتي المنسابة ببطء وحاولت رسم ابتسامة مصطنعة على شفتاي؛ لأني أكره الشعور دوماً بالضعف أمام الناس، لا أحب نظرة أحدهم بالشفقة لي لذلك أخبرتها على الفور:" لا شيء، فقط إنهاك ربما من البقاء بين أربعة جدران طيلة الوقت، ضقت ذرعاً فقط ولا شيء آخر، لا تقلقي علي فأنا بخير".

لم يبدو على وجهها الاقتناع بكلامي لكنها حاولت ذلك، فربتت على يدي قائلة:" حسناً إن كان الأمر هكذا فلا تحزني، ستخرجين من هنا بمجرد تحسن صحتك،

وزوال الخطر من عليك؛ فقط كل ما تحتاجينه الآن هو الصبر وألا تستسلمي لآلامك، وأنا موجودة هنا، فإن احتجت لباب محكم الإغلاق لأسرارك فأنا هنا لا تقلقي أبداً، ومتى أردت الحديث نادني وستجدينني خير مستمعة لك، والآن لنحضر إفطارك وأدويتك لتتحسن حالتك سريعاً".

"إنها بلسم" أخبرني قلبي بهذا بعد حديث منى معي، حقاً إن حديثها يخفف كثيراً، ذكرتني بمريم وحديثها اللطيف معي، "ليتك هنا معي الآن يا مريم ربما صرت بخير إن رأيتك"، نطقتها بصوت مسموع ولكن لحسن حظي أن الممرضة لم تعد بعد من الخارج؛ بعد تناولي الفطور وأخذ الأدوية طلبت من منى أمراً ورجوت الله أن توافق على طلبي هذا، نظرت إليها أفكر ملياً ثم تشجعت وأخبرتها أخيراً:" منى أريد منك شيئاً، لدي طلب صغير منك أرجو أن توافقي عليه"، ابتسمت وأجابتني بلهفة:" طبعاً، أطلبي ما شئت وسأحاول على قدر الإمكان تنفيذ ما استطعت".

فتململت في البداية ولكن سرعان ما تشجعت فأخبرتها:" حسناً، لقد ضقت ذرعاً بهذه الغرفة وأريد أن أستنشق هواءً عليلاً، فهل أستطيع الخروج قليلاً للخارج؟"، نظرت لي وعلامات الحيرة تظهر جلياً على وجهها، صمتت دقائق ثم قالت:" أممم، الحقيقة لا أعلم إن كان بإمكانك الخروج للحديقة أم لا، لم يخبرني أحد بما يجب وما لا يجب خارج حدود هذه الغرفة، ولكن سأخرج الآن وأطلب الإذن من المسئول وسأعود، اتفقنا؟".

خاب ظني في بداية حديثها ولكن سرعان ما حاولت التشبث بجدران الأمل، فلعل وعسى أستطيع الخروج بعد إلحاح منى على المسئول ذاك فأجبتها بأمل:" حسناً اتفقنا سأنتظرك" ، خرجت الممرضة ربما ظلت بالخارج نصف ساعة أو أكثر بقليل، والأفكار تتناطح بفكري بين يأس وأمل، إلى أن أتت وأحضرت الجواب معها، فهيا أخبريني لنرى إن كان خيراً أم شراً..

ركضت نحوها بعرجة خفيفة وسألتها بسرعة لم أمهلها ثانية حتى تستريح:" هيا أخبريني أنهم وافقوا على خروجي أرجوك"، ظلت صامته ونظرت لي بعينين يملؤهما الحزن، ترددت في البداية لكنها قررت أن تتحدث أخيراً:" حسناً لأكون

صادقة معك لقد حاولت كثيراً معه ولكن دون جدوى، أعتذر كثيراً يا مي فلقد رفض أن تخرجي بمفردك".

خاب أملي لحديثها فتوجهت للفراش وجلست عليه حزينة، كدت أبكي لولا سماعي لضحكاتها المتواصلة وتصفيقها بيديها.. نظرت إليها بغضب لسخريتها من حزني وكدت أصرخ فيها لولا أن بادرتني بضحكات قائلة:" حسناً حسناً لقد خدعتك، لقد وافق المسئول على خروجنا سوياً للحديقة ولكن بشرطين: الأول أن يرافقنا الحارسان اللذان بالخارج، والثاني أن لا يتعدى خروجنا ساعة؛ مسموح لنا بساعة أو أقل فقط بالخارج، اتفقنا؟" لم أصدق ما سمعت، فقط قفزت فرحة من مكاني بدون التفكير في آلام قدماي واحتضنت منى ولكزتها على كتفها لخداعها لي، وبسرعة نظمت نفسي وخرجنا.

تنفست الصعداء موجهة حديثي لمنى:" لا أصدق وأخيراً أستطيع أن أتنفس بحرية، فالهواء عليل جداً والمكان فسيح أفضل من الغرفة بكثير، شكراً يا منى".

نظرت لي منى بسرور قائلة:" حسناً.. لم أفعل الكثير بل هو من فعل، ولكني مسرورة لأنك أفضل الآن..هيا لنذهب ونجلس هناك على الطاولة". ركضت كالصغار ودرت حول الطاولة حتى ضحكت منى وأقسم أني رأيت أحد الحارسين يبتسم خلسة.

جلسنا على الطاولة وظل الحارسان واقفين بجوارنا، لم أحبذ وقفتهم تلك كأنهم غرابيب فوق رؤوسنا، لذلك نظرت لصاحب الابتسامة المختلسة وطلبت منه أن يجلسا بجوارنا، فهناك المزيد من المقاعد كما أن وقوفهما هكذا ليس محبباً ومتعباً قبل كل شيء، ولكن الآخر نظر لي شذراً وقال بجمود وبلكنة عربية ركيكة:" لا نأخذ الأوامر إلا من رؤسائنا ولا نأخذها من الآخرين، وخصوصاً المجرمين".

كان حديثه ذاك كالسهم الذي أصاب قلبي فأدماه، لم أتحدث معه ولم أنظر حتى إليه وحاولت تهدئة نفسي ومنى أيضاً هدأتني، فنظرت للمبتسم قائلة بشيء من السخرية وأنا أقصد الآخر بحدتي:" حسناً لا يهمني ممن تأخذون الأوامر، لكن أعلم أن البشر ما خلقوا إلا أحراراً وليسوا عبيداً للآخرين، لا يهمني إن جلستم أم ظللتم واقفين، افعلوا ما يحلوا لكم حتى إن أردتم العقوا أحذية رؤسائكم".

أنهيت خطابي ونظرت لمنى التي كتمت ضحكها ولم أكترث لهما، ثم بدأنا في الدردشة متجاهلة نظراتهم وبعدها نهضنا لنتجول في الحديقة قليلاً مستمتعة بجمالها وبهاء أزهارها، حتى انقضت الساعة وعدنا للداخل مجدداً.

حزنت لعودتي إلى الغرفة سريعاً لكن منى طمأنتني قائلة:" لا تحزني سنخرج غداً مجدداً وبعد غد وبعد بعد غد وهكذا".. هذا طمأنني قليلاً وقبل أن ألج للداخل لم أر سوى حارساً واحداً خلفنا وهو المبتسم أما الآخر فلا يوجد، لم أهتم لأمره كثيراً وعدت للداخل مع منى التي بدورها ما إن دخلت أعطتني الدواء ثم خرجت لتكمل عملها، فلقد تحسنت صحتي إلى حد ما وقل احتياجي لممرضة معي طوال اليوم، لكن أحزنني بقائي وحيدة.

فلقد اعتدت على منى كثيراً، حتى رامي لم أره منذ يومين لا أعلم أهو بخير حقاً كما يدعي في الهاتف أم لا؟ وهل يستذكر دروسه جيداً ويجيب جيداً على الاختبارات أم لا؟

"حقاً لقد اشتقت إليك يا رامي"... هكذا حدثني قلبي، وبينما أنا مشغولة البال هكذا إذ أقبلت منى بسرعة أعطتني الهاتف وخرجت مجدداً، لقد كان رامي.

حقاً كما يقولون:" جبنا سيرة القط جه ينط"

تحادثنا طويلاً، سألته عن المذاكرة والاختبارات وإن كان أجاب جيداً أم لا، تحدثنا كثيراً قرابة الساعة، ثم أنهى المكالمة بعد إلحاحي بأن يعود لمراجعاته ومذاكرته كي لا يؤلمه رأسه من ثرثرتي الزائدة..

انتظرت منى كثيراً كي تأتي وتأخذ هاتفها لكنها لم تأت، غفوت وأنا أنتظرها وعندما استيقظت في وقت العصر كي أصلي لم أجدها أيضاً، فلقد أتت ممرضة غيرها لتعطيني الإبرة_ كانت أجنبية_ لم تجبني عند سؤالها بالعربية عن منى فخمنت أنها لا تتحدث العربية، لذا سألتها بالإنجليزية:" عذراً، ولكن أين الممرضة الأخرى؛ منى؟" لتجيبني بعدم فهم:" أنا حقاً لا أعلم".

اندهشت لعدم مرور منى ولمرور هذه الممرضة مكانها؛ شعرت بداخلي بحدوث خطب ما بمنى، ولكني دعوت الله أن تكون بخير وأن تكون فقط مجرد تغيير مناوبة و ورديات لا أكثر أو شيء من هذا القبيل، لكم هي مملة تلك

الممرضة حتى إنها لا تبقى كثيراً بعد دوائي أو حقني بالإبرة، سرعان ما تخرج لا تأت إلا في مواعيد الدواء.

إنتهى اليوم ولم تظهر منى بعد حتى إنها لم تهاتفني، ولم تتصل لتطمئن على هاتفها الذي بقي معي.

بدأت أقلق عليها وبدأت الأفكار السيئة تجول بخاطري، لم أستطع النوم فنهضت وخرجت، سألت الحارس إن كان يعلم عن مكان منى أو يعلم لمَ تغيرت مناوبتها هذا اليوم؟! ولكنه لم يفدني بشيء فقط اكتفى بهز كتفيه لعدم علمه، واكتفى الآخر بتولية ظهره لي ولم يتحدث بأي حرف مما أغضبني، لذلك دخلت وصفقت الباب بقوة من خلفي، جلست على الفراش بملل وثبت عيناي على الهاتف منتظرة أن تتصل منى من أي رقم وتطمئنني على نفسها ولكن طال ذلك كثيراً.

خلدت للنوم ولم أشعر بذلك إلا اليوم التالي صباحاً، حينما دخلت الممرضة الأجنبية مرة أخرى ومعها الإفطار والدواء فأخبرتها بشيء من الضيق:" لن آخذ أية أدوية ولن أتناول حتى الإفطار، إلا إن أخبرتني بالحقيقة، فقط الحقيقة!!".

حاولت معي كثيراً أن تجبرني على تناول الإفطار، كي آخذ بعدها أدويتي، ولكنها فشلت لذلك خرجت وأتت مع العصبي _أقصد الطبيب العصبي_ الذي جاء كالمعتاد صارخاً عليّ:" لماذا ترفضين تناول الإفطار؟ ولمَ تصرين على عدم تناول الأدوية؟".

نظرت إليه بغضب وصرخت أنا الأخرى:" لن أضع في فمي شيء حتى تخبروني أين منى؟! ولمَ أتت هذه الممرضة محلها؟"، أخذ شهيقاً بغضب بدا كتنين يستعد لنفث نيرانه ثم زفره بقوة قائلاً في حدة:" لن تأتي مجدداً إلى هنا، فلقد تغيرت المناوبات وتغيرت الأماكن، نقلت لقسم آخر وهذه الممرضة "جيني" أخذت مكانها هنا" ..

لم أصدق ما سمعته وحزنت على نقل منى لمكان آخر، فوجهت حديثي بحزن للعصبي:" أهذا بسببي، بسبب غضبي من الحارس، أليس كذلك؟ تعاقبوني بمنى ولكن هذا ظلم!! عاقبوني بأي شيء إلا منى أرجوكم، لا تفعلوا هذا بي لقد اعتدت عليها كثيراً، فأنا لا أجد هنا من أحدثه ورامي مشغول باختباراته".

نظر لي العصبي بعينين تملؤهما الشفقة وقال في هدوء:" لا ليس عقاباً أو ما شابه هذا عملها كممرضة، تأتي حسب عملها وتذهب أيضاً حسب عملها؛ ليس شيئاً شخصياً بل هي وظيفة وارتباطات، الآن تناولي فطورك وخذي أدويتك ولا تعذبينا أكثر".. ثم ذهب وترك الممرضة جيني معي حتى تتأكد من تناولي الإفطار وشرب الأقراص لتذهب بعده هي الأخرى.

" لقد عدت وحيدة مرةً أخرى" حدثت نفسي وقلبي يعتصر ألماً ودموعي مغرقة وسادتي، لم أنهض من الفراش إلا للصلاة حتى لم أخرج إلى الحديقة عندما أتت لتأخذني جيني، فضلت البقاء في الغرفة باقي اليوم أنظر لهاتف منى وأبكي، حتى أني كنت أحدث الهاتف وأعاتبه وكأنه بشر يسمع ويرى.

حاولت إقناع نفسي أنها ستأتي لتودعني حتى أو ربما لتأخذ هاتفها فهي بالطبع لن تتركه هنا، لابد أن تأتي وتأخذه لكن مر يومان ولم تأتي بعد، ظللت هكذا أربعة أيام متواصلة لا أنهض من على الفراش إلا للصلاة ولا أخرج للحديقة، ولا حتى أتحدث مع الممرضة ولا أرد على رامي عندما يهاتفني أو أتحجج بالنعاس، فأغلق المكالمة سريعاً، لم أستطع التحمل فكل من يقترب مني يبتعد فجأة؛ لذلك استسلمت ليأسي من جديد، حتى إن صحتي بدأت تضعف بسبب حزني المتواصل حتى طغت على وجهي هالات سوداء أحاطت عيناي واصفرار غطى وجهي بالكامل وشحوب..

"لقد تحطمت كلياً؛ وإن ظلت هكذا ستعود حالتها للصفر كما كانت"، نطقها الطبيب للعصبي بحدة الذي بدوره دافع عن عمله:" حاولت معها كثيراً صدقني ولكن دون جدوى، حتى إن الممرضة جيني حاولت معها أيضاً، ترفض الخروج أو ترك الفراش، لا تنهض إلا للصلوات، حتى إن طعامها بات قليلاً تتناوله فقط لتأخذ الأدوية بعده، حاولت معه ولكنه رفض العدول عن رأيه هو مصمم على قراره، لا أعلم ما الذي سأفعله لذلك هاتفتك".

كانا يتحدثان عني ربما، لم أكترث لحديثهما بل لم أكترث من الأساس لوجودهما؛ بت متفرجة الآن أشاهد عن قرب ما يحدث لي ومن حولي دون التدخل في شيء، فليفعلوا ما يريدون لن أبالي بعد الآن..

لم أنتبه لصمتهم إلا بعد مرور زمن يسير من الوقت، عندما حاولت الممرضة جيني حقني بإبرة وقتها نظرت حولي فلم أجد لهما أثراً، لقد ذهبا بعد مشهد الصراع الشفهي الذي دام قرابة النصف ساعة، رحلا دون أن أعلم سبب الصراع أو نتيجته، وكذلك رحلت هي بدورها خلفهم وعدت لوحدتي مجدداً.

لم أكد أغمض عيناي عندما سمعت صراخاً بالخارج كاد أن يفتك بطبلة أذني، لقد كان هو نفسه صوت الطبيب الذي كان يتجادل منذ قليل، أتى مع العصبي، دخل الغرفة بغتة وتقدم نحوي قائلاً بلهجة آمرة امتزجت بالغضب:" هيا انهضي سنخرجك من هنا والآن، هااي ياا حارس ناد لي الممرضة لتأتي في الحال".

ثوانٍ قليلة وجاءت جيني أنهضتني من على الفراش بعد مقاومة مني بعدم تركه، وأمسكت بيدي لتجبرني على الوقوف ولكني رفضت الوقوف أو بمعنى آخر ساقي من رفضت الاستقامة وأبت فصرخ فيّ الطبيب

الفصل السابع عشر:

حرية إلا القليل :

:" ققي الآن وإلا تركتك هنا حتى تتعفن جثتك وأنت على قيد الحياة، هيا انهضي لنخرج من هنا"، أجبرت على إطاعته رغماً عني، فسرت مع الممرضة التي أمسكت بذراعي جيداً وخرجنا من الغرفة إلى الممر ثم المصعد حتى الأسفل ثم إلى الخارج.

وقبل أن تخطو قدمي لداخل سيارة الإسعاف وصل طبيب آخر كبير بالسن إلى حد ما ومعه حراس؛ منهم الحارسين المسئولين عن حراسة غرفتي، ومن خلفه العصبي ساكن جامد لا يتكلم حتى أشار العجوز بيده للطبيب بالتوقف صارخاً فيه بالإنجليزية:" توقف الآن وإلا ندمت!! .

"حاول الحراس إيقاف الطبيب وإعادتي للداخل مجدداً، ولكن صراخ الطبيب فيهم جمد حركتهم، فلقد صرخ فيهم محذراً بنفس لغة الآخر:" ابتعدوا عنها هيا، فإن حاول أي منكم الاقتراب منها سيندم!!".

تعجبت من لهجته الشديدة ولست أنا فقط من تعجب وصدم، فلقد توقف الحراس بالفعل وانسحبوا للخلف، وتركوني أدخل لسيارة الإسعاف برفقة جيني وقبل أن يغلقوا باب السيارة، سمعت ورأيت الطبيب وهو يصرخ في الطبيب الأوروبي المسن ويحذره بإصبعه، ولكن لم أسمع ما قاله له، فلقد أغلق الباب وما هي إلا ثوانٍ حتى تحركت السيارة.

لا أعلم ما الذي حدث للتو ولا سبب خروجي من المستشفى؟ وإلى أين سيأخذونني ومن هذا الطبيب؟ ولِمَ كل هذا الصراخ الذي كان قبل قليل؟ لا أعلم

شيء حتى إن الممرضة لم تتحدث معي، فقد اكتفت بالتربيت على كفي قائلة بالإنجليزية:"' لا بأس!!" .

أغمضت عيناي طيلة الطريق ولم أفتحهما إلا عندما توقفت السيارة و وهبطت منها، لم أعلم أين أنا؟ إلا حينما رأيت منى أمامي وبجوارها رامي، وهنا ركضت نحوهما محتضناهما باكية راجية منهما ألا يتركاني مجدداً أعود لتلك المستشفى، بكيت حتى هدأت روحي المضطربة وتوقف قلبي عن الأنين بكيت حتى ارتحت وارتاح عقلي من كثرة التفكير، لم اكترث لإظهار ضعفي أمام الآخرين فقط شعرت بضرورة البكاء حتى ترتاح روحي..

لا يهم المكان ولا الزمان طالما من أحبهم بجواري وحولي؛ وما إن زال الشوق بين ثلاثتنا حتى ولجنا للداخل.

كان البناء مكوناً من ثلاثة طوابق ملوناً باللونين البني والأصفر، صعدنا للطابق الثاني الذي كان عبارة عن؛ شقة واسعة علق خارجها لوح خشبي منقوش بداخله" جمعية الرحمة للجالية المسلمة " وما أن وطأت أقدامنا للداخل حتى ركض إلينا الجميع من نساء وأطفال وكبار في السن، جميعهم التفوا حولنا مرحبين بحفاوة لم أعهدها من قبل.

لم أفهم لمَ كل هذا الترحيب؟ ربما لتركي المستشفى ولتعافي ولكن هل أعرف كل هؤلاء؟ فأنا حقاً لا أتذكر أياً منهم؛ نظرت يميني على منى بنظرات فهمتها هي جيداً فاكتفت بهز كتفيها لأعلى بأن" لا تعلم من هؤلاء "، ثم نظرت على يساري حيث رامي فأجاب بمثل ما أجابت به منى، ولكنه ابتسم فرفعت حاجبي تعقيباً على ابتسامته تلك ولسان حالي يسأله ما بال ابتسامتك هذه؛ لابد من إنه يخفي شيئاً ما عني.

وأثناء تلك المعمعة وهذه الجلبة، وصل الطبيب آمراً الجميع بالهدوء وترك مساحة لنا قائلاً بوجه بشوش غير الذي كان عليه منذ دقائق:" عذراً على المقاطعة على هذا الترحيب الحار ولكن يجب على ضيفتنا الراحة في غرفتها، لذا أشكركم على تعاونكم وترحيبكم اللائق وفرحكم، ولكن إن سمحتم فلتفسحوا لها مجالاً للتنفس بحرية، هيا فليذهب الجميع إلى عمله، وأعدكم أن تجلسوا معها

كما تريدون ولكن بعد راحتها فهي لم تتعافى جيداً كما تعلمون؛ وأجدد الاعتذار مرة أخرى إن كنت أزعجت أحداً منكم بدون قصدٍ مني".

أبدى الجميع تعاونه لحديث الطبيب وذهبوا لأعمالهم، ثم أشار الطبيب لمنى فأدخلتني لأول غرفة في الممر على يسار الباب وجاء معنا رامي وجيني؛ لم أفهم شيء مما حدث لذلك أجلت الاستفسارات قليلاً حتى بقائنا بمفردنا في الغرفة.

وما إن دخلت الغرفة حتى تنفست الصعداء، وبدأت الأسئلة تتناثر من فمي هنا وهناك عل أحدهما يجيبها إجابة صحيحة كي يرتاح داخلي، لذلك بدأت بالأسئلة وأنا على الفراش جالسة:" أين أنا؟ ولمَ تركت المستشفى؟ ولمَ أنت هنا يا منى؟ وأنت يا رامي أليس من المفترض أنك في أيام اختبارات ما الذي جاء بك هنا؟ ومن هذا الطبيب الذي بالخارج ومن هؤلاء؟"، أجابتني منى بابتسامتها المعتادة:" حسناً إهدأي قليلاً سأجيبك على جميع أسئلتك لذا لا تقلقي.

أنت كما قرأت منذ قليل بالخارج في "جمعية الرحمة للجالية المسلمة"، وتركت المستشفى لأن حالتك هناك تسوء ولا تتحسن، أنا هنا ممرضة فهذا عملي كما تعلمين، وجئت هنا لمراقبتك ومرافقتك مع جيني بالطبع إن أرادت.

أما عن الطبيب فهو"رائد" سوري الجنسية، مسئول عن حالتك منذ تلك اللحظة، أما هؤلاء بالخارج فهم كما خمنت الجالية المسلمة، في هذا المكان وليس جميعهم أعتقد وكما لاحظنا جميعنا منذ قليل أنهم فضلوا الترحيب بك والاطمئنان عليك عندما علموا بمجيئك هنا، أما السؤال المتعلق برامي فهو خير من يجيبك عليه".

اقترب مني رامي ضاحكاً وهو عاقد كفيه خلف رأسه وقال بصوته الطفولي الهادئ:" لا تقلقي يا أختي فأنا أنهيت اختباراتي، لذلك تفرغت لك كلياً وسأظل هنا معك إن لزم الأمر وإن احتجت لي ستجديني فوق رأسك".

ضحكت لخفة ظل رامي وارتحت إلى حد ما من حديث منى، وتركتهم يتحدثون سوياً هي وجيني بالإنجليزية لكي توضح لها ما يجب والمطلوب فعله،

واستلقيت على الفراش وبجواري رامي على الكرسي يقلب في هاتفه، بدا كأنه يبحث عن شيء بعينه.

شردتُ فيهم فأنظر تارةً لمنى وجيني مبتسمة وأراقب حديثهم وحركاتهم وألتفت تارةً أخرى لرامي_الذي كان يعبث بهاتفه، وأراقب تعابير وجهه وابتسامته التي يطلقها بين الحين والآخر وحركات وجهه..

"كم أنا محظوظة لامتلاكي أخاً مثله ورفيقة مثل منى؛ ربما تعرفت عليها منذ أيامٍ قلائل، لكنها نجحت في توطن قلبي بجدارة".

وبينما أنا في شرودي ذاك إذ بي أتذكر فجأة هاتف منى، الذي بقي معي فأخرجته من جيبي ونهضت منادية على منى:" صحيح لقد تذكرت هاتفك، تفضلي لقد تركته معي قبل رحيلك ولكن لماذا لم تخبريني قبل رحيلك وتودعيني؟ لماذا تركتني هكذا بلا علم حتى أحزنتني؟!".

فنظرت لي منى بحنان واقتربت مني قائلة:" أعتذر كثيراً على الذهاب هكذا دون إخبارك لكني أجبرت على الذهاب لقسم آخر، لقد طلب مني الرئيس ترك القسم والتبديل مع جيني، حاولت الاعتراض ولكن لم أستطع، فلقد حذرني من إنشاء علاقات مع المرضى، لذلك أجبرت على تغيير القسم، أردت المجيء صدقيني أكثر من مرة لكنه كان يراقبني جيداً، أنا متأسفة حقاً يا مي".

أعلم صدقها لذلك أخبرتها:" لا تعتذري فأنت لم تخطئي في شيء بل أنا من عليه الاعتذار لتعريضك لمثل هذا الموقف، اعذريني يا منى".

اقتربت مني واحتضنتني قائلة:" لا تقلقي لن يتكرر هذا ثانية ولن أتركك أبداً حتى بعد تعافيك، سأظل معك رفيقة وصديقة إن أردت". كم ارتاح قلبي لجملتها تلك، صحيح أني لا أتذكر شيئاً بعد عن عائلتي، ولكن الله في تلك اللحظة رزقني برفيقة صالحة كمنى، أرجو من الله أن يحفظها ويسدد خطاها ويسعد قلبها كما أسعدت قلبي بعد أن كان حزيناً جريحاً..

وفي منتصف رفقتنا تلك نظرت إلى الهاتف وقالت:" هذا ليس هاتفي فهاتفي معي، إنه هاتفك أنت؛ لقد أعطاني إياه رامي عند قدومه للمستشفى، وعندما علم

بتحسن حالتك طلب مني أن يبقى هاتفك معي في حين أردت محادثته أو أراد هو أن يحادثك".

نظرت إليها غير مصدقة:" ولكن كيف؟ لقد كان معك دائماً وماذا عن كلمة المرور كيف كنتِ تعلمينها وهو ليس لك؟"

فأشارت على رامي وأخبرتني:" هو من غير كلمة المرور لتكون اسمك، لذلك كان من اليسير عليّ أن أفتح الهاتف قبل أن أعطيه لك، لكني لم أنظر إلى ما بداخله أو أعبث به صدقيني"، قالت آخر كلمتين برعب فلم أستطع إمساك ضحكتي وأطلقت لها العنان، لتنظر هي لي وينتبه لنا رامي ويضحكان سوياً دون أن يعرف سبب ضحكنا، حتى أن جيني التي لم تفهم حرفاً مما قلناه ضحكت هي الأخرى، ضحكنا حتى آلمتنا معداتنا، بعدها نهض رامي ليودعني ويرحل لمنزله ووعدني أن يأتي غداً مع والديه وخرجت معه منى وجيني ليتركاني أستريح قبل موعد الطبيب بعد ساعتين ليفحصني مجدداً حتى يتأكد من تعافي بالكامل..

ظللت أتقلب على الفراش أحاول إغماض جفوني ولكنهما أبتا الإغماض فظللت أتقلب" .....

الفصل الثامن عشر:

تشتت وحيرة :

استيقظت مي فزعة لصوت ارتطام في الخارج، لتخرج من أحلامها تلك لتجد نفسها في غرفة غير غرفتها ومكان ليس بمنزلها، حتى أنها حاولت الصراخ منادية على صديقتها فلم تفلح لتكميم فمها، ورؤية نفسها مقيدة كما كانت بالأحلام وكما سمعت من قصة مي بلسان الفتاة الغريبة بخارج منزلها..

لم تفهم أو تعي ما يحدث لها حاولت النهوض من على الفراش فلم تستطع، إلى أن تنبهت لصديقتها مقيدة مثلها بجوارها وغارقة في سبات طويل والدم يسيل من رأسها.. فزعت لحالة صديقتها تلك وحاولت الهمهمة علها توقظها من سباتها وتتأكد بأنها بخير.. حاولت تحريك جسدها لكنها كانت مثبته بمكانها لا تستطيع الحراك.. نظرت حولها علها تعلم أين هي؟ يبدو المكان مألوفاً جيداً لها لقد رأت مثل هذا المكان من قبل، ولكن أين لا تتذكر؟

كانتا في غرفة بحجم غرفتها، مظلمة إلى حد ما، تملؤها الغبرة من رائحتها وعطسها المتكرر وإحساسها بالاختناق.. بالغرفة دولاب متوسط الحجم تعلوه بعض الأوراق المكدسة فوق بعضها بدون اهتمام، وعلى الأرض أوراقاً أيضاً ملقاة، يبدو أنه من كثرة تكدس الأوراق فوق الدولاب تساقط بعضاً منها على الأرض.

الباب مغلق والأنوار أيضاً مغلقة ولكن، ضوء النافذة المفتوح قليلاً هو ما أعطى تلك الإضاءة الخافتة، لا توجد شمس إذاً ربما هو وقت العصر أو قبل الغروب بقليل ربما، الفراش المستلقيتان عليه يبدو مهترئاً والخشب متصدع كذلك الحوائط، لا توجد بالغرفة مروحة أو حتى شيئاً للتهوية، لذا لا عجب بشعور مي بالسخونة قليلاً..

تنبهت مي لاقتراب أصوات أقدام من الغرفة تلتها أصوات شجار؛ إنهم ليسوا عرب؟ هكذا استدل عقلها من لهجة المتشاجرين، اقترب الشجار حتى وصل لخلف الباب.. وما هي إلا لحظاتٍ قليلة حتى فتح الباب ليظهر مسببوا تلك الضجة ومرتكبوا ذاك الاختطاف.. ثلاثة رجال ملثمين لا تظهر منهم سوى أعينهم ويبدو أنهم بيض البشرة.. اقترب أحدهم من مي التي سارعت بتمثيل الإغماء قبل دخولهم الغرفة، وقام بلمزها بيديه وإزالة ما كمم به فمها لتستيقظ مظهرة التفاجؤ بمكانها لتصيح بصوت مرتجف:" أين أنا؟ ومن أنتم؟ ولمَ

اختطفتمونا؟"، ليبادرها أحدهم بلهجة عربية ركيكة ساخطة:" أنتم في الجحيم يا عزيزتي، ونحن الشياطين التي ستعذبكم" فنطق الحاء هاء والعين ألف والطاء تاء..

ثم ضحك ضحكة ساخرة تبعه فيها الاثنان الآخران .. مما أغضب مي التي بصقت على وجهه قائلة بحنق:" عليكم اللعنة أنتم وجهنمكم تلك، لن تفلتوا من العقاب صدقاً لن يفلت أياً منكم".

ليصفعها ذاك المتحدث بصفعة كادت أن تطير رأسها من عنقها، لينساب خيطاً من الدماء من فمها، ويسرع ليضع شريطاً لاصقاً على فمها كي لا تصرخ طالبة النجدة .. ليخرجوا ويتركوها في ألمها ذاك الذي أحدثوه في وجنتها ورأسها وروحها من قبلهما..

شيئاً ما في صوت ذاك الأرعن ذكرها بشيء.. نعم لقد سمعت ذلك الصوت من قبل أين!! لا تتذكر؟ حاولت عصر ذاكرتها لكن دون جدوى.. بررت عدم تذكرها بأنه لم يتحدث كثيراً لذلك لم تستطع تذكره، ربما لو تحدث قليلاً بعد لتذكرت صوته.. تناست ألمها ذاك ونظرت مجدداً لصديقتها وهي تهمهم باسمها "منى.. منى استيقظي"... لكنها لم تلبى النداء حينها دب الفزع بقلب مي و أكد لها عقلها الباطن بأن صديقتها ربما فارقت الحياة، فذرفت مي سيلاً من الدموع وهي تهمهم باسم صديقتها، وظلت تبكي دون توقف، وتعالى نحيبها مما جعل أحد الثلاثة ملثمين يعود للغرفة مجدداً، ليصفعها صفعةً أقسى من سابقتها فتدور الغرفة من حول مي وتسقط مغشياً عليها نتيجة لقوة كفه الغاشمة..

رأت مي سيدة تقترب منها بلطف مبتسمة، بدت من ملامحها كامرأة أجنبية ثلاثينية العمر، مسلمة ترتدي حجاباً أزرق اللون وتمسك بيدها طفلة في التاسعة ربما.. اقتربت منها بلطف، ومدت إليها يدها لتلمس وجنتها بيدها الدافئة ثم احتضنتها وهمست في أذنها:" لا تخافي فنحن نعلم ببراءتك، عليك المواجهة والتحمل، فقط لتبرئة نفسك عليك؛ بالمواجهة والمحاربة ". ثم ابتعدت عنها وغادرتها هي والطفلة...

كان هناك صوتاً مكتوماً يعلو من حولها، نظرت يميناً ويساراً تبحث عن مصدر الصوت لتجد منى صديقتها.. وفجأة استيقظت مي على صوت همهمة منى

بجوارها، فتحت عينيها غير مصدقة، لشدة فرحها دمعت وبدأت تجهش بالبكاء مجدداً وهي تردد داخلها " الحمد لله .. الحمد لله ".

نظرت إليها صديقتها مستغربة مكانهما ووضعهما ذاك، لتجيبها مي بهز كتفيها وتشير برأسها ناحية باب الغرفة، لتصمت منى وقد فهمت ما تقصده صديقتها، لتنظر الأولى نحو الباب دامعة العينين مرددة بداخلها:" اللهم أنجدنا ".

ظلت الفتاتان على حالهما ذاك ربما قرابة النصف ساعة، حينما تكرم أحد الخاطفين ودخل الغرفة لرؤية إن كانتا استيقظتا أم لا، ليخرج مسرعاً منادياً للأخرين.

دخلا اثنان منهما صاحب اللغة العربية الركيكة الذي اقترب من منى، ممسكاً برأسها حيث سال الدم منها ليتحدث شامتاً:" إنه غباؤك الذي أصابك بتلك الضربة الموجعة، لو لم تحاولي المقاومة لما أصابك كل هذا الضرر، كم أنتم أغبياء يا مسلمين".

ثم توجه بالحديث لصديقه بلغة لا تعلمها أياً من الفتاتين، ولكن يبدو من حديثهما أنهما يتحدثان عنهما أو ما سيفعلونهما بهما، لنظراتهم إليهما بين الحين والآخر .

أخرج الأرعن هاتفه الجوال وطلب رقماً، ثم تحدث مع صاحبه بصوت عالٍ فبدا كأنه يتشاجر مع من يهاتفه، وتأكدت مي من الشجار عندما أغلق الهاتف بغضب وألقاه أرضاً، ليوجه الحديث مجدداً لرفيقه، الذي خرج بعدها وأتي مرةً أخرى وبحوزته مغلف أصفر ممتلئ وتوجه الآخر نحو النافذة لإغلاقها، وإضاءة لمصابيح .

اقترب الأرعن من منى ومي وبيده المغلف الذي أخذه من رفيقه، وقام بفتحه ثم أخرج منه صوراً لمي ومنى، بدا جيدا من تلك الصور أنهم كانوا يراقبونهما.. فالصور في المكتبة وأمام المنزل وفي الجامعة حتى.. ولكنه توقف عند صورة لمي برفقة صبي صغير يبدو في التاسعة بنفس عمر الطفلة في حلمها منذ قليل، ثم أشار على الصبي ليصيح بلهجةٍ مهددة:" أين الصور؟! أو سنبدأ بهذا الفتى".

كررها مرتين وفي كل مرة ينظر لمي نظرة مرعبة، مهدداً إياها بهذا الصبي الذي لا تتذكره أو تعلم أين رأته من الأساس.. هزت مي برأسها يميناً ويساراً بأنها لا تعلم عن ماذا يتحدث هذا الأحمق، لينزع الشريط اللاصق من فمها فتجيبه:" لا أعلم عن ماذا تتحدث؟ أي صور وأي فتى؟ من هذا؟ أنا لا أعلم أي شيء".

مما أدى لغضب الأرعن وإكمال التقليب في بقية الصور أمام مي ومنى، ليتوقف مجدداً عند صورة لمي برفقة طفلة لتدقق مي النظر جيداً للصورة؛ إنها تشبه الطفلة في الحلم، لا بل هي.. هي نفس الطفلة ولكن من هي؟ وأين تعرفت مي عليها؟

لا تعلم ولا تتذكر أي شيء، أعاد المختطف نفس تهديده الأول لمي ولكن هذه المرة هددها بتلك الطفلة، لتجيب مي نفس إجابتها بأنها لا تعلم أي شيء.. مما أدى لحنق المختطف كثيراً ليلقى بالصور أرضاً ويمسك مي بقسوة من شعرها ويضع سكيناً على عنقها مهدداً إياها:" تحدثي أو قتلتك هنا والآن".

لتجيبه بضحكة عالية مستفزة وبنفس إجابتها السابقة، مما جعله يستشيط غضباً ليتركها ويتوجه لمنى موجهاً سكينه هذه المرة لعنق صديقتها قائلاً:" حسناً سأقتلها هي".

ضحك ساخراً وتعالت ضحكاته، ليدب الفزع في قلب مي لتوجيه السلاح على صديقتها، حاولت مي تهدئة المختطف بلهجة مرتعشة:" حسناً اهدأ.. وأعدك بأني سأحاول تذكر ما الذي تقصده وتريده ومن هؤلاء الذين بالصور، أعدك سأحاول بذل قصارى جهدي لأتذكر أي شيء ولكن لا تؤذ صديقتي أرجوك.. أرجوك سأحاول تذكر كل شيء وسأجيبك على أسئلتك كلها أرجوك لا تؤذها".

وظلت تبكي وترتجف من الخوف على صديقتها التي اصفر وجهها من الفزع، حتى أبعد المجرم السكين عن عنق منى وبدأ بالحديث مجدداً:" حسناً، هيا فلتتحدثي أو ذبحتها كالخراف أمامك ".

لم تكد مي تتحدث حتى بدا على وجه منى الذبول أكثر فأكثر، لدرجة أن تحول لون شفتيها للون الأصفر، وبدأ جسدها يترنح يميناً ويساراً لتسقط في النهاية

على مي مغمضة العينين وبجسدٍ باردٍ كالثلج، لتصرخ مي باسمها بفزع ويضطرب أحد المجرمين مسرعاً، ويقوم بحمل منى للخارج بدون تفكير أو حتى تبرير للمجرمين الآخرين.

هال مي ما رأته فصرخت فيهم والدموع تتساقط من عينيها:" لقد قتلتموها بفعلتكم تلك عليكم اللعنة، أحضروا لها طبيباً فوراً هيا، فكوا وثاقي، أقسم إن حدث لصديقتي مكروهاً أقسم أنكم لن تخرجوا من هنا أحياء، وستندمون أشد الندم على اختطافكم لنا، منى أرجوك لا تستسلمي منى هيا انهضي، منى..... أين أخذها هذا المجرم ؟! منى أحضروا لي منى أرجوكم أرجوكم ... "

لم تتوقف مي دقيقة عن صراخها ذاك، مما دفع أحدهما بتخديرها لتتوقف عن صراخها ذاك خوفاً من أن يكتشف أحد المارة ما يحدث بالداخل؛ وما إن غفت مي حتى أسرع الاثنين لخارج الغرفة، حيث الثالث ومنى ليحتدم بينهما شجاراً جديداً، ويتفقون في النهاية على أخذها لطبيب يعرفونه جيداً خوفاً من أن يصيبها مكروهاً فتأبى مي إخبارهم بما يريدونه.

مضت قرابة الثلاث ساعات ومي في غفوتها تلك، لم تستيقظ إلا عندما شعرت بشيء بارد على وجهها يتقطر لتفتح عينيها وتقفز بفزع مرددة:" منى أين منى؟! ما الذي حدث لها أين هي؟!" وما إن التفتت حيث أشار لها أحد المجرمين، حتى دمعت عيناها فرحاً ورددت في سعادة:" حمداً لله أنك بخير حمداً لله"، لتجيبها منى بإيماء رأسها للأسفل وللأعلى وبابتسامة علت وجهها قائلة بخفوت:" لا تقلقي فأنا بخير والحمد لله لم تفقديني بعد يا صديقتي المجنونة".

لتنهي حديثها بعينين دامعتين تاركة العنان لدموعها تنساب كالسيل، وهنا قطع الأرعن حديث الصديقتين بسخط:" والآن هيا وأخبرينا بما نريد وإلا قتلناكما أنتما الاثنتين هذه المرة، فنحن لن نضيع وقتاً أكثر في هذه السخافات".

حاولت مي الهدوء وربط الأفكار داخل عقلها جيداً، فهي لا تتذكر أي شيء ولا تعلم ما الذي ستخبرهم به، ولكنها مضطرة على اختلاق أي شيء كي لا يؤذوا منى مرة أخرى، لذلك حاولت مجاراتهم بما يريدون حتى تنقذ منى منهم، فأخذت نفساً عميقاً قبل أن تخبرهم بهدوء مصطنع:" حسناً.. سأخبركم بما أعلمه وما أتذكره؛ هذا الصبي في الصور معي هو ابن أحد الجيران وكنت أساعده في

دروسه وهذه الطفلة ابنة صديقة لوالدتي كانت قد صنعت لها معروفاً فيما مضى لذلك أرادت أن ترد المعروف ولكني رفضت، فأصرت طفلتها على مرافقتي للتنزه معاً، بمعنى آخر ليس لي علاقة قوية معهم إلا أنها مجرد معرفة قديمة، فهم لا يعرفوني جيداً كما أني لا أعرفهم، سوى مرحباً يا صبي ومرحباً يا صبية ليس أكثر من ذلك، أما الصور التي تريدها مني فصدقاً لا أعلم أين هي الآن ولكنها كانت معي"..

أنهت مي جملتها تلك وهي تنظر لمنى في محاولة لامتصاص استفساراتها، التي بدت عالقة على وجهها ثم أعادت نظرها للأرعن لتؤكد له صدق حديثها كله، كي لا يشك بكذبها ولكنه سرعان ما سألها بعدم فهم:" ماذا تقصدين ب كانت معي؟!"، أجابت مي بسرعة:" أعني أنها كانت معي سابقاً، كنت أحتفظ بها جيداً ولكنها سرقت، هذا ما قصدته ولا أعلم من سرقها ولا متى؟! إن كنت ستسألني مجدداً".

نظر لها غير مصدق لما قالته ثم أردف قائلاً:" أنت تكذبين أليس كذلك؟!" رمقته مي بنظرة غاضبة وانفعلت فيه صارخة:" ولمَ أكذب عليك، أخبرتك بما تريد فإن صدقت كان وإن لم تصدق فهذا شأنك وحدك، فأنا لست في موقف يسمح لي بالكذب، أنا أحاول النجاة هنا مع صديقتي لا الموت، أفهمت؟! لذا لا تتهمني بالكذب مجدداً".

لم يستسغ المجرم حديث مي الأخير ولكنه أظهر أمامها التصديق، وذهب للخارج مع زملائه بعد أن كمم فم مي ومنى مجدداً، سمعتهم مي يتحدثون معاً بلهجتهم تلك التي تجهلها تماماً، فحاولت الاستيعاب وفهم كلمة واحدة ولكنها لم تفلح بهذا الأمر، فهذه لغة غريبة عليها لم تمر بعقلها من قبل ولا حتى سمعتها قبل ذلك كما تتذكر.

مضت قرابة ساعة قبل أن يعود الأرعن مجدداً للداخل موجهاً الحديث إليها بتهديد:" سنترككم الآن ولكن إن تبين لنا أنك تكذبين وأن الصور ما زالت معك، سأقتلهم جميعاً وستتسببين بموتهم أنت لا أحد غيرك سمعتني؟! لذا يستحسن أن يكون كلامك صحيحاً كله"، أجابته مي بإيمائها لأعلى وأسفل موافقة على حديثه

فاقترب منها ووضع يديه على أنفها مخدراً إياها بمحرمة لتغيب عن وعيها مجدداً..

خدرها المختطف هي ومنى وأخذوهما من تلك الغرفة لمنزلها ووضعوهما على الفراش تاركين رسالة بجوارهم قبل آن يغادروا...

"مي مي مي استيقظي مي لا تفزعيني، هيا انهضي.. مي لا تقلقيني أكثر... انظري لقد جاء رامي مي مي" استيقظت مي فزعة على صوت منى، التي استمرت بإيقاظها لمدة ربع ساعة وما إن أفاقت حتى احتضنتها مي قائلة:" الحمد لله على نعمة وجودك بجواري، لا تتركيني مجدداً أو قتلتك أنا بيدي"، قالت كلمتها الأخيرة وهي دامعة لتنظر إليها منى بحنان قائلة:" الحمد لله أننا بخير ولم يصبنا شيء لقد قلقت عليك كثيراً حاولت إفاقتك كثيراً لكن دون جدوى، لدرجة أني خفت من أن يكون قد أصابك شيء أو استنشقت كمية كبيرة من الغاز المتسرب.. حقاً لقد ارتعبت كثيراً"

.. ابتعدت مي قليلاً عن منى الجالسة بجوارها على الفراش ورمقتها بنظرة خالية من أي تعبير على الإطلاق، محركة رأسها بغير فهم متسائلة:" ماذا؟! ماذا تقصدين باستنشاق الغاز؟! عن أي غاز وأي تسرب تقصدين لم أفهم؟ عن ماذا تتحدثين؟! أأنت بخير يا منى؟! لم يصيبوك بأذى أليس كذلك؟! هل ضربوك على رأسك بشدة؟!" أنهت أسئلتها تلك وهي تدور بعينيها حول منى وتبحث في رأسها عن أية إصابات.

لتقاطعها منى مهدئة إياها:" اهدأي.. اهدأي.. ألا تتذكرين ما حدث منذ قليل؟!"، لتجيبها مي بسرعة:" بلى أتذكر، ألا تتذكرين أنتِ ما حدث لنا من اختطاف وأولئك الأشرار!! لقد آذونا ألا تتذكرين يا منى؟!".. ذهلت منى من حديث مي فصرخت بغير فهم:" ماذا؟! أي اختطاف هذا ومن هم الأشرار؟! أأنت مستيقظة فعلاً يا مى أم لا زلتي تحلمين؟! مي أنت بخير أليس كذلك؟!".

وضعت منى كفها على جبهة صديقتها لتتحسس درجة حرارتها متمتمة:" درجة حرارتك مرتفعة قليلاً، ولكن ليس بالشيء الخطير.. أنت بخير؟! أتشعرين بأي ألم يا مي؟! هيا أخبريني".

رمقتها مي بنظرة بلهاء لعدم وعيها بما يحدث من حولها، ولكن سرعان ما تحولت نظرتها البلهاء تلك لأخرى فزعة عندما دارت بعينيها حول الغرفة صارخة:" ماذا؟! ..أين نحن؟! هذه ليست غرفتي، أين وضعونا أولئك القذرون لقد كذبوا علينا، أخبروني أنهم سيتركوننا وشأننا لقد كذبوا علينا، عليهم اللعنة مجرمون قذرون كاذبون".

حاولت منى تهدئة مي وطمأنتها، فأسرعت وأحضرت لها كوب ماء بارد لتخبرها بلطف:" حسناً اهدأي قليلاً واشربي الماء، بعدها لنتحدث عن أولئك المجرمون حسناً؟!"، أذعنت مي بصعوبة لحديث منى وحاولت الهدوء بعد شرب الكوب كله مرة واحدة لتتحدث بعدها بهدوء:" حسناً هدأت، ولكن أخبريني أين نحن الآن؟! ولمَ أنت هكذا بهذا البرود وكيف تتصنعين تلك الطمأنينة وكأن شيئاً لم يحدث و.."، لم تكد تنهي حديثها واستفساراتها حتى قطع الحديث طرقات الباب، ثم تبعها دخول طفل إلى الغرفة لتصرخ مي بغير تصديق:" تباًا، إنه هو ذاك الطفل في الصورة، كيف وجدنا يا منى؟!" ليرمقها رامي بنظرةٍ متفاجئة ويلتفت لمنى بغير فهم متسائلاً:" ماذا؟! ما الذي يحدث هنا؟! أهي بخير؟! آنسة منى أهي بخير؟!".

نهضت منى بسرعة من على الفراش، وتوجهت لرامي ساحبة إياه لخارج الغرفة بعد أن قالت لمي:" حسناً سأعود بعد قليل اهدأي، وسأخبرك بما تريدين معرفته، اتفقنا؟!" لتتوجه خارج الغرفة مع رامي الذي ما إن أغلقت الباب خلفها حتى سألها مسرعاً:" ما الذي يحدث؟!" لتنظر إليه منى محاولة ترتيب ما يدور بفكرها من أفكار مبعثرة لتجيب:" حقيقة لا أعلم ما الذي يحدث، أظن أنها فزعت من كابوس أو ربما هذا تأثير تسرب الغاز، ربما خافت نتيجة لاستنشاقها القليل من الغاز، فتداخل خوفها بحلمها فتوترت أعصابها قليلاً.. أرجوك اهدأ أنت، وأخبر الطبيب رائد فوراً ولكن كن حذراً لكي لا يسمعك أحد أخر ولا تأتِ مجدداً، فقط انتظرني هنا وأنا سأفهم من الطبيب وسأخبرك.. حسناً؟!".

أومأ رامي برأسه موافقاً لإرشادات منى الممرضة وذهب لمناداة الطبيب كما أخبرته، وما هي إلا دقائق حتى أتى الطبيب لغرفة مي التي كانت برفقة منى تحاول فهم ما يحدث من حولها، وما إن اقترب الطبيب حتى بادرته مي متسائلة:" من أنت؟! وماذا تفعل هنا؟! ما الذي يحدث يا منى أخبريني"، حاولت

منى تهدئة مي بإخبارها الحقيقة:" هذا الطبيب رائد ألا تذكرين؟! إنه من أخرجك من المستشفى وأتى بك إلى هنا؟! مي ما الذي يحدث لك؟ هل عدت لنسيان ما حولك مجدداً؟!".

حاولت مي هضم ما أخبرته إياها منى ولكن بدون جدوى، فلقد بقى عالقاً في منتصفها لتجيب سؤال منى بسؤال آخر:" أي مستشفى وأي طبيب؟! من هذا؟ وماذا يحدث هنا؟ وكيف نسيتِ أنت ما مررنا به منذ قليل يا منى؟! حباً في الله ما الذي يحدث هنا أنا لا أفهم شيئاً؟!".

اقترب الطبيب من مي بحذر ليجلس على المقعد المجاور لفراشها محدثاً إياها بهدوء وحذر شديدين:" حسناً اهدأي، فقط تنفسي بهدوء.. شهيق وزفير هيا ببطء لا تقلقي فقط تنفسي براحة.. الآن هيا أخبريني ماذاَ تقصدين ولكن بهدوء تام وبدون انفعال.. حسناً أخبريني بكل شيء بالتفصيل ولا تنسي شيئاً".

ألقت مي نظرة مطمئنة على الطبيب بعدها نفذت ما طلبه منها، ثم حاولت تذكر ما حدث لهما منذ قليل لتتحدث بهدوءٍ تام:" حسناً لقد كنت بغرفتي مع منى وغفوت، لاستيقظ وأرى أنفسنا مقيدتين ومكممتين بمكان لا أعلمه، لم أفهم ما الذي حدث إلا حينما دخل ثلاثة أشخاص ملثمين حيث قيدونا وهددونا وأروني بعض الصور لنا أنا ومنى في المكتبة والشارع حتى أمام المنزل وكانت هناك صورتين لي، الأولى برفقة صبي كان يبدو كذاك الطفل الذي كان هنا منذ لحظات والأخرى برفقة فتاة بعمره تقريباً، لا أعلم من هي، وبدأ أحد المختطفين بتوجيه الأسئلة لي عن بعض الصور التي لا أعلم عنها شيء، ثم هددوني بالطفلين وعندما لم يحصلوا على شيء مني وضعوا السكين برقبة منى وهددوني بها، فاضطررت للكذب عليهم وأخبرتهم بأن الصور سرقت مني، وأني لا أعرف هذين الطفلين حق المعرفة فاقتنعوا هم بذلك الأمر، وأخبروني بأنهم سيتركوننا وشأننا وسيفكوا وثاقنا.

وآخر ما أتذكره هو أنهم خدرونا لاستيقظ وأجد نفسي هنا، في البداية ظننته المنزل ولكن خاب ظني فهذا ليس منزلي، وعند استيقاظي وجدت منى تحدثني عن شيء آخر، تسرب غاز أو شيء من هذا القبيل، هذا ما حدث بالتفصيل، فهل لك أن تخبرني بما يحدث هنا وأين أنا؟!"، نهض الطبيب من مقعده واقترب من

مي ليقيس درجة حرارتها ليجدها مرتفعة جداً، فيسرع للخارج دون أن يتفوه بكلمة ليعود مسرعاً وبيده إبره ودواء خافض للحرارة ليأمر مي بتناول الدواء ثم يحقنها بالإبرة لتغلق عيناها وتغفو من جديد ....

" مي هيا قاومي مي لا تستسلمي، مي جميعنا ننتظرك هنا فلا تيأسي، مي مي وبدأ الصوت بالخفوت لينقطع تماماً".

" لقد استيقظت" صرخ بها رامي لتدخل منى مسرعة على صراخه، ومعها الطبيب الذي قام بدوره بتقريب كشاف صغير من عين مي وتفحصها لينطق بهدوء وراحة:" الحمد لله لقد تحسنت حالتها عن ذي قبل، حمداً لله على سلامتك يا مي لقد أقلقتنا" ليغادر تاركاً ابتسامته معلقة في الهواء من خلفه، لتسرع منى وتحتضن مي قائلة بفرح:" لا تقلقينا هكذا مرة أخرى يا مي، أقسم بالله أن قلبي كاد أن يتوقف فزعاً عليك"، لم تفهم مي كلمة واحدة مما قالوه فاكتفت بالصمت والتمسك جيداً بحضن صديقتها، فهذا يريحها ويشعرها بالأمان إلى حدٍ كبير ..

ظلت مي على حالها الصامت ذاك قرابة النصف ساعة تدور بمقلتيها أرجاء الغرفة قبل أن تعلق قائلة:" أهذا حلم؟! أم ذاك هو الحلم وهذا واقع؟!"، لتنظر لها منى بغير فهم قائلة:" ما هو هذا وذاك، ماذا تقصدين يا مي أعتقد أنك ما زلتِ تهلوسين، فهذا هو الواقع و ذاك هو الحلم، أنت الآن في الواقع بيننا هنا في أمان وكل من حولك هم حقيقيون ليسوا وهماً أو سراباً فلتطمئني".

رسمت مى ابتسامة على وجهها وأسندت ظهرها على الحائط وعلقت نظرها على السقف، وهي مغمضة العينين لترتب في عقلها ما حدث وما يحدث.. فانسحبت منى ورامي من الغرفة وتركوها بمفردها علها تعود لوعيها من جديد.. حاولت مي ترتيب الأفكار وربط الخيوط ببعضها البعض وتوصلت لنتيجة أن الاختطاف ما هو إلا حلم، ولكن ماذا لو كانت هي الآن في حلم لم تصحو منه بعد؟! ماذا لو دخلت في قصة الفتاة الغريبة لتمتزج بأحداثها وتذوب في ثناياها كبطلتها الغامضة ذات الهواجس؟!..

ماذا لو كان حلماً بداخل حلم حتى أن ما يحدث الآن هو حلم لم تستيقظ منه بعد؟! فتحت عينيها فجأة والتفتت من حولها لتعثر على أي شيء يجيبها عن أسئلتها الغريبة تلك، لتقع عينيها على مكتب رصت فوقه جرائد وأوراقاً فأنزلت

قدميها لتسير حيث المكتب ونهضت، لكنها سقطت فجأة على الأرض: عندما تحاملت على قدمها اليمنى فلقد آلمتها كثيراً، ولم تتحمل ثقل جسدها فزلت وسقطت بشدة.

لم تيأس بل زحفت على الأرض زحفاً إلى أن وصلت للمكتب ورفعت يدها وسحبت ما عليه لتتساقط الأوراق حولها، لترى ما صدمها أكثر من صدمتها بآلام قدمها..:" إنها صورتي ولكن لماذا؟!" كانت صورتها مطبوعة في كل الجرائد التي سقطت على الأرض، وخبر واحد متداول بكل الصحف باللغتين العربية والإنجليزية بخطٍ عريض:" إصابة الطالبة مي بجروح عميقة وإلحاقها بالمستشفى".

لتقرأ ما كتب تحت هذا العنوان فتزداد صدمتها أكثر:" أصيبت اليوم الطالبة مي المصرية الملتحقة بجامعة**** بكلية الآداب بجروح عميقة، جراء محاولة قتلها على يد مجهولين في محاولة دعس بسيارة مجهولة، وأصيبت الطالبة بجروح في رأسها ويدها وساقها طبقاً لما وردنا من المستشفى المكلفة بعلاجها، وقد تداولت القنوات الإخبارية أخباراً متناقضة حول إصابتها تلك وتورطها بالحادث الإرهابي الأخير لمحاولة تفجير فاشلة لمسجد في المنطقة الغربية من البلاد، كما أفاد بعض الشهود العيان عن رؤيتها برفقة المتورطين بالتفجيرات الماضية لمطعم وسينما.. ولكن أنكر ونفى المسئولين عن التحقيق بقضية التفجير الأخيرة أية علاقة لمي بالانتحاريين الذين تم القبض عليهم الشهر الماضي في إحدى البارات القريبة من المطعم الذي تم تفجيره سابقاً".

هكذا قرأت مي الخبر في أكثر من جريدة لتزداد فزعاً أكثر من ذي قبل، لم تتمالك مي نفسها بعد قراءة هذه الأخبار ورؤية تلك الصور لتصرخ بصوت عالٍ والدموع تتساقط من عينيها كالسيل وتلقي بالأوراق من أمامها:" كاذبون، كلكم كاذبون؛ أنا لم أؤذي أحد ولن أؤذي أي أحد، هم من آذوني واختطفوني وسببوا لي الآلام، لقد تذكرت كل شيء، كل شيء صار واضحاً أمامي هم السبب هم السبب".

لتدخل منى الغرفة على صراخ مي راكضة، لتحتضنها بقوة وتحاول تهدئتها قائلة:" لا بأس أنا أصدقك، لا بأس أنتِ لست مجرمة أنتِ ضحية.. مي لا تجزعي واهدأي ......" مي مي ...

الفصل التاسع عشر:

كش ملك :

" لتفتح عينيها على نظرات منى والأطباء الفزعة والفرحة في آن واحد:" لقد أفاقت المريضة من غيبوبتها الحمد لله"، نطقها أحد الأطباء لترتسم البسمة على وجوه البقية ومنهم منى التي امتزجت مشاعرها بين الفرح والألم لآلام مي..

لم تستوعب مي ما يدور من حولها فقد كانت في غرفة مختلفة تماماً عن ذي قبل، معها ثلاثة أشخاص بالإضافة لمنى، تحيطها أجهزة وخراطيم معلقة تخرج وتدخل منها سوائل، مكتظة برائحة المعقمات التي ملأت الجو تماما.

لم تتفوه بكلمة واحدة فلقد أحست بثقل في لسانها، كما لم تستطع الحراك من على الفراش فقط اكتفت بإغلاق وفتح جفونها والنظر يميناً ويساراً بتعجب على ما يدور من حولها.. فحصها أحد الأطباء جيداً، ثم انسحب برفقة ممرضة من الغرفة، لم يبقى سوى طبيبة واحدة ومنى التي جلست بجوار مي ممسكة بيدها متحدثة مع الطبيبة بصوت منخفض بالإنجليزية، لم تلبث بضع دقائق حتى غادرت الطبيبة وظلت منى معها بمفردهما، التي لم تتوقف لحظة عن الابتسام وشكر الله على إفاقة مي.

فبدأت في الحديث بصوت هادئ مع مي التي أنصتت لها بكل اهتمام:" مرحباً بعودتك سالمة إلينا أتعلمين؟! كنت متأكدة من إفاقتك قريباً.. كل يوم كنت أدعو أن تفيقي، دعوت بهذا طيلة شهر كامل والحمد لله في آخر يوم فيه ها قد صحوتي وأفقتي الحمد لله..

رامي أيضاً كان يدعو معي ومريم ومحمد حتى فاروق كان يتمنى إفاقتك اليوم قبل الغد، الحمد لله أنك عدت لوعيك بعد تلك المدة الطويلة.. لقد أخبرتني الطبيبة بأن إشاراتك الحيوية بخير وصحتك تتحسن و يجب أن يحادثك الجميع لتستمعي لهم وتحاولي التحدث معهم، لأن شهراً كاملاً بدون حديث ليس جيداً لك، لذلك سأحدثك عن ما تريدين وستنصتين لحديثي الطويل رغماً عنك" قالتها منى بضحك.

ابتسمت مي لكلام منى الأخير وهزت رأسها موافقة، وعادت تنظر للغرفة نظرة سريعة من حولها متخيلة ما عاشته طيلة شهر فيها بدون حراك ..

بدأت منى في الحديث مجدداً وانتبهت لها مي بكل حواسها لتفهم ما حدث:" والدتك كانت هنا، ولكنها ذهبت للمنزل لترتاح قليلاً برفقة والدة رامي بعد إصرار ومحاولات كثيرة".

لمعت عينا مي عند سماعها لكلمة *والدتك* ودمعت عيناها متذكرة حنانها وعطفها، لقد تذكرتها تذكرت عائلتها ووالدتها مهجة قلبها وروحها، إنها الروح والقلب ولكنها توقفت لحظة لماذا والدتها وحسب أين والدها؟! لذلك نظرت لمنى نظرة متسائلة فهمتها منى جيداً فأسرعت مطمئنة:" والدك عاد لمصر لتدهور حالة جدك عند سماعه مؤخراً بأخبارك، لم يرد أحد إخباره بما حدث لكِ بسبب إصرار والدك، لضعف بنيانه وتدهور صحته المتواصلة بسبب كبر سنه، ولكن بمجرد انتشار الأخبار في مصر عما جرى لكِ، سمع على الفور وللأسف لم يتحمل قلبه فأصيب بأزمة قلبية ولكنهم استطاعوا إنقاذه ووضعه تحت الملاحظة المستمرة حمداً لله.

لذلك اضطر والدك للعودة ومحاولة طمأنته قليلاً عليك، وأنا على يقين تام أنه بمجرد سماعه عن عودتك للوعي سيقفز فرحاً، لا تقلقي وسيصعد بأول طائرة إلى هنا برفقة والدك أيضاً " .

فرح قلب مي بسماع هذه الأخبار الذي كاد أن يتوقف فزعاً على والدها وجدها، ولكنه اطمأن إلى حدٍ كبير بعد ذلك، لتكمل منى حديثها:" أنا منى صديقة دربك منذ نعومة أظفارنا حتى بعثتنا للخارج، أتذكرينني؟!"

لتهز مي رأسها إيجاباً وتعلو وجهها ابتسامة مشرقة، لتكمل منى حديثها بضحك:" حسناً، لقد رفرف قلبي لتذكرك إياي لذا سأكمل وأنا مطمئنة، جاء الآن دور رامي فهو أخوك الذي لم تلده والدتك، لم يغفل له جفن منذ عدة أيام طوال، لقد صمم على المكوث هنا عندما توقع الأطباء بتحسن حالتك خلال هذه الأيام، لذا صمم على البقاء هنا معك حتى يراك مفتوحة العينين من جديد بصحة وعافية بعد صمتك التام طيلة شهرٍ كامل.

تذكرين رامي أليس كذلك؟!" توقفت منى عندما رأت مي دامعة العينين إثر حديثها عن رامي، وقد رق قلبها لدموع مي التي هزت بدورها رأسها مجيبة ولسان حالها يريد أن يجيب:" نعم أتذكره بالطبع، عن أي شيء تسأليني!! إنه أخي وقلبي وعقلي والنبتة التي فزت بسقايتها ومراعاتها في هذا البلد الأجنبي الغريب".

لتكتفي منى بالحديث عن بقية ذكريات مي هذا اليوم لتدعها وتخرج لترتح قليلاً، تذكرت مي كل شيء عن حياتها وأهلها ورامي ومنى، لم تصدق أنها ظلت طيلة شهرٍ كامل في غيبوبة، نتيجة للحادث الأليم الذي تعرضت له والذي بمجرد تذكرها لوقائعه المؤلمة، حتى ذرفت عيناها سيولاً من الدموع لتعود بها الذاكرة للوراء قبل الحادث بأيام...

فتذكرت أول يوم تعرض لها شابين أجنبيين بالسب والإهانة لمجرد ارتدائها حجاباً وزياً غريباً عن ثقافتهم، لقد آذوها بالسب والإهانة لها ولزيها ولدينها بالتخلف والرجعية، وأمروها بالعودة لديارها وأن لا تلوث أعينهم بهذه المناظر المقززة، لقد دمعت عيناها لسماع تلك الإهانات وصدمتها لوجود مثل هذه العقليات حتى هذا العقد من الزمن، أيعقل أن توجد مثل هذه العقليات في هذا القرن**!!**

لمَ كل هذا الكره والبغض والتنمر لمن يختلف معهم في الدين واللون واللغة لمَ كل هذا الغضب؟**!** لقد خلقنا سواسية من أصلٍ واحد وهو آدم وحواء، فلمَ كل تلك النظرات الدونية.

تذكرت مي حالتها عندما سارت بسرعة تجاه بيت رامي بعد تعرضها لهذا التحرش، وهي مغرورقة العينين لتدخل البيت وتمسح عبراتها كي لا تقلق رامي، الذي بمجرد أن رأى وجهها علم أنها تخفي شيئاً ما، وأصر عليها لمعرفة ما يعكر صفوها ولكنها نفت أنها مستاءة في البداية، وبعد إصرار منه أخبرته بما جرى ليستشيط قلب رامي غيظاً وبغضاً لأولئك المتحرشين، ويقرر إخبار والده ليشكوهم لرفيقه الشرطي فاروق ويتخذ الإجراءات اللازمة لردعهم، ولكن مي رفضت وأقسمت على رامي أن يبقى هذا سراً بينهما وإن تكرر مرةً أخرى ستخبر الشرطي بنفسها ليتفقا سوياً على كتمان الأمر.

بعد هذا الحادث، تعرضت مي لصدمة أشد حيث تعرض لها نفس الشابين، ولكن هذه المرة لم يكن تحرش لفظي بل وصل للأذى الجسدي، فلقد لكمها أحدهما في معدتها عندما تعرضا لها للمرة الثانية، كانت مي قد قررت بعد رؤيتهما مجدداً أن تخرج هاتفها وتصور ما يجري، لذا قامت بالفعل بإخراج هاتفها الجوال وصورت ما بدأوه من ألفاظ مسيئة وإهانات لها ولدينها، ولكن

عندما انتبه لها أحدهما ركض نحوها لاكماً إياها في معدتها، محاولاً أخذ الهاتف منها، مما دفعها للسقوط أرضاً متلوية من الألم وهروبهم بعدما تجمع المارة ناحيتها..

تذكرت هذا الحادث لتتساقط دمعة من عينها وهي ممسكة بمعدتها عند تذكرها لذاك الألم، فحدثت نفسها:" لقد جرحوا قلبي وجسدي بوحشية" .. لتفتح عينيها وتنظر إلى ذراعها و قدمها لتتوالى عليها أحداث يوم التفجير كما لو أنه حدث بالأمس.. لتعود بذاكرتها للوراء فترسم ما حدث بالتفصيل..

يوم الحادث :

كانت مي متجهة للمسجد كعادتها كل جمعة لتصلي الظهر جماعة، ولكن قبل ولوجها للداخل لفت نظرها شاب يرتدي قبعة أخفت أكثر مما يجب، خمنت في البداية أنه رجل صيانة نظراً لما يحمله ويرتديه، فكما تعلم كان هناك عطلاً في دورة مياة السيدات.

لم تبالي كثيراً فمضت وتوجهت حيث مصلى السيدات، وقبل إقامة الصلاة تذكرت أنها ليست على وضوء فأسرعت لدورة المياة لتتوضأ، وبمجرد دخولها رأت صندوقاً تحت حوض الماء، لتحدث نفسها في ريبة:" إنه يشبه صندوق العامل ولكن لمَ تركه هنا؟ أو ربما تراه نسيه وخرج؟!"، كادت أن تقترب منه ولكن شيئاً ما بداخلها حذرها، فتركته وخرجت مهرولة حيث إمام المسجد فهو المسئول عن نظافة المسجد ونظامه؛ لتخبره بما رأته..

وما هي إلا دقائق حتى دخل الإمام برفقة شيخين لدورة المياة ورأوا الصندوق، فاتصلوا برقم الصيانة ليخبروهم بالصندوق الذي نسيه العامل ليفاجئوا بأنهم لم يرسلوا أحداً بعد، وأن العامل سيأتي في الرابعة مساءً، مما دفع الإمام للاتصال بالشرطة وإخبارهم بما حدث ليأتي المحقق فاروق برفقة محمد ومعهم فريقاً من تفكيك المتفجرات، ليكتشفوا بعدها أن ما بالصندوق قنبلة.

كان المشهد أشبه بفيلم رعب، الفزع والخوف من انفجار القنبلة من جهة ومن إنتشار الخبر خارج المسجد من جهةٍ أخرى، فينقلب الوسط ويسوء الوضع أكثر.

تم إخراج جميع المصلين للخارج، حيث ظلوا يترقبون بحذرٍ ما يحدث بالداخل، فأصوات دعواتهم وتضرعهم لله بحماية أرواحهم ومسجدهم وأفراد الشرطة أدمى القلوب واقشعرت له الأبدان، رأت مي نفسها منكمشة أمام المسجد والدموع تغرق عينيها والخوف يدب في روحها، فهي لم تتوقع أن يصل الأمر لتلك الدرجة، فما الذي فعله مصلين سلميين ليستحقوا أن يتحولوا لرماد بتلك الطريقة البشعة، فلمَ الكره لتلك الدرجة؟! ما الذي ارتكبوه ليستحقوا تلك القسوة؟!

مضت الدقائق كالسنين، لم يتوقف التضرع لحظة حتى تمكن الفريق والحمد لله من إبطال مفعول القنبلة قبل انفجارها بدقائق، فدب الفرح بين الجميع ولكن الجميل لا يدوم طويلاً للأسف، فلقد انتشر خبر القنبلة سريعاً بين الأزقة المجاورة حتى وصل الأمر لمدرسة الطفل القريبة من المسجد، ليعم الفزع بين الأطفال والمعلمين الذين فشلوا في السيطرة على تدافع الأطفال وهرولتهم للخارج، فتوالت الأخبار عن حوادث تصادم واختناق بين الأطفال الفزعين..

تشكلت تلك الأحداث بقسوة في ذاكرة مي كأنها حدثت للتو، نفضت مي تلك الذكريات وعادت للواقع، فضلت النوم هرباً مما سيزعجها إن أكملت تذكر باقي اليوم، وما إن أغلقت عينيها حتى سمعت صراخاً بالخارج.

وعمت الضوضاء لتفتح مي عينيها، وفجأة اقتحم الغرفة ثلاثة أشخاص يرتدون زياً عسكرياً ومن خلفهم طبيب من شدة لهثه كاد أن يتوقف نبضه، بدا من لهثه وسرعة تنفسه أنه كان يركض بأقصى ما لديه خلفهم.

قبل أن تعتدل مي تحدث أحد الضباط لمي بلهجة صارمة بالإنجليزية:" أرى أن جسدك عاد لعافيته مبارك.. إذاً سنبدأ باتخاذ كافة الإجراءات اللازمة والمتأخرة للأسف، لذا سنبدأ بأخذ أقوالك الآن"، أنهى جملته هذه وإلتفت لضابط بجواره ليشغل الثاني مسجل صوت ويبدأ بالتسجيل..

تقدم للأمام قليلاً وجلس على مقعد بجوار مي ثم بدأ حديثه بنفس اللغة:" حسناً لنبدأ.. ما اسمك بالكامل؟! وكم عمرك؟! وما هي جنسيتك وديانتك؟!"... نظرت له مي بدون مقدرة على الحديث أو حتى إخراج أية حروف، فرمقها الضابط بنظرة غاضبة منتظراً إجابتها عدة دقائق بدون جدوى، قبل أن يكرر أسئلته مرة

ثانية ولكن بنبرة أعلى قليلاً.. ثم انتظر، لم يلبث بضع دقائق حتى التفت لقائده للخلف تعلوه علامات التعجب لعدم جواب مي.

ليلقي القائد على الطبيب نظرة كلها استفسار، فينطق الأخير بخوف:" لقد أخبرتكم أن حالتها لم تتحسن بالكامل فهي لا تستطيع التحدث بعد، ولكنكم صرختم عليّ واتهمتموني بالتواطؤ معها، صحيح أن المريضة عادت لوعيها لكنها لم تعد بالكامل، فلا يزال نطقها غائباً نتيجة للصدمة التي تعرضت لها أثناء الحادث" ..

شعر الضباط بخيبة أمل فتركوا الغرفة وخرجوا، وخرج معهم الطبيب وبقيت مي بمفردها في حالة صدمة، لا تعلم ما الذي سيحدث بعدها ولا ما الذي سيحكمه عليها القدر بعد خروجها من هذه الغرفة وكيف ستواجه العالم الخارجي، إن ثبت ما يردده الكارهون..

أثناء تفكيرها ذاك المتواصل تذكرت والدتها وكيف ستواجه نظرات الجميع الغاضبة، فالعالم لا بد وأنه ينظر إليها كإرهابية مجرمة كما وصفتها أخبار الغرب.. كيف لقلبها أن يتحمل هذه الاتهامات الباطلة، وكيف سيواجه جدها الراقد في مصر بين الحياة والموت هذه النظرات؟ وكل أصابع الاتهام موجهة لحفيدته، بأنها المخططة والمنفذة لتلك الهجمات الغاشمة".

ولكن لمَ هذا الظلم ولمَ الأمور قلبت هكذا رأسا على عقب؟! فالمجني عليه صار مجرماً والمجرم صار مجنياً عليه، ما لهذا الميزان المائل، كيف يحكم هؤلاء القوم؟! " هكذا حدثت مي نفسها بانفعال متذكرة أحداث ووقائع اليوم الأليم..

تذكرت مي عندما خرجت من المسجد بعد الصلاة، بعد محاولة التفجير الفاشلة بيوم، لتري ملثماً يحاول التعدي على مصلية مسنة خارج المسجد يبدو أنه كان يتربص بها، لتسرع وتدافع عن العجوز وتقف حاجزاً بين المعتدي والسيدة، لتنهال عليها هي اللكمات، فاستطاعت رغم آلامها دفع الملثم ليسقط أرضاً ويركض نحوه اثنين من المصلين ليهرب المعتدي راكضاً والمصليان خلفه.

تذكرت مي احمرار وجهها نتيجة للطمه مراراً وتكراراً من قبل المعتدي، وحجابها الذي كاد أن يتمزق بين يديه، لتضع يديها بتلقائية شديدة متحسسة موضع الكدمات، لتعود سريعاً لذكرياتها ..

فقد نظرت للعجوز بعينين دامعتين، وشرعت تقبل رأسها وكفيها معتذرة لها عما بدر من ذلك المعتدي، وحمدت الله أنها استطاعت اللحاق والإسراع لتردع هذا المعتدي قبل أن يؤذي العجوز أو يتسبب في مقتلها.

وما هي إلا دقائق حتى عجت ساحة المسجد بالمصلين بعد أن سمعوا عن حادثة الضرب هذه، والتفت النساء حول مي والسيدة لتفقد حالتهن وبعد قرابة ربع ساعة؛ بدأت الجموع تخف بعد تحذير رجال الشرطة لهم من تلك التجمعات، وبعد أن اطمئنانهم على حالة مي والسيدة.

هدأت مي بعد حادثتها تلك و ساعدتها بعض المصليات من تنظيم حالها وهندامها، لتخرجن خارج ساحة المسجد وتعبر الطريق مع ما تبقى من المصليات.

وفجأة حدث ما لم يكن بالحسبان، فجأة سمعت صراخاً وهرولة في كل مكان وأجساداً تطايرت هنا وهناك واسودت الدنيا من حولها..

لتصرخ مي بدون وعي منها وهي مغمرة العينين بالدموع:" لقد دعسونا بوحشية" وازدادت صرخاتها وبدأ جسدها بالتشنج، وعلى صراخها لتدخل على إثره صديقتها منى التي ركضت نحو مي تحاول تهدئتها وإسكان تشنجاتها المتزايدة ولكن بدون جدوى.

ركضت منى خارجاً منادية الطبيب، وما هي إلا دقائق حتى هرول إلى الغرفة طبيبها المسئول وممرضة محاولين تهدئة مي التي لم تتوقف ثانية عن صراخها، أو تشنجاتها إلا بعدما حقنها الطبيب بإبرة مهدئة ليتراخى جسدها وتخور قواها ويضعف صراخها وتغفو من جديد..

" كان الأمر جنونياً " نطقها أحد الأطباء خارج الغرفة ليحدثه آخر:" ما الذي حدث لها، لقد كان كل شيء طبيعياً" ..

وبداخل الغرفة كانت منى تبكي بحرقة لما آلت إليه حالة مي، وبجوارها رامي الذي بمجرد مهاتفته لمنى وسماع ما حدث، جاء راكضاً وعينيه تمتلآن بدموع الألم على أخته وحارسته وحاميته مي...

" يبدو أنها تذكرت الحادث اللعين " تحدثت بها منى ليجيبها رامي بعينين حمراوتين:" نعم هكذا يبدو، ظننت أنها تعافت ولكن ما زال هول الحادث يفتك بذكرياتها، لن يختفي بسهولة" ..

كانت مي في عالم آخر تماماً؛ عالم لا يزوره الضوء قط ولا حتى ظلال الإنس.

لا يوجد سوى الفراغ من أمامها ومن خلفها وعن يمينها ويسارها، لا أحد يؤنس وحدتها ولا جماد حتى يحيط بها لا شيء سوى الصمت والفراغ ورائحة الموت..

الفصل العشرون:

الشرير:

"أخبرتك بأنك لن تتخلصي مني بسهولة، ولن تستطيعي الخروج من هنا ما دمت موجوداً وبشروطي أنا فقط" بصوت رخيم وضحكة شريرة تكررت هذه الجملة مراراً وتكراراً في سبات مي العميق، وفجأة وسط الظلام الدامس لاح نور ضعيف يحيط بالغرفة الزجاجية وبداخلها الفتاة المريبة؛ التي كانت تبحث عن مصدر هذا الصوت المخيف الذي يتكرر صداه من حولها، ظلت تدور في الغرفة باحثة عن مصدر الصوت حتى أيقنت في النهاية أنه صوت فقط بلا صاحب فدب الفزع بها أكثر، وكلما على الصوت وارتفع كلما انكمشت في مكانها أكثر، فتلون جسدها للأصفر وظلت تنكمش أكثر فأكثر حتى خارت قواها وسقطت مغشياً عليها، وبمجرد سقوطها وغيابها عن الوعي حتى ارتفعت الضحكات الشريرة أكثر وضجت الغرفة كلها بالضحكات وفجأة توقف كل شيء.

لم تفهم مي ما الذي يحدث ولم تعي أين هي في تلك اللوحة الواقعية؛ أهو واقعها أم كابوساً آخر مخيفاً وهي مركزه، ما الذي يحدث من حولها؟ لا تعلم فهي لم تكن بالأصل موجودة في الحلم بل كانت متفرجة، فهي راوية الحلم على أية حال..

ظلت الفتاة ملقاة على الأرض بلا حراك مدة نصف أو أكثر، وبعد لحظات بدأت تعود لوعيها شيئاً فشيئاً، وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها في مكان آخر غير غرفتها، مكان مظلم ورائحة العفن تصرخ فيه من كل زاوية من زواياه، وبرودة قارصة تشل الأطراف، وأصوات كثيرة متداخلة من حولها لم تستطع تمييز أية منها ولا حتى مصدرها..

وفي منتصف هذا كله بدأت تشعر بأن نفسها بدأ يضيق شيئاً فشيئاً، كأن المكان يضيق من حولها وهكذا بالفعل كان.

فلقد ضاق المكان كثيراً حتى شعرت بأن الجدران تنطبق على جسدها، وكلما حاولت المقاومة التصقت بها الجدران أكثر، فبدأت بالصراخ طالبة النجدة ولكن محاولاتها جميعها لا جدوى لها.

فلا أحد بالمكان لينقذها ولا أحد سيأتي ليوقف سحق الجدران لعظامها، وعندما أيست وأيقنت بأنه لا مفر أو ملجأ لها من تلك النهاية القاسية، أرخت جسدها وتركته بلا مقاومة أو سيطرة عليه وأغلقت عينيها واستسلمت للبرودة لتتغلغل بداخلها..

فجأة سمعت صوتاً بدا لها مألوفاً، لم يلبث بضعة ثواني حتى صار الصوت اثنين فثلاثة فأربعة، حتى تداخلت الأصوات في بعضها وامتزجت معاً ولكنها استطاعت تمييز جملة واحدة طويلة؛ ظلوا يرددونها كثيراً، كانوا يرددون جميعهم في صوت واحد:" لا تيأسي، فقط قاومي فجميعنا هنا حولك ننتظرك فهيا قاومي".

لم تتوقف الجملة بل ظلت تتكرر ويدوي صداها أرجاء المكان المظلم، ليدب الأمل في روح الفتاة ويسعد قلبها لتصرخ على صراخهم وأصواتهم المرتفعة:" أنقذوني، فأنا لا أقوى على الحراك أرجوكم فليخرجني أحدكم من هذا القبر الموحش، أرجوكم فلينقذني أحد قبل أن تسحق عظامي بين هذه الجدران".

استغاثت وصرخت وبكت لكن لم يظهر أمامها أحد، فظنت أنها تتخيل وتلك الأصوات موجودة فقط في مخيلتها بسبب حاجتها الشديدة لإنقاذ، فتحولت فرحتها التي لم تلبث إلا دقائق صغيرة إلى حزن وبكاء وشعور بالعجز.

هذا المشهد أدمى قلب مي فشعرت بما شعرت به الفتاة بل وأشد، أرادت أن تصرخ بأعلى ما لديها من صوت راجية ربها أن ينقذ الفتاة ويخرجها.

"أخرجني من هنا يا رب، لا أعلم ما الذي أفعله هنا ولا ما الدافع وراء تعذيبي هذا!! فقط أرجوك يا ربي أن تخرجني من هنا، أرجوك يا ربي أرجوك"_ رجاء وبكاء وضعف وحسرة وندم وعدم فهم_ هو ما شعرت به الفتاة، جميعهم

ممزوجين ببعضهم البعض لينتجوا ركاماً قاسياً على روحها المشتتة وقلبها الضعيف وجسدها المنهك.

ولهول هذا وشدته على الفتاة شعرت مي بما شعرت به الفتاة بالاختناق، لمجرد رؤيتها في هذا الموقف المؤلم من غير حولٍ لها أو قوة ومحاطة بكل تلك المثبطات، حاولت مي التدخل في الحلم؛ فحاولت الصراخ والاستغاثة ولكنها لم تقوى على شيء، لم يكن بيدها شيء حتى الصراخ لم تسمعه الفتاة حتى يسمعه غيرها فيأتي وينقذها، فتوقفت مي عن الصراخ وظلت مرغمة في موقفها ذاك على موقف المتفرج..

في منتصف تلك الآلام والأحزان وفقدان الأمل، كما قالت الآيات الكريمة "إن مع العسر يسراً"، حدث لينقشع الظلام ويتسع المكان، فتحولت خيالات الفتاة لحقيقة تنقذها وأدعيتها ورجاؤها ليد تشد على أذرها، وتحقق ما قيل" عبد يدعو ويتمنى ورب يجيب" لتنفرج أسارير الفتاة وتتخلص من مأزقها ويتسع المكان ويضاء.. لا تعلم من أين يأتي الفرج بغتةً ولا متى؟ ولكن ربما دعوة صادقة ونية صافية هي من سرعت به.

عادت الفتاة لغرفتها الزجاجية حيث مقعدها ومذكراتها التي كانت تقرأ منها فيما سبق، لا تعلم كيف؟ أو ما الذي حدث لتعود؟ وأين كانت منذ قليل؟

فجلست حيث اعتادت وأمسكت بالمذكرات تبحث عن ما يدلها عن أي طرف خيط لتفهم ما يحدث لها وما سيحدث مستقبلاً، فبدأت تقلب في الصفحات باحثة عن أي شيء، أي طرف خيط يوصلها لما تريد ولكنها فوجئت، فجميع الأوراق بيضاء خالية لم تمسسها الأيادِ أو يلمسها القلم!!

فصارت تحدث نفسها بغير تصديق:" ولكن كيف؟! ما الذي حدث؟! لم تكن تلك الصفحات فارغة، لقد كانت ممتلئة بالكلمات والجمل، كنت أقرأ منها يوميات مي، لا أصدق، ما الذي يحدث؟!" قلبت فيها مرارًا وتكراراً دون جدوى فالصفحات كانت فارغة ونظيفة لم تلطخ بحبر أو غيره..

وسط ذهول مي والفتاة مما يحدث عادت الضحكات الشريرة مرةً أخرى، وعاد الصوت المخيف من جديد يوجه حديثه للفتاة قائلاً:" لقد أخبرتك بأنك لن

تستطيعي الخروج من هنا إلا بشروطي، شروطي أنا وحسب، فإن كنت تريدين معرفة ما الذي يحدث من حولك فلتنفذي أوامري، ولتستمعي جيداً وتنصتي لما أقول".

لم تفكر الفتاة كثيراً وفوراً هزت رأسها موافقة، قالتها بصوت عالٍ:" موافقة... أجل موافقة، فلتخبرني بما تريد" ، ليجيبها الصوت المخيف:" جيد والآن فلتنفذي تلك الأوامر جيداً وكلما برعت في المهام كلما أسرعت في الخروج من هنا لحريتك، والآن انظري للمذكرات التي بين يديك واقرأي ما كتب بدون توقف".

الفصل الواحد والعشرون:

ذكريات من الماضي:

الخامس عشر من مايو لعام سبعة عشر بعد الألفين ميلادية الساعة الثانية ظهراً، مصر.

في إحدى مستشفيات مصر الخاصة؛ وبغرفة العمليات تحديداً، أجرى طبيبين (ذكر وأنثى) وثلاث ممرضين بينهما ممرضة عملية جراحية لأحد اللاجئين السوريين، عملية الزائدة الدودية لشاب في العشرين من عمره، وبعد إجراء العملية بنجاح، قامت الممرضة بنقل المريض لغرفة العناية المركزة حتى يفيق من أثر البنج.

مضت مي برواق ذات المستشفى باحثة عن غرفة والدة منى، التي نقلت هنا بعض تعرضها لوعكة صحية، وأثناء بحثها ذاك سمعت صراخاً آتياً من إحدى الغرف لتركض حيث الصوت.
" إنني أتألم، فليسعفني أحدهم، النجدة فما عدت أحتمل الألم، أنتِ فلتساعديني" ليمسك الصارخ بيد مي التي صرخت في فزع:" النجدة، أنت!! ابتعد عني، فأنا لست بممرضة هنا".. ويضغط الرجل على يد مي التي حاولت جذب يدها بقوة من تلابيب الرجل، وما هي إلا دقائق حتى أسرع إليهما أحد الممرضين ممسكاً بيد المريض ساحباً إياه لداخل الغرفة، معتذراً لمي التي ارتسم الهلع على وجهها وملأت الدموع عينيها.

عادت مي خطوتين للخلف وهي ترتجف خوفاً بعد اعتذار الممرض لها، بدون أن تتوقف عن البكاء ولحسن حظها بأن والدها آتى سريعاً من خلفها ليحتضنها مهدئاً إياها، محاولاً فهم ما جرى، ليقول لها في هدوء:" ششششش لا تجزعي فأنا هنا، ما الذي حدث؟" لتلتفت مي للأمام محتضنة والدها بقوة، محاولة الإجابة عليه بصوت متقطع وحديث مختلط بالبكاء:" لقد.. لقد.. حاول الرجل أن يؤذيني.. لقد .. لقد جذبني من يدي بالقوة... خفت كثيراً.. وصرخت فيه... أن يتركني .. و.. و لكنه رفض"..
ليواصل الأب احتضان مي والتربيت على رأسها مهدئاً إياها ومطمئناً لها بكلماته:" لا تقلقي، فلن يؤذيك أي أحد وأنا بجوارك".

لم يحاول الضغط عليها كثيراً أو محاولة معرفة ما حدث بالتفصيل، فكما بدا من ردة فعل مي بأنها في حالة صدمة ومن الجيد أن يهدأ من روعها بدلاً من الضغط عليها وسؤالها عن الذي حدث...

بعد دقائق من محاولة تهدئة مي التي نجحت إلى حد كبير، أمسكها والدها من يدها وذهبا حيث باب غرفة والدة رفيقتها منى بالخارج؛ و ما أن وقعت عينا منى عليها حتى ركضت إليها، والقلق يرتسم على وجهها، لتسألها عن ما الذي حدث لتبكي هكذا فلقد احمرت مقلتيها كثيراً.
تركهما والد مي وذهب لزيارة المريضة التي تحسنت حالتها بشكل كبير وكانت على وشك مغادرة المستشفى، ولكن بحسب تعليمات الطبيب ستتأخر قليلاً لإجراء بعض الفحوصات النهائية للاطمئنان جيداً على صحتها.

جلست منى برفقة مي على إحدى مقاعد غرفة الانتظار بالخارج، وبدأت مي بسرد ما حدث لها منذ قليل:" كنت في طريقي إليكم عندما سمعت صراخ أحدهم، فدفعني فضولي لرؤية صاحب هذا الصراخ، وبمجرد اقترابي من غرفته حتى جذب يدي بقوة وبدأ بالصراخ عليّ، لم أعلم كيف أتصرف أو ماذا أفعل سوى الصراخ والبكاء علّه يتركني، لقد ارتعبت كثيراً من أن يفعل بي شيئاً سيئاً".

اقتربت منى من صديقتها واحتضنتها مربتة على ظهرها وبهدوء تام أخبرتها:" لا بأس، لقد مضى الأمر، لا تقلقي فأنت بخير الآن والحمد لله أنه لم يؤذيك، يبدو أنه يعاني كثيراً ويتألم لذلك لم يستطع السيطرة على نفسه أكثر، فالألم يا صديقتي لا يحتمل"..
هدأت مي واقتنعت بحديث منى قليلاً وسحبت نفسها للخلف مؤكدة على كلامها:" بالفعل، فالألم لا يحتمل على الإطلاق، فلقد كان ينزف بشدة من جرحه الغائر في قدمه، فلابد من أنه يعتصر ألماً نتيجة لنزيف كهذا، ولكن ردة فعلي تلك كانت طبيعية لمثل حالتي، فأنا أكره المستشفيات والأطباء كما تعلمين، يقشعر بدني بمجرد رؤية دماء أمامي فكيف بنافورة دماء كادت أن تغرقني ".

أنهت حديثها لتسري في جسدها قشعريرة باردة فتضم ذراعيها بشكل تلقائي، وملامح التقزز ترتسم جلياً على وجهها.
قطع صمت الصديقتين رنين هاتف مي لتجيب بهدوء:" نعم يا أبي، لا تقلق فأنا بخير الآن، حسناً عد أنت لعملك وسأظل هنا مع منى حتى تنتهي فحوصات والدتها وسأعود معهم، لا تقلق عليّ.. حسناً، إلى اللقاء" أنهى والدها الاتصال عائداً لعمله، تاركاً مي برفقة منى ووالديها.

حقيقة بشعة:

توقفت فتاة الغرفة الزجاجية عن القراءة فجأة، متلفتة عن يمينها ويسارها بغير فهم، باحثة عن صاحب الأوامر والضحكات الشريرة وقبل أن تتحدث، صرخ صاحب الصوت الشرير فيها:" لماذا توقفتِ؟ ألم أحذرك من عدم التوقف!! هيا فلتكملي.." .
فزعت الفتاة من صراخه المفاجئ، وهمّت بالقراءة ولكن شيئاً ما بداخلها أبى الانصياع لأوامر الشرير، لتنهض عن مقعدها مبعدة إياه للخلف قليلاً، لتصرخ بكل قوتها ضاربة كفها بقوة على سطح المكتب:" لا لن أكمل، فما هي إلا ذكريات قد مرت عليها السنوات فلمَ اقرأها؟ لقد وعدتني بأن تتركني وشأني إن نفذت أوامرك، ولكن لا أرى أوامر؛ فقط ذكريات ولت منذ سنين، لذا نقض العهد".

كاد قلب مي يتوقف من هول ما رأت وسمعت، فلقد أذهلها ما فعلته الفتاة وما قررته، ولم يرهبها هذا الشرير الذي لا يفلح إلا بالصراخ والضحك بصوت مزعج ومخيف.

لم تلبث فرحة مي إلا ثوانٍ معدودة، فقد قطع تلك الفرحة اهتزاز قوي ومخيف للغرفة الزجاجية وبداخلها الفتاة التي سقطت أرضاً من قوة الاهتزاز.
ظلت الأرض تهتز من أسفل الغرفة محدثة اضطراباً في كل محتويات الغرفة، ليتبعثر المكان فتسقط الطاولة أرضاً وكذلك المقعد، وتتبعثر أوراق المذكرات وتتساقط أرضاً هنا وهناك، بدا الأمر كما لو أن زلزالاً قويا قد ضرب تلك البقعة بالتحديد دون سواها، والمخيف في الأمر أن مي وهي الراوية في حلمها قد شعرت بتلك الهزة فكيف بالفتاة وهي مركز تلك الأحداث؟

من شدة اضطراب الغرفة وتبعثرها يميناً ويساراً تبعثرت الفتاة بها كإحدى أوراق تلك المذكرات، فلقد تخبطت بكل أرجاء الغرفة حتى نزف رأسها وامتلأ وجهها دماً، فما كادت ترى عينيها من كثرة صبغته باللون الأحمر.

استمر الاهتزاز على حاله قرابة النصف ساعة، حتى هدأت الأرض عن اضطرابها وسكنت الغرفة، كم هو عجيب أن تظل الجدران ثابتة رغم تلك الضجة، فلم يتأثر جزيئ منها إلا مجرد تصدع أصاب عليّة الغرفة _ تصدع بطول أقصر إصبع في يد مي_ .

بمجرد سكون الأرض ظهر الصوت المزعج من جديد، موجهاً تلك المرة تحذيراً للفتاة أقصى من ذي قبل، فوجه حديثه بصوته الجهوري المقيت للفتاة قائلاً:" حذرتك مراراً من مخالفة أوامري، لكن يبدو أنك لا تريدين الخروج سالمة من جحيمك هذا، أكملي القراءة في انصياع ولا تفكري مجدداً في تحديّ، فكلما جابهتني خسرت جزأ من حريتك وخسرت هي جزأ من حياتها".

قال كلمته تلك والفتاة تحاول الاعتدال ململمة شتات نفسها، لتنهض والألم ينخر بها في كل أطراف جسدها وهي متحاملة على قدميها، لتستفسر بغير فهم عن مقصده قائلة:" حياتها؟ حياة من؟" فيبادرها بالإجابة ضاحكاً:" من ترى وتسمع الآن" ألقى جملته تلك و صدى الضحكات يتعالى .

شعرت مي بانقباضاً في قلبها عند ذكره لتك الكلمات، وأسرعت الفتاة تتلفت من حولها باحثة عن تلك التى ترى وتسمع، لكنها لم تجد شيئاً لتغضب موجهة حديثها للشرير بحنق:" لا أحد هنا بشرياً سوانا، أقصد سواي فمن تقصد؟" ليجيبها بسرعة:" مي هنا.." لتلتف الفتاة للوراء فتسرع مي كذلك بالالتفاف حيث تنظر الفتاة.

اتسعت عينا مي بمجرد سقوطهما على ما خلف الفتاة، وأصدرت الفتاة نفس ردة فعل مي المتفاجئة؛ فما كان بخلف الفتاة كان كفيلاً بأن يلجم لسان كلتيهما، وأي شخص آخر بمكانهما.
فلم يكن بخلف الفتاة سوى مرآة كبيرة بعرض الحائط الزجاجي وطوله، مرآة حفرت بداخلها جسد الفتاة ووجه مي، حتى إن ملامحهما المذهولة طبعت عليها بالتفصيل.

"كيف هذا؟" عبارة أفلتها لسان الفتاة بفزع، ليتعالى من حولها ضحكات الشرير. مدت الفتاة يديها لتتحسس سطح المرآة وتتأكد من أنها لا تحلم، أو يخيل لها، " تباً؛ إنها غائرة" لفظتها الفتاة بصراخ عندما غاصت يديها لداخل المرآة، لتسحبهما بسرعة بمجرد ملامستهما لشيء دافئ، وتقرر إدخالهما مجدداً لتتأكد إن كان هذا حقيقياً بالفعل.
لم تصدق مي ما شعرت به فلقد أحست بيد الفتاة على وجهها، شعرت بكفها وهو يلامس بشرتها، لقد كان بارداً كالثلج.

" أهي شبح؟" أخرجت مي جملتها هذه بذهول بمجرد ملامسة الفتاة لوجهها، فلقد سرت قشعريرة باردة على جسد مي بعدها، ولكن كيف شعرت بملامستها؟ بل كيف أرانا جسداً واحداً؟ كيف أنا والمسخ شخصاً واحداً؟ فهي لا تشبهني على الإطلاق، كما أن لا ملامح لها، فلا يوجد به سوى عينين، هذا مستحيل" نطقت جملتها الأخيرة بصوت مسموع كفاية ليعقب الشرير عليها بسخرية قائلاً:" ما المستحيل؟ فكلاكما شخص واحد، منذ البداية وأنتما جسداً واحداً، ألم تستطيعي تمييز صوتك؟ حتى لون عينيك العسليتين؟ فكيف إذاً لم تلاحظي ملابسك؟ أو حتى جرح ذراعك وقدمك، فالجرح لم يندمل حتى هذه اللحظة".

دقائق من الذهول والصمت مرت ببطء، ثم بدأ يتكشف كل شيء أمام مي؛ لتزاح الستائر جميعها ويتضح كل شيء بعدها.

فلقد كانت الفتاة هي نفسها مي، صوتها، عينيها، لون بشرتها البيضاء ووجنتيها الحمراوتين كذلك، شعرها القصير بل حتى ثوبها المفضل نفسه، نعم هو نفسه ما ارتدته يوم الحادث، كل شيء يصرخ أمامها بأنها مي_ هي نفسها تلك المسخ، ولكن ما الذي حدث لوجهها، تراه هل تشوه هكذا بسبب الحادث اللعين؟ لقد تحولت لمسخ جراء هذا الحادث، لمسخٍ تقززت منه بمجرد رؤيته.

تحسست مي وجهها بشكل تلقائي لتتأكد من أن وجهها ليس مشوهاً كتلك المسخ ولكن أصابعها ارتجفت بمكانها، فلا فم لها أو أنفٍ كذلك.

وضعت كلتا كفيها على وجهها لتتأكد مما شعرت به، لتصرخ بصوت ممزوج بألم:" لاا كيف هذا؟ ولكن كيف أتحدث؟ كيف أتنفس؟ لاا لا يمكن، فأنا لست مسخاً، لست مسخاً" لتسقط أرضاً وتتلوى من الألم ويديها ما زالت تتحسس وجهها لينخفض صوتها ويخبو صراخها وهي تردد:" لست مسخاً، لست مسخاً، لست مس..." ليظلم المكان وينقطع الصوت تماماً .

الفصل الثاني والعشرون:

أول أوامر الشرير:

" حسناً لنعد للداخل فلابد من أنهم أنهوا الفحوصات" نهضت منى برفقة مي فور إنهائها تلك الجملة متوجهتان لداخل الغرفة حيث تجلس والدة منى ووالدها.

بعد ساعة من إنهاء الإجراءات والفحوصات وقع الوالد على إذن الخروج من المستشفى، متوجهين للخارج سابقين منى ومى، أخذ الزوج بيد زوجته حتى السيارة خارج المستشفى، ولحقت بهما الفتاتان مع حقيبة والدتها وبقية الأغراض التي أحضروها معهم.

قبل الخروج من باب المستشفى طلبت مي من منى أن تسبقها للخارج وعادت حيث الغرفة فلقد نسيت أخذ هاتفها، أذعنت منى لطلب مي وخرجت منتظرة إياها في السيارة، ظلت مي بالداخل قرابة النصف ساعة ثم أتت راكضة وملامح وجهها تمتزج بالقلق، ركضت حتى دخلت للسيارة دون أن تلفظ حرفاً واحداً، وبمجرد جلوسها انطلق والد منى عائداً للمنزل.

طيلة الطريق لم تتحدث مي ولكن صديقتها منى شعرت بأن شيئاً ما قد حدث ليعكر صفو مي مجدداً، لم تنتظر منى حتى تصل للمنزل بل سألتها على الفور وبصوت هامس:" ما الأمر؟ ما سبب ملامحك تلك وامتزاجها بالقلق هكذا؟ هل تعرض لكِ المريض مرة أخرى؟"

لم تنتبه مي لحديث منى، لتلكزها بعدها منى في ذراعها مكررة نفس الأسئلة، ولكن مي اكتفت بهز رأسها يميناً ويساراً بأن لا شيء حدث، وفضلت الصمت حتى وصلوا للمنزل، نزلت مي واطمأنت على والدة منى وعادت لمنزلها بعد رفضها بتهذيب طلب والد منى توصيلها للمنزل بالسيارة مبررة ذلك بأن المسافة قريبة، كما أنها تريد السير بمفردها حتى المنزل، فأذعن لها والد منى مودعاً إياها هو وابنته منى وزوجته.

في الطريق سارت مي بخطوات سريعة متلفتة بين الحين والآخر خلفها كأنها تهرب من شيء ما يلحق بها.
قطعت مي المسافة بين منزل منى ومنزلها في عشر دقائق بعكس عادتها، فهي تقطعها في أكثر من ربع ساعة بسيرها المعتاد والطبيعي.
بمجرد دخولها للمنزل توجهت لغرفتها مباشرة دون رؤية والدتها أو طمأنتها على والدة منى، ألقت حقيبة ظهرها أرضاً ثم ألقت بجسدها على الفراش، بدون أن تبدل حتى ملابسها.

ظلت مي على حالها ذاك دقائق معدودة قبل أن تدخل والدتها للغرفة، وتسألها عن صحة والدة منى ومتى جاءت؟ ولماذا لم تخبرها بمجرد قدومها للمنزل؟..

اكتفت مي بإجابات مختصرة مثل:" بخير لا تقلقي، أتيت منذ بضع دقائق، من شدة الإرهاق لم أخبرك بقدومي، فلتعذريني الآن يا والدتي فأنا متعبة جداً وأريد النوم قليلاً" لتخرج الأم مطفأة النور من خلفها وكذلك الباب.
وما هي إلا دقائق قليلة حتى نهضت مي من فراشها وتوجهت حيث الباب لتحكم إغلاقه بالمفتاح، وتوجهت لحقيبتها وأخرجت هاتفها الجوال وعبثت به، فتحت مقاطع الفيديو وضغطت على أول مقطع لديها تم تسجيله منذ أقل من ساعة.

" لم أعد أتحمل سأخبر المدير بكل شيء" .. " هل أنتِ حمقاء؟ إن أخبرتهم فهل سيصدقك؟ تخيلي معي أنك أخبرته بما سمعت، هل تظنيه سيعاقبهم؟ ماذا لو كان هو أيضاً متورطاً معهم؟ كيف ستتصرفين حينها؟ بل السؤال هو كيف ستكون عاقبتك؟" ... " وما الحل من وجهة نظرك؟ أن نظل متفرجين هكذا فبدلاً من مشاركتهم جريمتهم بالفعل نشاركهم بالصمت؟ لا أستطيع فضميري المهني والإنساني يحتم عليّ التدخل وعدم الصمت" .. " حسناً فلتذهبي وتخبريهم بما رأيته، هيا انهضي وأخبريهم بأن اثنين من أمهر الأطباء بالمستشفى وبعض الممرضين معهم يتاجرون بالأعضاء، هيا اذهبي!" ..." حسناً سأذهب ولكن

عليك بالشهادة معي كذلك، فلن يصدقني المدير إن ذهبت بمفردي وسيسألني أين الدلائل؟" ..." لذلك بالتحديد أخبرتك أن تصمتي، لأن لا دليل معك ضدهم، فلو كان معك دليلاً حياً بين يديك لأبلغنا عنهم الشرطة وليس المدير فقط"....." حسناً والحل الآن؟ هل تقترح أن نذهب ونجبر المريض على الاعتراف المسجل بأنه باع كليته للمستشفى إجباراً؟ أم الضغط عليه للاعتراف المصور على الأطباء المشاركين في تلك الجريمة؟"...." لا أعلم ولكن.... تباً يبدو بأن أحدهم يتجسس علينا" .. ويتوقف الفيديو.

أعادت مي مشاهدة الفيديو مراراً وتكراراً، والذي كان مجرد تصوير لظلين اثنين أحدهما لأنثى والآخر لذكر، كما بدا من حوارهم الهامس في إحدى زوايا ممرات الطابق السفلي للمستشفى التي لا يتواجد بها أحد، بالقرب من غرفة المفقودات حيث ذهبت مي لتحضر هاتفها، بعدما وجده أحد عمال النظافة وأخذه لغرفة المفقودات بالمستشفى.

دارت الاستفسارات والأفكار بخلد مي، فماذا ستفعل بهذا الفيديو؟ هل ستخبر منى أم ستخفيه عنها؟ ماذا ستفعل به، هل تخبر الشرطة؟ لكن ماذا لو أدخلت نفسها في مشاكل بسببه؟ ماذا لو توصل لها أحد الأطباء المتهمين؟ ماذا لو جلبت لأسرتها الأذى؟

أثناء تناطح الأفكار هذا بخلد مي، تراءت لها فكرة حمقاء ولكنها تغلغلت في فكرها حتى أحكمت السيطرة عليه؛ ماذا لو ذهبت للمستشفى مجدداً وكشفت هؤلاء المجرمين؟ يا لها من مغامرة لطالبة في السنة الثانية من مرحلتها الثانوية، فلطالما تمنت مي أن تساعد بلدها في شيء إيجابي، فها قد أتت لها الفرصة على طبق من فضة كما يقولون، فلماذا لا تستغلها؟ فهي في النهاية ستساعد بلدها في درء إحدى خلايا فيروس خطير من التطور واقتلاعها من مكمنها.

رسمت مي لنفسها خطة بدت من سيرها سهلة التحقيق ولكنها لم تعلم بخطورتها إلا عندما غاصت فيها حتى عنقها.
بعدها بثلاثةٍ أيام عادت مي لنفس المستشفى بحجة أنها تريد عمل صورة دم كاملة، ومن حسن حظها أن معمل التحاليل كان مكتظاً بالبكتيريا أكثر من البشر، لذا سيتأخر دورها قليلاً.

فقررت أن تتجول مي في المستشفى قليلاً حتى اقتراب دورها، وبخطوات واثقة تجولت ومضت في طريقها، فها هي تسأل أحد الممرضين عن قسم الباطنة و متى سيأتي الطبيب المعالج بالضبط؟
ونراها في ممر آخر تسأل عن الصيدلية لصرف العلاج، لتأخذ جولة بين ممرات المستشفى كافة وتحاول التحدث مع الموظفين والموظفات لتصل لصاحبي الصوت بالفيديو.

مضى النهار بطوله دون أن تصل مي لأية وجهة، فهي لم تجد لا أصحاب الظل ولا حتى قامت بتحليل للدم، غادرت مي المستشفى خائبة أحد الأملين وهو صاحبي الظلين، أما الآخر فأعطاها دفعة أمل جديدة لتتمكن في الغد من المجيء مجدداً لتقوم بهذا التحليل.

استعدت مي كثيراً لليوم التالي فشحنت بطارية هاتفها بالكامل، كما سمعت قبلها من منى بأن والدتها ينقصها علاجاً ولا يوجد سوى بصيدلية المستشفى، لذلك أخذت منها اسم العلاج ليكون حجتها في البحث عن الاثنين مطولاً، وخلدت للنوم ليلتها باكراً، حتى تنهض نشيطة لمواجهة تلك المعمعة .

في الصباح استعدت مي للمستشفى فخرجت صائمة بسبب التحليل، وقبل دخولها المستشفى جذب انتباه أذنيها صوت مميز، لتلتفت للخلف وتقع عينيها على طبيبة محجبة تتحدث مع أحدهم بالهاتف، كانت من حديثها غاضبة وربما دلت ملامحها على شدة حنقها ولكنها للأسف خبأت أسفل نظارتها الشمسية الكبيرة.
مرت الطبيبة بجوار مي التي سرعان ما أسقطت حقيبتها أمامها، لتنحني الطبيبة بتلقائية معيدة الحقيبة لمي، وأكملت سيرها بابتسامة هربت سريعا من شفتيها، لصراخها في الهاتف من جديد.

ربما الرائي تعجب تصرف مي السخيف منذ قليل، لكن إن أمعن النظر جيداً ليد مي سيعلم مقصدها الحقيقي من ذاك الفعل.
دخلت مي بعد الطبيبة مباشرة وهي مخبئة شيء ما في كفها، لتنظر له بابتسامة جانبية خفيفة وتدسه بسرعة بجيب معطفها، وتكمل طريقها حيث معمل التحاليل الذي كان فارغاً اليوم بعكس الأمس.

دقائق قليلة وخرجت مي من المعمل منتظرة نتيجة تحاليلها بالخارج، لتنتهز الفرصة وتبحث عن مكتب الطبيبة المحجبة التي قابلتها بالخارج، سارت مي في

الممر نفسه تبحث عن الطبيبة شيرين قسم نساء وتوليد، كما ظهر من بطاقة تعريفها التي سقطت من جيب البلطو الطبي بالخارج.

بعد ربع ساعة من البحث توصلت مي لمكتب الطبيبة شيرين، وقبل أن تطرق الباب إذ بالصوت الثاني يخترق أذنها أيضاً.

تحدث صاحب الصوت للطبيبة مازحاً:" تبدين جميلة اليوم، فمتى العرس؟" لتجيبه الطبيبة بسخرية:" لا عرس بدون عريس".

لتقطع مي حوارهما الشيق هذا لدرجة السخف بطرقها على الباب.

لحظات حتى تكرم الطبيب ناطقاً:" تفضل" لتفتح مي الباب برفق معتذرة قدومها لمكتب الطبيبة، وما إن أخرجت البطاقة من جيب معطفها ومدت يدها، حتى قفزت الطبيبة من مكانها وأسرعت لمكان مي وبصوت طفولي قالت:" أووبس، الID لقد سقط مني مرة أخرى بدون انتباه، الحمد لله أنك وجدته يا عزيزتي، شكراً لكِ" لتجيبها مي بابتسامة:" لا شكر على واجب، تفضلي".

كادت مي تخرج من المكتب ولكن نداء الطبيب عليها جمد قدميها مكانهما" هاااي، انتظري"، توترت مي من إيقاف الطبيب لها، فهي لم تفعل أي شيء بعد، فماذا يريد منها؟".

تسمرت مي مكانها وازدادت ضربات قلبها حتى كاد أن يغشى عليها من شدة توترها، لينطق الطبيب أخيراً:" حقيبتك مفتوحة من الخلف" لم ينهي الطبيب جملته، حتى تنفست مي الصعداء ملتفة للخلف حيث الحقيبة، ثم نظرت للطبيب وبابتسامة سريعة شكرته:" أووه، شكراً". لتنزع حقيبة ظهرها من خلفها وتسرع في الخروج قبل أن يلاحظ الطبيب أي شيئاً آخر.

خرجت مي وقطعت الممر حتى وصلت لمعمل التحاليل وهي لا تفكر سوى بأن خطتها كادت أن تنكشف، فتباً لإصرارها على معرفة الحقيقة، وتباً لشجاعتها المزيفة في الإمساك بالمجرمين، ما شأنها هي والمجرمين وتجارة الأعضاء.

أمرت نفسها بغضب:" ستأخذين نتيجة التحاليل وتحضري العلاج لوالدة منى، وستعودين فوراً للمنزل، لا شأن لكِ بجرائم أو تجارة أعضاء، فلتتركي الأمر لمن لهم السلطة".

وبالفعل توجهت مي لمعمل التحاليل وانتظرت نتيجتها حتى أخذتها، ثم توجهت مباشرة للأسفل حيث صيدلية المستشفى، وهي في طريقها للصيدلية رن هاتفها، لقد كانت والدتها التي قلقت لتأخرها كل هذا الوقت في المستشفى، لتخبرها مي بأنها أخذت لتوها نتيجة التحليل، وستحضر الدواء لوالدة منى وستعود على الفور، لتنهي بعدها والدتها الاتصال.

أكملت مي طريقها للصيدلية ولكن في طريقها رأت المريض الذي أخافها من قبل، لقد كان منتظراً عند الصيدلية، لتركض مي للخلف مختبأة في إحدى الغرف الجانبية، وظلت تراقب المريض من غرفتها تلك حتى يذهب، وأثناء اختبائها هذا، سمعت همسات بالقرب منها، لتنظر بسرعة خلفها فلم تجد أحداً.

فزعت مي بسبب تلك الهمسات التي مازالت مستمرة رغم عدم وجود أحد بالغرفة معها، لتدخل للداخل لتجد جداراً يفصل بين غرفتين؛ اقتربت مي بحذر من الجدار، ووضعت أذنها لتتبين مصدر تلك الهمسات، وما سمعته قد أجرى اللعاب في فمها.

فأسرعت وفتحت هاتفها بعد أن فعّلت خاصية "كتم الصوت للمكالمات"، وفتحت مسجل الصوت وسجلت ما يدور.

" لقد وقعت أيدينا على عميل مناسب" .. " من ؟ ومن أين تعرفه؟ ومتى التسليم؟" ....." طفل مختطف، كبده جيد وكليتيه جيدتين، كما أن مقلتيه صافيتين، و..." ..." ماذا؟ طفل؟ لا، لم ينحدر عملنا لهذه الدرجة، فلتلغي الصفقة" ...." لكن لماذا؟ فالطفل ليس له أهل، كما أن عملنا ليس قتله أو اختطافه، سيأتينا على طبقٍ من فضة" ..." لا، أخبرتك بأن هذا ليس مستوانا، فنحن لا نتاجر بأطفال مختطفين، فلا يهمنا سوى التراضي بين الطرفين" ..." ولكن ما وجهة نظرك؟ فإن كان هذا محرماً ومجرّماً فذاك أيضاً مجرّم، فبمَ اختلفنا؟" ..." أخبرتك ولن أتحدث كثيراً، أبلغهم بالرفض، ولا تطل الحديث أكثر، فإن انتبه لحديثنا هذا أحدهم سنسافر لرحلة بلا عودة، فلتحذر" ..."حسناً، كما تريد، سأخبرهم برفضنا، إلى اللقاء" ..

كادت مي تنسحب بهدوء بعد سماعها لهذا الحديث ولكن ما حدث بعدها غير رأيها، فعادت لإكمال التسجيل..
" مرحباً، اسمع.. طبيبنا رفض العرض، لا.. فهو يخشى أن يلوث يديه بدم طفل، لا لا تلغي، سأبحث عن طبيب غيره، لا تقلق فالمستشفى مليئة بهم..، حسناً ولكن متى التسليم؟ جيد جداً.. بعد غد، الساعة الثانية فجراً أفضل، حسناً، لا.. لا تقتله الآن فكلما كانت الأجساد حية كلما زادت فرصها، حسناً وداعاً".
لينهي المتحدث المكالمة ويغادر مخلفاً ورائه حنقاً كبيراً في قلب مي، وغضباً ملأ عينيها لتسيل دموعها كالسيل.

خرجت مي مباشرة من حيث تختبئ لخارج المستشفى، بدون أن تلتفت للوراء، ركضت بدون انتباه حتى أنها ارتطمت بأحد المارة الذي كاد أن يسبها ولكنها أكملت طريقها بدون اعتذار حتى، فهرولت حتى توارت المستشفى من خلفها عن الأنظار.
ذهبت حيث أقرب مركز للشرطة ولكن أبت قدميها الدخول، فانتظرت طويلاً أمام القسم، وسرعان ما التفت للوراء وعادت للمنزل.

دخلت غرفتها مباشرة كما فعلت بالأمس، وكررت ما فعلت ولكن تلك المرة انزوت على فراشها وأطلقت العنان لدموعها وهي تتذكر ما سمعته منذ قليل، ظلت هكذا قليلاً ثم سرعان ما غفت بدون وعي، لتراودها الكوابيس عن ما سمعت.

فرأت جثث أطفال مقطعة إرباً، وجثثاً لمختلف الأعمار ملقاة في كل مكان بالمستشفى، ورأت الأطباء ملثمين بكماماتهم تغوص أيديهم في الدماء، لقد كان المكان كمسلخ للبشر بدلاً من الحيوانات.

كان يعج بصراخ الأطفال في كل مكان، وفجأة رأت نفسها بالمكان مقيدة اليدين والقدمين، وحولها الأطباء بأدوات الجراحة يقتربون منها لتقطيعها أشلاءً، كانت تحاول الصراخ ولكن فمها كان مكمماً فدمعت عيناها حتى تحول لون دموعها للون الدم من شدة البكاء، حاولت تحرير نفسها والهرب، لكنها لم تفلح.

اقترب منها أحدهم وبيده السكين ليغرسها في جسدها بتعطش كبير للدماء، لتصرخ مي في فزعة من ذلك الكابوس، فتدخل والدتها الغرفة راكضة على صراخ

ابنتها، فتحتضنها مطمئنة إياها ومرددة الأذكار إلى أن غفت مي مجدداً، لتنسحب الأم خارج الغرفة بعد أن تأكدت من غرق مي في النوم، بدون فهم لمَ حدث منذ قليل مع ابنتها.

ظلت مي بقية اليوم غارقة في نومها العميق، لم تستيقظ إلا في اليوم التالي صباحاً عندما أيقظتها والدتها بحنان، لتفتح مي عينيها وتجهش بالبكاء لتذكرها ما حدث بالأمس في المستشفى، فتحتضنها والدتها مهدئة إياها ومستفسرة عما يحزنها، ولكن مي أبت إخبار والدتها بالحقيقة وأخبرتها بأنها سمعت أخباراً سيئة وتوترها في طريقها للمنزل البارحة مما أصابها بانهيار وبسببه رأت كوابيساً.

حاولت الأم تصديق ابنتها فهي لم تكذب عليها أبداً فما الداعي لكذبها اليوم؟ ونهضت لتحضر لها الفطور، بعد إصرار من رفض مي تناول الإفطار والخروج لمنزل صديقتها.

تناولت مي إفطارها سريعاً وتحممت لتنشط جسدها وعادت لغرفتها تفكر في حل لما حدث، فهي مخيرة بين أن تخبر الشرطة وتريهم الأدلة، وبين أن تعود للمستشفى وتخبر الطبيبين بما سمعت فيبحثا هما عن حل وينتهي دور مي.

لكن تفكيرها في مصير الطفل المختطف، أقلقها وأوجع قلبها عليه، لذا بعد تفكير طويل نهضت وقبل أن تبدل ملابسها، فتحت حاسوبها المحمول ونسخت مقطع الفيديو والتسجيل الصوتي ثم أغلقت الجهاز، بدلت ملابسها وتوجهت للمستشفى، وبداخلها شيئاً واحداً؛ هو معرفة مكان الطفل وإنقاذه قبل أن يقتله الوحوش.

وصلت مي للمستشفى، وتوجهت لمكتب الطبيبة شيرين التي بمجرد رؤيتها حتى حيتها مبتسمة، متسائلة إن كانت تريد منها شيئاً، أم أتت لرفيقها الآخر.

قبل أن تنهض الطبيبة وتترك المكتب لبدأ مناوبتها، بادرتها مي بسؤال سريع أوقفها عن الحراك:" ماذا ستفعلين لو كنت سبباً في إنقاذ حياة طفل صغير من براثن تجارة الأعضاء؟" .. لتنظر الطبيبة بذهول لوجه مي مستفهمة بصوت مضطرب، مبتلعة ريقها بعدها بصعوبة:" ماذا؟ ماذا تقصدين؟"..

لتقترب مي من المقعد بجوار المكتب وتجلس عليه بدون إذن الطبيبة، مشيرة إليها بالجلوس حيث المقعد الآخر المقابل له، لتبدأ في توضيح ما تقصد بصوت حزين:" لقد سمعتكما منذ أيام تتحدثان حول تجارة أعضاء، حديثك وخوفك وقتها هو ما شجعني لمحادثتك اليوم، فأرجوك ساعديني" أنهت مي جملتها تلك وهي تذرف الدموع..

حاولت الطبيبة ربط الكلمات ببعضها البعض، وتهدئة مي وحثها على متابعة حديثها، فهي لم تفهم مقصدها بعد، فاقتربت من مي وربتت على كتفها ومسحت دموعها، وقالت في قلق:" ماذا تقصدين بحديثك؟ أرجوك فلتفهميني بهدوء مقصدك".

حاولت مي التهدئة من روعها ومسح دموعها، لتجيب الطبيبة في صوت متقطع:" لقد سمعت حديثكما عن تورط أحد الأطباء بتجارة الأعضاء، ولكن البارحة سمعت بأذنيّ ذلك، سمعت الطبيب يتحدث مع موظف آخر خمنت أنه ممرض عن تجارتهم للأعضاء، وسجلت ما سمعت، إنه معي هنا في هاتفي".. لتخرج هاتفها من حقيبتها وتفتح مقطع الفيديو، وتري الطبيبة ما سجلته.

ربع ساعة من الصمت التام دامت بين الطبيبة ومي، حين سمعت التسجيل ورأت الطبيبة مقطع الفيديو بهاتف مي، لتسأل مي وهي تبتلع ريقها بصعوبة:" هل سمع أحد غيرك تلك التسجيلات؟ وهل أخبرتي الشرطة؟" .. لتجيبها مي بسرعة:" لا، لقد خفت كثيراً من ردة فعلهم في المنزل، لذلك لم أخبرهم بما سجلت، كما أني كنت على وشك الذهاب للشرطة، لكن لم أتمكن من إخبارهم أيضاً" أنهت حديثها والدموع تتكدس بجفونها تستعد للانسياب مجدداً.

تنفست الطبيبة الصعداء وصمتت برهة من الوقت، قبل أن تكمل حديثها في شجاعة واضحة:" هيا فلنخبر المدير بذلك؟ فلدينا الآن دليلاً قوياً بين أيدينا، كما توجد شاهدتين وليست واحدة، فهيا سنذهب لمدير المستشفى الآن، ثم سنذهب للشرطة".

نهضت الطبيبة وبيدها الهاتف ومن ورائها مي التي شعرت بارتفاع ضربات قلبها نتيجة لهذا التشويق والحماس، وتوجهتا لغرفة مدير المستشفى، الذي بعد طرق الطبيبة لباب غرفته سمح لهما بالدخول.

كان بالداخل الطبيب الآخر رفيق الطبيبة والذي كان اسمه محمد، كان يجلس أمام مكتب المدير، الذي سرعان ما اعتدل في جلسته عند رؤيته لشيرين ومي، ليسرع مستفهماً من شيرين:" ما الخطب؟" لتقترب منه شيرين مقربة إليه الهاتف قائلة بتحدٍ:" الدليل معي الآن".

لم يفهم المدير عن ماذا يتحدث الطبيبان ليقطع حديثهما متسائلاً:" ما الذي يجري هنا؟ ومن هذه" مشيراً بإصبعه لمي، لتسرع شيرين مجيبة إياه في هدوءٍ تام:" يؤسفني إخبارك يا سيدي بأن مستشفاك تتاجر في الأعضاء، والدليل معي" أنهت حديثها المختصر مشيرة لهاتف مي الذي بقى في يدها.

صرخ فيها المدير بغير صبر:" ماذا؟، عن أية تجارة أعضاء تلك تتحدثين؟".. لتبدأ شيرين في سرد ما رأته وسمعته منذ أيام؛ "أتذكر الشاب السوري الذي أجريت له عملية الزائدة الدودية؟" ليجيبها المدير بهز رأسه موافقاً، فتكمل الطبيبة سرد قصتها:" حسناً، لقد خرجنا سوياً قبل غلق جرحه بسبب عملية أخرى طارئة، جئتك طالبة مساعدتك فيها.

صمتت الطبيبة لثانية للتنفس ثم أكملت حديثها:" بعد انتهائنا منها بنجاح، عدت لغرفة الشاب السوري مجدداً لأطمئن على صحته بعد نجاح عمليته، وقبل أن أدخل إليها سمعت حديث رفيق الشاب في الهاتف، لقد كان يتحدث مع أحدهم حول بيع إحدى كليتي المريض للمستشفى، صدمني الموقف ولكني سرعان ما انسحبت بسرعة قبل أن يراني، حينها أخبرت محمد بما سمعت ولكنه نصحني بالسكوت، وبالفعل قررت الصمت خوفاً على نفسي وخاصةً أن لا دليل معي، ولكن هذه المرة لم استطع فبيدي دليل استطاعت مي من تسجيله". أنهت شيرين حديثها مقربة هاتف مي للمدير لتريه الدليل.
جالت مي بعينيها على المدير ومحمد تارة وعلى شيرين تارة أخرى، حاولت فك شيفرة ما يدور في خلد المدير، فربما كان هو متواطئاً معهم في ذلك الأمر، أو ربما كان ضحية لمثل هذه المؤامرة القذرة.

وما أن سمع المدير التسجيلين وشاركه محمد في الاستماع والرؤية حتى أبديا ردة فعل متفاجئة عند سماع التسجيل .
لم يرتح قلب مي لهما فهنالك سراً يخفيانه بالتأكيد، بعد مشاهدة المقطع جلس المدير على المقعد واضعاً يديه على رأسه ناظراً للأسفل، ظل هكذا صامتاً، في حين اقترب محمد من شيرين هامساً في أذنها بشيء لم تتمكن مي من سماعه،

ولكنها علمته بعدها، فلقد أخرجتها شيرين للانتظار بالخارج، إلى أن يجتمع ثلاثتهم ويقررون ما الذي سيحدث بعدها، حاولت مي أخذ هاتفها معها لكن الطبيب محمد أخبرها بتركه بالداخل.

جلست مي في الرواق أمام غرفة المدير والأفكار تجول بخلدها ذهاباً وإياباً، فماذا لو قام ذاك الطبيب بحذف الأدلة وتهديدها بأذيتها أو أذية أهلها إن أخبرت الشرطة؟ أو ماذا سيكون القرار الذي سيتخذونه سوياً، هل سيتغاضون عن تلك الجريمة؟ أم سيبلغون الشرطة؟

بعد حوالي نصف ساعة من الأفكار المتناطحة برأسها، خرجت الطبيبة برفقة هاتفها الجوال، وعلى وجهها علامات الحزن، وسرعان ما أخبرت مي:" لقد قام المدير بحذف الأدلة من هاتفك، وسيقوم بنفسه بفتح تحقيق فيما حدث، لذا لا داعي لإخبار الشرطة أو أي أحد بما سمعتي أو شاهدتي، حتى لا تؤذي نفسك أو تتسببي بسوء سمعة للمستشفى".. وقعت تلك الكلمات على مسامع مي كالحجارة من شدتها، لم تنبس مي بأية كلمة وظلت متفاجئة بسبب سلبية ردة فعل هذا المدير وأطباؤه.

تجمعت العبرات بعين مي ومدت يدها لأخذ هاتفها من يد الطبيبة، ومضت في طريقها للمنزل بدون أن يسمع لها صوتاً، عادت مي لمنزلها وهي تجر أذيال الخيبة من ورائها، ومشهداً واحداً يحوم برأسها وهو مشهد الطفل مقتولاً وجثته فارغة تماماً من الأعضاء.

قطرات سقطت بللت الورقة لتذوب بداخلها الحروف...

سقطت دموع المسخ مغرقة أوراق المذكرات، لتتوقف عن القراءة ناظرة للمرآة حيث مي محتجزة، لترى ملامح الحزن والألم التي ارتسمت على وجهيهما.

تعالت بعدها ضحكات الشرير، ليتحدث بعدها موجهاً حديثه للمسخ قائلا في سخرية:" والآن هل عرفت ما هو أول أمر؟ أم أثر الحادث بما تبقى من عقلك، فصعب عليك فهمه؟".

توقفت المسخ عن بكائها مجيبة الشرير بكل حنق:" لا لن أنفذ ما تريد حتى لو... حتى لو خسرت جزءاً من حياتي مقابل ذلك، فما تريده خبيث للغاية، ومجحفاً بحق إنسانيتي". أنهت جملتها تاركة العنان لعبراتها من جديد.

صوت تصفيق غطى على انهيار المسخ وبكائها تبعه حديث الشرير الساخر للمسخ:" يا لها من شعارات جميلة وملهمة، لقد أدميتي قلبي بحديثك هذا".

وفجأة تحول الهدوء الممتزج بالسخرية لصراخ بصوت مرتفع، مغلفاً بأسلوب تهديد وتحذير:" فلتنسي كل تلك الذكريات، انسها الآن، وإلا تحول ما تبقى من ذكريات لديك لخرابٍ تام، خراب ستتخبطين بداخله للأبد فتتمنين بعدها الموت رحمة لك، مما ستلاقيه".

تعالت فجأة أصوات الصراخ من داخل المرآة، فتحدثت مي ونبرات الغضب جلية في صوتها:" لن تقدر على إجباري بشيء، مهما حاولت وتعالت تهديداتك فلن أمسح ولو جزأً صغيراً من ذكرياتي تلك، لن أنسى ما حييت، سأحول جنتهم المزيفة لجحيم دامي".

الأمر الثاني:

قطع صراخ مي الغاضب ضحكات الشرير وحديثه، دام الأمر كثيراً، لتنهض المسخ من مقعدها متوجهة للمرآة، لتشكر مي على شجاعتها تلك وعدم خوفها من تهديدات الشرير.

أرادت أن تدخل يديها حيث مي لاحتضانها والتخفيف عنها قليلاً وبالفعل فعلت، وبمجرد تلامس يديها لجسد مي حتى تصلب سطح المرآة وعلقت ذراعيها بالداخل حتى منتصفهما، لتصرخ الفتاة في ألم ومي في خوف.

حاولت الفتاة تحرير ذراعيها ولكن كلما حركتهما انغمست قطع الزجاج بهما أكثر، رغم الألم ونزيف الدماء لم تتوقف الفتاة عن محاولات تحرير ذراعيها، اقتربت مي من الزجاج من الداخل وحاولت تحطيمه ولكنها لم تفلح، فظلت تضرب بكل قوتها على سطح المرآة من الداخل حتى تورم كفيها.

دام هذا الموقف لدقائق شعرت فيهم الفتاة كما لو أنها ساعات من شدة ألم ذراعيها، دقائق من الألم والصراخ والدموع وقلة الحيلة دامت، حتى قطعهم صوت الشرير من جديد قائلاً في تحدٍ:" أخبرتك من قبل، إن تحديتني ما الذي سيصيبك، رغم ذلك حاولت... لكم هو رائع هذا الشعور؛ فريسة ضعيفة تتلوى من الألم ومفترس يستمتع ويتلذذ بأنينها المستمر".

صرخت مي في الشرير وأمرته بغضب قائلة:" فلتحررها والآن"..... قهقه الشرير وعلت قهقهته، مجيباً إياها:" آسف يا عزيزتي، فأنا لا أنفذ الأوامر ولا أجيب على الأسئلة، أنا أطرح الأسئلة فقط، لذا لا تأمريني والتزمي الصمت".

صمتت مي وطال صمتها حتى ظنت الفتاة بأنها فزعت من تهديدات الشرير لها، ولكن صمتها كان بسبب شيئ آخر قفز بفكرها بغتةً ذكرها بشيء، لقد تذكرت شيئاً مضت عليه مدة من الزمن، قطعت مي صمتها صائحة في الشرير:" إنه أنت!! أنت الدجال، إنه صوتك ونبرتك وسخريتك نفسها، أنت هو نفسه، ولكن لماذا تصر على هذا الأمر، ما الرابط بينك وبين تجارة الأعضاء هذه، إلا إذا... إلا إذا كنت أنت ذاك الطبيب الجزار، نعم لا بد من أنك هو".

ضحك الشرير مصفقاً بيديه، وبذات النبرة الساخرة أجاب مي:" رائع، لم أكن أتوقعك بكل هذا الذكاء، ولكنك تأخرت كثيراً حتى اكتشفت ذلك، نعم أنا هو الطبيب ولكن ما قصة الدجل تلك بي، هذا ما لا أعلمه، ولكن لا يهم؛ ما يهم الآن أنك ستمحي هذه الذكرى وللأبد من عداد ذكرياتك هذا وبعدها ستتحررين للأبد، فلقد أرهقتني طويلا منذ علمت بسرك وبتسجيلاتك التي ستلقيني في السجن حتى تتعفن جثتي، ولكن ليس بعد الآن فلقد حولتني معرفتك سري لجسد يخشى من الغد؛ جسد بلا عقل من كثرة التفكير بمتى سيأتيني العقاب على فعلة لم أفعلها، بل حتى أني رفضت فكرة ذاك الأحمق؛ نعم فأنا لست بجزار كي أقتل مقابل سرقة الأعضاء، ولكني أفضل التجارة فكلا الطرفين سيفوز، ولكنك أنت بشجاعتك المزيفة وخططك الطفولية وتدخلاتك التي لا جدوى منها من أجبرني باللحاق بك حتى خارج حدود بلادنا لإسكاتك أو لتهديدك، لن أسامحك على ما حولتني له؛ لقد حولتني لقاتل متسلسل_نعم_ فأنت السبب في تحولي هذا، لو أنك لم تسجلي ما سجلته من صوت ومقاطع لما وضعت نفسك في هذا الموضع أبداً، ولكنك حمقاء، لأنك جذبتي إليك أعتى المجرمين، فلم تجذبينا فقط بل جذبتي إليك المتطرفين، وكل هذا بسبب أحلامك الفضلى في تحويل العالم القذر لجنة لا تذبل أبداً، يا لك من حمقاء حالمة". أنهى حديثه هذا لتتحول أنظار مي للفتاة

ولذراعيها العالقتين في المرآة وسحب الأفكار تتجمع بخلدها باحثة عن حل وسط أو سبيلاً للخلاص.

قطع حديث مي صوت الشرير الحانق على مي ليكمل حديثه:" أنت من عليك الدفع الثمن لا أنا، فما أنا إلا طبيب مغلوب على أمره لم ينفذ سوى أوامر المدراء، أما أنتِ فلم يجبرك أحد على ما فعلته حتى الآن، لذا تستحقين أشد أنواع العقاب، حتى وإن لم أرحمك أنا فسيأتي من يبغضك لتدخلاتك المراهقة وسيؤذيكِ بكل ما لديه من قوة، لذا فلا ترهقي جسدي أكثر ولتنفذي الأوامر بدون مجادلة أكثر، فلقد سئمت منك ومن إدعاءاتك المتكررة بالمقاومة".

لتجيبه:" موافقة.. سأنسى كل ما تريد لكن بشرط، حرر الفتاة أولاً؛ فهي لا تتحمل فقدان جزء آخر من جسدها، وأخبرني ما هو أمرك الثاني، ثم سأفعل كل ما تريد، ولكن كيف علمت مكاني بعد تلك المدة الطويلة وكيف علمت بأني أحمل تسجيلات تدينك؟".

أنهت مي حديثها لتنظر لها الفتاة وتهز برأسها رافضة فكرة مي، ولكن بإيماءة من مي وبابتسامة خفيفة فهمت مغزاها وسمعت بقلبها ما تقصده مي، صمتت الفتاة وكأنها رضيت بالاتفاق.

تحدث الشرير بعدها مباشرة وكأنه اقتنع بفكرة مي:" جيد وأنا موافق على تحرير الفتاة أولاً ولكن، لن أحررها إلا قبل أن أعلم جوابك عن الأمر الآخر، لذا سأدخل في التفاصيل مباشرة ولكن قبل التفاصيل سأجيب تساؤلك يا عزيزتي؛ أتذكرين ذاك اليوم حين قابلتي مدير المستشفى؟ لقد هاتفني حينها وأسمعني ما دار بالداخل من اتهامات لشيرين بفضح الأمر للشرطة، ما لم تعلمه الطبيبة هو بأن المدير هو اليد المدبرة لكل شيء، فهو من يسيرنا بعصاه وهو من يحركنا بخيوطه لأجل مصالحه القذرة، لذلك أراد مني مراقبتك جيداً وألا أؤذيك قبل أن أتأكد من أنه لا دليل آخر لديك... توقف قليلا قبل أن يكمل

"ولكنك كنتِ بارعة يا عزيزتي فلقد استطعت أن تضللي طريقنا كي لا نتعقبك للمنزل؛ لا أعلم حقيقة إن كنت تعلمين بأمر من يراقبك أم لا، ولكنك كنتِ بارعة للغاية في إضاعتنا لك، لذا قمنا بوضع خطة جديدة؛ لم أضعها أنا بالطبع بل الممرض الأحمق الشره للمال هو من وضعها وبتدبير من المدير..

حلمك المتكرر هذا باختطافك في مخزن؛ أتذكرينه؟ ليس حلماً في الواقع بل حقيقة، بدأ عندما وصلتك رسالة على هاتفك الجوال من الطبيبة شيرين بأنها وجدت دليلاً آخراً مهماً سيلقي بالمجرمين في السجن للأبد، وكان اللقاء بقرب المشفى القديم، بالتأكيد لم تفوتي الفرصة وركضتِ حيث المكان مهرولة، فأنا أعلم تشبثك بالحقيقة جيداً هو من سيلقي بكِ للهاوية، ما لم تعلميه وقتها بأن الطبيبة أيضاً كانت طعماً لكِ كما أنتِ كنتِ طعماً لها.. أوقف سرده الحانق صوت قهقهاته العالية الذي تعالى عن السابق.. ليكمل بعدها حديثه

.."وكلتاكما كنتما طعماً غبياً كفاية سهل التخلص منه وللأبد، لم أحبذ فكرة قتلكما ولكن الممرض كان مصراً على التخلص منكما بل وسرقة أعضائكما، لذا كان هذا ما سيحدث لولا معرفة الأحمق محمد بمكان شيرين_ المتيم بها حد الجنون_ ، لذا آتى محذراً لنا من إرسال كل الأدلة للشرطة إن مسسناكما، وهذا ما حدث، فحياتنا كانت مقابل حياتيكما " ....
وقبل أن تجيب مي، أكمل الشرير:" أما عن معرفتي لمكانك هنا هو بسبب الأخبار المتداولة عنك ودخولك للمستشفى، وجدتها فرصة لإسكاتك للأبد، كي أتخلص من مخاوفي وعيش ما تبقى لي في راحة، ولكنك أيضاً حتى بمرضك هذا كنت كالشوكة في الحلق، لا أعلم ماذا فعلتي كي تحاطي بكل تلك الحراسة والمراقبة المتجددة لغرفتك، حتى وأنتِ غائبة عن الوعي كنتِ أذىً لي"..

صمت بعدها مطولاً وقبل أن تتحدث مي صرخ محذراً:" حادثة التفجير، الحريق الذي حدث بمنزل الطفل و الصور وجميع ما معك من دلائل ضد المذنبين الفعليين لجرائم الدين تلك، لتمحها أيضاً".

خرجت الفتاة عن صمتها، وقبل أن تتحدث مي مستفسرة عن طلبه ذاك وما علاقته بالحادث، صرخت الفتاة موجهة صراخها للشرير:" لا، لن تفعل أي من هذا؛ لا الأمر الأول ولا حتى الآخر، لن ندع المجرمين يفلتوا من العقاب، ليس بعد الآن، مي أرجوك فلترفضي هذه الأوامر، فتحريري لن يكون نتيجة لظلمك أو لغيرك من الأبرياء، أرجوكِ فلترفضي"..

تسمرت قدما مي بلا حولٍ أو قوة بدون حراك لدقائق، نظراتها تجول بين الفتاة تارة، والفراغ من حولها حيث يصدر صوت الشرير تارةً أخرى، وقبل أن تكمل الفتاة رجاءها نطقت مي:" حسناً، موافقة"... ومع آخر كلمة سالت عبراتها كشلال قوي.

ما هي إلا ثواني معدودة حتى صدق الشرير في وعده وحرر الفتاة، لتخبرها مي بأن تذهب حيث المذكرة وتمزق كل الذكريات المقصودة، توجهت الفتاة بألمٍ وحسرة حيث الطاولة لتمزق الصفحات، و قبل أن تنفذ الأمر بإعدامها صرخت مي:" لاا... فلتهربي من هذا السجن وتحرري نفسك قبل أن يؤذيك الشرير مرةً آخرى" .. لم تكد مي تنهي حديثها حتى دست الفتاة الأوراق المتناثرة أرضاً بين باقي أوراق المذكرة واحتضنتها بين يديها، وركضت صوب المرآة حيث تقبع مي لتدفع نفسها بكل ما لديها من قوة للداخل مغمضة العينين، وفجأة عمّ الظلام وتمكن الصمت من كل مكان.

العودة:

راحة اجتاحت جسد مي وهدوء عمّ الأرجاء وصوت حنون تردد في خفوت" قاومي.. لا تيأسي، فقط تذكري أننا ننتظرك هنا، فمهما طال الأمر فنحن هنا، بجوارك.. فقط قاومي"...

ظلام دامس، دقات قلب متسارعة، تنفس مضطرب، أصوات غامضة مخيفة، حركات متتالية، برودة قارصة تجمد العروق، رائحة نفاذة تخترق الصدور، وجسد ميت لا يتحرك.. أين أنا؟!

فتحت مي جفونها وبنفس وتيرة السؤال السابق كررت:" أين أنا؟" تصلبت يد الطبيب المعالج عند سماعه لهذا السؤال، مجيباً بخوف:" أنتِ في المستشفى، هل تتذكرين؟" .. بدقات قلب متسارعة وحدقتين مضطربتين ويداً متصلبة في مكانها ألقى سؤاله، لتجيبه بعدها مي والقلق بادٍ في وجهها:" أجل، أتذكر ولكن أين الفتاة؟"

تنفس الطبيب الصعداء وظهر الارتياح على وجهه، ولكن سؤال مي الأخير أوقف ارتياحه من منتصفه، ليسرع مستفسراً:" عن أي فتاة تتحدثين؟".. أجابت مي ونظراتها تجوب المكان:" المسخ، أين هي؟ هل أذاها الشرير؟ أم تحررت من بين براثنه!!".

لم يفهم الطبيب ما تقصده مي بسؤالها، لذا حاول تهدئتها ومسايرتها ليستفسر أكثر عن ما تقصده، فألقى عليها سؤاله:" أي مسخ، هل تقصدين شخص ما في أحلامك ونومك العميق؟".. نظرت له مي وعلامات الاستغراب ترتسم على وجهها مجيبة:" أي حلم؟ أنا أتحدث إليك بكل وعي، أين هي الفتاة؟ أم أنت هو الشرير وقمت بأذيتها؟".

بدا القلق على وجه الطبيب، وانسحب خارج الغرفة، تاركاً مي خلفه وكل علامات الجنون تشير إليها، فتوجه الطبيب لأستاذه بالخارج لرؤية ما آلت إليه حال المريضة، مريضة الغيبوبة .

دقائق وآتى الطبيب برفقة ذاك الغاضب الذي كان في أحلامها من قبل، ليقترب منها لفحصها، وسؤالها عن حالها وما تشعر به:" بمَ تشعرين يا آنسة؟ وهل تتذكرين ما حدث قبل إغفاؤك هنا؟" نظرت إليه مي وبصوت هادئ أجابت:" لا أشعر بشيء على الإطلاق، لا ألم ولا خوف ولا حتى فرح، هل هذا سيء؟ نعم أذكر ما حدث لقد أفقت ثم غفوت مجدداً، أليس كذلك".

توقف الطبيب عن فحصه بعد إجابة مي تلك، ثم بادرها بسؤال آخر:" ما الذي رأيته خلال سباتك الطويل؟ هل تتذكرين منه شيئاً مميزاً؟ أو هل أثار فضولك شيئٌ ما؟".

صمتت مي قليلاً قبل أن تجيب بنفس وتيرة نبرتها الهادئة:" رأيت كل شيء هنا، الغرفة والخراطيم والأطباء، كل شيء كأنه حقيقي وليس حلماً، حتى أني رأيته هو" أنهت حديثها مشيرة للداخل.

ليجيبها الداخل في توتر وهو مشيراً لنفسه:" ولكن هل تعلمين من أنا؟".. لتجيبه مي سريعاً:" لا، ولكني رأيتك في حلمي، ليس أنت وحسب بل جميعكم" أنهت حديثها وهي مبتسمة.

فرح الطبيب بحديث مي حتى إنه اقترب من زميليه متسائلاً عن ما حدث للمريضة، تحدث ثلاثتهم فيما بينهم ثم خرجوا تاركين مي من خلفهم في دوامتها.

وبمجرد خروج الأطباء حتى انسل من بينهم الثالث إلى زاوية بعيداً عنهما مخرجاً هاتفه الجوال، عابثاً في أزراره ليرسل رسالة احتوت بين طياتها بالإنجليزية:" لقد تم الأمر، لا خوف"، ليخبأ هاتفه بعدها في جيبه ويعود للاثنين.

عجّ مدخل المستشفى بالخارج بالأقدام وملأت الصحافة المكان، ليسرع المارة بالتجمع حولهم لمعرفة سبب تجمعهم، حيث بدأت القنوات تتوالى بمجرد ورود خبر إفاقة مي.

" وردنا الآن بأن المريضة_الطالبة_ مي عادل محمد أفاقت من غيبوبتها بعدما دامت شهراً كاملاً بسبب تعرضها لحادثة دعس، يذكر أن الطالبة مي عربية فهي مصرية الجنسية أتت هنا منذ عامين في بعثة تعليمية لكلية الآداب.

تعرضت مي لحادث دعس سيارة أمام مسجد السلام في وسط المدينة، والتي راح ضحية لتلك الحادثة امرأة وطفلتها غير عشرات المصابين، يذكر أن هذا الحادث ليس الأول من نوعه فقد تعرض العديد من المسلمين في أكثر من منطقة لمثل تلك الحوادث.

الطالبة مي كانت متهمة سابقاً بالإنضمام لجماعة متطرفة قامت بالعديد من حوادث التفجير في أكثر من مكان لغير المسلمين، ليس لدينا أية معلومات عن تلك الأخبار ولكن ما نعلمه هو حسب الشائعات المترددة بالإضافة لخمسة متهمين آخرين بحسب القضية المعروفة بقضية "إ5"، والتي سيتم البت فيها بمجرد تعافي المريضة بالكامل كما أوضح المسئولين.

يذكر أن مي ذات الثاني والعشرين ربيعاً، هي مكتشفة القنبلة التي وضعها الإرهابيون في مسجد السلام، وحسب أقوال الشهود العيان بأن الطالبة ليس لها يد في أي من تلك الجرائم، فهي مسالمة ولا تؤذي أحد، معنا الآن من أمام مستشفى الحرية المتواجدة بها مي، أحد أقربائها.. مرحباً.. أخبرنا في البداية ما صلة قرابتك بمي؟

ليجيبها الفتى بفخر:" إنها أختي التي لم تلدها أمي، ولكنها أختي التي وهبني الله إياها" .. جميل هي تلك الرابطة بالتأكيد، هل من الممكن أن تعرفنا عن نفسك؟... :" رامي، أدعى رامي، لبناني الجنسية في الصف الثالث الابتدائي، من أصل مسيحي، ولكني أعتبر مي أختي بل هي في الحقيقة أكثر من أخت"....

يا لها من رابطة قوية تلك التي تربطكما، رغم اختلاف ديانتيكما إلا أن قلبيكما اتحدا سوياً.
قصتكما؛ كيف بدأت؟ أخبرنا سريعا عن هذا؟" .... بابتسامة لاحت سريعاً على ملامح رامي أجاب:" منذ عام ونصف، عندما أتت لبيتنا كمربية، مذ تلاقت أعيننا بدأت علاقتنا المميزة، تعلمت منها الكثير فمهما تحدثت في صفاتها فلن أوفيها حقها، ولكن كل ما أعلمه وأؤمن به أنها بريئة وستظل كذلك، حتى وإن رأيتها بأم عيني تذنب فلن أصدق، لأن أختي لا تؤذي قط، هي تداوي فقط"....

أنهى رامي المقابلة متوجهاً للداخل ليرى مي ويطمئن عليها، مخلفاً ورائه الكثير من الألغاز والأسئلة لعلاقتهما المميزة تلك، أكملت المراسلة الأخبار:" حسناً، رأينا منذ ثواني رامي أخ مي كما وصف علاقته، ودافع عنها بطريقة أخجلتنا جميعاً، كما سنوافيكم بعد خروج مي ببقية التفاصيل، في النهاية نتمنى أن تظهر الحقيقة كاملة وأن تعيش بلادنا آمنة وبخير"...

ركض رامي بخطوات سريعة حيث غرفة مي، وبعد دقائق من وصوله لأمام الغرفة وجد هرجاً ومرجاً أمام الغرفة ليركض باتجاه والديّ مي ومنى الذين بدا على وجوههم القلق أكثر من الفرحة باستعادة مي وعيها..
" ما الأمر؟ هل مي بخير؟" بلسان متلعثم من شدة التوتر وجه رامي سؤاله لمنى، لتجيبه الأخرى بنفس الوتيرة من القلق:" لا أعلم، لا يخبرونا بشيء ولا يسمحوا لنا برؤيتها كذلك، لا أعلم ما الذي حدث؟" ..

ليبتعد والد مي قليلاً من مكانه متوجهاً لشاب عشريني وسيم، يبدو من ملامح وجهه ولكنته_ أوروبي الجنسية، فيسأله والد مي بهدوء بالانجليزية:" ما الأمر؟ بماذا أخبروك؟" .... التفت إليه الشاب وبصوت خفيض أجاب:" الأمر ليس بما أخبروني، بل بما لم يخبروني به، إنهم يخفون عنا شيئاً ما، أشك بأنه شيء متعلق بتدهور حالة مي الأخيرة" .

نظر إليه والد مي وعلامات الاستفهام بادية على وجهه جلياً فيبادر مستفهماً:" ماذا تقصد؟ وما هو الأمر الذي يخفونه عنا، لا تزد من توتري يا بني فقلبي لن يتحمل أكثر".... أسرع الشاب بالإجابة على والد مي، داساً بخفة ورقة صغيرة مطوية في كف الوالد، ليفتحها على الفور ويقرأ ما دون بداخلها في صمت

ليتساءل بعدها في سرعة:" ما هذا يا عبد الله؟ عن أي خطر تقصد؟ أهذا خط مي؟" ألقى سؤاله الأخير وعلامات القلق تجمعت لترتسم سريعاً على وجهه..

أسرع عبد الله بالتوضيح في هدوء، مربتاً على كتف والد مي:" أجل هو خطها، حسناً مي أخبرتني في هذه الورقة بأن حياتها في خطر محدق طالما هي هنا، وطالما هي في أوراق المستشفى بكامل وعيها وبأحسن حال و.." ..... قبل أن يكمل عبد الله حديثه قاطعه والد مي بسرعة مستفهماً:" ماذا تقصد؟ تقصد القضية والاتهامات الموجهة إليها، أليس كذلك؟" ... هز الشاب رأسه نافيا لحديث والد مي، وعقب بهدوء:" لا ليست القضية هي الخطر، بل المستشفى هي الخطر المحدق، كتبت مي في رسالتها بأن الخطر يحوم حول رأسها لذا هي مضطرة بما ستفعله، ما قصدته هو؛ المجرم الذي يعرض حياة مي للخطر بل ويحاول آذيتها هو طبيب هنا، كما أنها رأته بأم عينيها في غرفتها، فاضطرت مي للتظاهر أمام الأطباء بالنسيان وتشتت عقلها، لتنجو بحياتها فقط من هذا المجرم، وكل ما علينا فعله هو مسايرة وضعها هذا، والإدعاء بالتصديق بأنها نسيت كل شيء متعلق بما قبل الحادث، وبمجرد خروجها من هنا بخير سنبحث عن حل جديد وبسرعة لكي يتم القبض على المجرم ومن عاونه".

أصمت حديث عبد الله والد مي عن الكلام تماماً، وأخذ يفكر ملياً بما سمعه وبما سيحدث فيما بعد، وبينما هو في صمته العميق هذا، اقتربت منه زوجته وبصوت مبحوح تماماً لشدة بكائها ونواحها أياماً على وحيدتها، قالت:" ما الأمر؟ بمَ أخبركم الأطباء؟ هل هناك وضعاً خطيراً بحياة مي؟" ...

أنهت حديثها والدموع تتساقط من عينيها بغزارة، وقبل أن يجيبها عبد الله أشار له الوالد بالتوقف، واقترب من زوجته بحنان محتضناً إياها لتهدئتها هامساً في أذنها بلين:" لا تقلقي فصغيرتنا بخير تماماً، لقد تحسنت حالتها كثيراً عن ذي قبل، ولكننا مجبرين بالإدعاء أمام الجميع بعكس هذا كله وهذا فقط لأمنها، حسناً؟ فلتطمئني الآن وتمسحي دموعك الحارة تلك ولتحمدي الله على ردها إلينا بكل خير وسلاماً" أنهى حديثه الهامس طابعاً بقبلة يتخللها العشق على رأسها، أزالت بسحرها كل الحزن والألم المتجمع في قلبها وروحها.

بعد انتهاء الحوار بين الزوجين، اقترب منهم أحد الأطباء الذين كانوا بجوار مي فور إفاقتها لمواساتهم في رفق قائلاً بصوت هادئ وبنبرة تردد بالعربية:" حمداً لله فلقد أفاقت المريضة و نظراً للفحوصات وإشاراتها الحيوية فهي بخير تماماً،

ولكن.." توقف الطبيب بعد تلفظه لهذه ال "لكن" فأسرعت الأم وبنبرة مضطربة تتسائل:" ولكن ماذا؟ ما الأمر" ليكمل الطبيب حديثه بثقة مزيفة كشفت تمثيله من ملامحه القلقة:" ولكن، يبدو أنها تواجه تشتتاً بسيطاً في الأفكار وتداخلاً بين الحلم والحقيقة، وهذا أمر بديهي بسبب ما وجدناه بداخل معدتها، بعدما أصر الأطباء بعمل غسيل معدة لها لشكهم في إعطائها شيئاً أثر باتزانها العقلي والجسدي".

التفت الجميع لبعضهم البعض بعد حديث الطبيب بتلك الكلمات الأخيرة، ليسرع عبد الله في قلق متسائلاً بعربية جيدة إلى حدٍ ما:" وما هذا الذي وجدتموه بالتحديد في معدتها؟" ليسرع الطبيب مجيباً بشيء من عدم الفهم:" البنزوديازبين!! حقيقة لا أعلم كيف تواجدت كل تلك الجرعة من الأقراص المنومة في معدتها، ولكن المختصين يعتقدون أن تدهور حالتها المفاجئ ذاك بسبب تلك المادة التي استخلصت منها" ..

قطع حديث الطبيب كلمة غاضبة قفزت بدون إذن من فم عبد الله:" سحقاً!!" .. ليلتفت الطبيب متعجباً من غضب الشاب، متسائلاً في عجب:" ما الأمر؟ هل هناك ما تخفيه عنا؟" أنهى سؤاله ونظرات الريبة تتجمع في عينيه.. ليجيبه عبد الله سريعا بالانجليزية:" لا، لا يوجد شيء مهم، ولكن مي كانت تتناول الأقراص المهدئة منذ مدة ولكنها ليست بالقريبة، بسبب شعورها بالأرق، فنصحتها بمتابعة طبيب ووصف لها الطبيب هذه الأقراص ولكنه حذرها من الإكثار منها، لذا غضبت لأنها لم تستمع لتحذيرات الطبيب، ولكن كيف بقيت تلك المادة في معدتها ولم تذوب؟" .

صاح الوالد والوالدة بنفس الوقت في قلق:" ماذا؟ أقراصاً منومة، وأرق!! لكن لمَ لم تخبرنا بذلك يا بني؟ وكيف أخفت عنا مي شيئاً خطيراً مثل ذلك؟" .. ليسرع عبد الله بالإجابة بالعربية:" لا لم يكن الأمر خطيراً لتلك الدرجة، لذلك لم تخبركما حتى لا تشعركما بالقلق عيها في غربتها هذه، كما أنها تحسنت بعد زوال أرقها القديم والذي كان بسبب ما علمته قبل بعثتها ودفنته عميقاً بداخلها، هذا ما أخبرتني به مي وكذلك منى والذي لا أرى أنه من المفيد لها أو لصحتها التحدث عنه مجدداً" ثم التفت لمنى قائلاً:" أليس كذلك يا منى؟" لتهز منى رأسها بالإيجاب وتتلفظ بها:" أجل، هذا ما حدث"..

ليقطع الحديث صوت أنثوي اقترب ببطء حيث لم ينتبه عليه أحد وبالانجليزية قال:" حديثهما صحيح، فأنا أعرف مي منذ شهور وكانت تتابع عند شقيقي حمزة كذلك، هو الذي أخبرني بأن حالتها بدأت تتحسن وبدأ الأرق يتركها شيئاً فشيئاً، ولكن الذي تسبب بتناول تلك الجرعات، ليس مي، بل هناك شخصاً آخر تعمد حقنها بهذه المادة وبدون إذن صحي من أحد"..

أنهت حديثها الغامض هذا لتلتفت إليها كل الأعين المتواجدة في هذا المكان، وبصوت متقطع لفظ الأب:" لم أعد أعي أي شيء، ما الذي يحدث لابنتي؟ ومن هذا الذي يريد أذيتها؟ لا أعلم شيء، كل ما أعلمه هو أني أريد السلامة لطفلتي والأمان، لا شيء آخر" .. أنهى حديثه محتضناً كتف زوجته التي وافقته الرأي برأسها.

وما هي إلا لحظاتٍ حتى سمح الأطباء لعائلة مي بزيارتها، ودخلت معهم الطبيبة والطبيب العربي للداخل، وقبل أن يتوجه الجميع لداخل الغرفة، لفت نظر عبد الله والطبيبة أحد الأطباء الذين كان يراقبهم من بعيد، ليلتفت عبد الله للطبيبة ويومئان لبعضهما البعض برأسيهما بدون حديث ويدخلا.

حاول الطبيب المتجسس الدخول لغرفة مي ولكن، بأمر من الطبيبة منع دخول أي أحد لزيارة مي غير عائلتها، لينسحب الطبيب للخلف طاوياً الأرض بقلق ممسكاً هاتفه في اضطراب.

في الداخل احتضنت مي والديها ومنى ورامي كذلك والطبيبة التي اتضح إنها مريم زوجة فاروق الألمانية، اجتمع الأحبة في الداخل مرحبين بعودة مي لوعيها بكامل صحتها وبدأت الأمور في الاتضاح قليلاً..
" مرحباً بكما، لقد أخمدت رؤيتكما لهيبي المحترق بداخلي، لقد ظننت أني لن أجتمع بكما مرةً أخرى، ولكن حمداً لله أن عمري لم ينتهي بعد قبل أن أشبعه بتواجدكما، منى؛ صديقتي ورفيقة دربي كذلك، لقد فرحت كثيراً برؤيتك يا عزيزتي، رامي؛ أخي الصغير الذكي، لقد اشتقت إليكما أنت ومنى كثيراً، الطبيبة مريم؛ أختي الكبيرة وناصحتي وهديتي من الله في غربتي، لقد أسعدتني رؤيتك وكيف هي طفلتك نور؟ " تحدثت مي والدموع تغرق وجهها ووالديها يحتضناها بحنان لإزالة الشوق.

.. لتجيبها مريم بابتسامة غطت وجهها:" بخير، حمداً لله، لقد كانت مصرة على المجيء معي لرؤيتك، ولكن والدها أقنعها بزيارتك في منزلك وليس المستشفى، فلقد سئمَ من رؤية المستشفيات كثيراً" ..

أكملت مي اشتياقها للجميع:" الطبيب الغاضب" ماجد" لقد رأيتك في حلمي كثيراً، أتعلم؟ كنت كما قابلناك أول مرة أنا ومنى، غاضباً ومتكبراً" أنهت جملتها تلك ضاحكة، وهي تغمز بعينيها لمنى التي توردت وجنتاها في خجل..

أجابها ماجد بضحك:" كم هو رائع أن أقابلك في أحلامك كما واقعك، كم أنا محظوظ" .. قطع صوت ضحك الطبيب ماجد، صوت سعلة مصطنعة أطلقها عبد الله بغضب بجوار ماجد، موجهاً حديثه الغاضب لمي:" وماذا عن الفزاعة التي تقف هنا؟ ألا يوجد لها ترحيب حار كغيري من الأحبة، أوه، نسيت بأني لست جزءً بعد من هذه اللوحة الجميلة" أنهى حديثه والغيرة تصرخ من وجهه، ونظراته التي رمقت ماجد بغيظ وهو يتضاحك مع مي، لتقطع والدة مي هذا الجو الغاضب في مزاح:" أيعقل هذا يا بني، فأنت ابني الثاني الذي لم ينجبه رحمي، لك مكاناً بالطبع في لوحتنا الجميلة هذه، وستتوج قريباً أيضاً في عائلتنا".

تبسم الشاب من حديث والدة مي، ونظر بهيام لمي، التي هربت بسرعة من تلك النظرات، لتغير من دفة الموضوع على الفور موجهة حديثها لوالديها:" لقد اشتقت لرؤيتكما كثيراً، لا أصدق بأني أفقت وأخيراً من غيبوبتي تلك، ااه لو تعلمون مدى فرحتي برؤيتكم جميعاً من حولي".

بعد أن زال الشوق بين مي وأسرتها، وجهت مي حديثها لمريم والطبيب العربي والقلق يرتسم على وجهها:" إنه هنا، لقد رأيته، الدجال لاحقني إلى هنا"

حاولت مريم تهدئة مي وحدثتها في حنان :" نعلم لذلك اجتمعنا بك هنا ولنخبرك بما توصلنا له" قطعت مي حديث مريم في عدم فهم مستفسرة:" ما الأمر؟" لتخرج مريم زجاجة أقراص بلاستيكية صغيرة من جيبها، وتقربها من مي وهي تهزها، مجيبة:" هذا هو الأمر، هذه المادة التي استخرجت من معدتك هي الأمر المهم يا عزيزتي، فسبب تدهور حالتك هو شخص يعلم جيداً استخدامك لهذه الأقراص، ويعلم كل العلم بأضرارها على المدى البعيد، لذا بالتأكيد هو طبيب، كما أني أعتقد بأني علمت هويته"..

عقبت مي موافقة على كلام الطبيبة لتتحدث في ثقة:" أجل، كما أني علمت من هو أيضاً، إنه هو الدجال في أحلامي، هو نفسه الطبيب المصري الذي كان يتاجر بالأعضاء منذ ثلاث سنوات مضت، هو نفسه من أعتقد ومتأكدة منه؛ من يريد التخلص مني، لقد رأيته منذ قليل هنا، بدت على وجهه ملامح القلق عندما أفقت، ولكنه سرعان ما شعر بالارتياح عندما ادعيت فقدان الذاكرة وتشتت ذهني".

تحدث ماجد موجهاً حديثه لمريم في قلق:" والآن ماذا سنفعل بعد معرفتنا بالمجرم؟ هل سنبلغ إدارة المستشفى بمحاولة تعريض حياة مريضة هنا للخطر؟ أم هل سنخبر الشرطة على الفور؟" ليجيبه عبد الله سريعا:" لا هذا ولا ذاك، أرى أنه من الأفضل أن نتأنى، ونخطط جيداً، فكل ما سنواجهه به مجرد شكوك ولا دليل فعلي بين أيدينا بأنه هو من فعل فعلته هذه، لذا سيكون من الخطر أن نكشفه الآن، فقد يكون لديه أعوان سيؤذون مي إن علموا بكشفه".

وافق الأب والأم على كلام عبد الله وكذلك مريم التي صاحت مصفقة بكفيها في فرح:" وجدتها، لقد وجدت الحل، سأخبر فاروق ومحمد بما توصلنا إليه وبخبرتهما في الشرطة سيجدون طريقة بالتأكيد"..أنهت حديثها ووافقها كل من بالغرفة، لتخرج هاتفها الجوال وتضغط الأرقام لتتصل بزوجها الضابط فاروق شارحة له ما حدث وما تم اكتشافه حتى هذه اللحظة.

النهاية:

نهضت والدة مي راكضة للخارج وعلامات القلق والاضطراب بادية على وجهها، وما إن وجدت أحد الأطباء أمامها حتى ركضت نحوه وبنفسٍ لاهث أشارت إلى غرفة ابنتها ليفهم الطبيب على الفور ما تقصده السيدة، وبسرعة وبدون تردد ركض الطبيب للداخل، ليجد مي تصرخ وهي ممسكة برأسها وتصيح بكلمات لم يفهمها لتغير اللغة ولكنه اقترب منها مهدئاً إياها ومحاولاً فهم ما تريد..

وسط محاولات الطبيب تهدئة مي وصياحها المتكرر وتلويها من الألم، ارتفع صراخها ليسمعها الطبيب الدجال كما أسمته مي، فيسرع لداخل الغرفة، وبمجرد دخوله تصلبت قدميه لما سمعه، فلقد صرخت مي باسمه عدة مرات:" لا أخرج

من رأسي، إنه هو الدجال من يريد قتلي، لا سأخبرهم باسمك يا سعيد، لاا لم أعد أتحمل"..

كاد الطبيب ينسحب للخلف عندما سمع اسمه، ولكنه تذكر فجأة أنه يدعى طارق هنا وليس بسعيد، لذا حاول التشجع والبقاء مبخراً سحابة القلق التي تراكمت سريعاً بداخله، وبينما الدجال في صمته ذاك وتناقضه الداخلي إذ بالطبيب الآخر يصيح فيه بالإنجليزية:" هيا أسرع وأحقن المريضة بمهدئ، كي لا تتدهور صحتها من جديد، هيا" .. لينفذ الدجال ما أمر به على الفور.

بعد هدوء مي وسكون صراخها، خرج الدجال على الفور متوجهاً لزاوية منعزلة عن الأعين، ليخرج هاتفه مجرياً اتصالاً بدا مهماً من همسه وجديته:" لقد تذكرت شيئاً ما، لا أستطيع البقاء أكثر من ذلك في نفس المكان، سأكشف إن رأتني، لا أستطيع فهي مراقبة طيلة الوقت، لا .. لا استطيع المجازفة بنفسي، فلتذهب للجحيم، لن أنفذ أوامرك، فلتفعل ما تريد لم أعد أخشى تهديداتكم فلقد أدخلتموني في مصائب لا نهاية لها، سأختفي من هنا على الفور.. " أنهى الاتصال ملقياً الهاتف في سلة القمامة بجواره، ليسرع الخطى متلفتاً يميناً ويساراً كي يطمئن من أنه لم يسمعه أحد.

في نهاية الممر رأي الطبيب شخصاً بدا من تصرفاته بأنه كان يراقبه، لذا لم يكمل الطبيب المسير ودخل في إحدى الغرف مغلقاً بابها من خلفه، ركض الرجل خلف الطبيب وحاول فتح الباب ولكنه كان موصداً من الداخل، حاول الرجل مراراً فتح الباب بهدوء حتى لا يشك به أحدهم ولكن بلا جدوى.

كاد سعيد يموت رعباً مما حدث وهو مفترش الأرض خلف الباب، ولسان حاله يردد:" ليتني لم أقحم نفسي في مصيبة كتلك، عليكم اللعنة لقد أقحمتم رأسي في طريق لا فرار منه، عليكم اللعنة".. ظل الطبيب هكذا ينتحب في صمت حتى كاد رأسه ينفجر من الصداع.

بعد أن فشل الرجل من الولوج لداخل الغرفة انسحب للخلف وأكمل مسيره في الممر وأخرج هاتفه من جيبه مرسلاً رسالة لأحدهم، وما هي إلا ثواني حتى أتاه الجواب على رسالته والذي كان " لا تترك قمامة خلفك" لترتسم ابتسامة خبيثة على وجه الرجل، فيغلق هاتفه ويعيده لمكانه ويتوجه لغرفة بجوار غرفة الطبيب سعيد.

اقتحم الرجل الغرفة والتي كان بداخلها مريضاً كبيراً بالسن، لم يستطع الحديث أو التحرك من فراشه عند رؤية الرجل، مما ساعد الرجل كثيراً لتنفيذ مهمته التي وكل بها، ليكمل الرجل خطواته متوجهاً لشرفة الغرفة الموصدة ليفتحها بحذر ويخرج منها، نجح الرجل في الخروج من الشرفة بحذر وسار ببطء على أنابيب الماء الموصولة بجميع الغرف من الخارج، وما هي إلا ثانيتين حتى تمكن من الوصول للشرفة المجاورة ومن حسن حظه أنها كانت مفتوحة، تمكن الرجل من الدخول للغرفة وما إن وقع ناظر الطبيب سعيد على الرجل حتى قفز رعباً وصرخ بأعلى صوته.

وقبل أن يتمكن الطبيب من الهروب للخارج اقترب منه الرجل مهدداً إياه بالتوقف عن الصراخ وإلا قتله بسكين كان يحمله بجيب زي الأطباء الذي كان متنكراً به، وما إن اقتربت خطوات الرجل من الطبيب حتى ألصق السكين بعنقه وكاد أن يجز عنقه بها وفجأة عجت الغرفة برجال الشرطة، فلقد تمكنت الشرطة من اللحاق بالرجل قبل أن يقتل الطبيب.

لم يبدي الرجل أية مقاومة فلقد كشف أمره، كما أذعن الطبيب لأوامر الشرطي فاروق الذي كبل يديه وقاده أمامه للخارج.

وما هي إلا لحظات حتى تم اقتياد الدجال والرجل لخارج المستشفى إلى مقر الشرطة للتحقيق معهما، تمكنت الشرطة من القبض عليهما بسبب مراقبتهم لهما وتسجيلاتهم التي زرعوها بالممر، وتم التحفظ عليهما و كذلك هاتفيهما في مركز شرطة المدينة حتى يتم التحقيق في كل شيء.

ب داخل مخفر الشرطة؛ اجتمعت وسائل الإعلام لتتحدث مع كلاً من فاروق ومحمد حول أحداث القضية، ليدور الحوار كالآتي:" ضابط فاروق؛ لقد سمعنا عن القبض على أحد المتهمين في قضية مي، أيمكنك أن تطلعنا على آخر مستجدات القضية؟" .. تنحنح فاروق مجيباً بصوته الجهوري:" حسناً، لقد تمكنا من القبض على جميع مرتكبي الحادث الإرهابي، وما زالت التحقيقات مستمرة، سيتضح كل شيء بعد الانتهاء منها" ..

لتسرع المراسلة في التساؤل:" حسناً، وماذا عن دور الطالبة مي في تلك الحادث؟ أهي حقاً متورطة معهم؟" .. ليجيب محمد نيابة عن فاروق الذي ابتعد مجيباً على هاتفه، بدت على محمد ملامح الغضب بمجرد سماعه لهذا السؤال ليجيب في شيء من الضيق:" بالطبع لا دور لها في تلك الحادث، فجميعنا نعلم بأن مي هي من اكتشف القنبلة، كما أنها تعرضت لمحاولة قتل، فإن كان لها يد في تلك الجريمة لما تعرضت للدعس ولما رقدت في غيبوبتها لمدة شهر، فكيف تعقلون؟"..

شعرت المراسلة بالخجل لاتهام مي بتلك الطريقة، فأسرعت تزيل خجلها بسؤال آخر:" اعتذر على سؤالي ولكني لا أتهمها بدوري، بل أسرد الأخبار المتداولة ليس إلا، حسناً ماذا عن صحة المريضة، هل تحسنت الآن؟ وهل ستتواجه مع المجرمين في المحكمة الأسبوع القادم؟".. تسربت مشاعر الغضب من وجه محمد واختفت تماماً، مجيباً بعدها في هدوء:" نعم ، حمداً لله فلقد تحسنت المريضة بشكل كبير، وستتواجه نعم في المحكمة مع المجرمين، والآن وداعاً فمازال لدينا الكثير من الأعمال والتحقيقات، شكراً لكم".. أنهى الحديث مشيراً للصحافة بالخروج من داخل قسم الشرطة.

وبداخل المحكمة نطق القاضي بالحكم:" وفقاً للأدلة التي تواجدت بين أيدينا والتي رأيناها، قضت المحكمة بتبرئة المتهمة مي من كل ما نسب إليها من تهم، وبالسجن مدى الحياة على كلاً من المتهمين في حادثة الدعس المعروفة وقتل امرأة وطفلتها وإصابة العشرات، كما قضت المحكمة بالسجن لخمس سنوات للطبيب المعروف بسعيد أو طارق لتعريض حياة مريضة للخطر وسحب ترخيص مزاولته للطب، كما سيرحل لبلاده للبت في قضية متاجرته بالأعضاء، رفعت الجلسة".

لتضج المحكمة بالتصفيقات الحارة والتهنئات لبراءة مي وعقوبة المجرمين، ولسان حالها يقول: لن أكتفي بهذا القدر وسأحارب".

في مصر؛ بعد القضية بشهر وتعافي مي بالكامل، اجتمعت العائلتين في منزلٍ واحد، عائلة مي ومنى ورامي ووالديه جاءوا لزيارة مصر ومعهما الطبيب

ماجد وعبد الله الأجنبي محتفلين بخطبة منى وماجد، لتتجه كل النظرات في فرح ل" عبدالله" الأجنبي بعد إسلامه ومي التي تضرجت وجنتاها بالحمرة.

أثناء تلك الأحداث توجهت مي لعبد الله بالحديث متسائلة بريبة:" ولكن كيف علمت مكان الصندوق الذي أخفيت بداخله الصور؟" ليجيبها عبد الله والبسمة ترتسم على وجهه:" إنه سر العشق يا عزيزتي".

النهاية

ومضات:

المتحرش ما هو إلا خنزير قذر تجذبه القذارة حتى يغوص بداخلها ولا ينتبه إلا حينما يتحول لجزء من بركة القذارة تلك.. لذا يجب إقتلاعه نهائيا كي لا يملأ عالمنا الجميل بالأمراض..

عقاب المتحرش يجب أن يكون عبرة ليعتبر من تحمله نفسه ويحركه شيطانه لمثل تلك الأمور الشنيعة بطفولتنا البريئة..

الإسلام لا يعني درأ الحرية بل الإسلام هو منبع الحرية ولكن لمن يعقل..

عند طوي صفحة العالم سيعلم الجميع من المحق ومن المخطئ ولكن حينها لن ينفع الندم؛ لذا شغل طواحين عقلك جيدا وفكر بقلبك وابحث عن الحقائق ولا تسمعها من الحمقى..

الله خلق لنا عقلا "كلمة معنوية وليست مادية لتلمس" كي نحسن التفكير لا أن نلقيه في قمامة التحرر من الدين والركض حيث اللادين..

الشهيد حي يرزق في الجنان، لذا لا تبكوا الشهداء بل ادعوا الله اللقاء بهم والعيش معهم..

الإسلام ليس إرهابا بل هو منبع السلام الداخلي والخارجي ولكن لمن يعقل..

لكل مهنة في مصر أهميتها..

أخبار صحيحة موثقة بالصحف:

تجارة الأعضاء ليست كذبة!!

نشر مركز " المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة" تقريرا ذكر فيه أن هناك أكثر من 10 آلاف عملية بيع وشراء للأعضاء البشرية بالسوق السوداء سنويا، وما بين 5 إلى 10% من جميع عمليات زراعة الكلى على مستوى العالم تتم عبر عمليات الاتجار والتهريب عبر الحدود، وتحقق أرباحا سنوية تتراوح بين 600 مليون دولار و1.2 مليار دولار، في حين ترفعها تقديرات أخرى إلى 8 مليارات دولار سنوياً، لكن لا توجد إحصاءات تفيد بحجم ظاهرة الإتجار بالأعضاء البشرية في المستشفيات العامة أو المصحات الخاصة.

40 ألف مريض في ألمانيا على قائمة الانتظار..

تشير تقارير الأمم المتحدة إلى إجراء ما يقرب من 10.000 جراحة زرع كلى سنوياً، إلا أن هناك تقديرات أخرى تؤكد ارتفاع هذا العدد إلى 20 ألف جراحة سنوياً، خصوصاً أن الطلب على زرع الكلى يتزايد على خلفية ارتفاع أعمار سكان الكرة الأرضية بشكل ملحوظ.

وفي أوروبا وحدها يقف 40 ألف مريض على قائمة الانتظار للحصول على كلية، وفي ألمانيا: ينتظر ثمانية آلاف مريض يحتاجون لكلى، ولم ينجح سوى 2.850 مريضاً في تحقيق هدفهم خلال العام الماضي، وبحسب معطيات ألمانية موثقة، يموت يومياً في ألمانيا ثلاثة أشخاص

تقريباً من عداد المسجلين على قائمة الانتظار، معظمهم من مرضى القلب والكبد.

لم ننسى قط :

-شهداء حادث نيوزيلندا
-مسلمي تركستان الشرقية (الإيغور)
-مسلمي الروهينجيا
-مسلمي ميانمار
-مسلمي فرنسا
-مسلمي ألمانيا
-مسلمي إسبانيا
-مسلمي النرويج
-مسلمي النمسا
-مسلمي أمريكا
-مسلمي بريطانيا
-مسلمي سريلانكا
-شهداء فلسطين
-مسلمي الهند
-مسلمي أثيوبيا
-مسلمي تايلند
-مسلمي إفريقيا الوسطى (مدينة زيزي)

-مسلمي أوروبا عامة

-مسلمي العالم أجمع ممن تعرضوا لانتهاكات وتخريب لبيوتهم متعمد وطرد لهم وحرق وقتل وتهديد واغتصاب؛ قديما " الحروب الصليبية" وحديثا " الإسلاموفوبيا".

- هديل صلاح الهمشلون.
- ضياء بركات، يسر أبو صالحة و رزان أبو صالحة.
- وغيرهم الكثيرون أطفالا ونساء ورجالا وصبيانا حتى أن الرضع لم يسلموا.

كنت أود أن أضع الصور لضحايا الكره ولكن كي لا أنسى أحدا منهم أو أعيد الذكريات الأليمة لذويهم فضلت الكتابة فقط فالحروف لن تنسى قط..

رحم الله قلوبا نقية وأرواحا صافية لم يكن ذنبها سوى أنها آمنت بالله وبمحمد خير الخلق صلوات الله وسلامه عليه..

تمت بحمد الله

استثنـاء

بقلم / آلاء عبداللاه حسين

إهداء :

إلى أسرتي وخاصة من أحمل في شهادة ميلادي اسميهما أمي وأبي..إلى صديقاتي..إلى جدي وحفيدته آلاء عليهما رحمة من الله تعالى، إلى كل من شجعني وآمن بموهبتي ونصحني وساعدني، إلى كل إنسان لديه روح صافية وقلب أبيض لا يعرف الخداع أو التلون..إلى أصحاب الحق ممن يحلمون دوما بالانتصار في حروبهم.

إليكم أنتم يا أجمل قراء..

إلى الجميلة سماح حافظ؛ أهديكِ هذا الشكر لمساعدتك لي ونُصحك ووقتك الذي سرقته منك .. 😅

مقدمة :

"جنب الحيط" جملة يرددها الكثير باقتناع أو بغير اقتناع فقط للعيش بسلام؛ فمن رددها باقتناع أيده عقله بها قلباً وقالباً منقوشة بجملة" لا شأن لك بما يحدث طالما لم تصب بضرر فأكمل المسير ولا تلتفت " ومطرزة بجملة " نفسك أولا قبل كل شيء"، أما مناصري الجملة بغير اقتناع فقد قاسوا جميع الآلام الغير محتملة إلى أن وصلت للحلقوم، فاستسلموا خوفاً على ذويهم أو أحبائهم أو حتى ما بقي من كرامتهم مقتنعين بجملة " ما تحملته صعب عليهم تحمل ربعه لذلك توقف عن التمرد"..

إن نظرت للرأيين بنظرة حيادية ستجد كلا الفريقين صائب ومحق في رأيه، فكلاهما يحمي شيئاً مهماً بغض النظر عن الطريقة؛ المهم النتيجة.

ولكن إن أمعنت النظر قليلاً ونظرت بنظرةٍ ثاقبة ستجد فريقاً ثالثاً أصوب منهما وشعاره ثابت:" قاوم تسلم " بمعنى؛ لا تستسلم للخوف لا من بداية الطريق ولا حتى منتصفه، بل أكمل للأخير حتى تسلم روحك وترضى ويسعد قلبك ويرتح ضميرك ويتحرر جسدك، فأنت حر لست عبداً أو مأجوراً لذلك قاوم" ..

****

تحذير 💀:

لكل من يهمه الأمر.. احذر!! فالكاتب ليس مسئولاً عما سيلاقيه القارئ في هذه الصفحات، ربما ستصاب بلعنة خطيرة تلازمك أبد الدهر، أو ربما سيتغلغل

بداخلك شعور لا تقوى على التخلص منه بسهولة فتتحول حياتك لجحيم بسببه، أبشع ما سيصيبك هو أن تتمنى ألا تعيش يوماً آخراً بعد هذا اليوم؛ ربما ستلتجئ للمهدئات أو المسكنات نتيجة للآلام التي ستصيبك، وربما ستتمنى لو أن يتحول قلبك لقطعة من جليد فلا تشعر بعدها بشيء أبداً.. سأترك لكم حرية الاختيار فإما أن تكملوا ما بدأتموه وإما أن تكتفوا بتلك الجمل وتفروا هاربين، وإما غالباً أو مغلوب... فأياً يكن الاختيار فمرحباً بكم في عالم التشتت والاضطراب.

ظلام دامس، دقات قلب متسارعة، تنفس مضطرب، أصوات غامضة مخيفة، حركات متتالية، برودة قارصة تجمد العروق، رائحة نفاذة تخترق الصدور، وجسد ميت لا يتحرك.. أين أنا؟!

الفصل الأول :

بقايا حلم :

استيقظت مي على أصواتٍ منخفضة غير مفهومة، همسات متداخلة وكأنها بقايا حلم استيقظت منه للتو، نظرت حولها فلم ترَ شيئاً..

الظلام يلُفها من كل جانب وصوت الهمسات لا يتوقف، مدت يدها حيث أباجورتها الزهرية ذات العامود الأسود القابعة بجوار فراشها على المنضدة الدائرية الصغيرة، باحثة بأصابعها المرتجفة عن مكان الزر لإضاءته حتى وجدته وضغطت عليه أكثر من مرة متحدثة بصوت مرتجف :" هيا تباً لك فلتضيء هذه المرة ".

كررتها مراراً لكن بلا جدوى! وفجأة رأت ظلالاً منعكسة على الحائط المجاور لفراشها بسبب ضوء القمر المنبعث من نافذتها المقابلة للحائط، وما هي إلا دقائق قليلة حتى تشكلت تلك الظلال بأشكال غريبة بدت ككتابة تمايلت يميناً ويساراً، للأعلى وللأسفل، حاولت مي فرك عينيها لتتمكن من تمييز تلك الكتابة ولكنها اختفت قبل أن تقرأها.

ليمتلئ قلب مي رعباً، فتفر هرعاً من فراشها وتقفز على الأرض دون انتباه لموطئ قدمها، باتجاه الباب محاولة فتحه والخروج ولكنه أبى أن يُفتح، حاولت مي أكثر من مرة فتح الباب ولكن دون جدوى فبدأت تطرق عليه عسى أن يسمعها أحدهم فيأتي ويخلصها، حتى إنها أرادت الصراخ ولكن أبى صوتها أن يخرج من مكانه وأبى لسانها أن يتحرك.

أثناء تلك المحاولات البائسة في الصراخ والطرقات المتتالية، التي ربما دامت في عرف مي وموقفها هذا الذي لا تحسد عليه أكثر من ساعة.

وفجأة بدأت أصوات تلك الهمسات في الارتفاع شيئاً فشيئاً وبشكل متداخل حتى كادت تخرق الآذان، لتضع مي يديها على أذنيها في محاولة كتم هذا الصوت المخيف من الولوج أكثر للداخل، فجلست مكانها متخذة وضع القرفصاء ضامة ركبتيها لصدرها، راخية رأسها هلعاً وخوفاً، مغمضة العينين بقلب مضطرب ودقات متسارعة، تحاول تهدئة نفسها بكلمات غير منطوقة ولسان حالها يريد أن يصرخ قائلاً:" لا بأس، مجرد كابوس وسيختفي"

وما هي إلا دقائق قليلة من ارتفاع الصوت، حتى بدأت كلماته في الوضوح شيئاً فشيئاً وكأنها خيوط معقدة تنحل عن بعضها خيطاً خيطاً، لتتضح الهمسات وترسم الظلال ما يقال مكونة جملة غير متناسقة من أربعة كلمات:" حادث..فتاة..هجمات..الحقيقة.

ثم صمت رهيب بعدها دام قرابة النصف ساعة لم تكد تتنفس فيهم مي الصعداء، حتى تبعه صوت فتاة وكأنها تحادث نفسها وتتكلم بحزن قائلة:" يريدون قتلي وتشويه سمعتي" ليتلاشى الصوت نهائياً مخلفاً ورائه صدمة أوقفت جسد مي تماماً عن الحراك دقائق معدودة ..

بعد أسبوع :

تقلبت مي على فراشها المريح لم تستطع النوم بسهولة كعادتها منذ ليالٍ، حتى انتفخت جفونها وأحاطتهما هالات سوداء نتيجة للأرق المستمر.

ظلت على حالها ذاك قرابة ساعة تتنقل يمنةً ويُسرةً محاولة النوم لكن دون جدوى، لتقرر أخيراً النهوض من الفراش متلففة برداء نومها الفيروزي الطويل ذي الأكمام الزرقاء، وعاقدة رباطه جيداً محتضنة ذراعيها، وتوجهت لنافذة غرفتها المغلقة لفتحها، فلعل هواء أبريل النقي يخدر جسدها فتتمكن من النعاس..أزاحت الستائر وفتحت النافذة، ورفعت رأسها للأعلى وبعيون مغمضة أخذت شهيقاً بطيئاً ليتغلغل الهواء النقي داخل رئتيها مخرجة الزفير بهدوء فيمتلئ داخلها بالسكون.

وما إن انتهت من طقسها ذاك المعتاد كلما غلبها الأرق، حتى فتحت عينيها ونظرت للأسفل حيث الطريق المجاور لمنزلها.

ولكن الدماء تلك المرة تجمدت في عروقها وهالها ما رأته؛ شبحاً أسوداً قائماً ربما كان أم جالساً، لم تتأكد إلا حينما فركت عينيها جيداً وأحدت البصر إليها لتتضح لها الرؤية جيداً.

شيئاً فشيئاً بدأت بعضٌ من ملامحه في الظهور، لقد بدا كفتاة يلفها السواد من كل جانب كأفلام الأبيض والأسود فلا يتضح منها لون الملابس التي ترتديها أو حتى لون ما يلفها، الشيء الذي ميزها كفتاة هو شعرها المتوسط الطول المعقود خلفها، وتنورتها الطويلة التي أخفت ما فوق كعبيها.

كانت جالسة على مقعد خشبي تولي مي ظهرها، منكسة رأسها للأسفل تنظر لشيء ما على طاولة مربعة الشكل صغيرة، نظرت مي جيداً لتتشكل جيداً معالم هذا الشيء، فلقد كان كتاباً هكذا عرفت مي بسبب تقلب صفحات الكتاب.

تعجبت مي من هذا المنظر، وما زاد تعجبها أكثر هو ما الذي تفعله فتاة مثلها في ذلك الوقت من الليل وبمفردها في مكان كهذا!! "ربما أتخيل" هكذا حدثت مي نفسها وهي تفرك عينيها مجدداً.

"اللعنة" صرخت مي بصوت عالٍ، لم تلتفت إليها الفتاة بل ظلت في موضعها وعلى هيئتها تلك، وفجأة أنير المكان وأحاطت الفتاة غرفة زجاجية صغيرة، أوسع من الطاولة بنصف متر طولاً وعرضاً تقريباً بدون باب، مغلقة بإحكام وظلت الفتاة كما هي ملونة بالأسود والأبيض.

بعدها بلحظات بدأت الفتاة في القراءة ولصوتها صدى عالٍ تمكنت مي من سماعه جيداً؛ بدأت الفتاة بقراءة ما كُتب وبدأت مي بالإنصات جيداً لها..

"بداية الأمر :

كنت استيقظ كل يوم الساعة الثانية صباحاً فجأة؛ أنظف المنزل مراراً وتكراراً رغم نظافته، ثم أخلد للنوم مجدداً، وفي الصباح كنت أنسى لمَ ومتى استيقظت؟!

لم أكن أتذكر شيئاً مطلقاً سوى وميض من الضوء وذكريات متشابكة لم أفهمها، كنت أشعر بالألم في رأسي وذراعي اليمنى وقدمي اليسرى لم أستطع تذكر سبب الألم ولا سبب تلك الخدوش أو تلك الكدمات.. كل شيء كان مبهماً وغير واضح المعالم..

أحياناً كنت أسمع أصوات صراخ وعويل ونحيب ولا أجد أو أعلم مصدر تلك الأصوات وقتها.. كنت أرى أحلاماً مخيفة وغريبة وأستيقظ فزعة وأصرخ باسم رامي..من كان ذاك؟! لا أعلم..

كنت أكره أن يتلوث جسدي بتراب أجن إن لمحت تراباً على ملابسي، أصرخ وأفزع إن وجدت شيئاً ملوثاً بالتراب والغبرة.. كنت أنسى سبب استيقاظي وفزعي وعدد أيامي العجيبة؛ إلى أن قررت أن أدون ما أفعله يومياً حتى لا أنساه في اليوم التالي.

وبعدها فقط علمت كل هذا وتذكرت ما أقوم به، وتذكرت روتيني اليومي لذلك؛ تابعت طبيباً نفسياً وحدثته عما يجري لي يومياً وعن أحلامي وعاداتي الغريبة تلك!!

طبيبي أخبرني يوماً بأني أتخيل أشياءً وأهلوس، وأن أحلامي تلك ما هي إلا نتيجة لتفكيري الزائد وخيالاتي الكثيرة، نصحني حينها بأن أسافر" أغير جو" لمكان حيث الخضرة أو البحر، فهذا سيحسن من حالتي وأن بقائي وحيدة هو سبب تلك الهواجس والخيالات ..

أذكر آخر متابعة لي لديه، حيث أقنعته كذباً بأن تشخيصه صحيح وكلامه حقيقي، ووعدته بأن أسافر اليوم التالي للغردقة وأمكث هناك شهراً، أو حتى تتحسن صحتي ونفسيتي..

لم أسافر بالطبع ولم أقتنع بكلامه فلطالما شعرت بأن لخيالاتي وأحلامي وكل ما يحدث سبب؛ لابد من وجود سبب علمي وحقيقي لمَ يحدث لي..

أذكر يوماً بعدها عند تصفحي لشبكة المعلومات" الانترنت" أني قرأت قصة عن شاب، كانت تحدث له أشياءٌ مشابهة لحالتي، لم تتبدل حالته إلا عندما دله أحدهم لشيخ يعالج السحر ويطرد الجن، والذي أكتشف بعدها بأنه كان ممسوساً بجان، وهو سبب كل ما حدث له.

كانت مي تركز على كل كلمة تُقال وتشعر بها وكأنها جزءً من تلك القصة وتلكم الأحداث، بدون ملل أو كلل بل استمرت في الاستماع لحديث الفتاة وقراءتها بإذعانٍ تام.

توقفت الفتاة لثانية أو ربما نصف الثانية دون أن تلتفت خلفها، حيث تنظر مي التي بدت منغمسة بكل جوارحها في تلك القصة، ثم أكملت قراءتها..

"تغير حال الشاب وعاد لطبيعته ولحياته السابقة، بعد نجاح الشيخ من طرد الجني من جسده". حقيقة ولأكن صادقة لم أقتنع كلياً بهذه القصة ولا بهذا الشيخ، فما أعلمه أن معظم هؤلاء الشيوخ دجالون وكاذبون ولا يجيدون سوى الدجل والخداع مقابل الأموال، ولكن جزءً مني أراد الاقتناع بهذه القصة بل وأن يطبقها على حالتي، ولكن كيف أتأكد من صحة هذا الأمر أو عدمه؟! وأنا لم

يسبق لي الذهاب لشيخ كهذا من قبل!! لذا قررت المجازفة والتجربة فربما تخلصت من تلك الهواجس المخيفة وذاك العويل المرعب.

بحثت على شبكة الإنترنت عن شيخ يعالج المس، وبعد بحث طويل وجدت ضالتي _الشيخ صالح المدبولي_ أمهر شيخ عرفه المصريون؛ هكذا وجدت عنوان البحث، وبعد الضغط عليه وجدت مقالاً يتحدث عنه، لم يستغرق الأمر مني سوى عشر دقائق في مطالعة المقال، حيث علمت مكان عمله، وسجلت رقم هاتف السكرتير.

وبعد دقائق من التفكير قررت الاتصال به، وتمكنت من حجز موعدٍ ليوم السبت القادم، الساعة الرابعة عصراً أي بعد يومين.

مكان الدجال :

مر اليومان ببطءٍ مريع، كنت فيهما كطالبٍ منتظر نتيجة شهادته الثانوية على موقع الوزارة، التي تتحمل منذ ساعتين ولا تظهر في الشاشة غير جملة " النتيجة بعد دقائق".. لكم أن تتخيلوا حالتي وما كنت أشعر به وقتها من آلامٍ في المعدة، وتسارع في نبضات قلبي الذي كاد أن يقفز خارج قفصي الصدري من شدة خوفي واضطرابي الشديدين.

وأخيراً وبعد طول انتظار ظهرت النتيجة وأتى السبت؛ لم أستطع النوم اليوم السابق فظللت أتقلب على الفراش مترقبة السويعات والدقائق حتى أشرقت الشمس، فتجهزت وخرجت لا أعلم إلى أين سأذهب؟! فمازال الوقت مبكراً حتى الرابعة عصراً، ولكني وجدت قدماي تقودانني في الطرقات بدون وجهة محددة، لذلك لم أبخل عليهما في التخفيف من وطأة توترهما ذاك، وتجولت هنا وهناك حتى اقترب الظهر.

فعدت للمنزل للصلاة وللراحة قبل المغامرة المجهولة النتائج، وبقيت هناك حتى الثانية والنصف، لم أستطع تحمل المزيد لذلك خرجت قبل موعدي بكثير حتى لا أتأخر ويفوتني الموعد.

وما إن وصلت للمكان وولجت للداخل حتى أذهلني ما رأيت، حقيقة لم أتخيل أن يكون المكان بهذا الجمال" جمال التصميم؛ أقصد بالطبع" فهو فاخر كمنظرٍ وكبناء، فنتيجة لهذا دجل لابد أن تكون هناك ثروة مهولة.."..

****

في تلك اللحظة شعرت مي بألم في معدتها فجأة، ولابد لها من الذهاب لدورة المياة، فتحدثت لنفسها بغيظ:" ليس وقتك الآن يا معدتي".

ولكن ما شجعها على الذهاب هو توقف الفتاة المفاجئ أيضاً عن السرد، فركضت مي بسرعة حيث دورة المياة، حتى كادت أن تصدم قدمها بالأريكة في طريقها ولكنها نجت بأعجوبة، وما هي إلا دقائق حتى عادت راكضة لنفس المكان لتستمع لباقي القصة، فجلست على طرف النافذة وتلففت جيداً بردائها وانتظرت القصة.

وعلى الطرف الآخر ظلت الفتاة خمسة دقائق صامتة لا تتحرك ربما كانت تريح فكيها، حتى عادت لتكمل القراءة من جديد، فعادت مي لحماسها وازداد هذه المرة؛ لتعلم بقية القصة ولتكمل امتزاجها مع أحداثها..

"المهم في الساعة الرابعة؛ دفعت مبلغاً ليس بالكثير كما تصورت للسكرتير ودخلت للشيخ، المكان بالخارج شيء وبالداخل شيء آخر..

كانت الغرفة رخامية فسيحة، ملونة بالأزرق الباهت لتبعث في الروح شعوراً ممتلئً بالراحة والسكينة، تتوسطها طاولة دائرية كبيرة، تعلوها مبخرة عجت بأجمل الروائح، تحيط بها عشرة مقاعد جلدية فاخرة، وفي آخر الغرفة مكتب الشيخ؛ يعلوه كمبيوتر وعلى الحائط المجاور له علقت شاشة عرض كبيرة، مما دفعني للتعليق بداخلي ساخرة:" فخامة وشيخ كوول كمان، ما كله من فلوس النصب أكيد..".

وما أذهلني أكثر هو الشيخ فلقد عجبت من هيئته؛ فهو تقريباً في الأربعين من عمره، متوسط الجسم ليس بالطويل الفارع ولا بالقصير، حتى إنه كان متوسط الحجم أيضاً، لا نحيفاً ولا ممتلئ الجسد"، جسمه حلو ومظبط يعني ".

يرتدي بذلة سوداء اللون تبدو من تصميمها مكلفة جداً، لم يكن كما تصورته عجوزاً ذا عباءة بيضاء وعمامة، بمسبحة في يده ذات خرزات كبيرة خضراء.

ابتسم الشيخ بمجرد رؤيتي متفحصاً إياي بعيونه العسليتان الحادة، شعرت بقشعريرة اجتاحتني عندما تلاقت أعيننا، شعرت كما لو أني رأيته من قبل.

بعد التحية جلست، وبدأ حديثه معي عن اسمي وعمري ووظيفتي ومع من اسكن ومكان إقامتي، وهل أنا متزوجة أم مطلقة أم أرملة " تف من بوقك يا جدع" أم عزباء، وإن كان لدي ابناء ذكور أم إناث أم عقيم "بيعملي بطاقة باين" ، وإن كان لدي أعداء أو أصدقاء أو أقارب يكرهونني أو أكرههم.

وجه لي أسئلة كثيرة؛ لم أجب عنها إلا بكلمتين لمللي من كثرتها " أجل، ولا".

بعد محاضرة الأسئلة والأجوبة تلك، ابتسم وقال:"الآن تعرفت إليك فهيا لندخل صلب الموضوع، ما المشكلة التي تؤرقك؟!" نظرت له بغرابة وبحاجب مرفوع، نطقت بضيق شديد" المفترض أنك شيخ وتعلم ما بي من قبل أن أحدثك أنا عنه!"

رمقني بنظرة حادة ثم ضحك ضحكة ساخرة قائلاً:" لا..فلست غيبياً كي أعلم ما لا أعلم، فهيا قصِ علي قصتك ولا تعطليني فوقتي ثمين".

أجبته على مضض:"حسناً، أسمع بالليل أحاديث وهمسات، حولي في كل مكان في غرفتي وفي الصالة حتى في الحمام والمطبخ؛ ولا أعلم مصدرها.

وأسمع صراخاً وعويلاً ولهجات غريبة، كأني محاطة بمجموعة من الأشخاص، كما أقوم بأشياءٍ عجيبة؛ فاستيقظ في الثانية صباحاً كل يوم، أنظف البيت مراراً وتكراراً رغم نظافته، ثم أخلد للنوم مجدداً، كما أشعر بآلام في أنحاء جسدي.

ويوجد كدمات أيضاً وخدوش لا أتذكر متى أصابتني ولا من مسببها، كنت أتابع طبيباً نفسياً ولكنه لم يفدني بشيءٍ، إذ ظن أني أهلوس وأتخيل، ولو استمررت معه لأدخلني مستشفى المجانين..

أعلم أن هناك سبباً لما يحدث لي، وأني لست بمجنونة وأن ذلك ليس من وحي خيالي، لذلك جئت إليك لأعلم سبب كل هذا، فأخبرني أهذا مس شيطاني أم هو سحر أم هي فعلاً خيالات من وحي عقلي الباطن؟!"..

صمت عشر دقائق وهو ينظر إليّ، ثم أمسك بقلمه وقام بتدوين شيئاً في مفكرته، لينظر لي بعدها قائلاً:" حقاً إن حالتك عجيبة، ولم أصادف مثلها أبداً، فهي كما يقولون حالة استثنائية، ولكن في قصتك ما أكد لي شكوكي فور رؤيتك؛ نعم يا عزيزتي فأنت مصابة بكل ما تفوهت به؛ مس شيطاني وسحر وتداخل لمخيلتك في كل ذلك".

سخرت بداخلي من جوابه فسألته بدون تصديق:" كيف هذا؟" فأجاب على الفور:"هناك شخص يكرهك جداً، لدرجة الاستعانة بساحرٍ خطير ليصنع لك سحراً، وذاك الساحر استعان بشيطان قوي، وهذا فقط ليجعلك تبدين كامرأة مجنون ذات خيالات وهلوسات، وذاك الطبيب يعلم هذا الأمر جيداً، ولكنه أراد أن يوهمك بأنك مجنونة فهو بالتأكيد يساعدهم، وقد يكون شريك في هذا الأمر.

بعدها ناولني ورقة كتب فيها بضعة أسئلة منها:" هل ورثتِ مبلغاً طائلاً؟ أو هل لديك ثروة، أو كنزاً تخفينه في مكان ما؟ من هم أصدقاءك ومن هم أعدائك؟ أين تسكنين ومع من؟ وما الذي تذكرينه وما الذي نسيته؟ ".

أمرني بالإجابة عليهم وإحضار الورقة المرة القادمة مع أية صور لديّ، وودعني بلهجة سريعة معتذراً:" الآن وقتك انتهى للأسف ولدي مواعيد كثيرة غيرك فاعذريني، يمكنك مقابلة السكرتير بالخارج وحجز موعد ثانٍ لبدأ العلاج، هذا إن كنت مهتمة بمعالجة نفسك من هذا المس، ويهمني أن أساعدك حقاً؛ فأنت كما أخبرتك سابقاً " حالة استثنائية".

خرجت من الغرفة بدون أن أهمس بحرف، توجهت لخارج المكان على الفور، حتى دون أن أقابل ذاك السكرتير..

بمجرد خروجي من هذا المكان انتابتني رغبة عارمة بالضحك، فضحكت إلى أن آلمتني معدتي من كثرة الضحك ولظن كل من رآني بأني مجنونة؛ نظراً لضحكي المتواصل دون أي سبب واضح..

بعد مغامرة اليوم عدت للمنزل وأنا أضحك، حتى دمعت عيناي فتحول ضحكي لبكاءٍ متواصل، حتى احمرت وجنتاي ولظن من رآني بأني فقدت عزيزاً على قلبي فبكيته كل هذا البكاء.

وبمجرد ولوجي للداخل حتى جلست على أريكتي، فقدت وعيي بدون شعور تماماً، ولم استيقظ إلا اليوم التالي بعد العصر، فاستيقظت وأنا أشعر بألم رهيب في رأسي، لم يمضي حتى بعد تناولي لثلاث أقراص مسكنة، لأعود للنوم مجدداً عل صداع رأسي يذهب لذاك الشيخ فيصيبه ما أصابني ويتركني وشأني".

توقفت الفتاة مجدداً عن القراءة.. ووضعت مي يديها على رأسها بتلقائية؛ شعرت كما لو أن ألم الفتاة هو ألمها، بل حتى إنها شعرت بالقليل من الصداع وانقباضاً في قلبها دام لثانية ثم مضى".

لا أعلم ما الذي حدث لي، كأني جزءً من تلك القصة، أشعر بما شعرت به الفتاة" تحدثت مي لنفسها بإرهاق.

وبمجرد أن أنهت جملتها تلك حتى عادت الفتاة لسرد القصة، ولكن هذه المرة حركت مقعدها لليمين قليلاً وفردت قدميها ويديها الاثنتين، فبسبب جلوسها مطولاً على المقعد شعرت بتخدير في أطراف جسدها.. وما إن أنهت ما تفعله حتى عادت لجلستها، وأعادت المقعد لمكانه ثم أكملت القصة :"

<u>الاثنين صباحاً :</u>

..يومان متواصلان وأنا مستغرقة في نومي العميق ذاك، وعندما استيقظت كالعادة في الثانية صباحاً، قمت بروتيني اليومي من تنظيف وكأني لا أتحكم في جسدي؛ كما لو أني دمية وهناك من يحركني ويتحكم فيّ.

لم أغفوُ بعدها بل جلست حتى الصباح، أمام جهاز الكمبيوتر أتصفح بريدي وأبحث عن علاجٍ لما بي.. "هلوسات وخيالات، مس شيطاني، الشيخ المدبولي حقيقة أم كذبة؟! تهيؤات، جنون، وحدة واكتئاب....".

هكذا كانت عناوين عشرات المواقع التي تصفحتها دون جدوى، كما وجدت كماً هائلاً من الرسائل المتعددة في بريدي، والتي كانت أغلبها من شخصٍ واحد اسمه_ محمد_ وكلها تبدو غامضة، لم أفهم كلمة مما يظهر منها، المميز فيها أنها مرقمة من الواحدة حتى الثامنة؛ بعدد الأيام التي عانيت فيها من هلوساتي كما لاحظت في المذكرات.

ربما للأرقام وحالتي نفس المعني، أو ربما كان هذا ال" محمد" يعرفني من قبل وأنا لا أتذكره، أو ربما كان مجرد متطفل كغيره من المتطفلين الذين يستلذون بمضايقة الفتيات على مواقع التواصل الاجتماعي..

لا أريد التفكير كثيراً في تلك الرسائل، فأغلقت الحاسوب وتناولت إفطاري وأمضيت يومي اقرأ قصصاً وأشاهد التلفاز..."

الفصل الثاني :

...لم تنتبه مي للساعة أثناء إنصاتها العميق للقصة، لذا ما قطع تركيزها وقراءة الفتاة هو أذان الفجر، فعندما رفع الأذان في المسجد القريب من منزل مي توقفت الفتاة عن القراءة، وذهبت مي للوضوء وتأدية فرضها..

وما إن أنهت مي فرضها حتى أسرعت للنافذة؛ لتكمل الاستماع ولكنها لم تجد الفتاة، فلقد فرغ مكانها تماماً، حتى من الغرفة الزجاجية..

شعرت مي بحزن لذهاب الفتاة واختفائها، لذا قررت العودة خائبة الأمل لفراشها، محاولة التغلب على أرقها الصديق الجديد لها، ولكن محاولاتها جميعاً باءت بالفشل، فاستمرت تتقلب في فراشها حتى الصباح، وأخيراً جافاها النعاس في السابعة صباحاً، فغفت كما لو أنها فاقدة للحياة؛ كما يقولون:"مثل القتيل".

ظلت مي في سباتها ذاك حتى الظهر، عندما استيقظت فزعة على صوت طرقات عالية على الباب.. لتنهض من فورها متجهة إلى الباب، بدون حتى أن تغسل وجهها.

كانت تتمايل يميناً ويساراً لنعاسها، جارة أقدامها الحافيتين جراً، حتى وصلت للباب لتنظر من العين السحرية، لتمد بعدها يدها اليمنى لفتح الباب، وبيدها اليسرى تحك شعرها في تثاؤب .

"لمَ كل هذا النوم؟! لقد أذن الظهر وأنتِ ما زلتِ غارقة في نومك!! هيا فلتخبريني الحقيقة كاملة من كنت تهاتفي طيلة الليل؟!" قالتها صديقتها بمزاح وهي تهز كتفي صديقتها..

بادرتها مي بابتسامة كلها نعاس وتثاؤب، بعين مغلقة والأخرى مفتوحة أخبرتها:" هيا تفضلي بالدخول، ولا تلقيِ عليّ تلك المحاضرة المملة ككل يوم،

هيا للداخل ولتصنعي لنا إفطاراً شهياً مع كوبين من الشاي الساخن، وأوقفي هذا المذياع عن الصراخ" واضعة يدها على فم صديقتها.

وبالفعل أذعنت الصديقة لأوامر مي، لتزيل بعدها مي يدها عن فمها، وبتربيتةٍ خفيفة على شعرها الغير مرتب بادلتها الابتسامة، لتتوجه بعدها للمطبخ، في حين توجهت الأخرى لدورة المياة لتغتسل وتتوضأ للظهر، لتخرج بعدها وتصلي فرضها وتتوجه حيث صديقتها.

ظلت الفتاتان تتجاذبان أطراف الحديث في المطبخ، وقصت مي لصديقتها ما حدث بالأمس عن قصة الفتاة الغريبة وكتابها الأغرب..

"لعلك تتخيلين" قالتها صديقتها، وهي تسكب الشاي في الأكواب، لتستشيط بعدها مي غضباً، وتبادرها بنظرة غاضبة مجيبة بثقةٍ:" بالتأكيد..لا، لقد كان كل ما حدث حقيقياً؛ صوتها والغرفة الزجاجية والإنارة الليلية والقصة الغريبة، لقد شعرت بكل كلمة..

لقد شعرت كما لو أني جزءً منها، كأنها قصتي أنا؛ لقد كانت متقنة جداً في الوصف والحديث وطريقة السرد حتى**!** وصوت الفتاة هو ما جذبني لداخل القصة..أقسم لك أني لم أكن أتخيل أو أتهيأ"..

.."حسناً حسناً، أصدقك" أسرعت الصديقة بموافقة مي في حديثها وهي ممسكة بكتفي مي.

وبعد الانتهاء من تجهيز الفطور، خرجتا لتناوله في الصالة حيث التلفاز، وما إن وضعت مي الصينية على الطاولة أمام التلفاز، حتى جلست على الأريكة بجوار صديقتها، وأسرعت بفتح التلفاز مختطفة جهاز التحكم قبل صديقتها.

ضغطت الأزرار وقلبت بين القنوات، حتى وصلت لإحدى قنواتها المعتادة_ الأخبار_..

لتعترض صديقتها بضيق:" لااااا ليس اليوم، أرجوك فلتبدلي القناة لشيء آخر، فهو لك باقي اليوم وما هي إلا سويعات قليلة أظلها هنا"..

تجاذبت الفتاتان جهاز التحكم، فكل واحدة تريد مشاهدة قناتها المفضلة، وفي النهاية فازت الصديقة بجهاز التحكم، والتي أسرعت لتبديل الأخبار إلى قناة الكرتون المفضلة لديها؛ فهذا هو موعد عرض فيلمها الكرتوني المُفضل The brave نظرت مي لصديقتها بغيظ، واعتلت وجهها نظرة مستنكرة مدى تفاهة صديقتها قائلة:"حقاً!! أهذا هو الأفضل من الأخبار؟! لكم أنت مملة يا صديقتي وتافهة لأقصى درجة، حتى أنك أكثر طفولة من شقيقك الأصغر، ألا تملين أبداً من تكرار هذا الفيلم؟!".

أنهت حديثها الغاضب وبدأت ترتشف من كوبها بعض الرشفات من الشاي بعد تحوله لمشروب بارد، لتسرع صديقتها مجيبة إياها بمرح، وابتسامة الانتصار تضيء وجهها قائلة:" لاا ولن أمل أبدا"..

..بعد مضي ساعة على الإفطار، انتهى فيلم الكارتون وذهبت الصديقة لشقتها لتنظيم بعض الأمور قبل اللقاء مجدداً بعد ساعات.

ظلت مي على حالها تتابع الأخبار بشغف، تجول بحدقتيها أسفل الشاشة بصمت مطبق؛ كالأسد الذي يراقب فريسته بحذر شديد، كأنها تنتظر خبراً هاماً سيعرض بعد قليل..وما هي إلا دقائق حتى نهضت مي متأففة، لتغلق التلفاز وتتوجه لغرفتها لإكمال ما عليها من دروس.

ظلت هكذا حتى آذان العصر؛ وما إن صلت فرضها حتى بدلت ملابسها وخرجت للمكتبة؛ للبحث عن مراجع لبحثها في الجامعة برفقة صديقتها.

ثلاث ساعات كاملة يبحثن ويدوّن ما وجدتاه لبحثهم، ظلت مي وصديقتها هذه المدة في صمت تام، وهما تكتبان ما تجدانه حتى آلمتهم مفاصل أيديهم، لذلك قررتا الاكتفاء بهذا القدر من البحث لتعودا في الغد مجدداً، والخروج للتجول قليلاً قبل العودة للمنزل.

"كم أكره التدوين والكتابة" زفرتها مي بتعب لصديقتها، وهي تركل في حجارة صغيرة أمامها على الطريق، و سرعان ما وافقتها صديقتها الحديث بزفير طويل:"جداً، إنه لأمر مرهق لأقصى حد".

ظلت الفتاتان تتحدثان عن البحث تارة وعن الفتاة الغريبة ذات الحجرة الزجاجية تارةً أخرى، لينتقل الموضوع بدون تخطيط للحديث عن الموضة هذا الشهر؛ من الملابس التي عُرضت في المجلات البارحة.

ظلت تثرثران كثيراً عن الملابس الغريبة الشكل، فهذه عارضة ارتدت فستاناً مصنوعاً من ورق الجرائد، وتلك عارضة ارتدت ثوباً بكم واحد، وهاتان عارضتان ارتدت كلتاهما بنطالاً بفردة واحدة لكل ساق.

وبدأن في انتقاد المصممات وطريقة رؤيتهن للتصميم، وأنهن لا يعرفن شيئاً عن الإبداع في التصميم والمزيد المزيد من الثرثرة الغير مفيدة بين الفتيات..

أثناء ثرثرتهن تلك الغير مفيدة صرخت مي مصفقة بكفيها، ملتفتة لصديقتها قائلة:" أليس من الجميل لو أننا نرى الكثير من المصممات المحجبات لأزياء محجبة وغير فاتنة بالكامل؟! تخيلي لو أن جميع الفتيات والسيدات المسلمات

ارتدين هكذا أزياء، لما وجد التحرش أو لأكون صادقة أكثر، ربما انخفضت نسب التحرش قليلاً".

نظرت لها صديقتها مؤيدة لما قالته مي ثم عقبت:" نعم بالطبع، لقد ازدادت نسب التحرش بسبب الملابس الفاتنة المعروضة في الأفلام والمسلسلات، وتصويرهم للنساء كمادة لعرض منتجاتهم بأكثر الملابس عرياً، وخاصة في البرامج التلفازية وفي أغلب القنوات الفضائية.

صحيح المتحرش يُلام ويعاقب بالطبع أشد عقوبة، ويُجرّم على تطاوله على الفتيات أشد وأبشع تجريم، ولكنهم أيضاً بعرضهم للملابس الخليعة تلك، مصدراً مهماً في زيادة نسب التحرش في جميع أنحاء البلاد، لا أنكر أن معظم الفتيات محجبات بالكامل ويتعرضن للتحرش أيضاً، وذلك بسبب عقلية بعض الذكور العقيمة في مضايقة كل ما هو أنثوي، ويرجع ذلك أيضاً لخوف بعض الفتيات من الدفاع عن حقهن أو وصمهن بالعار لتعرضهم للتحرش، فيزيد ذلك من كثرة مضايقات الذئاب البشرية لهن ظناً منهم بموافقتهن على تلك المضايقات المقززة".

لتتوقف منى صديقة مي عن الحديث فجأة، ممسكة بهاتفها الجوال باحثة عن شيء ما، لتكمل بعدها الحديث مرةً أخرى بعدما وجدت ما تبحث عنه:" هل تعلمين يا مي أن أكثر النساء عرضة للتحرش والاغتصاب هن النساء العاملات والصغيرات، ويفضلن الصمت بدلاً عن مجابهة ما يتعرضن له.

فكما هو مذكور في إحدى المواقع هنا المحفوظة على الهاتف؛ بأن بعض الأسر قد تقتل فتياتها إن خسرن عذريتهن بسبب الاغتصاب، كما أوضحت مديرة معهد الدراسات النسائية في العالم العربي في لبنان(لينا أبي رافع)؛ بأن أكثر النساء

عرضة لتلك الجرائم؛ هن النساء اللواتي يندرجن تحت إطار العمالة الوافدة أو المنزلية، واللواتي يفتقرن للتمثيل الحقوقي والقدرات المادية، وبحسب تقرير أجرته هيئة الأمم المتحدة للمرأة في مصر في العام 2013 فإن 99% من النساء اللواتي تمت مقابلتهن في سبع مناطق مختلفة في البلاد قد تعرضن لأحد أنواع التحرش الجنسي.

أنهت منى قراءة ما حفظته على هاتفها المحمول، ليرتسم الذهول على وجه مي التي قالت في حزن:" لم أكن أعلم كل ذلك، لكم هو أمر مؤسف ومجحف ما تتعرض له هؤلاء المسكينات على وجه الأرض".

لتتوقف مي عن ركل الحجارة وتكمل سيرها في صمت، مما دفع صديقتها لإكمال سرد الأخبار المؤلمة على مسامع مي:" أتعلمين أيضاً، قرأت مؤخراً على شبكة الإنترنت بأن نسبة التحرش اللفظي في العالم بلغت 40-60% وخصوصا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الشوارع ، و 35% من نساء العالم عانين إما من عنف جسدي أو جنسي من قبل شركائهن في الحياة أوعنف جنسي من قبل أشخاص مجهولين في مرحلة ما من حياتهن*حقيقة1* .

كما قرأت أيضاً أن أعلى الدول نسبة في التحرش هي الدول الأوروبية؛ وهذا نسبة إلى الحرية الزائدة يا صديقتي كما يدعون، فهم يريدون التحرر في كل شيء.

فكلما وجدوا المرأة سلعة سهل الوصول إليها كلما زاد التحرش والاغتصاب *حقيقة2*، هل تعلمين أن بأمريكا واحدة من بين كل 6 نساء تعرضت للاغتصاب على الأقل مرة واحدة في حياتها.

و 14.8% اغتصاب فعلي و2.8محاولة اغتصاب *حقيقة3*" لتوقفها مي غير مصدقة قائلة:" غير معقول، كل تلك النسب في أوروبا المنفتحة بعكس بلادنا المنغلقة كما يصفونها، لكم هم حمقى من يدعون بيننا بحق المرأة في الحرية والانفتاح التام والتحرر من قيود الرجعية، كما يصفون قوانين ديننا الحنيف، إنه أمر مخزي أن توصف تعاليم وقواعد ديننا على ألسنة مدعي الحرية بالتخلف

والتأخر، لو يعلمون حقاً نسب التحرش تلك والاغتصاب، لخجلت أعناقهم المتكبرة ولخسئت كلماتهم وادعاءاتهم الكاذبة".

توقفت مي عن حديثها الغاضب وعادت لركل الحجارة بقدمها، لشدة غضبها ومحاولة في التنفيس عنه بركل تلك الحجارة، لتكمل منى قراءة ما تركته ناقصاً:" وأن أكثر من 80% من حالات الاغتصاب في أمريكا لا يتم الإبلاغ عنها وفقا لوزارة العدل الأمريكية، ومصداقاً لذلك شاركت آلاف النساء في استطلاع رأي عن الاغتصاب وجاءت نتيجته صادمة؛ وهي أن أكثر من نصف مليون سيدة- تحديدا 652676 سيدة في 2019 وحدها- تعرضن للاغتصاب.

وأكد التقرير أن النسبة تزداد بمعدل 2.9 % سنويا ولا يبدو أنها ستتراجع، كما أن 13% من نساء ولاية كاليفورنيا كانوا ضحايا للاغتصاب *حقيقة4*، كل تلك الأحداث جعلت أمريكا تقع في المركز العاشر ضمن أكثر الدول خطورة على النساء من حيث العنف والتحرش الجنسي وقلة تحقيق العدالة في قضايا الاغتصاب.

كما يقال بأن خطر أمريكا على النساء يتشابه مع سوريا- دولة الحرب- رغم استقرار أمريكا وقوتها التي قادتها النساء على وسائل التواصل، وكشفن ما تعرضن له من تحرش واغتصاب حتى المشهورات منهن، وهو ما كشفته حملة Metoo# والحمد لله بأنه لا توجد دولة عربية أو إسلامية واحدة في أعلى تلك ال50 دولة في معدلات الاغتصاب"

لتتوقف عن القراءة وتكمل بمرارة وحزن يبدوان في حديثها وهي ملتفتة لمي:" لا أنكر بأنه انتشرت في الفترة الأخيرة العديد من حالات التحرش والاغتصاب في عدد من دولنا وبلادنا العربية للأسف، ومنهم من ضجت وسائل الأخبار بها، وأدمت قلوبنا وأرواحنا بسماعها، والتي أخجلتنا ووددنا لو انخسفت الأرض بأولئك المتحرشين ولاقوا في الدنيا أضعافاً مضاعفة من العقاب قبل أن يلاقوها في الآخرة.

وكل هذا يعود لرغبة معظم المحسوبين على جنس البشر بالتحرر الجنسي، ولكن كما أخبرتك يا مي في حديثي السابق عن نسب التحرش في أمريكا فيبدو هنا أن العلاقة بين التحرر الجنسي والتحرش أو الاغتصاب طردية عكس ما

يدعي البعض! فكلما زادت الحرية الجنسية كلما ازدادت معدلات الاغتصاب والتحرش".

لتعود وتقرأ من هاتفها مرة أخرى:" فكما قرأت من على مواقع الإنترنت بأن الدولة الأعلى في معدلات الاغتصاب عالمياً هي جنوب أفريقيا بنسبة 132% والدول الأفريقية عامة في المقدمة، لكن الأكثر إثارة للدهشة هو أن دولة السويد الغنية والمثقفة وقعت في المرتبة الخامسة في معدلات الاغتصاب، والتي كانت نسبتها 63.5% وجاءت أستراليا في المرتبة الحادية عشر بنسبة اغتصاب وصلت 23.8% ، كما جاءت الولايات المتحدة في المرتبة الثالثة عشر بنسبة اغتصاب وصلت إلى 27.3% بعدد مغتصبات وصل إلى 84 ألف و767 مغتصبة في 2020 وحدها وفقا للإحصائية".

لتوقفها مي مطالبة إياها بالتوقف قليلاً للراحة:" انتظري قليلاً لآخذ استراحة قصيرة، فلقد تشنجت ساقي من كثرة السير، ألا تشعرين بالتعب أيضا؟" وجهت مي سؤالها الغاضب لصديقتها التي أجابت بضحك:" بلى أشعر ولكني لم أهرم بعد حتى تتشنج قدماي من شدة السير يا عجوز" لتضحك بصوت عال، مما أغضب مي كثيراً لتلقي عليها حقيبتها فتصيبها في ذراعها بلكمة خفيفة، لتصرخ منى بألم مصطنع:" أي أوجعتني يا عجوز" وتقفز بعيدا عنها خوفا من تعرضها للضرب مرةً أخرى ولكن تلك المرة أشد من سابقتها.

"حسناً توقفي يا مي، لنأخذ هدنة سريعة فأنا لم أكمل بعد، هيا أرجوك لتمهليني دقيقة بعد حتى أنهي حديثي، فأنا لا أحب أن أترك كلامي في منتصفه كما تعلمين"، نظرت مي لصديقتها بطرف عينيها قائلة:" حسناً، موافقة لن أعاقبك على ما بدر منك يا سعادة الصحفية، وسأدعك تكملين حديثك ليس لأن صوتك جذاب بل لشغفي في معرفة المزيد، فكما تعلمين بأني أهتم بالأخبار، ولكن إن بدر منك موقفاً سخيفاً أو أوصافاً سخيفة مرةً أخرى فسألغي الاتفاق وأنقض الهدنة وألقنك درسا يا صديقتي الجميلة، اتفقنا؟"

أنهت حديثها محذرة صديقتها بإصبعها الإبهام، لتجيبها صديقتها بابتسامة كادت أن تتحول لضحكاً هيستيرياً:" اتفقنا" لتتصافح الصديقتان موافقتين على الهدنة.
أشارت مي بيدها لصديقتها بطريقة مسرحية لتحثها على إكمال الحديث مرةً أخرى، لتكمل الصديقة القراءة من هاتفها بشيء من الجدية وهي تعدل نظارتها الطبية:" ولكن يا مي أمريكا ليست بمفردها الممتلئة بالتحرش، فهنالك الهند

اشتهرت بالتحرش الجسدي أيضا لتصل نسبة النساء اللاتي تعرضن للمس بشكل جنسي من قبل شخص في مكان عام إلى 44% في عام 2016 فقط، حسب تقرير منظمة ActionAid الخيرية والتي أوضحت أيضاً بأن في كمبوديا وفيتنام بالتحديد تختبر ثلاثة من كل أربع نساء تحرشاً جنسياً جسدياً أو لفظياً.
ولكن حالات الاغتصاب في الهند عرفت من قبل عام 2012 ، بشيوع حالات الاغتصاب عقب حادثة اغتصاب لطالبة*حقيقة5*.
ولكن أتعلمين ما الأكثر عجباً في تلك الأخبار؟" لتسألها مي بسرعة:" ماذا؟ " ، فتجيبها الصديقة بحماس :"الرجال!! فالرجال أنفسهم لم يسلموا من التحرش الجنسي"
لتصرخ مي في تقزز:" يا للهول، ماذا؟" لتضحك صديقتها على منظر مي ومشهد التقزز الذي ارتسم على وجهها، فتكمل حديثها:" نعم كما أخبرتك، فالسجون بصفة عامة وخاصة في أمريكا تضج وتمتلئ بحالات تعرض فيها بعض المدانين للتحرش الجنسي أو الاغتصاب، لكن هناك 21.4% من الرجال الأمريكيين أوردوا أنهم تعرضوا للتحرش الجنسي، وكان ذلك خارج أي سجن أو مؤسسة عقابية، والأدهى أن ربع هؤلاء الرجال كانوا أطفالاً تحت سن العاشرة*حقيقة6*.

لذلك لا أظن بأن التحرر الجنسي هو الحل لتلك الظاهرة المقززة، بل هي اتجاهنا نحو الدين أكثر وفرض أقصى العقوبات على المتحرشين سواء كانوا صغاراً أم كباراً، ولا بد من توعية الأطفال أكثر وتحذيرهم من الغرباء أو حتى البعد عن ما يدفع المتحرش للاقتراب منهم".

كان ذهول مي من تلك المعلومة متضحاً من نظراتها وتعبيرات وجهها، التي تشكلت في لوحة كلها تقزز وألم بعد سماع تلك التقارير، لتنهي هذا الحديث الطويل المؤلم قائلة:" لا بد لنا من توعية الفتيات يا صديقتي وخصوصاً في بلدنا سواء على مواقع التواصل الاجتماعي أو حتى المشاركة في ندوات واجتماعات خاصة بحقوق المرأة، لتوعيتهن بكيفية الدفاع عن أنفسهن وابنائهن من تلك الهجمات الشرسة على شرفهن، ولكن من أين لك بكل تلك المعلومات والأخبار؟ ولمَ تحتفظين بها في هاتفك الجوال؟ ".

أجابتها صديقتها وهي تعدل من نظارتها وكلها ثقة:" من مدونتنا الإلكترونية يا عزيزتي، فكما تعلمين بأني عضوة في تلك المدونة ولا أكتب سوى عن الموضوعات المهمة المتواجدة في عالمنا، والجدير بالذكر أيضاً أنك عضوة فيها

أيضاً، يا صاحبة القسم الخاص بالسياسة، كيف لم تقرأي بحثي هذا؟" وجهت سؤالها الأخير لمي بشيء من الغضب المصطنع، لتتهرب مي على الفور من الإجابة عليه خوفاً من عقاب صديقتها لإهمالها بحثها الأخير ذاك، لتدعو لإنهاء الجدال وهي رافعة كفيها قائلة:" لندعوا الله أن يهديِ شباب وبنات المسلمين جميعاً"..."آمين" قالتها الفتاتان في صوتٍ واحد..

#حقائق

حقيقة1 النسب صحيحة نسبة لموقع RT حسب تقرير منظمة الأمم المتحدة المعنية بشؤون المرأة (UN Women) .
حقيقة2-6 81% من النساء في السويد تعرضن للتحرش الجنسي و75% في فرنسا و68% في بريطانيا و60% في الولايات المتحدة فوق سن ال15 ، كما يبلغ متوسط الأمريكيين الذين تعرضوا للتحرش الجنسي أو الاغتصاب 433.648 كل عام بين 12 عام فما فوق، معنى ذلك أن كل بضعة ثواني يتعرض شخص أمريكي- بغض النظر عن نوعه- للتحرش كما في موقع Opera News للصحفية والمدونة الزهراء عزازي ، كما في موقع CNN بالعربية بلغ عدد النساء في الدنمارك اللاتي تعرضن للتحرش ل 52% وفي بريطانيا لأكثر من 40% عام 2012 حسب تقرير لوكالة الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية، وفي تقرير لمؤسسة Stop Street Harassment البريطانية تعرضت 35% من النساء في بريطانيا للمس بشكل غير مرغوب فيه.
*حقيقة3*تقرير لصحيفة LA Times . *حقيقة4* تقرير لصحيفة RAINN .
حقيقة5 عام 2012 تعرضت طالبة جماعية لاغتصاب جماعي في إحدى حافلات العاصمة نيودلهي حسب موقع CNN بالعربية.

بعد انتهاء هذا الشوط الكبير من التجوال والثرثرة والألم النفسي، عادت كلتاهما لشقتها قبل حلول الظلام.. وما إن دخلت مي للمنزل حتى خلعت حذائها وأسرعت لتلقي بجسدها على الأريكة من شدة التعب، فتريح جسدها المنهك وقدميها المتورمتين من السير مطولاً، أراحت جسدها عشرة دقائق ثم نهضت وبدلت ملابسها وتوضأت وأدت فرضها "المغرب" .

بعد الانتهاء من الصلاة، أعدت مي طعام العشاء، وأحضرته للصالة وجلست لتناوله أمام التلفاز، وقبل أن تمد يدها لتمسك بجهاز التحكم، حتى سمعت رنين هاتفها الجوال في غرفتها، لتنهض سريعاً لإحضاره، وما إن وقعت عيناها على اسم المتصل حتى قفز قلبها فرحاً، وأسرعت لتجيب قائلة في حنان:" أمي،

مرحباً لقد أوحشني صوتك، ما أخبارك وكيف هو أبي وجدي؟...... الحمد لله أنا بخير ومنى كذلك أجل، ... لا ليست بجواري فلقد افترقنا هذا العام، لا تقلقي المسافة بيننا بضعة سنتيمترات، لم أقصد ذلك بل هي بالطابق العلوي.

..أجل أخبرتك مسبقاً، لا لا تقلقي فهي بخير ودراستنا بخير، وأبي كيف حاله؟ .. حقاً!! متى هذا؟ لماذا لم تخبريني؟ سامحك الله يا أماه، هل هو بخير الآن؟ حمداً لله، وجدي هل ما زال يتابع المباريات؟ حقاً !! " ضحك"

لماذا؟ هل اعتزل لاعبه المفضل الكرة أم خسر فريقه؟ غريب!! هكذا بدون مقدمات؟ " ضحك".

... هاي جدي مرحباً كيف حالك؟ ...وأنا أكثر، هل تأخذ أدويتك في الموعد؟ لقد أخبرتني أمي أنك تهملها ولا تنتظم كثيراً لماذا؟ لا، هي لا تكذب عليّ فأنا أعرفك جيداً " ضحك"

...كل هذا بسبب خسارة فريقك المفضل؟ " تضحك" لا يا جدي، لا تقل ذلك فأنت أفضل مشجع عرفته على الإطلاق، هل أخبرك سراً؟ أنت أفضل حتى من أبي " ضحك" أقسم لك " ضحك" .

....حسناً اتفقنا، ولكن إن علمت أنك تهمل أدويتك فلن أحضرها معي، اتفقنا؟ حسناً، لا تقلق عليّ فنحن بخير هنا، لا لم نتعرض لأية حوادث والحمد لله، لا تقلق فنحن هنا كثر ولسنا بمفردنا، فالله معنا يا جدي، حسناً، وأبي عندما يصل للمنزل سالماً فليهاتفني، حسناً؟

حسناً... فلتسلم صحتك يا جدي، وداعاً، وداعاً...... وما إن أنهت مي مكالمتها حتى تنفست الصعداء، وهي تضع هاتفها بقرب قلبها، لتبدأ دمعاتها في التسابق

واحدة تلو الأخرى، المتجمعة في مقلتيها وبدأت تسرح بذاكرتها للماضي؛ عند أول يوم علمت فيه بقبولهما في البعثة هي ومنى...

بين الماضي والحاضر:

وضعت منى حقيبتها بقوة على المنضدة الخشبية أمامها، وصرخت موجهة حديثها لمي الجالسة مقابلها:" والآن كيف سنخبرهم؟" ، لتجيب الثانية مهدئة إياها بصوت منخفض:" ششششش اخفضي صوتك، فلسنا بمفردنا، كما إنه لا يجب أن ترفعي صوتك في المكتبة كما تعلمين"

لتجلس منى على المقعد وهي تزفر بضيق، عاقدة ذراعيها على صدرها، قائلة في حيرة:" لا يهمني ذلك، ما يهمني هو كيف سنخبرهم بما حدث؟ هيا فلتفكري أنت فأنا لا أستطيع التفكير لإيجاد طريقة وأنا غاضبة هكذ حيثا".
أنهت جملتها تلك وهي تهز قدميها من شدة التوتر، مما دفع مي للتوتر أيضاً لتوجه لها الحديث بنفس وتيرة صوتها المنخفضة:" حسناً توقفي عن الاهتزاز هكذا فلقد أصبتني بالتوتر أيضاً، اهدأي_حسنا_ فلتهدأي لأتمكن من التفكير بهدوء عن طريقة ما لإخبارهم".

أنهت مي حديثها ذاك وانغمست في التفكير جيداً، واضعة بذراعها على المنضدة ممسكة ذقنها بأصابعها تبحث عن فكرة جيدة، وما هي إلا دقائق حتى صرخت مي في فرح:" وجدتها" لتصيح فيها مسئولة المكتبة مصمتة إياها:" ششششششش، الرجاء الالتزام بالهدوء وإلا خرجتما" وأشارت بإصبعها باتجاه باب الخروج.
لتسرع مي في الاعتذار إليها ساحبة يد منى للنهوض متوجهتان للخارج، وما إن خرجتا الصديقتان للخارج حتى سحبت منى يدها بهدوء، موجهة سؤالها لمي بغير فهم:" ما الذي وجدته بالتحديد؟" لتسرع مي في الإجابة وبابتسامة عريضة ملأت وجنتيها:" عرفت كيف سنخبرهم، نعم ما عليك سوى مجاراتي فيما سأخبره لوالداي في الهاتف الآن".

أنهت مي كلماتها وهي تخرج هاتفها الجوال من حقيبة يدها، وتضغط على رقم والدها لتتصل به ليجيبها بعد أول رنة، قبل أن تضغط مي على زر المكبر

ويدور بينهما هذا الحوار:" مرحباً يا عزيزتي كيف حالك؟" مي:" بخير يا أبي العزيز، في الحقيقة هناك ما أود إخبارك إياه".
والدها:" حسناً، ما هو؟" مي:" في الحقيقة إنها مفاجأة ولا يجب أن تعرف هكذا، فتخبو روعتها ويهدأ حماس معرفتها، أليس هذا ما علمتني إياه عن المفاجآت؟" ليضحك والدها مجيباً إياها:" بلى هكذا علمتك، ولكن لما هاتفتني؟ إن كانت مفاجأة؟".

لتجيبه مي ضاحكة:" أرد سماع نبرة صوتك عند سماعك لكلمة مفاجأة" ضحك الأب وقال:"حسنا سأعود للمنزل اليوم باكراً، فقلبي لا يستطيع تحمل المزيد من التشويق يا صغيرتي، وداعاً الآن وسنتحدث بعد ربع ساعة من الآن في المنزل" ، مي:" حسناً، إلى اللقاء " لتغلق هاتفها وتضعه مكانه، موجهة حديثها لمنى وبتنهيدة سريعة :" ها قد تم الجزء الكبير، وما بقي فيسير أمره".

بادرتها صديقتها بنظرة بلهاء وقالت:" حقاً!! فأنا لم أفهم كلمة مما تفوهت به الآن، ما هذا الجزء الذي تم وما هو اليسير المتبقي؟ فأنت لم تخبريه من الأساس، هل تسخرين من خوفي يا مي؟ لأنك لو كنت تسخرين فستنتهي صداقتنا الآن وستبدأ عداوتنا" أنهت منى تحذيرها لمي، وهي عاقدة بذراعيها مشيحة بوجهها لليسار وبنظرة جادة مرتسمة عليها.

لتجيبها مي بجدية أكثر:" بالتأكيد لم أقصد السخرية يا حمقاء، بل أنا الآن أكثر جدية من ذي قبل، كل ما قصدته بأن"جزءً كبيراً انتهى" هو إلقاء الطعم حيث الهدف، ثم الانتظار حتى يمسكه لنتمكن من سحب الخيط والفوز بالكنز يا عزيزتي الغاضبة، هل فهمتي الآن ما قصدته؟".

وبنفس النظرة السابقة من عدم الفهم، ارتسمت على وجه منى ولكن سرعان ما أزالتها واستبدلتها بنظرة الفهم، قائلة في فهم مصطنع:" آاااه ، هل هذا ما قصدته؟ بالطبع فهمت مقصدك يا فيلسوفة عصرك، هل ظننتني حمقاء لتلك الدرجة كي يصعب عليّ فهم خطتك المتذاكية؟ بالطبع فهمتك".

أنهت حديثها وهي تحك رأسها مفكرة، وتضحك قائلة من جديد:" الحقيقة لم أفهم ولكن لن أستبق الأمور، وسأنتظر للنهاية حتى أفهم جيداً ما قصدته، أما الآن فهيا لمنزلك يا عزيزتي لنرى سوياً سير خطتك" أنهت حديثها متوجهتان لمنزل مي.

في المنزل:
جلس الأب والأم والجد كذلك؛ مستمعين لمفاجآت مي، ومنى جالسة معهم فهي ليست غريبة على أي حال، بل هي العضو الخامس في هذه الأسرة حتى وإن لم تكن تحمل نفس الدم.
في تلك الجلسة العائلية بدأ الوالد الحديث متوجهاً بنظراته لمي قائلاً في حماس:" والآن، أخبرينا ما هي تلك المفاجأة يا مي؟"
لتتحول كل النظرات حيث مي بما فيهم منى لتجيب مي في هدوء:" حسناً، لقد فزنا بالمركز الأول أنا ومنى" فجرت قنبلتها بهدوء تام واتكأت للخلف منتظرة ردود الفعل، التي كادت تفجر طبلات أذن منى من شدة الدوى والصراخ.

فصرخ الجد والأب من شدة الفرح، ونظرت الأم بغير فهم لمي التي سرعان ما أصمتت صراخ الاثنين متحدثة بغير فهم:" فزتما في ماذا؟ فنحن نعلم بأنكما أنهيتما الثانوية للتو بدرجاتٍ مرتفعة، فما الذي فزتما فيه والتنسيق لم يبدأ بعد؟"، أحدث استفسار الأم خللاً في فرحة الجد وابنه، ليلتفت كلاهما حيث الأم، ليشيحا بنظرهما بعدها حيث مي، منتظرين في صمت إجابة مي على والدتها.

زاد توتر منى وازدادت اهتزازات قدميها، عندما توجهت كل الأنظار لمي منتظرين حديثها، لتعتدل مي في جلستها رامقة منى بنظرة اطمئنان مع هزة خفيفة من رأسها، لتتوقف الأخيرة عن هز قدميها والسكون بصمتٍ تام للاستماع لدوى القنبلة الثانية، والتي بدأ فتيلها بالاشتعال عند بدأ مي في الحديث:" نعم أعلم بأننا أنهينا شهادتنا للتو بأعلى الدرجات، وبأن التنسيق لم يفتح أبوابه بعد ولكن ما قصدته بالفوز هو نتيجة التنسيق في الخارج، فلقد قمنا بالتقديم في بعثة للخارج وفزنا بالمركز الأول بها، وسنسافر بعد شهر من هذه اللحظة، وهذا إن سمحتم بالتأكيد".

صمت تام أطبق أفواه من بالصالون، وضربات قلبين بدأت في الارتفاع أحدهما لمنى التي كادت أن تسقط مغشياً عليها من شدة التوتر، والآخر لمي التي تصنعت الشجاعة رغم خوفها بالداخل، وارتجاف قلبها أكثر من ردة فعل أهلها، وخاصة والدتها التي نظرت لها والدموع متمركزة في عينيها منتظرة انطلاق الصافرة لتبدأ بالتساقط.

حاولت منى النهوض من مكانها والانسحاب للخارج، قبل أن ينهدم المكان رأساً على عقب بسبب تأثير القنبلة التي ألقتها مي على مسامع أهلها، والتي كانت متأكدة من نفس ردة الفعل بل وأكثر من أهلها هي.
ولكن قدماها أبتا الحراك من مقعدها الذي غاصت بثقل خوفها فيه، لم يقطع هذا الصمت إلا تصفيقات الجد المتكررة وصراخه بالفرح الممتزج بالفخر، تبعتها تصفيقات ابنه وتبريكاته، والدموع تتساقط من عينيه، ليتحدث الجد والفرح يملأ حروفه قائلاً:" أحسنت يا حفيدتي المتفوقة، مبارك عليكما الفوز، لقد ملأتنا فخراً وفرحاً يا طفلتي".
أنهى حديثه محتضناً مي، وتبعه والدها الذي اغرورق وجهه بدموع الفرح والخوف على وحيدته، قفز قلب منى فرحاً بعد ردة فعل جد منى ووالدها تلك، واطمأن قلبها وهدأت روحها فهي تعلم بأن جزءً كبيراً في موافقة أهلها سيكون بسبب موافقة أهل مي رفيقة طفولتها، فقفزت من مكانها وودعت مي وأهلها لتنهي الجزء الصعب في خطتهما وذهبت لمنزلها.

فرحت مي بسبب ردة فعل والدها وجدها تلك، وفرحتهم لها ولكن فرحتها لم تكتمل بعد فوالدتها مذ سماعها الخبر وهي لم تتفوه بأي كلمة، بل نهضت من مكانها وانسحبت للداخل تاركة من خلفها قلب مي ناقص الفرحة.
استأذنت مي جدها ووالدها وأسرعت خلف والدتها، التي أغلقت الباب بمجرد ولوجها للداخل، طرقت مي باب غرفة والديها، ولكنها لم تلق جواباً فطرقت الباب مرة أخرى، لتفتح بعدها الباب معتذرة من الدخول بدون إذن، وما إن دخلت مي واقتربت من فراش والدتها حتى سحبتها الأم للأسفل محتضنة إياها والدموع تتساقط من عينيها كأنها في سباق.

لم تعلم مي كم من الوقت ظلتا كذلك بدون حديث أو حتى عتاب، ولكن حديث القلوب كان أكثر وقعاً، فمي تعلم جيداً أن والدتها لا تتمنى لطفلتها سوى السعادة والتفوق، وإن كانت سعادتها في البعد عن عائلتها فستلبي رغبتها بالتأكيد.
بعدها بأيام هاتفتها منى لتخبرها بقبول والديها السفر أيضاً، بعد معاناة من طرف والدها فلقد كان متخوفا من معاملة الأجانب لهما، وهما وحيدتان بدون عائلة وبسبب الأحداث الجارية في الفترات الأخيرة وحوادث الإسلاموفوبيا المنتشرة في بلاد الغرب، ولكنه اطمأن عندما علم بأمر الهيئة المشرفة على البعثة ومن محل سكن الفتاتين بالقرب من الجالية المسلمة هناك، وسيسافر معهما والديهما إلى أن يتأقلما على الوضع هناك بمفردهما، وحتى يطمأنا عليهما في غربتهما أشهراً طويلة.

****

عادت مي لواقعها لتجد نفسها بمكانها في غرفتها، محتضنة هاتفها والدموع تسيل على وجنتيها، لتقبل الهاتف حيث اسم والدتها وتضعه على المنضدة بجانب الأباجورة، وتطلق تنهيدة طويلة مزيلة عبراتها لتتوجه بعدها خارجاً، حيث تركت التلفاز مضاءً وطعام العشاء بالخارج.
عادت مي لأريكتها وجهاز التحكم بيدها، لتضغط على أزراره، وتبدل بين القنوات بدون وجهة محددة وببال مشغول بوطنها وأهلها في جهة، وبما سمعته منذ قليل من صديقتها؛ من نسب وأخبار مؤلمة في جهة أخرى، ليتوقف تقليبها عند قناة الأخبار مجدداً، فتضع جهاز التحكم جانباً وتستمع لما يعرض من أخبار، مبتدأة بتناول طعامها، ماضغة إياه بدون استمتاع لزوال نكهته بعدما تركته السخونة هاربة وولت..

وما هي إلا دقائق قليلة مضت في ملل حتى وقعت عينيها على كلمة (عاجل) باللون الأحمر، ليعقبها ما أذهلها وجعلها تعتدل واقفة دون إكمال طعامها، لتمسك بجاز التحكم من جديد وترفع الصوت لتستمع جيداً لما يقال وتقرأ بصمت ما يُكتب.." #حقيقة #2/1":جريمة قتل لثلاثة مسلمين رمياً بالرصاص في إحدى الدول الأوروبية، أودت بحياتهم جميعاً بدون رحمة أو حتى شفقة" ********

#حقيقة # ١ حادثة إطلاق نار تشابل هيل 2015 حدثت في 10 فبراير 2015 وراح ضحيتها 3 طلاب مسلمين بعد اقتحام منزل شقيقتين وزوج أكبرهما ..# وهم ضياء شادي بركات (23 عاماً) وزوجته يسر محمد أبو صالحة (21 عاماً) وشقيقتها رزان محمد أبو صالحة (19 عاماً)

حقيقة # ٢. أطلق مجهولون الرصاص على 3 شباب مسلمين في ولاية أنديانا الأمريكية، في فبراير ٢٠١٦ عدة مرات حتى الموت، حسبما ذكرت وسائل إعلامية، اليوم الأحد. وقالت سلطات الولاية، إنها عثرت على جثث كل من محمد طه عمر "23 عاما"، وآدم مكى "20 عاما"، ومهند تاراب "17 عاما" داخل منزل محلى في مقاطعة فورت واين بولاية أنديانا، بعدما أطلق القاتل الرصاص عدة مرات على كل منهم.

وقع الخبر على مي كالصاعقة، مفجراً معه ينابيع من الدموع الحارة بمجرد عرض صور المجني عليهم، لقد كانوا شباباً كالزهور اليانعة.. بكت مي وهي تتابع بألم وحزن شديدين هذا الخبر على قناة الأخبار.." لقد كان الأمر بشعاً" .. "لم نصدق ما رأيناه وسمعناه في تلك اللحظة" .. "لم يكن أياً من الثلاثة سيئين، فقد كانوا مرحين محبين لغيرهم ودودين" .. "لهو أمر مؤلم أن يقتل أحد بتلك الوحشية"..هكذا ترددت الشهادات باللغة الأجنبية بين شهود يقال أنهم رأوا الحادث بأم أعينهم وآخرين عرفوا الثلاثة وجاوروهم..

شعرت مي بغصة في قلبها وحدثت نفسها باكية:" إلى متى سيظل هذا التوحش؟ إلى متى سيظل العالم يلعن المسلمين وينعتهم بالإرهابيين؟! الآن المسلمون هم الضحايا وهم المستضعفون؛ ولا يجرأ أحد على التحدث من أولئك الكاذبون المخادعون المتملقون المختبئون خلف رداء الحرية وحقوق الإنسان، ألا لعنة الله عليهم، ألا لعنة الله عليهم، ألا لعنة الله عليهم، فلينظروا بصدق لمن المجرم ومن الضحية!! فليحكموا بالعدل الذي يدعون به نحن الضحية وهم المجرمون ألا لعنة الله عليهم".. تذكرت مي مخاوف والد منى وشعرت بالقلق على أهليهما وبدأت

تدور المخاوف وتتناطح الأسئلة بداخلها؛ ماذا لو وصلت تلك الأخبار إلى والد منى، ماذا لو اعتقد بأننا في نفس بلد الضحايا، ماذا لو أخافهم أحدهم وأوصل لهم أخباراً كاذبة عنا، ترى ماذا سيحدث لوالدتها إن أخافها أحدهم بتلك الأخبار، وأوضح لها بأننا هنا في خطر؟

لم تستطع مي التوقف لحظة عن تفكيرها بقلق، حتى إن عينيها لم تساعدها كثيراً بل سرعان ما أجهشت بالبكاء وشعرت بالترنح يميناً ويساراً، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى خارت قواها وانخفض ضغطها فجأة فلم تتحمل ساقيها كثيرا لتسقط مغشياً عليها..

ظلت مي هكذا حتى منتصف الليل عندما عادت لوعيها، لتجد نفسها ملقاة على الأرض، والتلفاز مضاءً والطعام مازال على الطاولة، لتمسك رأسها وتتذكر ما حدث أثناء تناولها للعشاء، تذكرت كل شيء وما سبب لها الإغماء، فحاولت النهوض وهي محتملة على الأريكة خلفها، فاستطاعت الجلوس حتى تعيد لجسدها اتزانه، قبل أن تنهض لدورة المياه وتصب الماء على وجهها لتنشط نفسها وتصلي فرضها.. بعد صلاتها للعشاء توجهت لغرفتها لتريح جسدها وعقلها وروحها من تذكر ذاك الحادث الأليم الذي شاهدته قبل ساعات، وقلقها على أهلها وخوفها من تكرار هذا الحادث لها أو لمنى، حاولت نسيان وجوه الضحايا لكن لم تستطع إزالة وجوههم من عقلها، بل حتى إنها رأت وجهها على أحد الضحايا من شدة توترها وقلقها، فكيف ستكون ردة فعل أهالي الضحايا عندما يصل إليهم الخبر؟ بل كيف ستكون ردة فعل أهلها هي إن كانت هي مكان الضحايا، لم تستطع تهدئة نفسها لتعود الدمعات للتساقط مجدداً..

ظلت مي هكذا منذ الواحدة صباحاً حتى السادسة، تحاول النوم لتنسى ذاك الحادث البشع ولتستريح من ألم رأسها لكنها لم تستطع حتى، تريد أن تنسى كي لا تفكر طويلاً وتهلك نفسها وفي نفس الوقت لا تريد أن تنسى كي تتذكر ما حييت وجوه ضحايا الإرهاب العنصري وتكتب عنه للجميع حتى يعلم العالم من الضحية ومن المجرم .

ولسبب ما شعرت بأنها تعرف الضحايا، لسبب ما أحست بأنها قابلتهم من قبل لكن لا تتذكر أين أو لماذا هذا الإحساس بالألم الذي ينخر في قلبها وينهش في روحها..

كاد عقلها ينفجر بسبب تلك التناقضات المتصارعة في عقلها وفكرها، حتى قررت الذهاب لأقرب صيدلية وشراء بعض الأقراص المنومة" البنزوديازبين"*حقيقة1* والتي كان قد وصفها لها طبيبها قبل شهر، لتتمكن من النوم بسبب إرهاقها وأرقها المتكرر، وللهروب لعالم الأحلام علها تريح عقلها وتستريح نفسياً، وهذا ما فعلته حيث بدلت ملابسها وتوجهت للخارج فذهبت لشراء الأقراص وبعد دقائق عادت للمنزل ومعها الأقراص.

وما إن توجهت للداخل حتى أمسكت بهاتفها لترسل رسالة لصديقتها؛ بأن لا تزعج نفسها وتأتي اليوم لعدم تمكنها من النوم بالليل جيداً، حتى لا تأتي وتنتظر كثيراً أمام الباب دون جدوى فهي لن تستيقظ بسهولة مهما دقوا من طبول بعد هذا الشوط الطويل من السهر، وبعدما أرسلت تلك الرسالة لصديقتها تناولت قرصاً منوماً وتوجهت لفراشها وما هي إلا دقائق حتى غاصت في نوم عميق..

وهنا حلمت بالفتاة العجيبة التي جعلت من أمام منزل مي مكتباً صغيراً للقراءة، أولت لمي ظهرها مجدداً وجلست في مكانها، وأحاطتها الغرفة الزجاجية كما حدث من قبل وأكملت قراءة ما توقفت عنده ومي تنصت كعادتها..

حقيقة1 " البنزوديازبين أو البنزوديازيبيات " تمتلك تأثيرات مهبطة نفسيا ومهدئة ومنومة ومزيلة للقلق ومرخية للعضلات وتؤدي لفقدان ذاكرة معظمها فمويا ، ملحوظة لا تستخدم إلا بعد استشارة الطبيب نظرا لأعراضها الجانبية وضررها على المدى الطويل.

الفصل الثالث :

" فزعٌ وعويل :

..في مساء ذلك اليوم حدث شيء عجيب جعلني أصرخ فزعاً وهلعاً وأنا على أريكتي المفضلة مندمجة في قصتي، إذ بجسدي يتحرك بمفرده دون إذن مني كنت جالسة وفجأة وجدت نفسي استلقي نائمة وبدأت في التشنج والارتعاش والدم يسيل من أنفي، أحسست بنغز آلام شديدة في قلبي كأن احدهم يضغط عليه أو يضربه بقوة لم استطع التنفس؛ فجأة كتم نفسي وبدأت عيني بالجحوظ و زاد ارتعاش جسدي بطريقة مرعبة، وسمعت الأصوات مجدداً ولكنها هذه المرة مختلفة، فهناك أصوات رجال ونساء مختلطة يتحدثون بسرعة بالإنجليزية، لم أفهم كلمة مما قالوه ولكن فقط بعض الحروف التي استطعت تمييزها he..t , qu...ly , da....s.

فجأة سكن كل شيء وساد الصمت وعدت لحركتي مجدداً وتنفست واستطعت الحراك من جديد، فبدأت في الصراخ فزعاً مما حدث لي، صرخت وصرخت حتى شعرت بأن رأسي سينفجر وأذني ستخرج من مكانها فتوقفت وبدأت في تهدئة نفسي، في محاولة استيعاب ما حدث لكن دون جدوى فقررت الهروب بالنوم وهذا ما فعلته ..

تسعة أيام متواصلة وأنا أهلوس وأتخيل وأسمع أصواتاً بدون أصحابها، تسعة أيام وأنا بمفردي لا أنيس أو جليس أو حتى معرفة إن كان لدي أصدقاء أو

عائلة، لا أعلم شيء سوى مكان الطبيبة ومكان الشيخ الدجال ومكان منزلي وعملي الذي لم أذهب إليه أبداً، ولم يتصل بي منه احدهم يخبرني بسبب غيابي عن العمل، خمنت ذلك ب ربما كنت في إجازة طويلة المدى لذلك لم يهاتفني احد، أو ربما أنا لا أعمل ولكن كيف أنفق على نفسي؟! ومن أين لي بالمال.

ربما كان الشيخ محقاً وأنا ثرية ومعي نقوداً كثيرة وأرث ثروة طائلة، لاا بدأت أجن، سحقاً سأذهب للمستشفى وأمكث بها حتى أشفى من جنوني، أو ربما أخلد للنوم مجدداً فهذا ما أبرع به..

منذ ذهابي للشيخ وأنا حالتي يرثى لها؛ كأن الله عاقبني لتصديقي بالشيخ والدجل الذي يقوم به، ولكني لم أصدق قط بل كنت أجرب علي اهتدي لتفسير يطمئنني ويهدئ من روعي، فما عدت أحتمل هذا الجنون ولا تلك الأصوات، فجأة أنارت بعقلي فكرة_كيف لم أنتبه لها منذ البداية؟! كيف لم أفكر جيداً لكل هذا؟!

نعم؛ لعله كابوس بشع فيه تحذير لي، لأني أؤخر فروضي ولا أؤديها بترتيب نعم، هذه هي فأنا أحلم وسأنهض الآن مستغفرة وأنوي التوبة وأتوضأ وأصلي نوافل ما فاتني لمدة تسعة أيام واستغفر ربي، فبالطبع لن يردني الله خائبة وسيطمئن روحي المشتتة وقلبي المرتجف..

بالفعل نهضت من النوم وتوضأت وصليت حتى أرهقتني قدماي، فجلست للاستراحة قبل أن أكمل ما تبقى لي من فروض.. يوم كامل في الصلاة حتى قضيت ما علي من صلوات وأخيراً جلست لأدعو الله؛ دعوته بأن يغفر لي ويرضى عني ويردني لصحتي وعافيتي، ويهدني للطريق القويم ويخلصني من تلك الغفلة، ثم قرأت القرآن ورددت الكثير من الأذكار حتى هدأ قلبي واطمأن، وأحسست براحة كبيرة اجتاحتني فغفوت على سجادة الصلاة وحلمت حلماً عجيباً..

الحلم :

كنت في غرفة غريبة مضاءة من كل جهة، ورأيت أشخاصاً كثيرون يحيطون بي من كل جانب لا أعلمهم، كانوا يحادثوني بكلمات وجمل غير مفهومة، كانت خليطاً من العربية والإنجليزية وربما الألمانية لا أعلم بالظبط .

كانوا يتناقشون في أمرٍ مهم، هكذا خمنت من نظراتهم لبعضهم البعض تارة ولي تارةً أخرى، ولكني أشعر داخل قرارة نفسي أني أعرفهم واحداً واحداً ولكن من كانوا؟! هذا ما لا أستطيع تذكره.

في منتصف تلك الأحاديث سمعت بعض الأسماء التي ترددت هنا وهناك، ولكن اسمين فقط علقا في ذاكرتي بعد استيقاظي وهم"رامي و محمد" نعم؛هذا يعني أني لم أكن أحلم طيلة الأيام الماضية بل كانت حقيقة، فاذكر أني صرخت باسم رامي مرة وتلك الرسائل باسم محمد؛ نعم تلك حقيقة..

استيقظت مي فجأة لشدة سخونة جسدها ولكثرة تصبب العرق على وجهها، فنهضت متوجهة للثلاجة حيث شربت كوبين ممتلئين من الماء، وعادت للنوم مجدداً دون أن تلتفت للساعة أو حتى يتغير مسار سيرها لهنا أو هناك، بدت كما لو أنها تسير في نومها أو ربما كانت كذلك بالفعل، لتعود لإكمال حلمها الناقص، حيث سمعت صوت طفولي يتحدث، لم تر المتحدث بل سمعت صدى صوته يتردد من حولها عالياً، ظلت تتلفت يميناً ويساراً باحثة عن مصدر الصوت أو صاحبه لكن دون جدوى، بدا الصوت كأنه يبلغها رسالة قائلاً فيها:" انظري للرسائل وفي الصور بالهاتف" ليختفي الصوت فجأة كما ظهر فجأة، وتظهر الفتاة الغريبة مجددا لتكمل سرد قصتها:

" رسائل غامضة :

نهضت مسرعه للحاسوب وفتحت الرسائل وبدأت اقرأها بعناية، وأدون ما بها في مفكرتي حتى أفهم ما يحدث.

فتحت أول رسالة كان مضمونها بالعربية:" السلام عليكم، مرحباً يا آنسة مي كيف صحتك اليوم؟! يؤسفني ما حدث لك من خسارة، لهو أمر مؤسف حقاً أن يحدث لك كل هذا، بمجرد سماعي بما حدث جئت مسرعاً حاولت التحدث معك لكن دون جدوى..أجيبيني من الذي فعل هذا؟" ..وانتهت الرسالة، حقيقة؛ فوجئت بمضمون الرسالة ولم أفهم ما الذي يقصده بالذي حدث لي؟! تباًا! حقاً إنه لمخبول...

أغلقت الحاسوب فلقد خمنت بأنها رسالة خاطئة؛ صحيح نفس المرسل إليه فأنا مي، لكن لا أعلم شخصاً باسم محمد.. لم أكف وقتها عن التفكير بتلك الرسالة فقررت فتح الحاسوب مجدداً، وإكمال باقي الرسائل حتى أفهم لمن هي موجهة بالضبط، أهي لي حقاً أم هو خطأ وتشابه أسماء؟.. ففتحت الرسالة الثانية وقرأت ما بها:"مرحباً يا آنسة اعذريني على حديثي السابق هكذا بدون مقدمات، فأنا حقاً خفت عليك وقلقت ولكن ما حدث حقاً كان قاسياً، ليتك استمعت لتحذيراتي وأطعت أوامري فما خسرته حقاً كان مؤلماً.."

انتهت الرسالة، وعقبت بعدها بسخرية:"بالتأكيد مخبول"..، الحقيقة شعرت بالخوف من مضمون الرسالتين وعدم الفهم، فأنا لا أفهم ماذا يقصد وما المؤلم الذي حدث لي؟! ربما يتحدث عن نسياني لبعض الأمور أو ماذا لو كان يقصد هلوساتي والأصوات التي اسمعها؟! ..نعم؛ لا بد أن هذا ما قصده..

فقررت بعدها فتح الرسالة الثالثة وقراءتها:"آنسة مي أخبروني أن حالتك سيئة ولكني لن أستسلم أو أيأس فربما ساعدتك في معرفة مَن الذي فعل كل هذا بك؟...ولكن أخبريني أولاً ما الذي تشعرين به الآن؟! آنسة مي هل وصلتك رسائلي؟! أقصد متى ستجيبين عليها؟! أرجوك ساعديني فأنا هنا لمساعدتك، حسناً!! لا بأس.."

زادني ذلك حيرة أكثر فأسرعت و فتحت الرسالة الرابعة التي كانت:" مر أسبوع على الحادث وهذا لا يساعدنا بشيء، تعاوني معي أرجوك فربما استطعنا الإمساك بالمتسبب لكل هذا..أرجوك هيا فلتشعريني بأنك تسمعين رسائلي وتفهمين مدى حرصي على مساعدتك"...وانتهت الرسالة..

بدأت أشعر بالخوف حقاً!! ..ما الحادث الذي يتحدث عنه؟! ألهذه الدرجة حالتي خطيرة؟! هل سأموت بعد هذه الهلوسات أو هذا السحر؟! إن كان بالفعل سحراً..

تشجعت وفتحت الرسالة الخامسة والتي كانت أغرب من سابقيها:" مي طفح بي الكيل فأنا لست كمحمد في تهاونه ولا حنانه، هيا أخبرينا من الذي نفذ الحادث؟! فأنا أعلم أنك شريكته ربما ليس في التنفيذ لكن في التستر وكل ما حدث لك ما هو إلا تكفيراً لذنوبك، هيا اخبرينا وإلا لمناك أنت وحملناك كل

المسئولية..عدم موتك هو بالتأكيد بسبب تعاونك معهم، هيا أخبرينا فأعناقنا مطوّقة بالكامل من كل جهة بسببك.."

احمر وجهي غضباً وصرخت محدثة نفسي:"من هذا الأحمق الذي بعث تلك الرسالة؟! بالتأكيد إنهم مجانين، يتحدثون كلهم في رسالة واحدة، تباً له، فهو مخبول بالتأكيد.

أطفأت الحاسوب وخلدت للنوم فلقد أصبحت كثيرة النوم هذه الأيام؛ بالطبع إنها" اشتغالة من شباب صايعة" تفوهت بهذه الجملة لكثرة تفكيري بالرسائل.

حاولت النوم لكن لم استطع، فعادت الأصوات ولكنها أتت هذه المرة متداخلة بصوتٍ مهموس ومنخفض، فلم أسمع وأفهم منها إلا جملة واحدة "هي المذنبة بالطبع لا تدافع عنها"..

لم أعد أحتمل سماع المزيد فضغطت على أذني علي امنعها من الدخول والتغلغل بداخل أذني فلقد ضقت ذرعاً بكل تلك الضوضاء، تركت الفراش و جلست أرضاً محتضنة ركبتاي أسفل ذقني كالجنين في رحم والدته، وانهمرت في البكاء والصراخ متذللة لله أن يزيل تلك الهواجس عني فما عدت أحتمل. المفرح أنها توقفت بعد صراخي فيها بالتوقف والمحزن أنها فترة مؤقتة وستعود بالتأكيد...

الفصل الرابع :

المنزل المهجور :

كانت السادسة مساءً عندما قررت الخروج من المنزل لمكان عملي، علّي أجد من يفهمني ما يحدث، لم أفكر إن كنت سأجد أحداً هناك أم لا، كل ما فكرت به هو أني سأخرج من منزل المجانين هذا للبحث عن طرف خيط، فربما الجواب

كان في مكان عملي.. بدلت ملابسي وغادرت مسرعة، ذهبت سيراً على الأقدام حتى وصلت بعدها بساعة ونصف أي السابعة والنصف وهناك رأيت ما لم يكن بالحسبان..

رأيت بناءً مهجوراً ملطخاً بالدماء وعلى جدرانه آثار حريق تبدو حديثة، أفزعني المنظر بالطبع وخاصة أنه بالليل مما رسم منظراً مرعباً، كأن مجزرة حدثت هنا وبعدها تم إحراق الأدلة..

في البداية لم أتجرأ على الدخول بعد رؤيتي لهذا المنظر الغير محبب على الإطلاق، ولكن صراخ طفل بالداخل طلباً للنجدة هو ما دفعني للتجرؤ والدخول بعد فترة ليست بالكثيرة من التفكير، فاستجمعت قواي وهرولت مسرعة للداخل لأبحث عن هذا المستنجد علّي أنقذه.

المبنى كان عبارة عن منزل من طابقين، واسع، بابه حديدي، الجدير بالذكر أني متأكدة أن هذا مكان عملي ولكن الأجدر بالذكر أني لا أتذكر طبيعة عملي، فما العمل الذي أعمله ومكانه منزل !! وليس شركة أو مصنع أو مكتب حتى!! بل المفترض هو ماذا أعمل ؟!هل أنا موظفة شركة أم مبرمجة أم معلمة، طبيبة ربما!!..

شعرت بالصداع لمجرد التفكير في طبيعة عملي ذاك، حقيقة؛ الصداع أصبح أنيسي المرافق لي تلك الأيام فلم اكترث كثيراً لآلام رأسي وأكملت طريقي وفتحت الباب وولجت للداخل.

البيت بالداخل كان مضاءً كأنه يغريني لدخوله والبحث فيه عن مصدر الصراخ المفزع، لم أخف كثيراً فهكذا صوت طفولي ليس شيئاً مقارنة بالأصوات التي اعتدت على سماعها، ولكن للحقيقة رددت الأذكار والآيات القرآنية حتى اطمئن نفسي وأكمل البحث عن الطفل..

لم أجد شيئاً في الطابق السفلي؛ كان عبارة عن صالون كبير وأرائك مبعثرة هنا وهناك.. أكملت سيري ووجدت درجاً فصعدته، كلما صعدت درجة زاد صوت الصراخ، أكملت الصعود حتى انتهى الدرج. وجدت غرفة بجانب الدرج ففتحت بابها أو بمعنى أدق كان الباب مفتوحاً فولجت للداخل، نظرت فلم أجد ما يثير

الانتباه، لذا خرجت ودخلت أخرى ولكن دون جدوى أيضاً، لم أجد أي شيء فخرجت وأكملت البحث...

الطابق كان به أربع غرف ودورتي مياة ومطبخ، ولكنهم فارغين لا أحد بهم، كل ما وجدته كان ملابس لثلاثة أشخاص ممزق بعضها؛ ولكن ما لاحظته من الثياب هو أن الاثنين زوجين والثالث طفل وربما هو من كان ولا يزال يصرخ حتى الآن.

تركت ما بيدي من ملابس وخرجت منادية على الطفل وحثه على الاطمئنان، فلقد قدمت لمساعدته وعليه أن يدلني على مكانه ولكن دون جدوى لم ألقَ أية استجابة، حتى ظننته ربما كان شبحاً أو شيطاناً وسيقتلني الآن، فاقشعر جسدي لمجرد ذاك التخمين، واضطرب قلبي خوفاً وبدأت الهواجس تتجمع لتكون سحابة من الفزع، ولكني سرعان ما بعثرتها بالأذكار والآيات القرآنية حتى نجحت إلى حد ما..

وأنا بمكاني في الطابق العلوي سمعت أصواتاً قادمة من الأسفل، بدا كأنه شجاراً بين اثنين بلغة لم أفهمها لم تكن عربية ولا حتى انجليزية، ثم تحول الشجار لأصوات تخريب، كانوا يبعثرون في المكان؛ آثاث وأرائك تمزق وزجاج يتهشم، فجأة توقف الاضطراب وساد الصمت تماماً وكأنهم تنبهوا لمكاني من فوقهم، فأسرعت بحذر شديد أخطو خطواتي بهدوء داخل الغرفة الثانية واختبأت تحت الفراش؛ فهذه الغرفة تجذبني لسبب ما لا أعلمه، حاولت كتم أنفاسي حتى لا يسمعوا أي همس مني وبعد دقيقتين تقريباً سمعت أصوات أقدامهم وهي تقترب من الدرج، ثم من الطابق ثم اقترب الصوت من الغرفة التي اختبأت بها ثم إلى الداخل، أغمضت عيني ودعوت ربي ألا يعرفوا مكاني وتجمدت في موضعي، خفت من أن يفضحني قلبي ودقاته السريعة المضطربة فحاولت تهدئته..

سمعت حديثهم كانوا يتحدثون بسرعة وبنفس اللغة التي لم أفهمها، ربما كانت ألمانية أو اسبانية لا أعلم، ظننت لوهلة أنها لغة السحرة تباً لتفكيري، لمَ لا أزال أفكر بالسحر وبكلام ذاك الشيخ؟! ولكن ربما كانا فعلا سحرة ويريدون قتلي أو

قتل الطفل، أو ماذا لو أرادا أن يقدماننا كقربان لشيطانهم الكبير الذي يسيرهم ويأمرهم!! بدأت أجن بهذا الشيخ وبكلامه الكاذب..

وفجأة انتقل الصوت لخلفي وتجمدت الدماء في عروقي، ربما عثرا علي وسيقتلانني الآن، رجوت الله كثيراً يارب يارب، وأغمضت عيني بقوة متمنية أن يكون هذا كله كابوساً وأن استيقظ منه الآن ..

ولكنه ليس بكابوس بشع بل هي حقيقة مخيفة، شعرت بالارتياح إلى حد ما بمجرد ابتعاد الصوت لخروجهم وإكمالهم البحث في الغرف الأخرى، وما هي إلا دقائق حتى عم الهدوء فانفلت لساني في ارتياح وبدون وعيٍ مني:" لقد ذهبا، نعم ذهبا وسأخرج الآن من أسفل هذا الفراش".

خرجت من الغرفة وسرت برفق حتى لا يُسمع صوت خطواتي، وحمداً لله بأني اخترت ارتداء حذاءً رياضياً، إن امتلاك الشخص لهكذا أنواع من الأحذية لهو نعمة كبيرة يجب حمد الله عليها كل يوم.

أكملت المسير ببطء حتى اقتربت من الدرج ونظرت للأسفل فلم أسمع أي صوت ولم أر أحداً، فتنفست الصعداء وارتاح قلبي ربما قليلاً.. ولكن سرعان ما دبّ الاضطراب في نفسي مجدداً لتنبهي لشيئاً غاب عن مسمعي بغتة، فصوت صراخ الطفل لم يتوقف بعد، ولكن كيف لم يسمعاه؟! ربما كان مجرد هاجس في فكري أنا وأنا فقط من اسمعه..!!

"جيد جداً تركت منزلي كي أهرب من الهواجس فلحقت بي أيضاً إلى الخارج"، ولكن هذا الصوت ليس ببعيد عني، كما أشعر بأني سمعته من قبل!! ترى من صاحبه؟!..عدت للغرفة مجدداً حيث كنت اختبأ ودققت السمع جيداً، حتى أيقنت أن الصوت يخرج من هذه الغرفة.

تسمرت مكاني عندما تداخل معه صوت امرأة تهمس في خوف قائلة:" امكث هنا و لا تخرج إلا إن سمعت صوتي يناديك، لا تخف يا رامي وثق بي سآتي إليك مجدداً ولن أسمح لهم بأذيتك؛ أتفهمني؟!" ليجيبها الطفل بقلق:" نعم أفهمك وأثق بك.. أحبك كثيراً فلا تتأخري عليّ أتعدينني؟".لتجيب الفتاة مسرعة:" أعدك يا رامي..أحبك كثيراً".

قالت جملتها تلك لينقطع بعدها الصوت تماماً وينتهي الحوار!!

تلفت يمنة ويسرة بسرعة في ارتياب فلم أجد احد، فقط كنت أنا بمفردي وكانت تلك هواجس في مخيلتي أنا فقط..

سكن الصوت نهائياً ولم يعد الطفل يصرخ.. شعرت بفزع شديد فخرجت من الغرفة راكضة، وهبطت الدرج بسرعة شديدة وخرجت من المنزل مغلقة الباب بقوة من خلفي، عدت إلى منزلي راكضة وأنا واثقة بشيء واحد وهو أني"ملبوسة حقاً" وأسمع أصوات الأشباح وربما كنت أنا شبحاً ولكن لا أشعر!!..

وصلت لمنزلي في نصف ساعة لا أعلم كيف أو متى ولكن فلتضرب الفيزياء وقوانين سرعتها بعرض الحائط، فالمسافات لا تعلم قوانيناً وصاحبها في ذروة رعبه وخوفه .

وبمجرد وصولي للمنزل حتى حمدت الله وشكرته، تاركة العنان لضربات قلبي المتسارعة حد الجنون لتستريح، عدت حيث غرفتي وفراشي وحاسوبي وقصصي وعملي الروتيني في النظافة الباكرة، واستسلمت حقاً فلأغرق في هواجسي فقد طفح الكيل ولن أبحث عن حل أو علاج لحالتي مجدداً، وسأبقى هكذا حتى أموت أو أقتل نفسي فأريحها واسترح من تلك الأصوات وهذا العذاب.

خلدت للنوم مجدداً كعادتي تلك الأيام... بدون أن تتوقف الفتاة لحظة عن سرد القصة أو مي عن حلمها الطويل ونومها العميق، واستمرت الفتاة في سردها:

" الحلم العجيب الثاني :

حلمت حلماً عجيباً آخر كحياتي المليئة بالأعاجيب كان فيه؛" منزلاً محترقاً بالكامل ومسجداً تلتهب النيران أبوابه #حقيقة # يكتظ بمصلين يصرخون لنجدتهم، وشخصان ملثمان يحملان قنبلة صغيرة بين أيديهم بدون خوف أو احتياطات، فتاة كانت في العشرينيات ربما، ملقاة على الأرض مصابة بشدة وتنزف من رأسها، عندما اقتربت منها لرؤية وجهها جيداً صدمت فقد كانت أنا".

نهضت فزعة من نومي مستعيذة بالله من الشيطان الرجيم من هذا الكابوس البشع، وذهبت بعد هدوئي قليلاً لدورة المياة لأتوضأ وأصلي ركعتين، حتى يهدأ خوفي ويطمئن قلبي تماماً، بكيت بحرقة وأنا ساجدة داعية الله أن يريحني من كل هذا العبث وتلك الهواجس قبل أن أجن أو أقتل نفسي وأُكتب عاصية.

#حقيقة# أبريل 2018 : تعرض جامع "المسجد الأقصى"، في العاصمة الألمانية برلين، لاعتداء من قبل مجهولين، أشعلوا النار فيه، ولطخوا نوافذ المسجد بالألوان: الأخضر والأحمر والأصفر، وتركوا كتابات فوق الدهان.

7 يوليو 2017 : تعرض شارع هامبورغ بألمانيا لأعمال شغب كبيرة، ومن بينها تعرض مسجد الإمام علي للحرق.

4 مارس 2016: تعرض مسجد الفاتح في مدينة بريمن شمال ألمانيا للحرق، وكتبت على جدرانه شتائم وعبارات معادية للإسلام كما تم الاعتداء أيضا على مركز تعليمي قيد الإنشاء يقع خلف المسجد.

15 إبريل 2015: مجهول يحرق مسجد "السلطان أحمد كامي"، وسكب عبوة بنزين بداخل غرفة المسجد وبعد أن اشتعلت النار هرب من بوابته.

20 أغسطس 2014: حريق مسجد مولانا في برلين، من قبل متطرفين يحملون مشاعر الكراهية ضد المسلمين هناك، واستمر الحريق عدة ساعات إلي أن تمت السيطرة عليه.

عام2013: تعرض مسجد "إتسهويه" في ولاية شليسفيغ هولشتاين بشمال ألمانيا، لقنبلة أدت إلي حرق المسجد ، مما أسفر عن إصابة عدد من المصلين.

29 أغسطس 2012: حاول شخص مجهول حرق مسجد "هاجن"، الذي تشرف عليه رابطة المراكز الثقافية الإسلامي، في ولاية "شمال الراين- وستفاليا"، غربي ألمانيا.

3أغسطس 2011: تعرض "مسجد الشهداء الأتراك" بالعاصمة برلين، الذي يُعد من أقدم المساجد هناك، لمحاولة حرق، عن طريق إشعال النيران في نظام التهوية الموجود في نوافذ القبو الملحق بالمسجد والموجود خلفه.

28 نوفمبر 2010: تعرّض مسجد النور في العاصمة الألمانية برلين لعملية حرق متعمّدة يوم الأحد الماضي من قبل أشخاص مجهولي الهوية.

فبراير 2009: هاجم مجموعة من المجهولين، مسجد الأحمدية الواقع بمنطقة بانكوف في برلين، وحاولوا إحراق المسجد، باستخدام مواد مشتعلة وهشموا بعض نوافذه.

مايو 2008: أشعل مجهولون النار في مسجد " كوكا سنان" الواقع في منطقة رينكندورف بالعاصمة برلين، ما تسبب في حرق المسجد بالكامل، نتيجة تعرضه لهجوم بزجاجات حارقة، ولم يسفر الحادث عن ضحايا، أو مصابين، وتسبب في أضرار بالغة في الجزء الداخلي من المبنى.

الفصل الخامس :

ثلاث رسائل وتفكيك الرموز :

بعدما هدأت من توتري ذاك تذكرت أمر الرسائل، فنهضت من على سجادة الصلاة وذهبت حيث الحاسوب وفتحت الرسائل لإكمالها عسى أن أتوصل لما يطمئن روحي المشتتة.

قبل أن أضغط على الرسالة السادسة أخذت نفساً عميقاً ثم أخرجته ودعوت الله أن يفسر ولو حتى القليل مما يحدث لي، ثم ضغطت على الرسالة والتي كان مضمونها:" مي اعتذر عن معاملة فاروق لك فما حدث لم يكن سهلاً عليه، فلقد كاد أن يفقد ابنته لذلك اعذريه، ومرة ثانية أجدد اعتذاري نيابة عنه فأنت أكثر دراية بالمرور بتلك الحالة نظراً؛ لما حدث لك وما فقدته ذلك اليوم.

يكفي ذلك القدر فلقد تحاملنا عليك كثيراً فاعذرينا مرة ثالثة، وداعاً الآن وسنكمل حديثنا في وقت لاحق، الآن ارتاحي وكل شيء سيزول بإذن الله".

ربما استطعت تخمين أمرين من تلك الرسالة؛ الأمر الأول أني تأذيت بحادث، والثاني أن هذين الشخصين محمد وفاروق يحققان في تلك الحادثة، حتماً زادني ذلك توتراً لكنه في نفس الوقت ربما أراحني قليلاً، فلقد علمت أمرين ربما سيفيدانني لاحقاً في رؤية الصورة بأكملها وفهم ما يحدث لي.

لذلك صنعت لنفسي كوباً من القهوة الساخنة، وعدت لقراءة الرسالة السابعة :"مرحباً كيف حالك اليوم أتمنى أن تكوني أفضل؛ أتعلمين ذاك اليوم عندما أتيت إليّ تخبريني عن ذاك الشاب الذي يزعجك ويتطاول عليك بالكلام والسباب والإهانة ؟! وعدتك وقتها بأنه لن يتعرض لك مجدداً وسأضعه عند حده وأنت رفضتي أن تبلغي عنه الشرطة عسى أن يتغير، طلبت منك أن تعيدي التفكير جيداً وتبلغي عنه لأنه يستحق، ليتك عملتِ بنصيحتي يومها وأبلغتي عنه، ربما لما حدث كل هذا ولما تأذيتي كل هذا الأذى، أو تعلمين؟ لقد تم القبض على ذاك الشاب ولكنه أنكر كل الاتهامات الموجهة إليه، بل واتهمك بأنك طرف في هذا الحادث، والكثير يصدقونه للأسف فعدم إبلاغك عنه في صفه لا صفك.

لذلك اطلب منك وأرجوك أن تجيبيني عن أسئلتي كلها كي نضع حداً لكل تلك الاتهامات ونبرأ اسمك منها ونمسك بالجناة الحقيقيين، أرجوك يا آنسة ساعدينا..".

انتهت الرسالة وما علمته منها أنني متهمة أيضا بشيء لا أعلمه وذاك مخيف إلى حد ما، أن تكون مجرماً والأكثر إرعاباً ألا تعرف ما هي الجريمة المتهم بها.

"أخيراً حانت اللحظة الحاسمة" بزفير طويل حدثت نفسي قبل أن اقرأ الرسالة الثامنة والأخيرة داعية ربي أن تدلني ولو على طرف خيط لذاك اللغز الذي بدأ يصعب أكثر فأكثر، فتحت الرسالة والتي كانت تقول:" مرحباً يا مي ربما كانت هذه آخر مرة أحادثك ولكم أتمني أن لا تكون الأخيرة، اسمعي؛ بمكان الحادث كانت توجد كاميرة مراقبة تحوي تقريباً نصف الحقيقة؛ وهي محاولة قتلك ولكنها لم تظهر للأسف وجوه المعتدين، أما ذاك الشاب الذي أخبرتك عنه سابقاً_المقبوض عليه_ تم إمساكه بالقرب من منزلك في محاولة لحرقه؛ هيا انهضي بالله عليك واخبرينا القصة كاملة، لم نتمكن من العثور على هاتفك الجوال ربما كان سيفيدنا في التحقيق وكان هذا سيكون ربما دليلنا الوحيد على الواقعة.

لا أعلم لمَ أشعر بأن ما فعلته حتى هذا اليوم هو محاولات بائسة، فأنت لن تجيبينني على أية حال وأشك إن كنت تسمعينني أيضاً، في الواقع اعتذر عن

إرهاقك كل هذه الأيام واعتذر لأني أحاول دون جدوى، أخبروني أن حالتك حرجة ولكني لم أصغِ ولم أهتم سوى بأني أريد مساعدتك؛ فاعذري غلظتي وحديثي المستمر ومحاولتي البائسة لجعلك تستيقظي وتجيبينني، حسناً أراك لاحقاً يا آنستي!".

انتهت الرسالة الأخيرة وبداخلي شغفاً واحداً؛ وهو أني يجب أن أعلم كل شيء حتى لو تطلب الأمر محاولات عديدة، لابد لي من فهم ما يحدث.

عزمت أمري على البحث عن أطراف خيط أخرى تدلني على فهم الحقيقة ومعرفتها، لذلك أحضرت المفكرة ودونت فيها هذه الكلمات الآتية (حادثة- محمد وفاروق- رامي- هواجس- حركات لا إرادية وأحلام غريبة- مكان عملي منزل محترق حديثاً لا أحد به- شيخ دجال وسحر- وحيدة لا عائلة..) توقفت عن الكتابة عند آخر كلمتين: وحيدة ولا عائلة.. كيف لم انتبه منذ البداية أني أهملت التفكير بوجود عائلة وأهل حولي؟ لمَ أنا بهذا المنزل بمفردي، لا صور لهم ولا حتى ملابس لهم ولا أثر يدل على وجودهم؟!

الغريب أني لم أبالِ سابقاً بل لم أفكر بهم مطلقاً، ربما دل هذا على شيء وحيد، وهو أني فاقدة لذاكرتي جراء ذاك الحادث المذكور في الرسائل، ولا أحد يعلم من عائلتي عن مكاني هذا، ولكن لمَ لم أحاول البحث عنهم؟ لمَ أهملت أمراً مهماً كهذا؟ ألهذه الدرجة لا يشغل بالي وجودهم ؟..

ظلت الفتاة تسرد القصة ولم تتوقف لحظة واحدة، كما ظلت مي عالقة في حلمها ذاك تستمع وتنصت باهتمام لما سيحدث...

" أين عائلتي؟! :

قررت أن أذهب لقسم الشرطة لأسأل عن أهلي أو لمعرفة أي شيء يدلني لأحد معارفي، فبدلت ملابسي وخرجت، لا أعلم أين يقع أقرب مركز للشرطة، لذا ظللت أسير حتى أُرهقت قدماي فجلست على الرصيف لاستريح من شدة التعب.

الغريب أني كنت بمفردي في الطريق، والأغرب من ذلك أني لم انتبه لكوني منذ البداية بمفردي.

مذ خروجي من المنزل حتى هذا المكان، أين ذهب الجميع؟! نهضت من مكاني لأكمل الطريق وأنا أتلفت حولي علي أجد أي شخص، ودون أي سابق نية أو عزم وجدت نفسي أمام مكان الشيخ الدجال!

لم أعلم في الحقيقة سبب قدومي لهذا المكان بالتحديد ولا كيف سرت حتى أتيت إلى هنا، كنت سأعود من حيث أتيت، ولكن صوت ما جذبني فمكثت مكاني أنصت بحذر:" فلتتركوني أذهب بالله عليكم، لن أخبر أي شخص بما رأيته، أقسم لكم، لدي أطفال صغار بمفردهم في المنزل، أرجوكم فلتتركوني أعود إليهم حتى لا يقلقوا بمفردهم، أرجوكم سأقبل أيديكم واحداً واحداً إن أردتم، ولكن اتركوني أمضي في طريقي، أرجوكم فأنا لم أرَ أو أسمع أي شيء على الإطلاق بالله عليكم فلتتركوني وشأني، بالله عليكم"

.. صوت سيدة تبكي بحرقة وتترجى أحدهم أن يتركها تذهب لبيتها، خفت كثيراً عليها وعلمت أنها في خطر؛ فبالتأكيد يهددها أحدهم أو يختطفها ولكن من ذاك الذي يهددها؟! لابد من أنه الشيخ الدجال ومعاونه، لابد من أنهم لصوص ومجرمين؛ ربما شاهدتهم تلك السيدة وهم يرتكبون جرماً خطيراً لذلك يهددونها.

الصوت ليس بداخل المكان بل بجواره؛ زقاق ضيق بجانبه حيث صوت المرأة.. حاولت الاقتراب ببطء وحذر كي لا يسمعني الدجالان، ولكن فجأة شعرت بألم شديد في رأسي كمن هوى بحمل ثقيل عليها، فدارت الدنيا من حولي وسقطت مغشياً عليّ.

عندما استيقظت وجدت نفسي بداخل مكان لا أعلمه؛ غرفة كبيرة تبدو كمخزن، وصناديق كثيرة من حولي متنوعة كبيرة وصغيرة، لا توجد نوافذ، ورائحة قذرة تسللت لداخل أنفي، تبدو كرائحة عفن قديم مختلطة برائحة معقمات.

على الأرض بعيدة عني ببضع خطوات؛ رأيت سيدة ربما هي تلك التي كانت تستنجد، كانت مقيدة اليدين والقدمين، هممت بالصراخ أناديها ولكن صوتي كان مكتوماً، فلقد كنت مكممة الفم ومقيدة أيضاً ولكن في مقعد حديدي لا أستطيع الحراك ولا حتى الصراخ.

سمعت أصواتاً متداخلة، أشياء تكسر وأحمال تجر على الأرض محدثة صريراً، وأشياء تلقى على الأرض محدثة ارتطاماً وأقداماً تقترب؛ يبدو أنهم الدجالان الذين اختطفا تلك السيدة وقيداني ..

فتح الباب ودخل الشيخ ومساعده كما توقعت، اقتربا مني وعلى وجوههم ابتسامة ساخرة، بدأ الشيخ حديثه إليّ:" يبدو أن آنستنا الصغيرة استيقظت من نومها العميق، أعلم أنك كنت تتمنين حلماً جميلاً، لكنك للأسف استيقظت على كابوس بشع كهواجسك التي جئت بسببها إليّ تطلبين الاستشارة وربما الخلاص، وكما اعتدتِ سأبدأ بأسئلتي مباشرة بدون مقدمات؛ ما الذي آتى بك إلى هنا وبدون موعد؟! ولمَ اليوم بالتحديد؟! هيا فلتجيبي" أنهى حديثه بإزالة ما كمم به فمي.

تظاهرت بالقوة وأجبته بنفس الابتسامة الساخرة:" جئت لأكشف حقيقتك ككاذب مخادع، هيا أخبرني من تلك السيدة ولمَ تختطفها ولمَ قيدتني هنا؟!".

ضحك من سؤالي فأجاب بنبرة كلها سخرية:" أنا فقط من أسأل يا عزيزتي؛ وأنت من عليه الإجابة، فهيا أجيبي فأنا لا أنوي إضاعة وقتي الثمين وأنا أستمع لثرثرتك واستفساراتك".

أزعجني حديثه لكم هو وقح يختطف النساء بدون وجه حق، ثم يطلب منهن الإجابة على تساؤلاته السخيفة؛ لم أكن مضطرة للإجابة عليه، فقط اكتفيت بالبصق على الأرض تحت قدميه والصراخ عل أحدهم يسمعني فيخلصنا من بين أيديهم، لم أكمل الكلمة" النج.." حتى هوى بكفه على وجهي.

شعرت بأن رأسي سيقتلع من مكانه وبألم بشع في رأسي من شدة اللطمة.. نظرت إليه بغضب وصرخت فيه وأنا أتألم:" ليس من المروءة أن تضرب النساء بقسوة هكذا دون ذنب، كنت محقة في أمرك فأنت مخادع ومجرم أيضاً" .. ثم بصقت مرة أخرى ولكن هذه المرة بصقت على وجهه، فهوى بكفه الآخر على وجهي بقوة أكثر حتى شعرت وكأن المكان يدور بي وغبت عن الوعي مرة أخرى.

حلمت حلماً جديداً بأني ممدة على فراش في مستشفى، وتخرج مني خراطيم موصولة بأجهزة غريبة، وحولي أطباء كثيرون يركضون من حولي كأنهم

يحاولون إنقاذي من الموت، وهرج ومرج، وسمعت خارج الغرفة صوت طفولي يبكي ويصرخ باسمي، برفقة والديه اللذان يحاولان تهدئته ويخبرانه بأني سأكون بخير وألا يخاف.

أحسست بالأطباء وهم يحاولون إنعاش قلبي وجعله ينبض، حتى إني شعرت بأن جسدي كله يرتعش، وشعرت بقشعريرة باردة اجتاحتني وفجأة توقف كل شيء، كأن أحدهم ضغط على زر الإيقاف فشعرت بأن روحي تسحب مني وصوتي مكتوم لا استطيع إخراجه و صوت جهاز ضربات القلب يتوقف وفجأة مت...

استيقظت فزعة من حلمي ويدي ترتعش، وخيطٌ دافئ من الدماء ينساب من أنفي، حاولت استيعاب ما حدث لي من تقييدي في مخزن لا أدري أين هو؟! ولا ما هو؟! ولمَ اختطف الدجالان هذه السيدة؟ وما الذي يخفيانه؟

وبينما أنا حائرة في تساؤلاتي تلك، إذ بالسيدة تتحرك وتفتح عينيها وتنظر لي، كانت تهمهم محاولة إخباري بشيءٍ ما، ولكني لم استطع تمييز ما تقول بسبب تكميم فمها، استمرت هي في همهمتها تلك وحاولت أنا فهم ما ترمي إليه، إلى أن غيرت أسلوبها وبدأت تشير برأسها بدلاً من الهمهمة لشيء خلفي، فنظرت للخلف ووجدت مفتاحاً إلكترونياً بالقرب مني لا أدري لمَ هو؟! ولمَ تشير السيدة إليه؟

خمنت بداخلي فربما كان لباب المخزن أو ربما كان للكهرباء، وعند ضغطي عليه تنقطع الكهرباء في كل مكان فيعلم من بالمكان أن شخصاً ما محجوزاً بالمخزن، أو ربما فتح الباب ورآنا أحدهم فيأتي وينقذنا؛ حاولت الاقتراب منه بيدي الموثقتين لكني لم استطع لمسه، حاولت أن أتحرك بالمقعد لكنه كان ثقيلاً، فحاولت الإفلات من قيود يدي ولم أنجح.

لم استسلم بل حاولت مرات عديدة لكن دون جدوى، فبدأت أترنح وأتأرجح بجسدي علي أسقط من على المقعد، فلم يتحرك سوى سنتيمتراً واحداً، مرة تلو مرة وفجأة سقط المقعد على إحدى جانبيه، محدثاً ارتطاماً قوياً مع آلام متضاعفة من آلام الرأس وكدمات بكتفي.

سمعت أصوات أقدامٍ تقترب من الباب، وفجأة فتح وظهر شخص ثالث، لم أره من قبل ولكني خفت من أن يكون تابعاً للدجال قد جاء بعد سماع صوت الارتطام، اقترب الرجل من السيدة مشيراً لي بيديه، فلم أفهم منه شيئاً وخمنت أنه أصم لا يتحدث.

ثم انحنى وبدأ بفك وثاق السيدة، حينها تنفست الصعداء وفرحت بأننا سنخرج من هذا المكان أخيراً؛ بعدما أنهى فك وثاق السيدة نظر إليّ مشيراً بيديه مجددا كأنه يقول لي: انهضي ولكن كيف؟! وأنا مقيدة هكذا، بدأت في الصراخ لتزداد همهماتي، ويأتي ويحررني أيضاً لكنه أخذ السيدة وذهب ولم ينظر خلفه حتى.

أكملا طريقهما بدون النظر للوراء وخرجا من الباب تاركاً إياه مفتوحاً، صدمني ما حدث منذ قليل فاستمررت في الصراخ عله يعود ويفك وثاقي، لكنه لم يعد، فلم استسلم لحظة وظللت على صراخي ذاك وارتفع صراخي عل أحدهم يسمعني فيهرول منجداً لي، استمررت هكذا قرابة نصف ساعة بدون جدوى محدثة نفسي حانقة على هذا الرجل:" ما الذي دفع ذلك الرجل لتركي هنا بينما حرر تلك المرأة لمَ لم يكمل جميله ويحررني أيضا؟!" ؛

الفصل السادس :

دموع وأمل :

ظللت أدعو ربي أن ينجدني وأنا أبكي، كدت أن استسلم لكني تذكرت قول ربي" إن مع العسر يسراً" لذلك رجوت ربي أن ينقذني ويحررني من ذلك المكان، فدعوت ودعوت من قلبي وأنا موقنة بأن الله لن يردني خائبة وأنه سينجدني.

رجوته بأن يساعدني ولن أفوت فرضاً مرة أخرى، ولن أعصه ما دمت حية.

وعدته بأن أطيعه وألا أتوقف عن طاعته ما حييت، فجأة أحسست براحة اجتاحتني ويداً كأنها تتحسسني على وجهي، وسمعت صوتاً حنوناً يردد" يا رب

أنقذها وردها إلينا ولا تفجعنا فيها يا رب يا رحيم يا لطيف" وإذ بالقيود تفك من تلقاء نفسها لأتحرر وأنهض مسرعة للخارج .

بدأت في الركض حتى وصلت للمنزل، أغلقت الباب من خلفي وضربات قلبي تتقافز قفزاً من شدة الركض، لم أخلع سوى حذائي وتوجهت حيث سجادة الصلاة وسجدت وأنا أحمد الله وأبكي.

لم أشعر بالوقت ولا بنفسي إلا في الصباح وأنا مرتاحة القلب، ولا أشعر بأي خوف ولا رهبة كأنني لم اختطف أو أقيد في مخزن وكأن كل ذلك كان حلماً بشعاً وانجلى..

عندما نهضت أمسكت مفكرتي وشرعت أكتب ما حدث لي بالتفصيل، كي أتذكره وأربط الأحداث ببعضها البعض عسى أن أجد أو اكتشف شيئاً جديداً.

عندما انتهيت نظرت ملياً لمآ دونته فيما مضى والآن، أمسكت بالحاسوب وفتحت الرسائل مجدداً وقرأتها بتمعن مراراً وتكراراً وهنا صمت دقيقة أمام كلمة " تسمعينني" ولكن كيف يعقل هذا؟!" تساءلت متعجبة ثم أكملت:" فإن كانت الرسالة مكتوبة فلمَ لم يكتب محمد تقرأي أو تنظري، لمَ كتب تسمعين؟! كيف أسمع ما هو مكتوب؟ إلا إذا كان خطئاً في الكتابة، ولكن ماذا لو لم يكن خطئاً وكان يقصد الفعل حقاً؟! هل أعرفه شخصياً؟! ربما هاتفني من قبل، لكن لحظة ربما كان معي رقم له أو حتى عنوان".

نهضت بسرعة باحثة عن أي ورق مخبأ في الغرفة أو أي مفكرات أخرى لكن دون جدوى، وبينما أنا في حيرتي تلك إذ تنبهت لشيء من الحمق أنه غاب عني أين هاتفي المحمول؟! هل أمتلك واحداً من الأساس؟ بحثت في أنحاء الغرفة فلم أجد شيء، لا هاتف جوال ولا مذكرات ولا حتى أوراقاً، لا شيء سوى هاتف أرضي وقصص أو بالأحرى خمس قصص؛ اثنان منهم للأطفال والآخرين مغامرات وكتب تبدو أنها للمرحلة الابتدائية، وكتابين لمرحلة جامعية مكتوب عليهما أدب انجليزي ونصوص انجليزية، خمنت أنهم لكلية آداب مثلاً أو ربما تربية لا أعلم.

فقط مجرد كتب في مكتبتي بالغرفة ولا شيء آخر، لا دليل هاتف أو عناوين مدونة أو أية أسماء مكتوبة هنا أو هناك، ولا حتى ملاحظات.

حتى إن الغرفة معدة لي فقط!! لشخص واحد فقط، لا أثر لملابس أحد غيري أو أواني للطعام غيري أو حتى أكواب إلا واحد، كوب واحد فقط!! شعرت كما لو أني بسجن معد ومرتب خصيصاً لي، لأمكث فيه وأتعذب ما بقي من حياتي.

حسناً؛ يبدو أنني سأبحث عن هويتي قبل أن أبحث عما يحدث أو بمعنى أدق حدث لي..

البحث بإصرار :

حاولت إرسال رسالة لذاك المدعو محمد ولكن لم استطع الإرسال، فكلما ضغطت زر الإرسال ظهر لي" لقد تعذر الإرسال".

قررت ترك الحاسوب والعودة لمفكرتي مرة أخرى، فاستجمعت قواي وفكري وقرأت ما كتب بتمعن أكبر للمرةٍ الثانية، لخصت مما كتب بضع جمل؛ أولاها:" اسمي- وحيدة- تعرضت لحادث مؤلم وهناك شخصان يحققان في ذاك الأمر ودجال اختطفني- أعرف طفلاً يدعى رامي وأعمل في منزل من طابقين، وربما أدرس أو درست في كلية الآداب أو التربية- هذا بالإضافة لهلوساتي وتشنجاتي وروتيني اليومي المعتاد" .

أخرجت زفيراً طويلاً وقررت ترك التفكير في كل تلك الأمور للراحة، فتركت المفكرة وأنهيت فروضي وخلدت للنوم مجدداً، فكلما ضاقت بي الحال وتعثرت طرقاتي هربت للنوم.

يا لي حقاً من بائسة صغيرة تائهة، حالة استثنائية كما قال الدجال، فهذا الشيء الوحيد الذي صدق به، فليذهب للجحيم كل هذا الهراء فما عدت احتمل.

في نومي انقلبت الأمور رأسا على عقب، فلقد شعرت فجأة بأن نفسي بدأ يضيق وضربات قلبي تقل، وشعرت بالبرودة في أطراف جسدي كله؛ هأنذا أتشنج من جديد وترتعش كل أطرافي، شعرت بضغطات شديدة على صدري وسمعت صوتاً حنوناً يتوسل ويرجو الله أن يردني لعافيتي ويخرجني من حالتي تلك.

شعرت وكأن أياماً عديدة قد ولت، وأنا في تلك الحالة من شبه السكون ولازالت ضربات قلبي تقل كما كانت حتى بعد استيقاظي، ربما مر ثلاثة أيام على حالتي الساكنة تلك!!

لا أتذكر إن كان هذا حلماً أم واقعاً، وإن كنت استيقظت من حلمي بعد أم لم استيقظ، كل ما أتذكره هو تلك الدعوات المتكررة وهذا الصوت الحنون الذي يتوسل ويبكي بحرقة وحزن شديد عسى الله أن يشفيني ويعافيني.

لا أعلم سبب خمولي ذاك فأنا لم أعد أميز بين أحلامي وواقعي، فتشابكت الأحداث واختلطت وشعرت بأن طاقتي تخور يوماً تلو يوم، وجسدي بدأ في الذبول وأصفر وجهي، فلم أعد قادرة على الحراك كثيراً، فأنا إما جالسة أو مستلقية لا أقدر حتى على الوقوف أثناء فروضي.

ربما استمررت هكذا أربعة أيام متواصلة أو ربما خمسة_ لا خمسة_ بالتأكيد كما دونت في المذكرة وكما ظهر من إرتجاف حروفي المكتوبة.

في ذلكم اليومين الأخيرين لم تصبني الهواجس أو تأتيِ الأصوات المتداخلة، ربما انزوت بعيداً بعدما امتصت كل طاقتي.

بينما أنا في ضعفي وبؤسي ذاك إذ بالهاتف الأرضي يرن وحمداً لله أنه بجانبي، مددت يدي نحو الهاتف ورفعت السماعة لكي أعلم من المتحدث؟! صوت رجل!! ولكنه لا يتحدث العربية بل الإنجليزية قال لي بلهجة تهديد:" احضري لنا الفيديوهات أو قتلناكِ، سنعطيكِ يوم، يوماً واحداً فقط!" ثم انقطع الاتصال.

لم أفهم بالطبع أي فيديوهات يقصد أو من هذا الشخص، لم أعلم ماذا سأفعل أو لمن التجأ سوى ربي؟! ولكن من أين لي بتلك الفيديوهات؟! بكيت بمرارة ودعوت ربي"يا الله أغثني ودلني واهدني وأعني فلا مغيث ولا معين سواك"

فكرت ملياً أن الاستسلام لم يفد بشيء حتى تلك اللحظة، وعليّ باستعادة قوتي لكي أحارب ما يؤذيني، ولكن كيف الطريق لمن لا أعلمه أو حتى أراه؟!..ربما المنزل هو الحل!! نعم ربما وجدت ما يريده هؤلاء الأشخاص هناك و ربما علمت من رامي؟! و من أنا؟! ولمَ يحدث كل هذا؟! صحيح أني ذهبت لهناك من

قبل ولم أجد شيء، ولكن بعد وجود كل تلك الأدلة بين يديّ، ربما عثرت على خيط ما يوصلني للنهاية.

بثثت في روحي طاقة ايجابية؛ فحاولت النهوض لكن دون جدوى فهزالي هذا يعيقني عن الحركة، مرة تلو الأخرى بدأت بالنهوض متمسكة بالجدار والأشياء من حولي، تحركت إلى أن وصلت للباب خرجت وأنا مستندة على الجدران_لكم هو مرهق هذا الأمر_ شعرت كأني عجوز لا تستطيع الحراك لشدة وهن عظامها وهزالها، لكني لن أستسلم حتى لو كان الأمر متعباً سأستمر إلى أن أصل للمنزل المحترق.

كلما تقدمت خطوة توقفت لحظة لأستريح وأتنفس، بقيت هكذا اليوم بطوله إلى أن وصلت أخيراً للمنزل المنشود، وبينما أنا أسير مستندة على الجدران دخلت للمنزل وأنرت الأضواء.

أذكر أن المرة السابقة وجدتها مضاءة، وعندما خرجت لم أطفئها لا أعلم من أطفأها؟! ربما مر أحدهم من هنا ووجدها مضاءة فأطفأها، لا يهم!

بعد دخولي لمنتصف الصالون تقريباً في الطابق السفلي، جلست لأخذ نفسي وأستريح فأمامي عمل شاق، وبعد مرور ربع ساعة من الاستراحة نهضت مجدداً، ابحث عن أي فيديوهات هنا أو أية أوراق تفيد بشيء.

أثناء بحثي وجدت أوراقاً شخصية لأهل المنزل؛ فالوالد طبيب جراح يدعى "إسحق يوسف" والوالدة مهندسة كهربائية تدعى "ماري عزيز" والابن رامي كما توقعت في التاسعة من عمره، كما وجدت أوراقاً تخص مربية أطفال، لكن فشلت بمعرفة اسمها لأن الورقة كانت محترقة، ما علمته أنهم جميعاً عرب يعيشون الآن في بلاد أجنبية، حتى لم أعلم ما هي البلد؟! لا بلدهم الأصلية ولا هذا البلد؟ فأخذت الأوراق معي وأكملت البحث عن أي شيء آخر.

صعدت الدرج وأنا اتكأ عليه إلى أن وصلت للطابق العلوي، دخلت أول غرفة لم أجد بها شيء، فتوجهت للثانية حيث اختبأت سابقاً؛ نظرت في الدولاب والمكتبة فوجدت مذكرة معنونة بكلمة "كنزي" في غلافها لم ألحظها في الزيارة الأولى لخوفي من اللصين وصوت الطفل المستنجد فأخذتها معي أيضاً، واتجهت للغرفة

الثالثة وجدت بها أجهزة مراقبة ولكنها كانت معطلة، كما وجدت أشرطة الفيديو كلها محطمة، فتوجهت للغرفة الرابعة لم أجد بها شيء، إلا الملابس الممزقة وأبحاث طبية وملفات وصور مجسمات خمنت أنها للمهندسة لذا أحضرتها معي علها تفيدني بشيء.

البحث المستمر ذاك أتعبني كثيراً، فعدت للغرفة الثانية وجلست على الفراش لأستريح، أخرجت المذكرة التي وجدتها وأخذت اقرأ فيها؛ أول صفحة كان يتوسطها عنواناً بخط عريض" رامي وحارستي م" وبجوارها قلبين ووجهين لطفل وامرأة محجبة، تعجبت للرسمة نظراً لأن الولد يبدو من اسم والديه ليس مسلماً، ربما تكون الحارسة هي المربية، ويبدو أنها مسلمة كما تظهر الرسمة.

عجيب أن مثل هذا يحدث؛ ربما هو طبيعي في بلاد العرب لكن هنا في دولة أوروبية هذا حقاً غريب، فهنا يطلقون على أي مسلم يرونه إرهابياً ويحاربونه، أيمكن لأن هؤلاء الأهل عرب ولا يثقون سوى بالعرب؟ لذلك من الطبيعي أن يوظفوا مربية مسلمة عربية لبيتهم ترعى طفلهم أثناء غيابهم.

تركت التخمين جانباً وأكملت القراءة في المذكرة، في الصفحة الثانية كان مكتوب" أول يوم رأيتها فيه أحببتها فهي لطيفة كأمي متبسمة دائماً، هي من علمني أن أدون كل شيء في مذكرتي تلك، لا أهتم إن كانت مسلمة فهذا لن يغير حقيقتها اللطيفة.

ناديتها فور رؤيتها بأختي وابتسمت هي بدورها عند سماعها لتلك الكلمة، يومها لم نتوقف عن الحديث، تحدثنا كثيراً عن أنفسنا؛ عرفتها بنفسي وعرّفت هي بدورها عن نفسها، نصحتني أن أكتب بالعربية فهي لغتنا الأم، وأنا عملت بنصيحتها، فكنت أكتب وهي تصحح لي الأخطاء، فأنا لم أكن بارعاً كفاية في الكتابة بالعربية.

أخبرتني أنها مازالت طالبة في الجامعة لم تنهي دراستها بعد، فهي مازالت بالسنة الثانية بكلية الآداب والعلوم، جاءت هنا في بعثة دراسية برفقة صديقتها، وتمكث مع زميلاتها بسكن جامعي قريب من الجامعة، أخبرتني إن أردت يوماً الحديث لأول مرة مع أحدهم وخجلت، أن أكتب في البداية ما أشعر به أو ما أريد، ثم اقرأه أمامه فأتشجع وبعدها ستتوالى الكلمات بسهولة أمامه.

تأتي إلينا الساعة الواحدة ظهراً وتعود في التاسعة مساءً لبيتها، بعد أن يعود والداي وأخلد للنوم.

أول يوم عادت لبيتها متأخرة في الحادي عشرة ليلاً، وأوصلها والدي حيث تمكث، لم أرد التوقف عن الحديث معها ليلتها وصممت أن تبيت معنا، ولكن لا يمكن بسبب دوامها الجامعي صباحاً، لذلك اتفقنا أن تذهب في التاسعة مساءً بعد ذلك اليوم، ويوم الإجازة تبيت معنا في الغرفة المجاورة لغرفتي، أتذكر هذا اليوم جيداً لأن اليوم هو الذكرى الأولى للقائنا، لذلك ذكرت هذا اليوم ودونته في أولى صفحات مذكرتي كي لا أنساه".

في الصفحة التالية كان العنوان:" أنا ورامي" ومكتوب تحته:" مرحباً رامي أنا حارستك م كما تحب أن تطلق علي، أتذكر هذا اليوم جيداً حين أتيت لمنزلك لأول مرة كمربية لك ومعلمة ورأيتك، حينها شعرت بأني أعرفك من قبل.

خشيت في البداية حقيقة من مقابلتك لأول مرة؛ من أن تأبى بقائي معكم وعملي هنا، نظراً لاختلاف ديانتينا لكني تشجعت عندما رأيتك وبدأت الحديث معك وبادرتك بابتسامة حين ناديتني بأختي، وددت لو كنت حقاً شقيقتك ولكني بعدها اعتبرتك أخي كما اعتبرتني أنت أختك.

تبعها في الأسطر التالية تعريفاً بهذا ال "رامي" فكتبت مربيته:

"رامي ولد مهذب وماهر في دراسته، في السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية، ذكي يجيد التعبير الكتابي جيداً، لذلك نصحته أن يدون كل ما يشعر به لأنه كان خجولاً، ولكنه الآن صار اجتماعياً مرحاً لبق الحديث يحبه الجميع ويحبنا جميعاً.

أتدري يا رامي؟! حين أصررت على بقائي معك أول يوم لأبيت لديكم بالمنزل، وددت ذلك كثيراً لكن لم أستطع بسبب الاختبار لنا في اليوم التالي في الكلية للأسف.

لو كنت متفرغة ذاك اليوم لوددت بالطبع أن أبقى معكم فالحديث معك ممتع، أتممت اليوم عاماً معكم وأحببت أن تبقى تلك الصفحة هديتي لك يا أخي العزيز". وانتهت الكلمات عن رامي .

أكملت القراءة فلقد كانت باقي الصفحات ذكريات عادية، إلى أن وقفت عند تلك الأسطر التي كانت آخر ما كتب" اليوم الخميس حدث شيء سيء مع حارستي، فلقد كانت قلقة عندما أتت وكانت متوترة كثيراً، كانت يداها ترتجف بشدة، وعندما سألتها ما الذي حدث؟! لم تجبني على الفور، كررت السؤال ثلاث مرات ولم تجبني أيضاً، لم تكن في وعيها ولكن عندما هززت يدها نظرت إليّ بدهشة متسائلة:" ماذا قلت؟" فكررت السؤال للمرة الرابعة لتكتفي بقول:"لا تقلق، مجرد توتر لاقتراب الاختبارات النهائية"..

لم أقتنع بالطبع من جوابها ولكن لم اسألها مجدداً، وأيقنت أنها ستخبرني بمفردها عندما تهدأ وصح يقيني، ففي اليوم التالي أخبرتني بما كان يقلقها لأننا أصدقاء ولا نخفي الأسرار عن بعضنا البعض؛ أخبرتني بابتسامتها المعتادة " لم أجبك لأني خفت أن تقلق عليّ وتتحمل ما لا تطيق بسببي.

وأنا في طريقي إلى هنا تعرض لي شابان وتطاولا عليّ بالسباب، نعتاني بالإرهابية اللعينة وأمراني أن أعود من حيث أتيت لموطني فأنا ليس مرحباً بي هنا، تلك كانت أول مرة يحاول أن يؤذيني أحدهم لذلك خفت كثيراً وركضت حتى تواريت عنهما؛ أتعلم؟! أنا لا ألومهما فنحن السبب، نحن من يقبح صورتنا أمامهم- أمام العالم أجمع- نحن من نصمت عندما يتم نعتنا بتلكم الصفات المخزية، نحن من يصفق لكل من يخطئ فينا ويسبنا، نحن الذين نصمت ونساق كما يريدون دون أن نعترض أو ندافع عن أنفسنا، لذلك إن فكرنا بالدفاع نعتونا بالإرهاب والمجرمين؛هذا ما حدث يا صغيري".

شعرت من حديثها بألم يغور داخلها وبحزن دفين تحاول أن تخفيه عني لكني رأيته وشعرت به، نظرت إليها وأمسكت يديها وأخبرتها بأنني هنا ولن أسمح لأحد أن يتجرأ ويغضب أختي أو يحاول آذيتها، وأخبرتها أن تقدم شكوى للشرطة وتخبرهم بما حدث حتى لا يتعرض لها هؤلاء الحمقى مجدداً، ولكنها رفضت مبررة ذلك بأنه طيش شباب وهذه أول مرة لهما وربما اتعظا وتوقفا عن تكرار ما فعلاه لذلك لا داعي لتضخيم الأمور.

لكني لم استمع لكلامها وأخبرت والدي، الذي بدوره أخبر صديق له مصري يعمل في قسم الشرطة يدعى محمد_ كان متخصصاً في شئون الجالية العربية

في هذا الحي_ في اليوم التالي غضبت عليّ حارستي وحدثتني بجدية بأنه لم يكن يجدر بي إخبار والدي وتضخيم الأمر لهذا الحد، كما فهمت من حديثها أنها أنكرت ما حدث لها و حاولت تسوية الأمور وأصرت على عدم تقديم شكوى ضدهما.

حاولت ثنيها عن ما قررته ولكنها غضبت عليّ، لذا أذعنت لها في النهاية وحاولت إرضائها، واتفقنا على ألا أضخم الأمور وأن تقدم شكوى إن تعرضا لها أو أي شخص مجدداً فتراضى الطرفان على ذلك؛ أي أنا وهي"..

قلبت الصفحة لأجد آخر صفحة كتب فيها بعض الجمل والكلمات الغير مركبة وهي:"

1/ حاولوا تهديدها ولكنها لم تخبرني كي لا أخبر الشرطة.

2/ المسجد أثناء الصلاة ومحاولة تفجير فاشلة.

3 / المحاولة الأولى لحرق المنزل وخوفها علينا وخاصة أنا.

4/ المحاولة الثانية للحرق ونجحت.

5/ خبأتني في المنزل وذهبت ولم تعد.

6/ وأخيراً الحادثة المؤلمة لحارستي ولم أرها مجدداً، لم يسمحوا لي برؤيتها أو الدخول إليها، أختي بريئة بل هي مجني عليها وليست المذنبة، الدليل؛ الهاتف المحمول وكاميرات المراقبة ابحثوا جيداً!!

الفصل السابع :

طرف خيط :

وانتهت الكلمات، الغريب هو شعوري بالنشاط مجدداً يملأ جسدي بعد هزالي ذاك لأيام، لذا قررت العودة للمنزل وأخذ المذكرة معي.

عند عودتي توضأت وأنهيت فرضي، وبعدها توجهت للمطبخ حيث صنعت كوباً ساخناً من القهوة، ثم جلست على الفراش أعيد قراءة المذكرة مراراً وتكراراً كي أربط الأحداث معاً، لم أعلم ما الذي يربطني بتلك الأحداث، فأنا تعرضت لحادث كما ذكرت رسائل محمد ومربية رامي أيضاً تعرضت لحادث

فيالها من صدفة، لا أتذكر شيء ولا أعلم إن كنت أعرف تلك المربية أم لا، لا أتذكر أي شيء.

ولكن ماذا لو تعرضت كلتانا لنفس الحادث واتهمت كلتانا بنفس الجرائم؟! ربما أعرفها!! ربما هي صديقتي أو شقيقتي !! لم أعلم اسمها، كل ما علمته أنه يبدأ بحرف "الميم" فأقنعت نفسي بأننا قريبتان_ أنا وتلك الحارسة_ كما كان يسميها رامي، لا أعلم لماذا أشعر بأن هنالك رابطاً قوياً يربطنا كروابط الدم ربما هي شقيقتي حقاً!!

يجب أن أبحث جيداً عن ما يدلني عليها؛ اسمها، عنوانها، أية معلومات عنها، أي شيء!! وعندما أجدها سأعلم كل شيء، كل ما حدث بالتفصيل سأعرف كل الأجوبة التي لم أعرفها حتى الآن.

لكن حقيقة لا أعلم من أين أبدأ؟! ولا من سأسأل؟! أو أستفسر فأنا لم أجد سوى هذه المذكرة بالمنزل ولا أعلم سوى تلك المعلومات، وفي منتصف حيرتي تلك تذكرت أمراً صغيراً تناسيته تماماً ربما كانت معلومة وستقودني لتفصيل مهم ،" كتب رامي في مذكرته أن مربيته طالبة في السنة الثانية من الجامعة وتعيش في سكن طلبة بالقرب من الجامعة"، لذا سأبحث عن الجامعة القريبة من هنا فربما عثرت على شيء مهم.

أما الآن فسأخلد إلى النوم فالوقت تأخر جداً وفي الصباح بإذن الله سأخرج باحثة عن الجامعة والسكن، وستقودني بالطبع تلك المعلومات لتلك المربية..
تركت التفكير جانباً وخلدت للنوم وفي الصباح استيقظت كعادتي الثانية صباحاً أنظف كالمعتاد بدون أية إرادة مني أو تحكم في جسدي.

أنهيت التنظيف وتحممت ثم أعددت فطوري وتناولته، بدلت ملابسي ثم خرجت أبحث عن تلك الجامعة.

سرت على قدماي حتى توقفت فجأة أمام الجامعة لا أعلم كيف؟! ولكن كنت واثقة في خطواتي وكأني أعلم مكانها من قبل؛ كانت الجامعة عريقة كما يبدو من منظرها أنها قديمة جداً.

بحثت عن الكلية المقصودة حتى وجدتها، مبانيها عالية؛ تقريباً كانت الأعلى في الجامعة، يبدو من تشييدها ومعمارها أنها الأروع من بين الكليات، يوحي شكلها بالأصالة.

لا عجب أن مصممها كان مولعاً بالآداب والفنون وبتلك المهنة ويعلم جيداً أهميتها، كانت فارغة ربما اليوم عطلة لم أجد فيها أحداً إلا عاملاً كان ينظف في الحديقة، ولجت للداخل حاولت دخول غرفة السكرتارية لكنها كانت موصدة، وكذلك باقي الغرف والقاعات.

حزنت في البداية لأنني على هذه الحال لن أجد شيء أو أعلم أي شيء عن تلك المربية، فقررت النظر في كشف الأسماء الذي كان معلقاً على الحائط في المقدمة.

بحثت عن أسماء الطلاب في المرحلة الثانية، كانت القوائم كثيرة والأسماء أكثر!!

مازلت أبحث إلى أن وجدت أسماء طالبات عرب؛ كن خمسة طالبات كما ظهر من أسمائهن، لكن لم يكن مكتوب جنسياتهن، ولكن تيسر عليّ البحث فلم تكن سوى ثلاث منهن مسلمات، واحدة تدعى إيمان والثانية مريم والثالثة مي، تيسر البحث أكثر فالمطلوبة كانت تبدأ بحرف الميم وها هما اثنتان تحملن حرف الميم"مريم ومي" نعم نجحت في أول محاولة للبحث.

فلقد أمسكت بأول الخيط وهو اسمها "مي كانت أم مريم" ليس بالشيء الجلل، فالمهم أني اقتربت كثيراً، زادني ذلك تفاؤلاً وسروراً لاقترابي من الحقيقة.

دونت الاسمين في مفكرتي وغادرت، صحيح أني لم أعلم مكان سكنهن لكني خرجت وكلي يقين بأني سأعلم المكان عاجلاً أم آجلاً.

خرجت من الجامعة وانتظرت قليلاً أمامها أجول بناظري وأبحث عن سكن طالبات بالقرب من هنا، فخرجت من شارع الجامعة تلك ودخلت شارعاً جانبياً لها، شعرت بأني أعلم ذاك الطريق وتلك المباني، لذلك تبعت حدسي إلى أن وقعت عيناي على بناية من خمسة طوابق، تمعنت النظر إليها جيداً فشعرت وكأني أعرفها سابقاً، فقررت الدخول لأؤكد شعوري هذا.

فدخلت إلى أن وصلت للطابق الرابع، وجدت به شقة مكتوب عليها باللغة العربية والانجليزية ولغة ثالثة لم أميزها "سكن جامعي للطالبات" .

كان الباب موصداً فلم استطع الدخول، فطرقت عليه كثيراً فلم يفتح أحد، انتظرت طويلاً عل أحدهم يأتي فيفتح لي الباب لكن دون فائدة ترجى، ربما كانت الطالبات في إجازة وذهبت كلا منهن لبيتها لقضاء الإجازة هناك.

انتظرت هناك قرابة الساعتين لكن دون جدوى، خاب أملي وعدت للمنزل وقررت المحاولة مرة أخرى في الغد فربما جاءت إحداهن وفتحت لي الباب.. صحيح أني شعرت بخيبة أمل، لكني أيضاً فرحت لأني حققت انتصاراً ولو كان قليلاً المهم أني وجدت طرفاً سيوصلني لبقية الأطراف.

عدت للمنزل أخذت حماما دافئاً يريح جسدي المنهك، وتوضأت وصليت فروضي وجلست اقرأ القرآن والأذكار حتى هدأت روحي واطمأنت، فجلست على الأريكة وفتحت مفكرتي وأمعنت النظر فيها كثيراً محاولة ربط الأحداث ببعضها البعض حتى أصل لنتيجة، وأنا أقلب في مفكرتي وقعت عيناي على كلمة "مفتاح" لا أعلم لمَ هو ولا ما الذي يفتحه، لم أتذكر متى كتبت تلك الكلمة ولا أين هو المفتاح؟ أغلقت المفكرة ووضعتها على الأريكة وشرعت أبحث عن المفتاح، لم استطع إيجاده في أي مكان لا في الأدراج ولا حتى الأرفف ولا تحت الفراش، ترى أين وضعته؟ إن كنت أنا من خبأه من الأساس.

عدت للأريكة مجدداً واستلقيت على ظهري ونظرت مطولاً لسقف الغرفة أفكر أين المفتاح؟ وأنا أجول بعيني يمنة ويسرة، التفت برأسي قليلاً للحائط بجواري حيث كانت صورة معلقة، رسمت فيها الطبيعة بأبهى منظر حيث الأشجار الخضراء المتراصة في مستوى واحد، والأزهار الملونة المتعددة والسماء الصافية والنهر الأزرق الخلاب، والأولاد يلعبون الكرة والأهل يجلسون يدردشون معاً صورة جميلة بل رائعة فهي توحي بالاطمئنان والهدوء والاسترخاء.

نظرت جيداً للنهر كان يرسو عليه قارب صيد فضي اللون، بدا كأنه بارزاً في الصورة، اعتدلت ونهضت من الأريكة واقتربت من الصورة وأنا أمعن النظر

جيداً في القارب، ثم وضعت يدي استشعر بروز الصورة فوجدت أن البروز ما هو إلا المفتاح الذي أبحث عنه، فضحكت من الموقف حتى علت ضحكاتي.

أوقفت الضحك الجنوني، وأخذت المفتاح وأنا أنظر له مطولاً ثم وضعته في الحقيبة وخلدت للنوم وأنا مسرورة من حل لغز آخر، مؤمنة بأن الغد سيكون مهماً في اكتشاف طرف خيط جديد ولا بد لي من الراحة الكافية كي يتحمل جسدي مغامرة الغد.

استيقظت فزعة على حركة لا إرادية بجسدي كله ونداء عالٍ باسمي:" استيقظي يا مي استيقظي لا بد أن تستيقظي الآن وإلا خسرنا كل شيء!!" .

دامت حركة جسدي عشرة دقائق كأن احدهم يهزني بقوة ثم توقف كل شيء؛ الحركة والصوت.

تنبهت للساعة فكانت الخامسة فجراً نهضت من على الفراش استعيذ بالله من الشيطان الرجيم، تعجبت من أنني لم استيقظ في الثانية صباحاً ككل يوم، ولكني رجحت ذلك ب ربما من تعب البارحة لم استطع النهوض.

تركت الفراش وتوجهت لدورة المياة توضأت وصليت الفجر وجلست أذكر الله حتى شروق الشمس كي أتجهز للخروج بعد الشروق بزمن في حوالي الثامنة صباحاً، وبعد تناولي الفطور خرجت للسكن الجامعي مجدداً ومعي المفتاح وبداخلي إصرار لأعلم ما الذي خبأ خلف الباب..

عندما وصلت كانت الساعة العاشرة، فدخلت البناء وصعدت الدرج ثم أخرجت المفتاح من حقيبتي ووضعته في الباب، بسملت ثم فتحت ودخلت وما إن وقعت عيناي على ما بداخل الغرفة حتى أصابني الذهول وصرخت من المفاجأة، حاولت التهدئة من روعي لكن لم أستطع فما بالداخل قد شل تفكيري لدقائق، ظللت مكاني واقفة مذهولة، فمي مفتوح وعيناي متسعتان عن آخرهما، لا أفكر بشيء سوى هذا المنظر وفجأة بدون أية مقدمات إختل توازني ودارت الدنيا من حولي وسقطت أرضاً بدون حركة، فقط محدقة بعيناي في الفراغ، لكن بدون وعي لا أدري كم مكثت وأنا على تلك الحال لكن عندما استجمعت قواي وعدت لحركتي.

نهضت من على الأرض وأنا أمسك برأسي فلقد عاد رفيقي الصداع مجدداً، واتكأت على الباب كي أنهض وعند نهوضي نظرت جيداً حولي وصرت أصرخ بصوت عالٍ كيف؟ أين أنا؟ ما الذي حدث؟ لا يعقل بل لا يمكن..إنها شقتي نعم هي شقتي كأنها نسخة منها كأني متواجدة في منزلي!! ولكن كيف يعقل هذا؟! لقد تركت المنزل من حوالي أربع ساعات كيف عدت إليه؟!

لاا هذا هو السكن الجامعي ولكن كيف يمكن أن يكون شبيه بسكني؛ نفس اللون ونفس الأثاث لا يمكن..لا ما الذي يحدث لي هل جننت؟ و تطورت الهلوسات لدي حتى صارت جنوناً، لا أصدق لا استطيع أن استوعب!! كيف كل هذا الشبه؟

لم تستطع قدماي التحمل فاقتربت للأريكة وألقيت بثقل جسدي كله عليها، لاستريح واستجمع قواي من جديد وأعيد ترتيب أفكاري بعد تلك الصدمة، جلست وتمعنت النظر جيداً، أنظر للحوائط و الآثاث مراراً وتكراراً، أغمض عيناي علي أحلم ثم أفتحها مجدداً فعلت ذلك أكثر من مرة لكن دون جدوى، الشكل لم يتغير، نعم هي شقتي!!

أحسست بأن رأسي سينفجر من كثرة التفكير، لذا نهضت واقتربت من الباب وخرجت، أغلقت الباب ثم فتحته مجدداً عل المكان يتغير لكن لا، ظل كما هو كررتها أكثر من مرة لكن دون جدوى.

خرجت من البناية للطريق ثم دخلتها مجدداً، صعدت الدرج وقفت أمام الشقة وضعت المفتاح متمنية بأن يتغير الشكل، وفتحت الباب وأنا مغمضة العينين وعندما فتحتهما لم يتغير أيضاً شيء استسلمت، نعم فالشقة كمنزلي بل هما الاثنتين نفس المكان، توجهت للشقة المقابلة لتلك الشقة ووضعت المفتاح فيها لكنها لم تفتح حاولت مجدداً فلم يفلح الأمر، فحاولت فتح الباب بأي شيء، لكن لم أجد شيء فقررت كسر الباب.

أجل لابد لي من فهم ما يحدث، فلو كانت تلك الشقة نفس شكل منزلي فهذا يدل على أن كل الشقق هنا متشابهة وهذا ليس لغزاً، ولكن إن كانت مختلفة فهذا سيدل على أنني وجدت من أبحث عنها..

حاولت كسر الباب، صحيح أن جسدي هزيل ولا يقوى على تحمل كل تلك الضربات، لكن إن كان أي أحد في مكاني مشتت التركيز هكذا بين كل ما يحدث له ويريد الوصول لتفسير لفعل كل هذا وزيادة، المهم حاولت ضرب الباب مراراً وتكراراً إلى أن كسر الباب وانخلع كتفي من شدة الضرب، ولكن لم تكن الشقة نفس شكل السابقة إذاً هذا يفسر كل شيء؛ أن المربية هي أنا وأني أعرف رامي وذاك المنزل المحترق أعرفه أيضا.

إذاً أنا مشتركة في تلك الحادثة، ولكن ماذا لو كنت أنا المتسببة بها كما ذكر فاروق في رسالة محمد؟! لا..لا يعقل فأنا لا أقدر أن أؤذي حشرة فكيف أؤذي إنساناً؟! ولكن كيف لا استطيع تذكر الذي حدث!! أو أتذكر رامي أو هويتي أو حتى مكان عملي!!

لم أعلم حينها ماذا أفعل؟! وكيف أتصرف؟! خرجت من المبنى وأنا أحدث نفسي والناس ينظرون لي بنظرات الخوف كمن ينظرون لمجنون يسير في الطرقات، سرت أتخبط في طريقي يميناً ويساراً لا أدري أين أذهب ولا أين وجهتي؟! سرت بدون وعي مني إلى أن وجدت نفسي أمام مسجد كبير جميل المنظر فافترشت الأرض أمامه.

لم استطع الوقوف حتى اقتربت مني سيدة أجنبية كما بدا من شكلها، وأخذت بيدي وأنهضتني وأدخلتني المسجد في مصلى السيدات.

بالداخل أحضرت لي مشروباً وأجبرتني على شربه، تحدثت لي بلغة لم أفهمها وابتسمت لي ولكني لم أجبها بأي شيء، فاكتفيت بوضع رأسي على كتفها وغصت في سبات عميق..

الفصل الثامن :

مريم الحنون :

سمعت ترتيلاً عذباً لآيات من سورة "الأعراف" (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ۝ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين ۝) ..

اقشعر له بدني لم أعلم أكان ذاك في الحلم أم الواقع، لكن الصوت كان عذباً وجميلاً، وعندما فتحت عيني وجدت أني لا زلت في المسجد متكئة على كتف السيدة، التي ابتسمت لي سرعان ما فتحت عيناي ونظرت إليها فقالت لي بصوتها الحنون "حمداً لله على سلامتك" بلغة عربية ركيكة قلبت فيها الحاء لهاء، فابتسمت لنطقها وأجبتها بضعف "الله يسلمك من كل سوء وشر".

اعتدلت في الجلسة والتفت إليها ثم سألتها عن اسمها وما الذي جعلها تفعل هذا لي، فهي لا تعرفني ولا حتى أنا أعرفها، وماذا تفعل هنا في هذا الوقت فهذا ليس بوقت صلاة؟! فبدأت تجبني سؤالاً سؤالاً..

فاسمها مريم ريتشارد ألمانية الجنسية، أسلمت منذ ثلاث سنوات، تعمل طبيبة في المستشفى المجاور للمسجد ومحفظة قرءان هنا، متزوجة من مسلم عربي مصري الجنسية منذ خمس سنوات مضت، يعمل شرطياً اسمه فاروق، تنبهت للاسم وتذكرت أني سمعته من قبل.. ثم تذكرته ففاروق إذاً الذي راسلني هو زوجها وابنته التي أصيبت في الحادث.

يا للصدف!! ما أصغر تلك الدنيا حقاً!!

ولكن فاروق يبدو غليظاً، فكيف لنسمة رقيقة كتلك السيدة أن تتزوج غليظاً قاسياً كهذا ال فاروق أو ربما هو شخص جيد، ولكن ما حدث لابنته أفقده السيطرة.

لاحظت السيدة مريم شرودي فسألتني ما الخطب؟ وإن كنت أشعر بألم أو إرهاق؟ فهززت رأسي نفياً وأجبتها على الفور بأني بخير، ترددت في سؤالي عن زوجها في البداية ولكني تشجعت وسألتها كيف تزوجتِ من شخص شديد اللهجة كفاروق؟! ضحكت لوصفي له بشديد اللهجة وفوجئت لسؤالي ذاك لأنها لم تصفه لي فكيف حكمت عليه بالقسوة، ولكنها لم تسألني إن كنت أعرفه أم لا بل بدأت تسرد لي عنه بكافة جوارحها وبحب ارتسم على وجهها.

فأخبرتني بأن شدة لهجته تلك هي ما جذبها، فلقد تعرفت عليه قبل إسلامها بعامين، ذات يوم حيث كانت عائدة من عملها في الليل، تعرض لها سكيران بالتحرش اللفظي في البداية، ثم سرعان ما وصل الأمر للتحرش الجسدي فلقد بدأ الرجلان يتجاذبانها يميناً ويساراً محاولين الاعتداء عليها، فدافعت عن نفسها لتخليص نفسها من براثنهما بالركل والضرب بيديها وقدماها وأثناء ركلها بكل ما أوتيت من قوة أصابت أحدهما في ساقه بحذائها المدبب، فصرخ ولطمها على وجهها بقوة عدة مرات حتى غابت عن وعيها ولم تفق إلا عندما صب أحدهم على وجهها ماءً لتفتح عينيها وتراه أمامها؛ شرطياً يبدو من ملامحه الوسيمة عربياً، كان يتحدث بشدة يبدو أنه يسب ويلعن وبمجرد إفاقتها سألها بخوف إن كانت بخير، فاكتفت بهز رأسها إيجاباً، لم تبعد عينيها قط عن وجهه مما أدى لارتباكه وخجله وتحول خوفه عليها لغضب، فصرخ فيها بأن تتوقف عن النظر وتنهض سريعاً وتذهب لبيتها إن كان قريباً، أو يوقف لها سيارة أجرة إن كان بعيداً، لكنها لم تتفوه بأي رد عن مكان إقامتها مما دفعه لصراخه عليها بأن تستيقظ من غفلتها وتجيبه وإلا تركها في هذا المكان بمفردها ورحل، وبعد نصف ساعة من الأسئلة والسرحان ساعدها على النهوض على قدميها وأوقف لها سيارة أجرة، لتعود لمنزلها وتختفي عن هذا المكان الخطر كي لا يعاود الرجلان الاعتداء مجدداً عليها.

ضحكت عندما سمعت تلك القصة وتخيلت ما حدث، فزادت ضحكاتي أكثر فلقد تخيلت فاروق سميناً بكرش متدلي أمامه، لا أعلم لماذا هذا الشكل؟! لكنه قفز فجأة في مخيلتي بهذه الصورة، فلم أستطع التوقف عن الضحك حتى إن السيدة توقفت عن السرد وضحكت معي، لا أعلم إن كانت خمنت ما تخيلته أم لا لكننا ضحكنا ذلك الوقت حتى دمعت عينانا.

وأكملت قصتها فمنذ ذاك اليوم وهي تتابعه وتتعمد أن تضايقه، حتى جاء اليوم الذي اعترف لها فيه بحبه، وتوّج هذا الحب بالزواج ورزقا بابنة جميلة، وبعد سنتين من البحث والقراءة عن الإسلام والاقتناع أسلمت وغيرت اسمها من ماري لمريم.

عند انتهائها من سرد قصتها كاملة عاد استغرابها إليها بخصوص وصفي لفاروق بشديد اللهجة!! فسألتني كيف عرفت أن فاروق شديد اللهجة؟! فأجبتها بعد ارتباك لم يدم طويلاً، بأني سمعته مرة يحادث أحدهم بلهجة شديدة فعلمت اسمه حينها من صديقه الذي كان يحثه على الهدوء.. لم أخبرها بالطبع عن الرسالة ولا عن تلك الهلوسات فربما أقلقتها أو أشعرتها بالحزن إن علمت أني فاقدة للذاكرة، وربما شعرت بالخوف إن علمت أني مشتبه به في حادث ابنتها.

بعد حوالي نصف ساعة شعرت بالتحسن فشكرتها ناهضة على قدماي، وبابتسامة ودعتها ووعدتها أن أزورها بين الحين والحين الآخر، وأخبرتني إن احتجت لأي شيء أو واجهتني أية مشكلات أن أحادثها على الفور وأعطتني رقم زوجها ورقمها ثم انطلقت في طريقي عائدة للمنزل.

أفكر فيما حدث بداية من الشبه بين الشقة ومنزلي ثم مريم والصدفة العجيبة عن زوجها فاروق المرسل لي الرسالة، وما أضحكني كثيراً وخفف عني قليلاً قصة تعارفهم سوياً ثم زواجهم وإسلامها فلم أكن أتوقع أن ذاك ال"فاروق" خفيف الروح كما وصفته زوجته، وضحكت عندما تخيلت مرة أخرى هيئته التي رسمتها في ذهني..

المزيد من الألغاز :

بمجرد وصولي للمنزل ودخولي تنبهت للحاسوب الذي كان مضاءً فتذكرت أني نسيت إغلاقه، لذا توجهت إليه لأجد إشعاراً عن وصول ثلاثة رسائل جديدة، جلست وأخذت نفساً عميقاً ثم فتحت الرسائل؛ أول واحدة كانت من مجهول كانت بالانجليزية "هرعت إليك بمجرد سماعي عن الحادث الأليم الذي تعرضتِ له، حاولت الدخول إليك في الغرفة لكنهم منعوني، أدعو كل يوم أن تفيقي وتستعيدي عافيتك، حزنت عليك كثيراً وقلقت لذا كوني بخير من أجلي أرجوك!!"..

وانتهت الرسالة مع زيادة مفاجئة في ضربات قلبي، كادت أن تفجر قفصي الصدري هاربة للخارج، حاولت التذكر أو تخمين ممن هي لكن لم أعلم أو أتذكر من هذا!! ، فأغلقتها وبداخلي علامات تعجب كثيرة لذا تركت التفكير بها جانباً، و فتحت الرسالة الثانية كانت من محمد" أخبرنا الطبيب أن حالتك في تحسن والحمد لله، لا أستطيع التصديق بأن ثلاثة أسابيع مرت علينا ونحن في انتظار الجديد لا تعلمين مدى فرحتي بسماع هذا الخبر، هيا قاومي واستيقظي بسرعة يا آنسة فبعد أسبوع سينظرون في قضيتك وسينطقون بالحكم النهائي هيا أفيقي كي توضحي لهم الصورة كاملة وتثبتي براءتك، فأنا مؤمن ببراءتك كما فاروق مؤمن وكلهم هنا مؤمنون كذلك، فهيا أفيقي وكممي أفواههم الحاقدة وأرهم من هي مي المسلمة الطيبة المدافعة عن الحق لا المجرمة"..

صدمت حقيقة من تلك الرسالة وازدادت ضربات قلبي أكثر عن ذي قبل ولكن هذه المرة خوفاً، فهذه الرسالة تحمل الكثير من الصدمات كيف استيقظ؟ هل أنا أحلم أم ماذا؟ وعن أي شفاء هذا الذي يحكي عنه وثلاثة أسابيع!!

مر علي قرابة شهر وأنا في هذا المرض، كيف؟! لم استطع الاستيعاب أو الفهم فأنا بمفردي لا أحد معي يفهمني ما يجري ولا عن ماذا تتحدث تلك الرسالة، لم أفكر سوى بأن اتصل بمريم فهي التي أعرفها وربما هي من ستساعدني فلقد شعرت بالراحة عندما أفقت ورأيت وجهها قبل قليل.

طلبت رقمها عدة مرات ولكن لم ألقَ أي رد، لذا بعثت لها رسالة بأني أريد محادثتها بشيء مهم وأن تتصل بي ريثما تقرأ رسالتي، انتظرت طويلاً لكن لم تتصل، دارت بعقلي المخاوف وتسارعت الأفكار وظنت بعقلي الظنون، فربما علمت من فاروق زوجها شيئاً سيئاً عني، لذلك لا تريد مهاتفتي أو الحديث معي؛ لكن ماذا لو اتهمني زورا بشيء لم أفعله جعلها تبغضني ولا تريد محادثتي مجدداً، لاا فهذا لا يبدو من طباع فاروق كما وصفته هي، فيبدو من حديثها عنه أنه لا يكذب أو يتهم أحدهم زوراً وبهتاناً؛ لكن ما الذي حدث لها؟! لمَ كل هذا التأخير لمهاتفتي؟! لكن ماذا لو كانت بخطر!! نعم لابد أن شيئاً ما أصابها أو ربما تعاني من مشكلة تمنعها من الوصول لهاتفها، سأذهب للمسجد وأبحث عنها ربما كانت في ورطة وتريد المساعدة؛ نهضت فوراً وتوجهت للباب وخرجت من المنزل، هرولت مسرعة حيث المسجد.

تقريباً وصلت للمسجد في نصف ساعة نتيجة لركضي بسرعة، عندما وصلت للمسجد ودخلت مصلى السيدات بحثت عنها لكن لم أجدها، سألت من بالداخل إن كن يعلمن أين هي أو أين منزلها؟! لكن لا أحد يعلم عنها شيء، سوى أنها تأتي هنا يومياً بعد العصر وتذهب بعد العشاء.

شعرت بالقلق الشديد عليها، ترى أين ذهبت ولماذا لا ترد على هاتفها أو تحاول الاتصال بي؟ لذا قررت البقاء في المصلى وانتظارها فربما تأتي، فالمغرب قارب على الآذان، انتظرت حتى الآذان ثم الصلاة لكنها لم تأتي حتى إن العشاء أقيمت صلاته وصلينا ولكنها لم تأتِ أيضاً، لذلك قررت البقاء هنا وانتظارها حتى الصباح.

غفوت بعد انتظاري الطويل هذا واستيقظت الفجر صليته ولم أغفُ بعدها حتى الصباح، وبعد طول انتظار حتى العصر أتت مريم وأخيراً ولكن، كان هناك خطباً بها فهي لم تكن بخير، ربما مرضت لذلك لم تأتي للمسجد أو ربما حدث شيء في عملها أخرها كل هذا التأخير، ولأقطع شكوكي تلك وأسئلتي الكثيرة اقتربت منها محييه ففرحت لرؤيتي وتحدثنا كثيراً علمت منها بأن حادثاً أصاب ابنتها بعد ذهابي بالأمس لمنزلي، وأن زوجها اتصل بها وأخبرها أن ابنته في المستشفى لتعرضها لإصابة في ساقها جراء محاولة تفجير فاشلة لمسجد بالقرب من مدرسة ابنتها، وأثناء تدافع الناس عند هروبهم من القنبلة سقطت ابنتها وأصيبت بكسر في ساقها وتم تجبيرها.

أخبرتني أنها كانت خائفة كثيراً على ابنتها لذلك لم تستطع الإجابة على هاتفها أو النظر إليه حتى_بالطبع فهي أم.

ولكنها حمدت الله أنها لم تتأذى كثيراً ولم تنفجر تلك القنبلة، فلو انفجرت لا يعلم أحد سوى الله ماذا كان سيحدث؟!

شعرت بعد سماعي عن هذا الحادث أني تعرضت لمثل هذا الموقف، كما لو أني كنت هناك من قبل أو ربما سمعت عن هذه الحادثة لكن متى وأين لا أتذكر؟! لاا-إنه الحلم لقد رأيت القنبلة بالحلم والمسجد كل شيء رأيته في حلمي.. توترت كثيراً عند تذكري للحلم لذا قررت الانسحاب والعودة لمنزلي؛ حقيقة ولأكن صادقة لم استطع أن أتحدث مع مريم أو إخبارها عن سبب

اتصالاتي المتعددة لها، فما حدث لابنتها أقلقها ولا داعي لزيادة القلق لديها، لذلك عندما سألتني عن سبب اتصالي بها أخبرتها بأني اشتقت لها وأردت الجلوس معها قليلاً للدردشة سوياً.

لم أطل الحديث معها وودعتها قبل أن تتعجب فهي لم تقابلني سوى بالأمس، فعن أي اشتياق هذا الذي أقصده؟ وسألتها عن عنوان منزلها للمرور غدا والاطمئنان على ابنتها متمنية لها الشفاء العاجل والسلامة من كل شر.

الفصل التاسع :

تشتت :

عدت لمنزلي وأول ما فعلته عند دخولي هو توجهي للحاسوب، ولجت على شبكة الإنترنت وبحثت عن خبر لمحاولة تفجير مسجد، بحثت إلى أن وجدت خبراً حدث بالأمس عن وجود قنبلة داخل إحدى حمامات المسجد ونجاح فرقة المتفجرات تعطيلها قبل أن تنفجر.

العجيب أن المسجد كان هو نفس المسجد الذي حلمت به من قبل، وصور الجرحى كانوا هم نفس من رأيتهم بحلمي نتيجة للتدافع، وكانت معهم صورة لابنة فاروق ومريم وهي مصابة في ساقها، نعم لقد كان نفس ما حلمت به؛ المسجد والأحداث والتفجير، لكن في الحلم كان هناك دمار ودماء على الأرض وكنت أنا صاحبة الدماء، لكن في الواقع لم أكن هناك ولم أذهب قط لذاك المسجد فما تفسير حلمي ذاك؟!

لا أعلم حقيقة ما يحدث وإن كان هناك فعلاً ارتباط بين الحلم والحادث، أم هو من وحي خيالي وعقلي الباطن، أغلقت الحاسوب واستلقيت على الأريكة أقلب في مفكرتي وأدون بها ما حدث وما توصلت إليه حتى الآن.

أثناء تفكيري ذاك تذكرت أمر الرسالة الثالثة فأنا لم أقرأ سوى رسالتين، لذا أسرعت نحو الحاسوب وولجت للإنترنت وفتحت الرسالة الثالثة والتي كانت مفاجأة لي:"مرحباً بك حاميتي وحارستي م اشتقت لك كثيراً، واشتقت للهونا سوياً؛ هيا انهضي وأفيقي من نومك الطويل هذا لأسلمك أمانتك التي حفظتها لك، الصندوق كما هو لا أحد يعلم ما بداخله ولا حتى أنا، وعدتك أن أحافظ عليه إلى أن تعودي وتأخذيه.

أتذكر كلماتك جيداً بآخر مرة رأيتك فيها، عندما أخبرتني أن أحافظ على هذا الصندوق جيداً، وأخبؤه في مخبئنا السري حتى عودتك لي، انتظرتك طويلاً يومها ولكن لم تأت، وصدمت عندما علمت أنك أصبت بحادث وترقدين بالمستشفى.

أسرعت إليك مع والداي لرؤيتك ولكنهم رفضوا إدخالنا لخطورة حالتك، خفت كثيراً أن لا أراك مرة أخرى، ولكن تذكرت دعائك الذي كنت تكررينه كلما ازداد بك الأمر سوءً، فدعوت به مراراً وتكراراً.

حتى إن والداي ساعداني في الدعاء أيضاً، فكررناه سوياً ولا زالوا يكررونه حتى تلك اللحظة.

هيا أفيقي فهناك ما أود إخبارك به، حضرنا لك مفاجأة ستسعدك كثيراً، فهيا انهضي لتنفذي وعدك الذي وعدتني به؛ وعدك بأن تأخذيني في رحلة لبلدك.

فهيا حققي وعدك لي، فلقد أخبرتني عن الأهرامات وأبو الهول كثيراً، وعن المساجد الأثرية والمتاحف الجميلة في مصر وشوقتني لرؤيتها، فهيا انهضي لنسافر سوياً وسيذهب والداي معنا أيضاً، هيا انهضي يا أختي فأنا انتظرك هنا، هل تعلمين؟! آتي يومياً لرؤيتك لكنهم لا يسمحون لأحد سوى الشرطة بالاقتراب منك، واليوم سمحوا لنا بالدخول عندما أخبرتهم أني أخيك وأنك أختي فسمحوا لي برؤيتك..

والآن هيا انهضي، سأذهب الآن كي لا أطيل عليك فلتكوني بخير من أجلي ومن أجل الذين يحبونك" وانتهت الرسالة.

شعرت بفرح وحزن في آن واحد، فرحت لأني أمتلك أخاً كرامي يحبني ويقدرني حتى لو لم نكن من نفس الدم، وحزنت لأنهم يظنون أني مازلت أتألم بالمستشفى، لا يعلمون أني صحيحة معافاة ربما كنت في الماضي بالمستشفى لكني الآن بخير.

فهمت لغزاً حيرني طويلاً، فهمت أني كنت أبحث عن نفسي منذ البداية؛ فأنا المربية وأنا الطالبة الجامعية الوحيدة في بلاد غريبة، لكن قصة الهلوسات مازالت محيرة وقصة الدجال أيضاً محيرة.

وأين هو محمد وفاروق؟! لم لا أستطيع رؤيتهم!! فكل ما وصلني منهم رسائل فقط وما هو سبب تلك الحادثة ولِمَ أنا مشتبه فيها؟! وأين هو رامي وعائلته لِمَ منزلهم فارغ؟! ربما غيروا مكانهم بسبب التهديدات وإحتراق المنزل!!

ما هذا الشعور المؤلم؟ أشعر بالاختناق بمفردي، ولهيباً محرقاً بقلبي فلا أحد بجانبي، ما هذه البعثة المؤلمة كم أود أن أعود لموطني حول أهلي وأحبتي، لكم هو محزن عدم تذكري لشيء أو عدم معرفتي لأين أذهب؟! ولا لمن ألتجأ، لا أعلم سوى البقاء في المنزل حتى يجدني أحدهم، لكن ماذا لو لم يأت أحدهم لإنقاذي من هذا كله؟!

لا أريد الموت وحيدة بدون رفقة حولي، أريد العودة لأهلي، لا استطيع التحمل أكثر.

أشعر بخيبة أمل مريرة، وبأن الأمل الذي كنت أتطلع إليه ما هو إلا وهم وتحايل على الواقع، فأنا وحيدة وسأظل وحيدة برفقة هلوساتي ونسياني وبؤسي حتى الموت.

استسلام :

مر اليوم وأنا في حالة استسلام وتسليم تام بلا حراك أو طعام، فقط استلقيت على الفراش وعدت لضعفي من جديد، بقيت هكذا أكثر من يوم وبدأ الأمر يحدث من

جديد فلقد ارتفعت درجة حرارتي كثيراً، وصرت أهلوس وأرى أناساً حولي يرتدون الأبيض و منهم الأزرق، بدوا كأنهم أطباء وممرضات، كنت أغمض عينياي وأفتحهما من جديد، وأرى تلك الهلوسات وأسمعها بدون وعي مني أو حتى مقدرة على الحديث .

كنت أسمعهم يصرخون ويتحدثون بسرعة، ويركضون في جميع أنحاء الغرفة.

كحلمي الذي حلمت به من قبل ولكن ذاك كان مرئياً أكثر من اللازم، شخص نظري للأعلى ثم أغمضت جفوني ولم أفتحها مجدداً، شعرت بضربات قلبي تبطئ وتنفسي يكتم، وشعرت بسائل دافئ يتسلل لداخل جسدي، وضربات ثقيلة في صدري وغمامة على وجهي.

استمر ذاك الشعور طويلاً ثم اختفى فجأة، لأدخل بعدها في سبات عميق.

كنت في فراغ؛ محاطة بالفراغ من كل مكان بمفردي ولا أحد معي، وهدوء يغمر المكان كله، و فجأة إمتلأ المكان بالصراخ وعج بأناس كثر، كانوا يشيرون إليّ ويتحدثون، لم أتمكن من سماع حديثهم فلقد كنت خائفة من نظراتهم إليّ؛ كان الجميع يحدقون فيّ بعيون مرعبة، يحملقون فيّ كما لو يضمرون شراً.

وضعت يداي على أذناي كي أوقف الضجيج، فلم أعد احتمل المزيد، فصرخت فيهم بأن يتوقفوا وازداد صراخي إلى أن صمتوا وذهبوا جميعاً.

حينها رأيت ضوءً من بعيد يقترب ويقترب إلى أن ملأ المكان بأكمله، فبدت الصورة تظهر بوضوح أكثر وأدركت أني كنت أحلم واستيقظت الآن، فرأيت غرفة تبدو كغرف المستشفى وأيقنت أنها بالفعل غرفة بالمستشفى؛ حين رأيت الخراطيم المعلقة بجواري والآلات من حولي، ولكن كيف أتيت إلى هنا ومن الذي أحضرني؟ ترى هل ساءت حالتي فأحضرني أحد الجيران للمستشفى؟ ولكن هل لديّ جيران فعلاً؟!

أفكار وتساؤلات كثيرة جالت بخاطري لم يقطعها سوى نظرات تلك الممرضة التي كانت بالقرب من الفراش تراقبني، والتي بدا على وجهها مشاعر مختلطة بين الفرح والصدمة حينما وقعت عيناها عليّ، فخرجت مسرعة تصرخ بالانجليزية باسم الطبيب" دكتور من فضلك أسرع".

ظللت أراقب الغرفة وأتفقدها من حولي وكأنني كنت غائبة عن الوعي لشهور، بدوت كأنني أفقت للتو من نوم عميق، لم أسمع الهلوسات وقتها، فتنفست الصعداء فرحة، حاولت أن أتمتم بالشكر لله لكن كأن هناك حمل وثقل بلساني يمنعه عن الحراك، حاولت النهوض من على الفراش لم استطع الحراك كأن جسدي مخدراً لا يقوى على الحراك أيضاً.

وأنا في حالي ذاك دخل الأطباء غير مصدقين وهم محملقين بي، متمتمين بالانجليزية:" حمداً لله".

فبدت على وجوههم مشاعر مختلطة بين عدم التصديق والفرح، اقترب مني أحد الأطباء في هدوء وسألني:" مرحباً كيف حالك الآن؟! هل تشعرين بأي ألم؟!"

لكني لم أجبه، حقيقة لم استطع التحدث والإجابة عليه فالكلام يأبى الخروج من فمي.

حاولت الحديث لكن دون جدوى لم استطع، فكرر سؤاله وانتظر مني الجواب لكن بدون فائدة، لم يسمع مني جواباً بل حتى حرفاً لم يسمعه، فأدركت وقتها بأنني لن أتحدث مجدداً.

ربما أصابني البكم ولن استطيع التحدث مرة أخرى، وأدرك هو أنني لا استطيع التحدث فتحدث لزملائه بصوت منخفض، وأشار للممرضة أن تبقى هنا معي وخرجوا هم.

حاولت الحديث أكثر من مرة بل وحاولت أن أشير بإصبعي إليها، ربما تفهمني لكن لم استطع تحريك يدي ولا حتى أصابعي، لا أعلم ما الذي حدث لي وكيف صرت بتلك الحالة؟ فلقد كان جسدي من نصف ساعة يتحرك و كنت أتحدث، و لولا هذا الحلم لا بل هو كابوس!! لولا هذا الكابوس البشع الذي أزعج هدوئي وتلك الهواجس والهلوسات التي آرقتني لما حدث كل هذا لي، ولما صرت بتلك الحالة الميئوس منها.

.دمعت عيناي لحالتي تلك؛ وكيف لا تدمع وحالي يرثى لها، فقد أصبحت عاجزة عن الحركة والحديث ولا أعلم السبب"..

الفصل العاشر :

الواقع المؤلم:

طرقات عالية بالباب.. فجأة نهضت مي فزعة وكان العرق يتصبب منها بغزارة؛ لقد نهضت فجأة نتيجة لتلك الطرقات العالية على الباب، متلفتة حولها تبحث عن الأطباء والخراطيم ولكنها لم تجد شيء، لتحدث نفسها بفزع:" لقد كان حلماً كل ذلك ولم يكن حقيقة إذاً".

أنهت جملتها واضعة يدها على جبهتها، فربما هي تهلوس بسبب الحمى ولكنها تأكدت من أنها لا تهلوس فهي ليست محمومة، ففكرت إن كانت مازالت تحلم، فقرصت نفسها لترى إن كانت تحلم أم هي مستيقظة ولم تتأكد سوى عندما صرخت نتيجة لقرصها ذراعها، فتمتمت في راحة " إذاً كان حلماً".

حاولت تهدئة نفسها قليلاً، وبعد هدوئها انتبهت لطرقات الباب الشديدة فلقد كاد الباب أن يخلع من مكانه.

فتوجهت مسرعة صوبه متسائلة بفزع:" من بالباب؟!" لتسمع صوت صديقتها تصرخ:" أنا!! من سيكون برأيك، هيا أسرعي وافتحي الباب اللعين، فقد تورمت يداي من شدة الطرق عليه".

أسرعت مي وأدارت المقبض، وما إن فتحت مي الباب حتى انهالت عليها صديقتها بالضرب على كتفيها لتأخرها في فتح الباب ظناً منها أنها بخطر أو أن مكروهاً ما قد حدث لها، أو أصابتها نوبة إغماء بسبب الأقراص المنومة..

لذلك ظلت تصرخ فيها معاتبة بأن لا تكرر ذلك مرة أخرى وإلا خاصمتها للأبد، فاستطاعت مي بعد نصف ساعة من تهدئتها والقسم بأنها لن تكرر ذلك مرة أخرى، وأنها ستكون أكثر حذراً في المرات القادمة من ألا تغفو وتنام كل هذا الوقت مجدداً فأخذتها للداخل وتوجهت لدورة المياة لتغتسل ثم خرجت حيث

صديقتها بالصالة، وبدأن في الحديث مبررة لنومها الثقيل هذا والتي كانت صدمتها كبيرة عندما علمت أنها نامت أربع وعشرين ساعة بل وأكثر.

فآخر ما تذكرته أنها نامت في الصباح واستيقظت الظهيرة؛ لتفاجئها صديقتها بأن اليوم يوماً جديداً وأنها نامت يوماً كاملاً دون أن تنتبه لساعة أو منبهاً، وكل هذا نتيجة للقرص المنوم الذي تناولته.

بعد صدمتها تلك ذهبت لتستحم وتتوضأ لتصلي ما فاتها بالأمس قبل ظهر اليوم، وبعد انتهائها جلست مع صديقتها تقص عليها السبب وراء تناولها للمنوم، و تذكرها للماضي واشتياقها لأهلها، والحادث الذي شاهدته بالأخبار وضعف جسدها الذي أرهقها كثيراً؛ وغيره الكثير من الحوادث البشعة التي يتعرض لها الكثير من المسلمين بالخارج ولا يجرؤ أحد على التحدث عنها أو إلقاء اللوم على المجرم الحقيقي.

ظلت الصديقتان يومها معاً فلم تستطع منى ترك مي بمفردها في حالتها تلك، بل ظلت معها حتى حل الليل؛ فكادت أن تغادر لولا رفض مي وإصرارها على البقاء والمبيت معها، وما أجبرها على البقاء هو الحلم الذي حلمت به مي.

والمخيف أن فتاة الحلم هي نفسها مي؛ ربما لم ترى شكلها ولكنها تملك نفس الاسم وتدرس في نفس الكلية، مما أخافها كثيراً.

لذا قصت لصديقتها الحلم كما كان من بدايته حتى نهايته.. وبعد ساعات من السرد لم تتفوه الصديقة بأي كلمة حتى أنها لم تعلم بماذا تتحدث أو ما المفترض أن تخبره لمي، فهي حائرة كصديقتها بذاك الحلم ولا تعلم إن كان له معنى أم مجرد أضغاث أحلام كما يقولون، ولكن لتهدأ من روع مي ولتوضح لها بأنه لا داعي للخوف بسبب حلم كهذا؛ توجهت للحاسوب وبحثت على الانترنت عن تفسير لذاك الحلم، ولم تجد سوى بعض المواقع التي تتحدث عن وجود بعض الأحلام التي لا تفسر، والتي ربما تكون بسبب تفكير الشخص الزائد ببعض الأمور فتتراءى له على شكل أحلام؛ أي أنه لا معنى لها..

وذلك ما هدأ من روع مي ربما قليلاً أو ربما هذا ما أظهرته لصديقتها كي تتوقف عن القلق عليها، فأخبرتها بهدوء مصطنع:" حسناً؛ أعتقد بأنك على حق

وأني ربما فكرت كثيراً في تلك الفتاة الغريبة لذلك حلمت بها، تصبحين على خير الآن".

وذهبت كلتاهما للنوم، ولكن ظلت مي تتقلب يميناً ويساراً على الفراش تعاني من الأرق، ولمَ لا فأي شخص بنفس حالتها ونومها يوماً كاملاً، لابد وأن يظل هكذا يعاني من الأرق، فما غفته حتى الآن ليس بالهين.

لذلك قررت النهوض من الفراش والتجول قليلاً في المنزل علها تصاب بالتعب فيأتيها النعاس على طبق من فضة، ولكن محاولاتها تلك باءت بالفشل؛ فلقد ظلت هكذا ذهاباً وإياباً إلى أن قارب الفجر على الآذان.

فجأة تصلبت أطرافها حين سمعت ذاك الصوت بالخارج، الذي اعتادت على سماعه منذ أيامٍ، فركضت نحو النافذة لتتأكد بأم عينيها عن حقيقة هذا الصوت، لتجد الفتاة بغرفتها الزجاجية ومكتبها ومقعدها نفسه في الزاوية مقابل البيت؛ تتأهب لتكملة القصة، شرعت مي تنصت في اهتمام وهي جالسة على طرف النافذة.. لتكمل الفتاة من حيث انتهى حلم مي..

أمل جديد :

"؛ ولكن ربما هي حالة مؤقتة وستعود لي صحتي، نعم ربما هي فترة مؤقتة وسأتحرك وأتحدث من جديد، بدأت أشبع روحي بذاك الأمل والتفاؤل، فرامي اخبرني ألا استسلم وأقاوم فهو يستحق تلك الرحلة لمصر كما وعدته؛ بالطبع لا أتذكر متى كان هذا الوعد؟!

لكن رسالته أخبرتني عن ذاك الوعد، لذا لا يجب عليّ أن استسلم الآن؛ فلقد مررت بمواقف أصعب منذ بداية تلك الهواجس ومروراً بالاختطاف حتى هذه اللحظة.

نعم فاليأس لن يعرفني مجدداً ولن أسمح له بذلك، بدأت في إقناع نفسي بل والتسليم بذاك الأمر؛ وهو أن حالتي تلك مؤقتة وستعود لعهدها بل وأفضل من ذي قبل، رجوت الله ودعوته كثيراً وظللت باقي اليوم أدعو ربي أن ينقذني من حالتي تلك، حتى دخل الغرفة من لم أتوقعه وصدمت لرؤيته..

كيف دخل؟! ومن سمح له بالدخول؟! وكيف لم يوقفه أحد؟! ما هذه الممرضة كيف تسمح لذاك الرجل بالدخول عندي ولماذا يرتدي هذا الزي؟! لا..لابد من أنه جاء ليقتلني نعم أو ليختطفني ولكن!! لاا لا استطيع الحديث.. النجدة أنقذوني؛ أنتِ اخرجي هذا الرجل من الغرفة إنه خطر.. لن يسمعني أحد سحقاً.. ماذا يفعل؟! لماذا يعبث بجهاز تنفسي ولماذا يمسك بيدي؟ لاا ما هذا السائل الموجود بالإبرة لاا إنه سم بالتأكيد، لا تضعه هنا أرجوك.. توقف سيقتلني.

حاولت تحريك جسدي أو أحد أصابعي فربما أتمكن من جذب انتباه الممرضة، ولكن جسدي كان متصلباً كالجثة.. لاا!! أبعديه عن المحلول المعلق، سيضع فيه السم ويقتلني..لاا لقد وضعه.. والآن سأموت سيقتلني ذاك الدجال.

تباً لقد بدأ مفعول السم بالسريان في عروقي فلقد تشوشت الصورة بعيني، لم أعد أرى جيداً كما أن الغرفة صارت تدور من حولي؛ كيف استطاع أن يتنكر في زي طبيب ويلحق بي إلى هنا، ويقتلني ولماذا؟! بل كيف علم بمكاني؟! فأنا لم أفعل شيء، ولم أعلم حتى لمَ اختطف السيدة، والآن سيقتلني ولن استطيع البحث عن أهلي وعائلتي، بل لن استطيع التعرف أبداً على ماضيّ ونفسي..

شعرت بأن الغرفة تدور من حولي وبدأت جفوني بالتراخي شيئاً فشيئاً حتى غفلت بالكامل..لا أعلم ما الذي حدث، لكن عندما استيقظت أيقنت أنني لم أمت بعد، فما زلت بالغرفة نفسها ومن حولي الأجهزة كما كانت من قبل؛ ولكن لمَ لم يقتلني ذاك الدجال بل اكتفى بتنويمي فقط؟ لا.. ربما فعل شيئاً بشعاً لي هل سرق عضو من أعضائي؟ لا لا يمكن فأنا لا أشعر بالألم في معدتي، ولكن ما الذي دفعه لفعل ذلك وما سبب قدومه لغرفتي؟ ربما حاول قتلي ولكنه أخطأ بالإبرة، نعم هذا هو.

تلفت حولي في الغرفة علي أجد شيئاً آخر غير تلك الأجهزة وتلك الأدوات، فلمحت أوراقاً بجواري على منضدة صغيرة وطرف صورة يتدلى من تلك الأوراق، لم استطع رؤيتها جيداً أو حتى معرفة ما تحويه الأوراق، لكن ما تأكدت منه هو أنها لم تكن هنا من قبل؛ ربما الدجال تركهم هنا أو ربما نسيهم.

وبينما أنا في تفكيري ذاك إذ بالباب يفتح وتدخل الممرضة، ولكن تلك المرة لم تكن بمفردها، فلقد أحضرت معها طبيبة؛ جلست الطبيبة بجواري بينما ظلت الممرضة بجانب الأجهزة.

بدأت الطبيبة بالحديث معي وهي مبتسمة قائلة لي:" مرحباً يا مي كيف حالك الآن؟ حمداً لله أنك تحسنتِ، أعلم أن الأمر صعب عليك لكنك قوية وستخرجين من هذه المحنة بسرعة، لم يتوقع الزملاء أن تفيقي سريعاً ولكني كنت على يقين أنك لن تستسلمي للسكون وستبذلين قصارى جهدك كي تفيقي من غيبوبتك، لقد أبهرتنا جميعاً بإصرارك وتشبثك بالحياة فمرحباً بك حولنا هنا.

أعلم أنك تريدين الحديث معي ولكنك قلقة من أن تعودي لحالتك السابقة مجدداً، لكني أؤكد لك أنها مرحلة مخيفة وتجربة بشعة وولت ولن تعود أبداً، طالما أنت تساعدينا فلن تنتكسي مجدداً، هيا أجيبيني يا مي وتحدثي معي فيخف حملك قليلاً، هيا حاولي الحديث معي"..

غريبة تلك الطبيبة ولطيفة في نفس الوقت، في الواقع وددت لو استطيع التحدث لتحدثت معك بالفعل وشكرتك لمؤازرتي، ولكن تأبى الحروف أن تخرج، لا أعلم ما الذي حدث لي وجعلني بتلك الحالة، ولكن حديثها معي خفف عني قليلاً، لذا اكتفيت بالنظر إليها والابتسام لعلها تفهم ما أريد قوله، فبادرتني بابتسامة أيضاً وربتت على يدي ونهضت، فتحدثت مع الممرضة قليلاً ثم غادرت بعد أن وعدتني بأن تمر علي مرة أخرى.

عدت لسكوني ووحدتي لكن تلك المرة شاركتني وحدتي الممرضة، فبقيت معي باقي اليوم وحتى اليوم التالي لم تغادر قط؛ مملة تلك الممرضة فهي لم تتفوه بكلمة واحدة حتى!! تكتفي فقط بملاحظة الأجهزة وإعطائي الأدوية فقط لا شيء آخر.

تمنيت لو تخرج وألا تعود هنا مجدداً، وأن تمر تلك الطبيبة مرة أخرى فوجودها يريحني بعكس تلك الممرضة الآلية؛ وكأن أمنيتي أجيبت فلقد جاءت الطبيبة ولكن تلك المرة خرجت الممرضة وبقينا أنا والطبيبة فقط.

اقتربت مني هامسة في أذني:" أنت بطلة أتعلمين؟! وكم يتمنى الجميع أن يكون مثلك يوماً ما" وابتعدت عني لتقف عاقدة ذراعيها على صدرها متحدثة بصوت يشوبه الحنق قائلة:" لكن أتعلمين أنا لست منهم، فأنا لا أتمنى أن أصير مثلك، فحالتك تلك مخزية وسيئة.. فأنا لا أرى ما هو بطولي بتصرفك هذا ولا أعترف بأن تلك شجاعة، بل هي حمق وغباء أن تضعي نفسك أمام الخطر لأجل غيرك فتلك هي الحماقة بعينها.. لماذا لم تموتي وحسب؟! لماذا تشبثتِ بالحياة وظللت على قيد الحياة حتى الآن؟! لكم أتمنى موتك الآن، أتمنى أن أقتلك هنا وبطريقة أبشع مما تتصورين.. لكني مقيدة ولا استطيع للأسف.

تلك الوظيفة الحمقاء هي من تقيدني؛ لكني أعترف لكِ إن لم أكن في دوامي لقتلتك وبيديّ هاتين". صدمت من ذاك التحول السريع أهي مختلة؟! أهي طبيبة من الأصل؟! ما الذي غيرها لتلك الدرجة؟! إنها مجنونة بالفعل.

خشيت من أن تفعل لي مكروهاً، فحاولت الحراك أو الصراخ لكني لم أستطع، حتى عيناي أبتا أن تدمعا.. للحظات ظننت أني سأقتل على يد تلك المخبولة، فبدأت بترديد الشهادتين في داخلي وظللت أدعو الله أن يسامحني ويغفر لي عثراتي وضياعي لأوقات الصلوات، وفجأة طرقت الممرضة الباب ونادت على الطبيبة لتتوجه صوب الباب وتخرج..

تنفست الصعداء وحمدت الله على ذهابها وسررت لوجود تلك المملة بجواري من جديد؛ حقاً لقد صدق القائل" لا تحكم على الثمرة من مظهرها فربما كانت مرة الطعم من الداخل", أخطأت الظن بتلك الطبيبة وظلمت الممرضة فاتضح الحال أن الظاهر غير الباطن.

لم أستطع إغلاق عيني ليلتها من شدة الخوف والتفكير في تلك الطبيبة المخبولة، فدارت الأسئلة ببالي وتناطحت الاستفسارات برأسي، لدرجة أني شعرت بالصداع وكأن طاحونة برأسي تدور وتدور؛ لم أستطع التوصل لنتيجة واحدة تبرر ما فعلته تلك الطبيبة ولم أفهم ما الذي حدث لها فجأة، ولمَ هذا التغير والتحول الغريب المفاجئ.. أهي مجنونة؟! ربما جنت من كثرة علاجها وملازمتها للمرضى النفسيين لم أتوصل إلا لتلك النتيجة..

الفصل الحادي عشر :

اقتحام :

لا أدري متى أغلقت جفوني وخلدت للنوم، لكن ما أعلمه جيداً أني استيقظت فزعة من صوت ارتطام قوي وصراخ وأصوات رصاص يتطاير يمنة ويسرة خارج الغرفة؛ خلع قلبي لعلو الصوت وخفت من شدة وطأته لدرجة أني لم أعي للساني وهو يردد الأذكار والأدعية بالحفظ والحماية.

رددتها مراراً و تكراراً "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، زاد الترديد وارتفع الصوت حتى تنبهت لصوتي؛ فلقد تحدثت وخرج الصوت أخيراً من فمي، لفرحتي صرت أضحك وأحمد الله على رده لصوتي وقدرتي على الكلام، ونسيت ما يحدث بالخارج حتى وإن جسدي تحرك من جديد..

فتحركت من على الفراش ونهضت بحذر واتجهت لباب الغرفة ببطء وتروي أنصت لما يحدث بالخارج، عند اقترابي من الباب سمعت أصواتاً مميزة كأني سمعتها من قبل، كان صوت رجلين يتناقشان في شيء ما ربما أو يتشاجران، وفجأة ساد الصمت وسمعت خطوات أقدام تقترب من الغرفة فاختبأت خلف الباب وأمسكت بمزهرية ورد كانت بجواري على المنضدة وتأهبت للدفاع عن نفسي وحياتي، وعندما فتح الباب هويت بالمزهرية فوق رأس الداخل.

لم أنتبه لهيئته ولا لشكله أو حجمه إلا عندما سقط على الأرض ورأيته، "تباً إنه الدجال، ما الذي جاء به إلي هنا مجدداً وما هذا الذي يحمله بيده؟!.. إنها..إنها سكين لاا...لا لقد جاء لقتلي".

حاولت بصعوبة سحب جسده للداخل وبعد الانتهاء من جر هذا الحمل، توجهت للباب وأخرجت رأسي أنظر يميناً ويساراً بحذر فلم أرى أحداً، فخرجت مسرعة راكضة بقدمين عاريتين أبحث عن أي شخص، ولكن كأن المستشفى خالية لا أحد بها، ترى أين ذهب الجميع؟!" لا يوجد أحد بهذا الطابق" نطقتها بصوت هامس وهممت للبحث في جميع الغرف فلم أجد أحد لا أطباء ولا حتى مرضى، أين اختفى الجميع؟! وجدت المصعد فاقتربت منه وضغطت على الزر، وحين فتح رأيت دماءً كثيرة على الأرض والحائط وباب المصعد من الداخل.

يا إلهي ما الذي حدث هنا؟! فزعت من المنظر فتركت المصعد وركضت نحو الدرج، هبطت للأسفل علي أفهم ما يحدث هنا، وعندما اقتربت من الدرج السفلي سمعت أصواتاً كثيرة فهبطت ببطء، ونظرت بحذر فوجدت رجالاً ملثمين بسواد؛ يحملون أسلحة ويجبرون الجميع على الجلوس أرضاً كانوا كلهم مقيدين.

أطباء وممرضات ومرضى حتى إن العمال مقيدون أيضاً، ورأيت حارس أمن وحيد ملقى على الأرض ينزف دماً من جسده؛ ربما الدم بالمصعد هو دمه.

"يا إلهي إن المستشفى يتعرض للمداهمة ولكن لماذا؟! وكيف؟ ولمَ أنا تركت بمفردي بالغرفة في حين أن جميع المرضى هنا مقيدون؛ وما الذي أراده الدجال مني ربما هو معهم وأتى ليقيدني، مثلهم ولكن لمَ جلب السكين معه ربما جاء لقتلي كما اعتقدت، يا إلهي أنقذنا جميعاً من هذا الإرهاب.

لا أدري ما الذي سأفعله ولا كيف أتصرف، من أين احضر النجدة فأنا لا أعلم أحداً هنا ولا هاتف لدي لاتصل بالشرطة.. ولكني تذكرت شيئاً؛ بالأعلى رأيت هاتفاً أرضياً في الاستقبال، سأصعد وأحاول الاتصال برقم الشرطة".

دارت بعقلي العديد من الاستفسارات المتلاحقة، وبالفعل صعدت ببطء وحذر شديدين حتى وصلت للهاتف وحاولت الاتصال، لكن دون جدوى فلقد كان الهاتف معطلاً؛ بالطبع قطعوا جميع الخطوط كي لا يتصل أحدهم بالشرطة.

بحثت في جميع الغرف علي أجد هاتفاً محمولاً؛ وأحمد الله أني وجدته في النهاية وطلبت رقم النجدة:" مرحباً الشرطة معي؟ أنا مريضة بالمستشفى ونتعرض للاختطاف من قبل ملثمين ..لا أعلم اسم المستشفى أرجوك أنقذنا، ماذاا؟! لاا..لا لست مجنونة أقسم لك أننا مختطفون، ما الذي تقصده ب كيف اتصلت بكم ونحن مختطفون؟ لقد كنت بغرفتي ولم أكن أعلم أننا مختطفون، ولكنني خرجت من غرفتي ورأيتهم بالأسفل، لقد كانوا مقيدين والأمن قتل على أيديهم أرجوكم أسرعوا، أنقذونا فنحن في خطر.. لاا لا تغلق الهاتف انتظر..لا أعلم اسم المستشفى!! ولكن انتظر سأبحث عن اسمها، من المفترض أن يكون مكتوباً هنا على الأوراق.. نعم وجدته..مستشفى السلام الخاص، أسرع أرجوك.. شكراً؛ حسناً سأنتظر في غرفة آمنه وأغلق على نفسي حسناً حسناً، أسرعوا..شكراً"..

وما إن أنهيت الاتصال حتى ومض بعقلي سؤالاً مهماً:" كيف الاسم بالعربية وأنا في بلاد أجنبية؟! ما الذي يحدث هنا؟! كل الأوراق بالعربية حتى إن أسماء الأطباء عرب أيضاً..

كيف حدث هذا؟ ألم أكن قبل أيام بدولة أجنبية بريطانيا أعتقد أم هي الولايات المتحدة؟! لا أتذكر ولكن كيف جئت إلى هنا، ما الذي يحدث لي؟! تباً لم أعد أعي شيئاً..

دارت رأسي من جديد وشعرت بالدوار والصداع مجدداً.."لاا لقد عادت الأصوات لتلاحقني مرة أخرى لاا؛ أخرجي من رأسي فهذا ليس وقتك أرجوك اتركيني وشأني، فأنا لم أعد أحتمل.. ما الذي يحدث لي؟ فكل شيء يدور من حولي و الأرض تتحرك، كما أن السقف يقترب مني".

صرخت وأنا أنظر من حولي ممسكة برأسي، وفجأة أظلم كل شيء فصرخت بفزع:" لاا..ما هذا الظلام؟ أين أنا؟ من أطفأ الأضواء؟ ما الذي حدث؟ من هنا؟ أصوات من هذه هااي؟ هل هناك أحد؟ النجدة..هيا أشعلوا الأضواء فأنا أشعر بالخوف أرجوكم أضيئوا الأنوار..

حاولت البحث عن أي شيء بجواري والبحث عن مصدر تلك الأصوات أو لمس أي شيء بجواري، لكن لم أجد شيء فقط الصوت ولا شيء آخر، ربما كانت أطيافاً تجوب من حولي، فصرخت إلى أن بدأ صوتي في الخفوت

وأحسست بضيقاً في النفس فحاولت التهوية بكفي مستنجدة" أرجوكم أرجوكم أرجوك....م"وغبت عن الوعي..

متاهة بداخل متاهة :

.."لا أعلم ما الذي حدث؟! بعدما كادت حالتها تتحسن عادت للخلف مجدداً؛ لقد توقعنا أنها ستستيقظ خلال هذا الأسبوع نظراً لإشاراتها الحيوية الجيدة لكن توقعاتنا كللت بالفشل.

في حياتي كلها لم أقابل أو أتعامل مع حالة كتلك، إنها حالة استثنائية بالفعل؛ لا بالطبع أنا لا أخدعكم، هذا ليس اتهاماً لي وحسب بل هو لمهنتي أيضاً!! سيدي انظر أفضل الأطباء العرب هم من يتعاملون معها وهم متخصصون في ذلك النوع من الحوادث؛ لذلك وجب عليك احترام عملنا ومحاولاتنا المبذولة؛ حسناً حسناً.. سأنتظرك في مكتبي والآن وداعاً كي لا أزعج الحالة أكثر بمكالمتي"..

أفقت على تلك الجمل، شعرت بأني سمعت ذاك الصوت من قبل، ولكني لا أرى أي أحد هنا فالظلام حالك؛ هااي هل من أحد هنا؟ هل يسمعني أحد؟ أرجوك يا صاحب الصوت أنقذني من هذا الظلام فأنا أخاف من الظلام أرجوك!! لقد اختفى الصوت لابد أنه رحل وتركني بمفردي.. أرجوكم لينقذني أحدكم أرجوكم.

ازداد صراخي ممتزجاً بالدموع.. حاولت تهدئة نفسي والصمت ولكن لم أستطع، فالظلام هذا مرعب كما أني أسمع أشياءً تتحرك هنا وهناك وخربشة تقترب مني وأشتم رائحة غبرة، يا إلهي كم أكره الغبار لا استطيع التنفس وسط كل تلك الغبرة أرجوكم"

..بدأت في السعال حتى ظننت أن صدري سينفجر" أنقذوني من هنا، يكاد نفسي أن يكتم أرجوكم ساعدوني"، لا أعلم أين أنا ولا ما الذي يحدث من حولي ولا أصوات ماذا تلك، كل ما أعلمه هو أني خائفة لدرجة الموت رعباً من هذا المكان..

أغمضت عيني كي أكسر هذا الظلام بظلام عيني، فظلام عيني يشعرني بالراحة إلى حد ما مقارنة بالظلام الحالك المحيط بي من كل مكان؛ ورددت الأذكار ودعوت ربي ورجوته أن يخلصني من هذا المكان وأن يدلني لمكان أفضل من

هذا كله، دعوت ودعوت و دعوت بدون كلل أو ملل فأنا على ثقة تامة أن الله سينقذني من ذاك الوحش المحيط بي بكل أطرافه؛ وما كدت أنتهي من دعائي هذا حتى آتى الفرج فلقد رأيت ضوءً يقترب من بعيد، بدأ يقترب مني شيئاً فشيئاً حتى صرخت" يا للهول إنه طفل؛ ولكن ما الذي يفعله طفل مثلك هنا؟ المكان موحش يا فتى فما الذي جاء بك إلى هنا، هيا أخبرني؟"

فجأة تحدث صاحب الضوء في حنان:" مرحباً يا حارستي ألم تتعرفي عليّ؟ أنا رامي أخوك"، شعرت بسعادة تغمرني فصحت بفرح "راامي!! أنت هو رامي إذاً؟ أعذرني لم أعرفك في البداية، رامي سامحني فأنا لا أتذكر أحد ولكن ماذا تفعل هنا؟ وبمفردك!!"

فأجاب سؤالي وكله ثقة:" لقد أتيت لإنقاذك وإخراجك من هنا يا أختي، هيا بنا" تهللت أساريري من حديثه فأسرعت مستفسرة:" ولكن كيف علمت مكاني وكيف آتيت بمفردك؟" فأجابني باطمئنان تام:" أنا أعلم مكانك منذ مدة، حاولت إنقاذك ولكن لم أستطع فآتيت بمساعدة والداي وإصرار من عائلتك".

وقعت الكلمة الأخيرة على مسمعي كالجمر:"عائلتي!!"، فبادرته متسائلة:"عائلتي و والديك يعلمون مكاني؟ ولكن أين هم؟ أين هي أمي وأبي، أين هم؟"، فأجابني والبسمة على وجهه:" هم هنا لطالما كانوا هنا"...

نظرت حولي لأبحث عنهم فسألته بلوعة:" أين، أنا لا أراهم؟ " فأجابني مشيراً لقلبه:" بالطبع لا ترينهم لأنهم بقلبك وعقلك وروحك"، شعرت بخيبة أمل فأنفلت من لساني سؤالاً بعدم صبر:" لا أفهم ما الذي تعنيه؟ لمَ كل هذا التعقيد؟!".

نظر لي ضاحكاً فأسرع مطمئناً لي:" لا تغضبي فنحن جميعنا لطالما كنا بذكرياتك وبمشاعرك وعواطفك وأدعيتك وأمانيك وأحلامك، نحن بقلبك يا مي متربعين في قلبك الأبيض الصافي، فهيا انهضي وخذي بيدي لنخرج من هنا".

فرحت لجملته تلك فسألته بلهفة:" إلى أين؟! أتعلم طريق الخروج رغم هذه الظلمة؟"، فأجاب:" نعم أعلم هيا انهضي واتبعيني وسنخرج؛ فقط هاتي يدك واتبعي هذا الضوء هيا"، نهضت من فوري وأخبرته:" حسناً سأمسك بيدك واتبعك، ولكن لا تترك يدي مهما حدث ومهما واجهتنا صعاب".

مد يده لي لأمسكها ووعدني:" وعد مني لن أتركك ولكن ثقي بربك وبنفسك وبي وسنخرج سالمين من هذا الكابوس البشع.. هيا انهضي يا مي، مي اتسمعيني؟ مي انهضي كفاكِ يأساً وسلبية هيا انهضي، فلقد وعدتني أن نعود سوياً لمصر وعدتني برحلة طويلة الأجل لمصر، هيا فلتنفذي وعدك فوعد الحر دين عليه.

هكذا علمتني هيا يا أختي فلتنهضي من سباتك الطويل هذا هيا هيا" ..شعرت بيداً تربت على كتفي ويداً تهزني ودموعاً حارة تسقط على وجهي..

الفصل الثاني عشر :

بصيص من الضوء :

..فجأة توقفت الفتاة عن سرد القصة ونهضت بإتجاه الباب الزجاجي دون أن ترفع رأسها تحاول فتحه دون جدوى، كررت فتح الباب مراراً وتكراراً ولكن باءت محاولاتها بالفشل.

فجأة توقفت ورفعت رأسها لأعلى وثبتت عينيها على مي فتجمدت الدماء في عروق مي، لقد كانت بلا ملامح، لا يوجد بوجهها شيء سوى عينين!! صرخت مي وقفزت للداخل عائدة للوراء فزعة من هول ما رأته، فلم تستطع تصديق ما رأته للتو.

حدثت نفسها بخوف:" ولكن كيف؟! إذاً كيف كانت تتحدث وتروي القصة بدون فم؟! بل كيف تستطيع التنفس بلا أنف؟! لا أستطيع تخيل نفسي مكانها، بل لا

أستطيع تصديق ما رأيته منذ قليل كيف ومن تلك؟! لا أعلم!! حاولت مي الاقتراب من النافذة والنظر جيداً للفتاة ولكن قدماها أبتا التحرك فلقد تجمدتا من الخوف.

حاولت مي تحريك قدميها والتوجه للأمام قليلاً، ولكن دون جدوى وأثناء محاولاتها تلك سمعت صوت الفتاة بالخارج تتحدث بصوت مرتفع؛ موجهة حديثها تلك المرة لمي منادية باسمها:" مي مي مي" مما أفزع مي أكثر وكاد قلبها أن يتوقف من شدة خوفها:" كيف علمت تلك الفتاة أن اسمي مي؟!" تقافزت ضربات قلب مي عالياً وتصبب العرق من وجهها، وازدادت درجة حرارتها فشعرت بأن جسدها سينصهر من شدة الحرارة وبدأ جسدها يرتجف خوفاً، ولا زالت الفتاة تنادي بأعلى صوتها:" مي..مي..مي"، ولاشيء آخر سوى النداء بصوت جهوري قوي، وفجأة وبدون أية مقدمات بدأ جسد مي يترنح وشعرت بهبوط مفاجئ في ضغطها لتسقط مغشياً عليها..

غاصت مي في إغمائها العميق ذاك وتداخلت الفتاة معها في حلمها مكملة ما تركته سابقا.. كان أحدهم يبكي بجواري فتحت عيناي ببطء ووقعت عيناي عليه إنه رامي بالفعل ولكن كيف؟! "إذاً كل هذا كان حلماً".. بمجرد استيقاظي صرخ رامي فرحاً مناديا باسمي:"مي أفاقت، فتحت عينيها، مي أفاقت، مي أفاقت هيا اركضوا"..

وبعد ثواني وجدت الغرفة قد امتلأت على عقبيها بالأطباء يتحدثون بلغات عدة، فمنهم العربي ومنهم الأجنبي وتكرر نفس المشهد، فجميعهم مندهشون مما حدث كما بدا جلياً على وجوههم.. وبينما أنا في مراقبتي تلك لوجوههم وجهاً وجهاً، توقفت عيناي عند وجه أحدهم بدا لي مألوفاً؛ نعم لقد رأيت هذا الوجه من قبل؛ أجل أشعر أنني رأيته من قبل ولكن أين؟ ومتى؟ ومن يا ترى؟

ولكن نظراتها لي كانت عجيبة فهي لم تزل عينيها من عليّ، ولم تتحدث أيضاً معهم.

فقط كانت تكتفي بالنظر لي، كأن عينيها تريد إخباري بشيء نعم، أهو خوف ربما، لا بل امتنان ولكن لمَ وهل تعرفني؟..

أجل!! تذكرت إنها هي بالتأكيد هي، نعم تذكرتها إنها السيدة المختطفة في مخزن الدجال وشريكه، أجل السيدة التي سمعتها تصرخ وترجو منهم تركها وشأنها لأطفالها أجل هي!! ولكن ما الذي تفعله هنا وبهذا الزي؟ ما الذي يحدث هنا؟ لمَ كل من أعرفهم يرتدون زي الأطباء؟ لم أعد أفهم شيئاً مما يحدث لي، ربما أنا في حلم مجدداً وهؤلاء كلهم شخصيات في مخيلتي فقط، ولكن كيف؟ فأنا أشعر هذه المرة بشيء مختلف نعم، أشعر بأن هذا كله حقيقي وهذا واقع وكل من بالغرفة حقيقي وليس مجرد حلم أو خيال.

نعم فهذا رامي الذي يمسك بيدي إنه حقيقي أستطيع الشعور بدفء كفيه، وهؤلاء الأطباء حقيقيون فصراخهم وحديثهم ثقب طبلة أذني؛ وتلك النظرات حقيقية فهي توصل لي رسالة امتنان وشكر ولكن لا أعلم لماذا؟! فأنا لم أحررها من ذاك المخزن بل الرجل الغريب.

وبينما أنا في شرودي ذاك تنبهت لأحد الأطباء وهو يتحدث إليّ قائلاً :"آنسة مي هل تسمعين أحاديثنا؟ هل أنت موقنة لمَ يحدث من حولك؟" لم أتحمل تأجيل الرد ثانية بعد، فوراً تحدثت كي أسمع صوتي مجدداً:" أجل أسمعكم، نعم موقنة أنا بخير تماماً".

فرح الأطباء عندما سمعوا صوتي، وسمعت عبارات شكر الله بمختلف اللغات فأحدهم قالها بالعربية والآخر بالإنجليزية والثالث قالها بالفرنسية..

في الحقيقة فرحتي بسماعي لصوتي فاقت فرحتي بنهوضي من غيبوبتي تلك، كما سمعت الأطباء يتحدثون؛ حينها علمت بأنني كنت بغيبوبة مدة شهر تقريباً، لم أفق إلا نادراً كنت أفتح عيناي وأغلقهما مجدداً بدون حركة أو صوت؛ لم أصدق!! قرابة شهر بقيت في سباتي ذاك، شهر إلا بضعة أيام دون حراك أو كلام أو حتى دون شعور بما حولي؛ شهر إلا القليل وأنا نائمة لا أعي ما حولي ولا أعلم كيف تدهور حالي لتلك الدرجة ولا ما هو السبب؟ شهر تقريباً وأنا أعتقد بأن كل ما يحدث لي من أصوات وأحداث غريبة وهواجس هو حقيقة!!

شهر تقريباً وأنا معتقدة بأني مسحورة وأهلوس؛ يا لها من مدة طويلة كفاية كي تحدث فيها حروب وحوادث!!..

خرج الأطباء وبقيت أنا ورامي بمفردنا بناءً على رغبتي؛ تحدثنا كثيراً كم هو لطيف ومرح لم أكن أتوقع أنه بمثل تلك اللطافة والخفة والمسئولية أيضاً؛ تذكرت أحداثاً من كلامه وتذكرت بعض أوقاتنا معاً، تذكرت شيئاً مهماً وأنا أتحدث مع رامي؛ فسألته:" رامي اعذرني لأني لا أتذكر الكثير ولكن هناك شيئاً مهماً حدثتني به في حلمي، لقد أخبرتني عن عائلتي أين هم؟ لا أرى أحداً هنا سواك والأطباء، أين هي عائلتي؟! " تغير لون رامي بعد سماعه لسؤالي وصمت قليلاً ثم قال بتردد.....

المسخ:

"الله أكبر... الله أكبر"...استيقظت مي فجأة على صوت آذان الفجر، متلفتة حولها بفزع لتعلم إن كان كل ذلك حقيقة أم حلم، لتجد نفسها ملقاة على الأرض بجوار النافذة بحوالي متر.

وما إن وقعت عيناها على النافذة المفتوحة حتى تذكرت الفتاة المشوهة وتذكرت آخر شيء وهو نداءها المتكرر لاسم مي، سرت قشعريرة باردة بجسد مي نتيجة للهواء البارد المنبعث من النافذة فتحاملت على نفسها حتى نهضت وتوجهت لإغلاقها، كانت تقترب بخوف منها داعية الله بأن تكون الفتاة اختفت وكلما اقتربت سنتيمتراً واحداً تسارعت ضربات قلبها، وما إن التصقت بالنافذة حتى أغمضت عيناها ودعت الله أن يكون الطريق خالياً تماماً، ثم بدأت تفتح جفونها شيئاً فشيئاً حتى تنفست الصعداء فلقد كان الطريق كما تمنت خالياً لا غرفة به ولا حتى الفتاة، تلفتت يميناً ويساراً لتطمئن أكثر بأن الفتاة اختفت وقد كان ما ترجوه.

وما إن فرغ المؤذن من الآذان حتى أغلقت مي النافذة، وتوجهت لإيقاظ صديقتها لصلاة الفجر وبعد الإنتهاء من الصلاة ذهبت منى لإكمال نومها، أما مي فظلت مستيقظة تفكر بالفتاة وما حل بها ليتشوه وجهها بتلك الطريقة البشعة، أو ربما ولدت بتلك الهيئة ولكن كيف تتنفس وكيف تتحدث؟!

ظلت مي حتى شروق الشمس تفكر بالفتاة لم يغمض لها جفن بعد ما عاشته طيلة الليل، وكيف يغمض لها جفن وقد عاشت قصة رعب حقيقية وليس فيلماً أو

رواية خياليين!! ولكن ما غفلته مي هو؛ ماذا أرادت منها تلك الفتاة؟! ما الذي دفعها لتنادي باسمها، هل تعرفها؟!

بعد هذا الشوط الطويل من التفكير نهضت منى من نومها العميق وتوجهت لخارج الغرفة؛ حيث دورة المياة وصدمت عندما رأت مي جالسة على الأريكة شاحبة الوجه تحيط بعينيها هالات سوداء، فنظرت لساعة الحائط المعلقة بالصالون لتجدها التاسعة صباحاً، فركضت تجاه مي الجالسة على الأريكة العاقدة لرأسها بحزام لرداء نومها من شدة صداعها، لتنهال عليها بالأسئلة إن كانت بخير أم لا؟ وما الذي حدث حتى تتحول لهذا المنظر، ولماذا تزال مستيقظة حتى هذه الساعة؟ ألم تغفو بعد الصلاة؟! بدا عليها الخوف عند رؤية صديقتها بتلك الهيئة فما الذي حدث لك يا مي حتى بدوتِ بتلك الحال؟!

كالأم المتورمة الرأس نتيجة لصراخ طفلها الرضيع طيلة الليل ولم تستطع النوم نتيجة لبكائه المتواصل، ضحكت مي رغم إرهاقها لهذا التشبيه المضحك مما أزعج منى كثيراً التي صرخت عليها لسخريتها من خوفها عليها، غضبت منى كثيراً وانهالت على مي باللكمات حتى إنها قامت بضربها بالوسائد، فاستمرت حرب الوسائد هذه طويلاً حتى صبت كافة غضبها على صديقتها علها تشعر بالأسف من سخريتها تلك.

اكتفت مي بتلقي الهجمات من منى بدون دفاع أو حتى مواجهة علها تستريح من حمل هذا العبء قليلاً، أو ربما حتى تمتص تلك الوسائد غضب صديقتها.. بعد انتهاء معركة الوسائد تلك وفوز منى بالتأكيد لإلقائها أكبر كم من الوسائد على صديقتها، اتفقتا الصديقتان على عقد هدنة بينهما مدتها مدى الحياة بعدم تعرض إحداهما بالغدر للأخرى، وتم الاتفاق ولكن بعد عقاب الخاسر الذي كان:- إعداد الثلاثة وجبات الأساسية: الإفطار والغداء والعشاء بجانب المشروبات والوجبات الخفيفة بين كل وجبة والأخرى.

وبعد الإنتهاء من تناول الإفطار قررت الصديقة الإنصات التام لمي ومعرفة ما يقلقها كل هذا الكم، وأقسمت بمساعدتها مهما حدث ومهما واجهتها من صعاب، حتى وإن كان ما تواجهه أحلاماً وكوابيساً لا أصل لها في الواقع، لذلك بعدما

أعدت الخاسرة كوبين من الشاي بالليمون كما تحبانه جلست بجانب منى على الأريكة حيث كانت متربعة ومعها قلم ومفكرة لتدون ما تقصه عليها مي.

فبدأت مي بقص التالي على صديقتها بصوت مرتجف وصداع يكاد أن يفتك برأسها، بعد أن ارتشفت رشفة من كوب الشاي بالليمون:" حسناً، لقد بدأ الأمر منذ ظهور الفتاة الغريبة والحجرة الزجاجية التي حدثتك عنهم، لقد كانت تقرأ ما دُوّن في كتاب كان أمامها، كانت يوميات ربما.. عن فتاة تدعى مي، تحمل الاسم ذاته ربما هي صدفة، لا أعلم ولكن اليوميات تتحدث عن هلوسات تسمعها مي وأحاديث، فهي لا ترى من يتحدث بها فقط تسمع أصواتاً وتحدث لها تشنجات أعتقد أو شيء من هذا القبيل، وارتجافاً في كافة جسدها، كما يؤلمها رأسها فكلما سمعت تلك الهلوسات وحدثت لها تلك التشنجات أعقبها ألم شديد في الرأس.

الفتاة؛ أي مي أقصد!! ما علمته من يومياتها أنها تدرس في الخارج في بعثة تعليمية في إحدى الدول الأوروبية، بمفردها في تلك البلاد لا رفيق أو أنيس معها، كما أنها لا تعلم أي شيء عن عائلتها ولا تتذكر عنهم شيء، كل ما تعلمه هو بضعة رسائل إلكترونية من شخصين محمد وفاروق تظن أنهما ضابطان في الشرطة أو شيء من هذا القبيل.

حسناً كما أن مي تعرضت لحادث أظنه حادث سيارة؛ نتيجة له أُصيبت في يدها وساقها ورأسها، ولديها أخٍ ليس بشقيق يدعى رامي ليس مسلماً كما أعتقد، تعرفت عليه في عملها فهي مربية لهذا الفتى، عملت في منزلهم كما أن عائلته من أصل عربي، والده طبيب ووالدته مهندسة كما أتذكر، أعتقد أن أسماءهم كانت:" إسحاق يوسف وماري عزيز".

لا أعلم ما جنسيتهما ولكن ما أذكره من أحلامي ومن سرد الفتاة أن مي لم تكن تعلم جنسياتهم، في اليوميات ذكرت مي أيضاً أنها قابلت مريم أوروبية الجنسية مسلمة الديانة _زوجة فاروق الشرطي_ كانت لديهم ابنة صغيرة أصيبت في حادث تفجير فاشل لمسجد قريب من مدرسة الطفلة..

الطفلة لم تصب إصابة بالغة لذلك أعتقد أنها بخير إلى حد ما، إمممم ماذا بعد؟!! نعم؛ نسيت الدجال.. لقد ذهبت مي لدجال ظناً منها أنها مسحورة ولكنها اكتشفت أن الدجال ما هو إلا لص ومختطف، فلقد اختطف سيدة واختطف مي

أيضاً عندما سمعت صراخ السيدة، ولكن الغريب أن مي رأت هذا الدجال وتلك السيدة بزي الأطباء في مستشفى ما، فلقد كانت مي مريضة في تلك المستشفى ورأت أيضاً طبيبة مجنونة كانت تتشفى في ما أصاب مي وتتهمها بالإجرام والإرهاب، هذا ما أذكره" ثم أكملت ارتشاف ما تبقي من كوب الشاي.

صمتت صديقة مي قرابة العشر دقائق مفكرة، بعدما انتهت من تدوين ما قصته مي عليها لتنهض صارخة:" وجدتها".

لم تستوعب مي سبب صراخ صديقتها ولا ما الذي تقصده بهذه الكلمة، لذلك نظرت إليها بعدم فهم فكررت صديقتها نفس الكلمة ولكن مع بعض التفسير:" وجدتها، لقد وجدت طرف خيط لأحلامك تلك كل ما علينا فعله هو الذهاب للمكتبة فوراً والبحث في الانترنت، فباقتي انتهت للأسف لذا هيا انهضي بسرعة، صحيح أننا بحثنا من قبل عن تفسير لتلك الأحلام ولم نحصل على نتيجة، لكن تلك المرة أعتقد بأننا سنجد الإجابة".

ساقتها صديقتها بدون وعي كالماعز، وأسرعتا لتبديل ملابسهما للخروج بسرعة بدون أن تتفوه مي بكلمة، فقط رافقت صديقتها وفضلت أن تُساق كيفما تشاء صديقتها.

وما هي إلا نصف ساعة حتى وصلتا للمكتبة، وبالداخل أسرعت صديقة مي إلى الكمبيوتر باحثة في متصفح" جوجل" عن جملة" محاولة تفجير فاشلة لمسجد في دولة أوروبية"، لتظهر لها العشرات من المواقع والصور والأخبار عن تلك الحادثة أو عن حوادث أخرى شبيهة لها حدثت لمسلمين في أكثر من دولة وبلد أوروبي ... # حقيقة#

#حقيقة# 28 يناير : 2017حريق يلتهم معظم مبنى مسجد في بلدة فيكتوريا التابعة لمدينة هيوستن بولاية تكساس الأمريكية.

– 16 أكتوبر 2016 مجهولون يرشقون بالحجارة مسجد «رانشلاندس» التابع لجمعية «شمال غربي كالغاري الإسلامية» في مدينة كالغاري بمقاطعة ألبرتا الكندية، مما أدى إلى تحطم نوافذه

_ 28 سبتمبر2016 :انفجار عبوة ناسفة بدائية الصنع داخل مسجد بمدينة «دريسدن» شرقي ألمانيا.

_ 25 ديسمبر2015 : إطلاق نار من نقاط عدة على مسجد بمركز تجاري في مدينة هيوستن الأمريكية ، مما أدى إلى إندلاع حريق داخل المسجد دون أن يصاب أحد بأذى.

_ 2015مجموعة من المتظاهرين تهاجم مصلى للمسلمين داخل حي شعبي في أجاكسيو بجزيرة كورسيكا جنوبي فرنسا، وتخربه وتحرق مصاحف فيه وتكتب عبارات معادية للعرب.

20ديسمبر :2015: مجموعة من الشباب اليميني المتطرف تطلق على نفسها _حماة الهوية_ تحتل مسجد الفتح في مدينة دوردريخت جنوب غربي هولندا وترفع عليه أعلاما ولافتات معادية للإسلام والمسلمين، وقد تمكنت قوات الأمن من محاصرة الطرق المؤدية إلى المسجد وإيقاف المجموعة المعتدية.

_ 7-8 يناير 2015 : تعرض ثلاث مساجد لإعتداءات لم توقع أية ضحايا في ثلاث مدن فرنسية، حيث ألقيت قنابل يدوية صوتية على مسجد بمدينة لومان، بينما أطلقت رصاصتان على قاعة صلاة للمسلمين في بور لا نوفيل، ووقع إعتداء ثالث في فيل فرنش، ولكن خسائره اقتصرت على تضرر لمطعم محاذ للمسجد.

الفصل الثالث عشر :

سر جديد يتكشف:

وها هي تبحث عن ما حدث من تفجير لمسجد قريب من مدرسة، لتجد مقالاً طويلاً يتحدث عن تلك الحادثة التي حدثت منذ شهر، مرفقة بمقطعاً مصوراً لذلك الخبر باللغة الإنجليزية.. حيث أوضحت المذيعة في الفيديو أقوال لشهود

عيان رأوا الحادث بأم أعينهم، وآخرين تعرض أبناءهم لإصابات جراء التزاحم والهرج والمرج بجوار المدرسة، ومنهم شهادة الشرطي فاروق الذي كان قريباً من المسجد عندما أبلغه أحد المتواجدين بالداخل عن الاشتباه في جسم غريب بداخل إحدى دورات مياة المسجد حيث قال فاروق:" لقد آتينا مسرعين برفقة فرقة لتفكيك المتفجرات إلى مسجد" السلام" عندما هاتفنا أحد المشايخ بالداخل متخوفاً من وجود جسم غريب، داخل صندوق بلاستيكي صغير في دورة المياة للسيدات وبالتالي؛ أسرعنا برفقة الفرقة حيث البلاغ لنفاجأ بوجود قنبلة بالصندوق وأثناء محاولة تفكيكها فوجئنا بتسرب الأخبار وانتشارها سريعاً في مدرسة الطفل"The child" المجاورة للمسجد، مما أدى لهروب المعلمات والأطفال خارج المدرسة وتكدس المارة وبالتالي حدوث إصابات بين الأطفال واختناق نتيجة للتزاحم، ولكننا بفضل الله استطعنا السيطرة على القنبلة قبل انفجارها.

ونجحت فرقة التفكيك بإحباط عملية التفجير" كان هذا كلام الشرطي فاروق المسئول عن أمن الجالية المسلمة بهذه المنطقة والذي علمنا فيما بعد عن إصابة ابنته ذات العشرة سنوات في ذلك الازدحام عند المدرسة المذكورة..

كما ذكرت عدة مصادر عن إصابة خطرة لشابة تبلغ من العمر الواحد والعشرين، قيل أنها مكتشفة القنبلة داخل المسجد، أصيبت نتيجة لمحاولة دعسها خارج المسجد لرؤيتها المتسببين عن وضع القنبلة بالداخل..

ولكن هذا ليس بخبر مؤكد بعد، كما يقال أيضاً بأنها متورطة في بعض أعمال شغب منذ شهر في إحدى دور السينما المتواجدة في هذه المنطقة نتيجة لأقوال شهود آخرين.. وفي النهاية نتوجه بالشكر لإمام المسجد الذي أبلغ الشرطة على الفور بوجود القنبلة كما نتوجه بشكر الشرطة وعلى رأسهم فاروق الذي نتمنى الشفاء العاجل لطفلته ولكل مصاب في هذا الحادث الشنيع..

انتهى الفيديو وانتهت الأخبار عن تلك الحادثة الأليمة، التي لم يذكروا فيها لا اسم الفتاة ولا ديانتها أو حتى صورة لها..

ولكن ما قرأته مي وصديقتها عن الحادث وعن ابنة مريم وفاروق أكد لهما حقيقة أحلام مي الغامضة، وحقيقة الفتاة الغريبة خارج المنزل وأن هناك بالفعل

لغزاً فيما يجري، بحثت مي وصديقتها عن نفس الخبر للإطلاع أكثر ولمعرفة المزيد، ولكن محاولاتهما باءت بالفشل لذلك قررتا الكف عن البحث عن تلك الحادثة لهذا اليوم والعودة للمنزل لترتاح مي، فما رأته وعلمته حتى الآن قد أعاد لها حالة الشحوب كما ازداد ألم الصداع مجدداً..

بمجرد عودتهما للمنزل ذهبت مي لغرفتها وألقت بجسدها المنهك على الفراش، وما هي إلا دقائق حتى غطت في سبات عميق وعادت الفتاة الغريبة للسيطرة على أحلامها، وإكمال ما بدأته منذ ليالٍ فظهرت لها الفتاة بغرفتها الزجاجية وطاولتها ومقعدها المعتادين، وها هي تبدأ سرد الباقي من القصة...

" الحقيقة الناقصة :

:"عائلتك.. إنهم هنا بالطبع ألست أنا منهم؟"، فأجبته بسرعة:" أجل بالطبع أنت أخي فبالتأكيد أنت من عائلتي، ولكن أقصد أبي وأمي وأشقائي إن كان لي أشقاء، أين هم؟!" فأجاب رامي بحنان:" أخبرتك مسبقاً إنهم هنا في قلبك وعقلك".

"رامي لا تخفني أكثر وتزد من توتري، أخبرني الحقيقة بدون ألغاز أين هم؟"..هم رامي متحدثاً:" حسناً..إنهم..." ولكن قاطعته الممرضة عندما دخلت الغرفة فجأة وطلبت منه الخروج، فلقد انتهت الزيارة وسيعود في الغد صباحاً فودعني وخرج؛ لقد أقلقني الأمر كثيراً فلماذا لم يقل ويخبرني منذ البداية، لمَ يلف ويدور بالحديث؟ أيعقل أن يكون قد حدث شيئاً سيئاً لهم؟!

"لاا.. أنفضي تلك المخاوف من عقلك فلا يوجد شيء سيء حدث لهم، ربما هم في مصر ولم يأتوا بعد، نعم ربما!! ظللت هكذا طوال الليل لم أستطع النوم، فلقد طار النوم من عيني فما غفوته حتى الآن يكفيني شهوراً؛ حاولت النهوض من على الفراش ولكن شعرت بآلام في ساقي وذراعي؛ وبعد محاولات متكررة استطعت الجلوس بصعوبة ووضع الوسادة خلف ظهري متكئة عليها، وظللت هكذا أتأمل في الغرفة وأقرأ اليوميات التي تركها لي رامي على الطاولة بجواري، كان كل شيء بها كما حلمت به.

أول لقاء بيننا أنا ورامي، والحادثة كذلك كما جاءت في حلمي، لم أجد حرفاً زائداً عن الحلم" .. تنفست الصعداء بصوت متحدثة لنفسي:"هيييه ما هذا الملل

لاشيء غريب أو مريب، تباً فأنا في هذه اللحظة أفكر في الغرابة، وأنا التي كنت قد كرهت الغرابة والمفاجآت والألغاز التي كانت تحدث لي وتبين أن كلها أحلام وأوهام؛ حسناً ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ ما الذي سيحدث بعد أن أفقت من سباتي العميق؟ جميلة تلك الجملة " سباتي العميق" هل سيحدث لي كما حدث للأميرة النائمة؟ عندما التقت بفارس أحلامها الذي أيقظها من نومها الطويل؟! امممم لا أظن ذلك فأنا استيقظت بمفردي.. لاا... بل بسبب صوت رامي نعم رامي هو من أيقظني لمَ لم أفكر بذلك منذ البداية.

فربما يكمن مفتاح هذا اللغز كله عند رامي، بالتأكيد فهو منذ البداية من يدلني؛ يومياته.. حديثه.. بالطبع السر يبدأ برامي..

لم أستطع الصبر حتى الصباح لأرى رامي فناديت للممرضة، التي اكتشفت أنها تغيرت لأخرى، لم أبالي كثيراً لتغيرها لذلك تجاهلت الأمر وطلبت منها هاتفاً كي اتصل برامي وبالفعل اتصلت به.. :" أهلا رامي أنا مي أعتذر لمكالمتك في هذا الوقت المتأخر، وأعتذر لأني أيقظتك من نومك الهانئ ولكن لم أستطع الانتظار حتى الصباح، حسناً.. حسناً سأهدأ ولكن يجب أن تعدني في البداية أنك ستخبرني بكل شيء، وستجيب على جميع تساؤلاتي.. أجل لابد أن تعدني.. حسناً حسناً هدأت، في بداية الأمر؛ هل تعلم حقيقة الحادث الذي حدث لي؟ هيا أجبني فأنت وعدتني.. حسناً إني أستمع فهيا أجبني.. سأهدأ كما أخبرتك، نعم لقد أخذت أدويتي أقسم بالله أني أخذتها لا تقلق عليّ، وهيا لا تدر بالكلام وأخبرني ما الذي حدث لي يومها ومتى كان؟! آلو آلو مرحبا رامي أين ذهبت!!" .." تباً لقد انقطع الاتصال.

أحسنت يا هاتف لقد اخترت الوقت الغير مناسب لتنقطع عليك اللعنة هاتف أحمق". أنهت جملتها وألقت الهاتف على الفراش من شدة الغضب.

في تلك اللحظة دخلت الممرضة الغرفة وأخذت الهاتف ثم أطفأت الأضواء و خرجت، حاولت النوم ولكن دون جدوى لم أستطع حتى إغلاق جفوني، وظللت هكذا حتى أذان الفجر وطلبت من الممرضة أن تحضر لي ماءً كي أتوضأ وأصلي، بعد صلاتي دعوت الله كثيراً ورجوته أن يلهمني الفهم والوعي الكافيين لأعلم ما حدث وما يحدث وأن تهدأ روحي المضطربة ويهتدي عقلي المشتت.

انتظرت حتى أشرقت الشمس وملأ النور المكان، انتظرت قدوم رامي وأنا أعد الدقائق والساعات، وها قد حان الوقت واقتربت الساعة من التاسعة صباحاً، فنظرت للباب متلهفة للقاء رامي وما إن فتح الباب حتى أسرعت متحدثة بنبرة عالية معاتبة:" لقد انتظرتك طويلاً لم يغمض لي جفن حتى الآن بسببك لتعلم.. ماذا؟! أين رامي، ومن أنت؟! ما الذي يحدث هنا؟! ولمَ هذا الكرسي؟ فلتخبرني من أنت؟ وأين رامي؟ من المفترض أن يكون هو مكانك في تلك اللحظة فأين هو؟" .

نظر لي هذا القادم ببرود أعصاب وتقدم نحوي قائلاً:" لن أجيب على أسئلتك الكثيرة هذه لأني لا أهتم ولا أعلم من هو رامي ذاك، كما أني لا أحب أن أطيل الحديث فأرجوك ساعديني يا ممرضة لنضع المريضة على الكرسي ولأكمل عملي"

لم أستطع الحديث بعد حديثه الفظ هذا، فلقد شعرت بالذهول وفضل لساني الصمت في تلك اللحظة، لذا تجاوبت مع الممرضة وجلست على الكرسي المتحرك، وأخذني هذا الشخص الغريب وخرج بي لغرفة الأشعة بدون أن يهمس أو يصدر حتى صوتاً واحداً.

بعد عمل الأشعة المطلوبة مني عدت لغرفتي مع الصامت الغريب، ولكنه طلب من الممرضة أن تبقيني على الكرسي وألا تعيدني إلى الفراش. لا أعلم لماذا؟! لكني لم أستفسر عن الأمر فقد أردت أن أغيظه ببرود أعصابي كما أغاظني هو، والممل أنه بقي معي في الغرفة أيضاً، بالطبع ليتابع السجلات ويفحص الأجهزة ونبضات قلبي.

وفجأة همس بجملة لم تسمعها الممرضة ولم تعلق عليها لكني سمعتها وكانت:" ستخرجين إذاً وأخيراً، لكم هذا مفرح"

خمنت أنه يقصدني بالطبع ففرحت لاقتراب موعد خروجي من المستشفى، ومن شدة فرحتي طلبت من الممرضة التي تعجبت لتغير حالتي تلك من صامتة لضاحكة أن تعطيني هاتفها مرة أخرى، لكي اتصل وأخبر رامي بالأخبار الجيدة، ففي النهاية ليس لي أحد أعرفه سواه، همت الممرضة لإعطائي الهاتف ولكن الصامت الغريب اعترضها بنبرة غاضبة:" تعلمين أن هذا ممنوع رغم

ذلك تخالفين القواعد، كيف لممرضة متميزة في عملها أن تخطأ مثل هذا الخطأ، إياك وتكرير هذا الخطأ مجدداً وإلا تعرضت لعقاب قاسٍ يا آنسة"

ثم التفت إلي بوجه جامد وصرخ فيّ قائلاً:" أتمنى ألا يتكرر هذا الموقف مرة أخرى فنحن هنا في مستشفى، ولسنا بفندق خمس نجوم كي ننفذ طلباتك يا آنسة، والهاتف هنا ممنوع منعاً باتاً أتسمعين كلامي؟"

لم أستوعب ما فعلته فيما بعد فلقد أجبت صراخه بصراخ:" أأنت أحمق يا هذا؟! أهكذا التعامل مع المرضى؛ من أنت كي تحدثها وتحدثني بتلك الطريقة الفظة على أي حال؟ أنا هنا حرة ولست أَمَة لك يا هذا كي تخاطبني بتلك القسوة؛ فاسمعني أنت جيداً؛ سأخرج من هذا المكان قريباً، وأفعل ما أريد فحالتي أنا أعلم بها أكثر منك وصحتي تهمني أكثر منك، لذلك سأفعل ما أريد ومتى أريد ولن تستطيع أنت ولا أمثالك بأمري: ماذا أفعل ولماذا؟ أفهمت يا غريب؟" ..

لا أعلم كيف انفجرت فيه بهذا الشكل، فأنا لست معتادة على هكذا أسلوب كما أن هذا لا يليق بي ، ولكني لم أتمكن من كبح غضبي أكثر.

كان تصرف الغريب أغرب من اسمه، فلقد اقترب مني وانحنى ناظراً إلى عيناي قائلاً ببرود تام وبابتسامة عريضة شامتة:" جميل.. ظننت أن المجرمين لا حق لهم في الحديث أو حتى الهمس ولكن خابت ظنوني"؛ ليعتدل بعدها ويكمل:" فآنستنا الصغيرة خرج لها صوت بعد فعلتها الشنيعة والأشنع أنها ترفع صوتها علينا نحن من ساعدها على التحسن؛ أهكذا رد الجميل يا مجرمتي الصغيرة اللطيفة؟"

لم أتحمل كلماته فصرخت فيه مرة أخرى، وصراخي هذه المرة زاد جداً لدرجة أني ظننت أن أذني ستنفجر من شدته:" لقد نفذ صبري يا هذا، أنت مخبول بالطبع.. ومن تقصد بالمجرمة؟ أجننت أم أصبت بالعمى فلا ترى من تحدث؟

أنا لدي اسم وهو مي، ولست مجرمة بل أنت المجرم بغرورك هذا ومعاملتك الفظة تلك، ومحادثتك لنا كأننا جواري و إماء لك، أقسم بالله أني لن أصمت عن ما بدر منك من سوء تصرف وسوء أدب وحديث معي، و سأشكوك إلى مدرائك بالمستشفى ولأخي رامي".

نظر لي بابتسامة أعرض من سابقتها ولم يتحدث، فقط اكتفى بوضع يديه في جيوبه ثم خرج، وتركني مع الممرضة التي ارتسم الذهول على ملامحها وفتحت فمها من شدة ذهولها ذاك، فلقد فوجئت بحوارنا الصارخ لتضحك في النهاية قائلة لي:" حقاً لقد اندهشت من ردة فعلك، كما أشكرك على الدفاع عني والرد بدلاً مني فأنت الوحيدة التي استطاعت محادثته بتلك الطريقة، لا أقول أنها طريقة صحيحة ولكنها أبردت ناري الموقدة بداخلي فشكراً مرة أخرى ..".

ولكن سرعان ما تبدلت ملامحها لقلق وحزن لتكمل قائلة:" ولكن أرجو ألا يؤذيكِ بالحديث مرةً أخرى فهذا الطبيب لا يصمت أو يترك حقه أبداً، أتمنى أن يكتفي بهذا القدر لهذا اليوم وألا يعود مجدداً لغرفتك أو يتحدث مع المدير بتلك القصة وإلا فالله وحده يعلم ما الذي سيحدث إن تحقق ما قلت..

نفضت الممرضة عن وجهها القلق وأكملت:" الآن سأحضر لكِ الطعام وستتناولينه بأكمله، لتأخذي بعده دوائك وبعد ساعة سيأتي أخوك رامي فلقد تأخر في طلب إذن الزيارة وسمحوا له بأن يأتي الساعة الحادية عشر بدلاً من التاسعة، والآن سأذهب وأحضر لك الطعام فلتستريحي".

شكرتها كثيراً وانتظرت بغرفتي على حالتي تلك، حتى أتناول الطعام وآخذ دوائي وعندما أصبحت الحادية عشر جاء رامي، فرحت كثيراً لرؤيته وتفاجأ هو عندما رآني جالسة على الكرسي ولست على الفراش، ولكنه فرح لأن حالتي تحسنت وأخبرته باقتراب موعد خروجي من المستشفى وعن سعادتي بذلك، ولكن أشعر أيضاً بالحزن فأنا لم أتذكر عائلتي ولا أعلم منهم أحد، هممت أن أخبره بما حدث منذ قليل ولكني خفت من تبدل ملامحه السعيدة تلك لأخرى غاضبة لذا فضلت الصمت.

تذكرت حديثنا الناقص بالأمس وكررت السؤال عليه مرةً أخرى:" صحيح لم تخبرني أين هي عائلتي؟ ولمَ لم يأتي منهم أحد لزيارتي؟" تململ في البداية عن الجواب ولكنه سرعان ما قال:" الحقيقة هي ليست أني لا أريد إخبارك بل بأي وجه سأخبرك!" ليأخذ بعدها نفسا عميقا ويزفره قبل أن يكمل" حسناً حاولت كثيرا ألا أتحدث معك في هذا الموضوع ولكنك مصرة فلتنصتي إذاً، عائلتك ليست هنا، فهي لم تأت قط إلى هنا؛ بعد الذي حدث لك وبعد تداول الأخبار

السيئة عنك بأنك إرهابية ومحاولاتك للتسبب بأذية للآخرين لم يأت منهم أحد إلى هنا.

وعلى أية حال لم يكن لك سوى والدتك؛ ولقد أصيبت بأزمة قلبية بعد سماعها الأخبار، ودخلت في غيبوبة ومازالت حتى الآن في المستشفى بالقاهرة، أما باقي أسرتك فوالدك توفاه الله وأنت في العاشرة من عمرك وليس لديك أشقاء، حتى أقربائك لا نعرف منهم أحد سوى والدتك كما أخبرتك؛ التي كانت تأتي لزيارتك كل أجازة في بريطانيا أو تعودان سويا إلى مصر كل إجازة حسب فراغكما، لم أستطع الحديث معك عن هذا من قبل خفت من تدهور صحتك، ولكن قبل أن آتي إليك أخبرني الأطباء بأن الخطر زال لذلك قررت إخبارك و الإجابة على تساؤلاتك" ..

الفصل الرابع عشر:

العودة للصفر :

لم أنطق بحرف بعد الذي قاله رامي، وفهم هو وخرج وتركني بمفردي بعدما أخبرني أنه سيمر علي غداً ليرى إن كنت سأخرج حقاً أم ليس بعد.

ظللت اليوم بطوله على حالتي تلك لا أحدث أحد ولا حتى يحاولون محادثتي، ظنت الممرضة أني عدت للصفر من جديد وأن حالتي ساءت مجدداً، ولكن الطبيب طمأنها عندما قام بتشخيصي.

لا أدري ما الذي حدث ولكني شعرت بأن روحي قبضت عندما أخبرني رامي عن عائلتي، فصرت أحدث نفسي بحزن قائلة:" ليتني لم أعلم وليته لم يخبرني وظل على إصراره بعدم إخباري، حقاً أحياناً الحقيقة توجع بل وتدمي القلب والروح، لذلك لا يجدر بنا البحث عن بعض الحقائق حتى لا نتعذب بعد ذلك".

بعد صراعي الداخلي هذا وأحزاني ودموعي المتساقطة تلك، خلدت للنوم وعدت لعادتي القديمة الهروب بالنوم، وهناك رأيت جزءً آخر من روايتي؛ رأيت المستشفى والمشرحة، رأيت الأطباء والممرضات، رأيت جثثاً محملة فوق بعضها البعض بدون أعضاء خاوية تماماً، رأيت المرأة المختطفة ورأيت الدجال ومساعده كانوا جميعهم سوياً يتحدثون عن سرقة أعضاء والمتاجرة بها.

لكن المستشفى لم يكن كهذا المتواجدون به، بل كان أقدم وأبشع، في الحقيقة شعرت أني رأيته مسبقاً لكن لا أتذكر أين ومتى؟ سمعت حديثهم كانوا يتحدثون عن صفقة أعضاء بشرية كلى وأعصاب وقلوب ربما.

وفجأة؛ تحولت أنظارهم جميعاً لمكاني حيث كنت أقف، وركض الدجال نحوي فصرخت فيّ المرأة قائلة:" أهربي وانشري الصور والفيديوهات واحتمي بالشرطة".

رأيت نفسي وأنا أركض بأقصى سرعتي وفجأة سقطت، لأن أحدهم ضربني على رأسي أو ربما سقط شيئاً ما علي مما أفقدني توازني لم أر جيداً فالظلام كان حالكاً.

لم ينته الحلم بل أخذوني للمخزن الذي اختطفت فيه من قبل، وقيدوني كما القيد الأول وها هي المرأة مكبلة مثلي؛ حسناً إنه يبدو كأنه الحلم الأول! نعم هو بعينه فلقد جاء الدجال بعد إفاقتي ولطمني بقوة حتى سالت الدماء من فمي، وكرر الضرب حتى فقدت وعيي وهنا رأيت ما خفي في المرة الأولى، كانا يتحدثان عني يريدان قتلي وسرقة أعضائي؛ نعم كانا يتجادلان بقوة عن ذلك، حتى جاء رجل ثالث وهمس في أذن الدجال شيئاً ثم فك قيود المرأة وترك الباب مفتوحاً وذهب.

رأيت مساعد الدجال يفك قيدي أنا الأخرى ويتركني ويخرج، وما هي إلا ثواني حتى عاد مجدداً واقترب مني هامساً بشيء في أذني فنظر لي ثم غادر وانتهى الحلم" ..

سر جديد :

نهضت لأجدها الخامسة فجراً فاستدعيت الممرضة لكي أتوضأ وأصلي الفجر، بعدها طلبت منها قلماً ودونت ما حلمت به كله في "يومياتي ورامي"، وتفحصت ما دونته جيداً مرة تلو الأخرى أحاول أن أربط بين الأفكار؛ "هناك سراً في تلك الطبيبة وذاك الدجال".

هكذا حدثت نفسي حتى إن الممرضة نظرت لي بغير فهم متسائلة:" أقلت شيئاً؟!" فأجبتها فوراً:" هاا، لا لا شيء ".

ولكن شيئاً ما بداخلي أراد أن يسألها ويستفسر عن الطبيبة، لذلك أسرعت قائلة:" في الحقيقة نعم يوجد، أتذكرين كل الأطباء الذين جاءوا لغرفتي عندما استيقظت وأفقت من الغيبوبة؟ أتعلمين أسماءهم؟".

نظرت لي الممرضة بنظرات متخللاً وجهها عدم فهم لمقصدي، ولكنها أجابت:" حسناً، معظمهم وليس جميعهم فكما تعلمين أنا عربية مصرية وجديدة هنا لذلك لا أعلم سوى العرب مثلي، وربما أعرف قليلاً الطبيب الإنجليزي، ولكن دعيني أتذكر؛ حسناً... كانوا ستة أطباء؛ اثنان منهم مصريين الطبيبة شيرين والطبيب العصبي ماجد، أما الثالث فمغربي الجنسية اسمه قدير أعتقد،

والرابعة كانت فرنسية والخامسة ألمانية والسادس البروفيسور البريطاني ألبرت هكذا يسمونه، البروفيسور فهو أستاذ جامعي".

"حسناً والمصريين تعرفينهم جميعاً جيداً، الذين هنا؟" بادرتها بسؤال، فأجابت:" لا ليسوا جميعهم بالطبع فأنا لم أتعرف على جميعهم بعد، فليس لي هنا سوى شهرين ولكني أعرف معظمهم أيضاً، هل تسألين عن شخص محدد؟"

" لا، أقصد في الحقيقة هناك أطباء غريبوا الأطوار وآخرين أعتقد أني رأيتهم من قبل، لا أتذكر أين؟! ولكن أعتقد أني أعرفهم" أجبتها على الفور، فقالت لي:" حسناً يمكنك إخباري بما يقلقك فربما ساعدتك" .

تململت في الإجابة في البداية ولكني أريد ربط الأحداث معاً لذلك أخبرتها:" أسأل عن ثلاثة أطباء؛ الطبيبة شيرين هل هي حديثة هنا أم قديمة؟! وما تخصصها؟! كل شيء عنها، والطبيبة النفسية التي جاءت إلى الغرفة من قبل وكنت معها في ذلك الوقت، والطبيب الذي جاء بإبرة وقام بحقنها في المحلول وكنت جالسة معي في الغرفة حينها" .

أخذت وقتاً طويلاً قبل أن تجيبني وبدا عليها التفكير العميق ثم قالت:" حسناً؛ الطبيبة شيرين اختصاصية نساء وتوليد جاءت معهم للغرفة لأنهم كانوا يشتبهون بوجود مشاكل في الرحم لديك نتيجة للحادث ولكن لم تتأذي الحمد لله، وهي نعم قديمة هنا؛ يقولون إنها تعمل هنا منذ عامين، أما الطبيبة سلوى النفسية فأنا لا أعلم عنها سوى أنها منتدبة لحالتك فقط، كما لا أظن أنها عربية من الأصل فلهجتها غريبة بعض الشيء ربما هي أوروبية وتتحدث العربية لا أعلم، ولكني أحاول الابتعاد عنها لأني أتعامل بحذر مع الأطباء النفسيين" .. قالتها بضحك

فأسرعت أسألها:" حسناً والطبيب الثالث، من هو؟" فنظرت لي مطولاً ثم قالت:" أحمد ربما كان هذا اسمه.. لا بل محمد.. حسناً لا أتذكر اسمه ولكنه، طبيب تغذية كان مسئولاً عنك في غيبوبتك الطويلة لا يبقى كثيراً هنا، فلديه عمل آخر يبقى منقسماً بينهما هنا وهناك ولا أعلم عنه سوى هذا، هل تريدين شيئاً آخر؟!"

لم أسمعها حين سألتني آخر سؤال فقد كنت أفكر في هذا الطبيب، فهو الدجال الذي كان في حلمي فكيف يكون طبيباً؟ ولكن في الحلم لم أسمعهم ينادون بعضهم بهذين الاسمين لا أحمد ولا محمد، لقد سمعت اسماً آخر لا أتذكره، ولكني متأكدة أنه ليس من ضمن هذين الاسمين" فكررت سؤالها مجدداً:" هل تريدين شيئاً آخراً، هااي أين شردتي؟!"

انتبهت أخيراً على سؤالها فأجبتها:" لا شكراً جزيلاً، لقد ساعدتني بما فيه الكفاية أشكرك ويكفي حديثاً كي لا أعطلك عن عملك، فربما يأتي الطبيب العصبي ويجرحك بالحديث مجدداً"، فضحكت قائلة:" لا تخافي فأنا أمرت أن أبقى هنا معك، أي لن يستطيع أحد توبيخي، لذا لا تقلقي" .. ظللت هكذا أفكر وأقلب الأفكار وحديث الممرضة عن الأطباء واسم الدجال الذي لا أتذكره في رأسي، ظللت هكذا حتى جاء وقت الزيارة فخرجت الممرضة وجاء رامي مرةً أخرى فقررت أن أحدثه عن حلمي وعن شكي في أولئك الأطباء.

رامي والصندوق:

ولكن رامي اليوم كان مختلفاً لم يكن بخير كأنه يخفي شيئاً عني، لم يدخل ضاحكاً كما عهدته بل كان قلقاً، ربما حاول أن يخفي عني قلقه لكني لاحظت تغير وجهه.

هناك شيئاً بالطبع يجول في خاطره، فأسرعت استفسر منه:" رامي أأنت بخير؟ لست كعادتك ما بك؟ هل هناك خطب ما بالمنزل؟ أخبرني ولا تخفِ عني شيء"، نظر لي بعينين دامعتين حاول جاهداً ألا يظهرهما لي:" لا شيء يا أختي، أنا بخير لا تقلقِ" .

" أنت تكذب هناك شيء بالتأكيد، أخبرني أرجوك ما الأمر؟" صرخت فيه، وهنا أطلق العنان لدموعه كي تغرق هدوئه المصطنع وقال بصوت يرتجف:" لقد أخذوا سرنا، لم أجده بحثت كثيراً عنه دون جدوى، أقسم أني خبأته في مخبئنا ولم يرني أحد ولكن عندما ذهبت لإحضاره لك لم أجده، لم أعثر عليه".

حاولت تهدئته وأنا ممسكة بيديه المرتجفتين حتى توقفت عن الارتجاف، ثم ربت على كتفه لأهدئه قائلة في حنان:" لا بأس لا بأس، فقط اهدأ وكل شيء

سيكون بخير، لا تقلق هيا أمسح دموعك تلك، وأخبرني من البداية وأعدك أن كل شيء سيكون بخير وسنجد ما تبحث عنه معاً، حسناً؟".

هدأ قليلاً مجففاً دموعه ثم قال لي:" حسناً هدأت ولكن لا أعلم كيف اختفى الصندوق؟ لقد خبأته جيداً ولم أخبر أحداً بمكانه، سأجن".

حاولت الفهم لكن دون جدوى فسألته مستفهمة:" عن أي صندوق تتحدث؟ " فأجاب على الفور:" الصندوق الذي أمنته عندي قبل يوم الحادث، ألا تتذكرين؟"، نظرت إليه بغير فهم:" لا ، لا أتذكر أية صناديق، فكما أخبرتك سابقاً لا أتذكر الكثير مما حدث لي، ولكن ما محتوى هذا الصندوق أتعلم؟" نظر لي بحزن:" لا فأنا لم أفتحه كما وعدتك، بمجرد إعطائك لي إياه خبأته فوراً في المخبأ".

حاولت استيعاب ما يحدث:" حسناً في البداية ذكرني بيوم ما قبل الحادث، ذكرني بما حدث بالضبط دون إهمال لأية تفصيل حتى لو كان صغيراً" .. بعدها بدأ يسرد لي اليوم بالتفصيل:" يومها كان الخميس_ كان إجازة_ لذا قررتي قضاء اليوم معي من بدايته؛ منذ الثامنة صباحاً حتى خروجك وقت الظهيرة لا أعلم إلى أين؟! ولكن عندما عدتِ مجدداً كنت متوترة قليلاً، وكان بين يديك صندوق ورقي ليس بالكبير جداً ولا الصغير، كان تقريباً في حجم الراديو الموجود بالصالون، حينها أخبرتني أن أخبأ الصندوق في مخبأنا السري وألا أريه لأحد إلا حينما تطلبي مني ذلك، وحذرتني من أن أنظر لما بداخله إلا إذا أردتي أنت هذا، وأنا حينها لم أسأل أو أعترض، لذا ذهبت فوراً وخبأته، وأكملنا باقي اليوم كالعادة، ولكن أذكر وقتها أنك لم تزيلي عينيك قط عن هاتفك المحمول، كأنك تنتظرين مكالمة مهمة أو ربما رسالة من أحد، لا أعلم ولم أرد وقتها إزعاجك بأسئلتي الكثيرة".

حاولت تذكر هذا اليوم ورامي يقص علي ما حدث تواتراً ولكن دون جدوى، لم أستطع كالمعتاد التذكر، ولكن ظل شيئين عالقين في ذهني أين ذهبت بعد الظهر؟ وما كان سبب توتري ومراقبتي لهاتفي باستمرار؟

حقيقة حاولت جاهدة كثيراً هذا اليوم تذكر ما حدث ولكن لم يحالفني الحظ بالتوصل لأي شيء، لم أحصل إلا على المزيد من آلام الرأس لذا استسلمت

وخلدت للنوم، كانت الساعة حينها حوالي الحادية عشر بعد ذهاب رامي لمنزله وخروج الممرضة.

حلمت حلماً كالمعتاد ولكن تلك المرة حلمت بيوم الحادث، كنت في طريقي للشقة ورأيت شخصين على دراجة هوائية لم أنتبه جيداً إلى أنهم كانا يراقباني، فأنا لا أعرفهم ولم أرهم من قبل، ولكنهم فجأة اقتربا مني وحاولا سرقة حقيبتي، فركضت فزعة بدون تفكير إلى أن وصلت للشقة ودخلت وقمت بإغلاق الباب بسرعة من خلفي، جلست على الأرض محاولة في تهدئة نفسي، بعدها طرق أحدهم الباب فنهضت فزعة خفت من أن يكون الطارق اللصين، اقتربت بسرعة ونظرت من العين السحرية ولكن لم أجد أحد.

فتحت الباب برفق ووقعت عيناي على ما هالني وصدمني، كانت جملة مكتوبة بلون الدماء على الباب لقد كانت بالإنجليزية "ستموتين".

صرخت عند قراءتها وانهمرت دموعي بكثرة على خدي، فخرج الجيران فزعين لصراخي، وفزعوا مما رأوه مكتوباً على الباب فحاولوا تهدئتي، ولكني لم أتحمل فسقطت مغشياً عليّ.

نهضت فزعة من حلمي صارخة:" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " وظللت أردد كلمة سأموت سأموت لدرجة أن الممرضة هلعت لصراخي، وركضت نحوي محاولة تهدئتي ومستفهمة لمآ حدث قائلة:" لا بأس لا بأس لقد كان كابوساً، أنت بأمان هنا ولكن ما الذي حدث في الحلم ولمَ كل ذلك الخوف؟!" نظرت إليها بعينين يملؤهما الفزع وانهمرت باكية محتضنة إياها؛ قائلة بصوت يملؤه الخوف:"لا تدعيهم يؤذونني أرجوك فما عدت أحتمل؛ لا أعلم شيء ولا أتذكر على الإطلاق ولكني ما عدت أحتمل المزيد بعد اليوم؛ أرجوك ساعديني فأنا لا أريد سوى أن يتوقف كل هذا" .

ظلت المسكينة عاجزة عن الحديث؛ لا تفهم ما أقول ولا عن ماذا أتحدث فاكتفت باحتضاني و التربيت على ظهري، حتى توقفت عن البكاء ولم تتوقف هي لحظة عن ترديد الأذكار والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ مرددة لأكثر من مرة بصوت يملؤه الرجاء:" لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم رب

الناس أذهب الباس لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم أحفظها من كل سوء ومن شر الشيطان ونصبه".

لم تتوقف لحظة حتى اطمأنت تماما من هدوئي وأنني بخير، تركتني مستلقية على الفراش وخرجت لرؤية الطبيب وإخباره عن حالي ذاك، وبعد نصف ساعة عادت ولكن ليس بمفردها فلقد جاء العصبي معها أعطاني إبرة وظل في الغرفة حتى أغمضت جفوني مرة أخرى وعندما فتحتهما، أول ما وقعت عليه عيناي كان هو_ذاك العصبي_كان يجلس بعيداً عني بجوار الباب، يراقب من بعيد وما إن التقت أعيننا حتى نهض مسرعاً، فتحدث مع الممرضة ثم خرج وقبل أن يخرج قال بصوت مسموع كفاية" سأمر بعد ساعة" ثم أغلق الباب خلفه وذهب.

تحدثت معي الممرضة واطمأنت عليّ فسألتني إن كنت بخير حقاً أم لا؟!
فطمأنتها أنني الآن أفضل من ذي قبل، فحمدنا الله سوياً وأكملت حديثها معي عن أشياء عديدة محاولة إبعادي عن التوتر، فلقد لاحظت أنها لم تسألني مجدداً عن الحلم ولا عن ما حلمت به فأعجبني هذا الأمر كثيراً، فبمجرد تذكر الحلم يتكدر صفو قلبي وأنا في تلك اللحظة لا أريد العودة للتوتر مجدداً.

الفصل السادس عشر:

ابتسامة أمل:

بعد مرور ساعة مر العصبي مرة أخرى كما وعد، تحدث مع الممرضة كالمعتاد مقترباً مني سائلاً إياي إن كنت أشعر بألم أو توتر أو قلق؟ فأخبرته بأني بخير الآن ولا أشعر بأي ألم سوى ذاك الألم المعتاد في ساقي وذراعي، وقبل خروجه نظر إليّ بوجه بريء قائلاً:" أعتذر إن كنت أزعجتك بحديثي سابقاً وأتمنى أن تسامحيني على حدتي وفظاظتي"، واعتذر للممرضة أيضاً ثم خرج تاركاً آثار ابتسامة معلقة في الهواء من خلفه، حقيقة لأكن صادقة لم تصدق أذناي ما سمعته ولكن قلبي أراد التصديق فصدق، فيبدو أن العصبي لين القلب كفاروق فسبحان مغير القلوب والأحوال.

تضاحكنا سوياً أنا والممرضة من الاعتذار المفاجئ للعصبي وأكملنا ثرثرة في توافه الأمور ولم تتركني هي إلا بعدما حل الليل، لذا خرجت لانتهاء مناوبتها المعتادة لهذا الأسبوع وذهبت لمنزلها وتركتني أكمل ليلي بمفردي، ولكنه كان أعجب ليل قضيته، فبعد دقائق ليست بالكثيرة سمعت رنات هاتف بالغرفة بحثت عنه بعيناي من حولي، وحمداً لله أنه كان بجواري على الفراش حتى لا أرهق جسدي المتعب أكثر، علمت بعدها أنه للممرضة، فحدثت نفسي:" يبدو أنها تعبت اليوم كثيراً لدرجة أن تنسى أخذ هاتفها؛ لطيفة هي منى_كان اسمها منى_ حسناً ليبقى هنا وتأخذه عندما تأتي صباحاً".

لم يتوقف الهاتف عن الرنين فقررت وبعد طول تفكير الرد فربما كانت منى تسأل عن هاتفها أو أحد أقاربها يحاول العثور على الهاتف، لذا أجبت مسرعة:"

أعتذر ولكن صاحبة الهاتف نسيت أن تأخذه وتركته بالمستشفى فإن ك..".. لم أكمل حديثي حتى سمعت ضحكات المتحدث لقد كانت منى:" حسناً لا بأس يا مي كنت أريد الاطمئنان من أني نسيته بغرفتك وليس بمكان آخر، من الجيد أنك مازلت مستيقظة ولم أوقظك، أم تراني أيقظتك باتصالاتي المتكررة؟ أعتذر حقاً ... ح .. فبادرتها مسرعة:" لا تقلقي فلم أكن نائمة" لتكمل في ارتياح:" حسناً لكم هو مريح أني لم أوقظك، حسناً اسمعيني إن اتصل أحد أجيبي وأخبريهم بأني نسيت الهاتف وسآخذه في الصباح، حسناً؟!" فأجبتها:" حسناً" فأكملت:" جيد .. اتفقنا والآن لن أطيل عليك، هيا تصبحين على خير" لأكرر لها جملتها:" تصبحين على خير".

وما إن انتهت المكالمة حتى تركت العنان لضحكاتي، ضحكت ليلها كثيراً لا أعلم إن كان بسبب موقف الهاتف الطريف أم لا، ولكني وقتها أردت التخفيف عن نفسي فاخترت أن أضحك حتى دمعت عيناي من كثرة الضحك، وتحول ضحكي لبكاء فبكيت حتى انتفخت جفوني وتورمت من كثرة البكاء، حينها ارتاح قلبي كأن حملاً ثقيلاً انزاح عنه.

لا أعلم متى اكتسبت تلك العادة الغريبة؛ أن أبكي بعد ضحكي، ولكني أظنها من إحدى الأسلحة الفعالة المنفسة عن آلامي وضيقي الداخلي.

وبينما أنا في صفوي هذا إذ بالهاتف يرن مجدداً فأجبت هذه المرة ضاحكة:" حسناً يا م .." لم أكمل لأن ما سمعته كان قد أوقف الحروف عن مجراها وجعل دقات قلبي تتسارع، فما سمعته كان أول مرة أسمعه في حياتي، لذلك لم أتوقع أن يكون له كل هذا الوقع في نفسي.

" أحبك".. هكذا قالها المتحدث بلغة إنجليزية عذبة وأنهى مكالمته.

ظللت هكذا ربما قرابة النصف ساعة مذهولة بما سمعته، أنظر للهاتف دون أن أتفوه بحرف واحد، فقط شعرت بسخونة تلفح وجهي فجأة، واحمراراً يصبغ وجنتاي كان كفيلاً بتأكيد هذا الشعور الحار.

لقد نبض قلبي فرحاً بمجرد سماع تلك الكلمة، " إذاً هذا هو الشعور بالحب كما يوصف في الأفلام؟!" هكذا حدثت نفسي بعد حالة الجمود التي وقعت فيها لم أستطع النوم بعدها.

ظللت أتقلب على الفراش يميناً ويساراً أفكر فيما سمعته، وأعيد صياغتها في ذهني كما قالها المتصل، ظللت أرددها مراراً وتكراراً بابتسامة إلى أن تنبهت لشيء كنت قد نسيته لشدة فرحي وتوهمي، وهو أن الهاتف لمنى وليس لي، إذاً المتحدث كان يقصد منى وليس أنا، خمد فرحي وأحسست بخيبة أمل بعد تذكر هذا.

" ليت هذا الشعور دام قليلاً بعد؛ لربما عوضني عن ما عايشته من حزن وألم ووحدة، حقاً إنها محظوظة، ليتها تسعد دائماً ويجتمعان سوياً" كنت أتحدث لنفسي ولم أنتبه إلى أنني، تركت الفراش متوجهة لخارج الغرفة، إلا حينما نادى عليّ أحدهم من خلفي بالانجليزية صارخاً ومكرراً للمرة الثانية:" هاي يا آنسة خيراً إلى أين في هذا الوقت؟" .

نظرت خلفي وأجبته بنفس لغته:" لم أفهم، ماذا تقصد؟" .

فرفع حاجبه ورمقني بنظرة كمن يتحدث مع مجنون ثم قال بشيء من السخرية:" هل أنت بخير؟ ما الذي لم تفهميه بالتحديد؟ أنت بالخارج!! خارج غرفتك بالليل لماذا؟".

حينها فقط فهمت مقصده عندما نظرت حولي ورأيت الباب من خلفي، فوجئت وأسرعت أخبره:" أعتذر لم أكن بوعيي حينما خرجت؛ حقاً أعتذر.

سأعود للغرفة ولكن.. لماذا تقف هنا بجوار غرفتي أليس مكان الأمن بالخارج، خارج المستشفى؟".

فأجاب في جمود وعلى وجهه علت ابتسامة ساخرة:" حسناً هكذا أمرت أن أحرس هذه الغرفة، فربما كنت مشهورة لدرجة أن تحرسك الشرطة، امم لا أدري أو ربما مجرمة متهمة بمحاولة قتل العشرات من المواطنين الأوروبيين!! أيهما أصح برأيك؟ "

صمتُ بعد رده ذاك فلم أستطع التحدث معه لشدة ذهولي بسبب حديثه معي بتلك القسوة، فاكتفيت بالركض دون الالتفات لآلام ساقي متجهة لغرفتي، وصفقت الباب بقوة من خلفي وافترشت الأرض و انهمرت في البكاء.

لا أعلم متى توقفت عن البكاء ولا متى غفوت، كل ما أعلمه أنني لم أستيقظ إلا وأشعة الشمس تغمر وجهي كله، فلم أستطع رؤية منى عند حضورها، ولم أعلم بذلك إلا عندما صرخت باسمي.

اعتدلت من نومي فزعة ووضعت كفي أمام وجهي كي أمنع أشعة الشمس من حرقه أكثر.

وقعت عيوني على وجه الممرضة منى التي بدت على وجهها علامات الذهول المختلطة بالفزع من حالي تلك وافتراشي للأرض ونومي، أسرعت ناحيتي وأخذت بيدي وساعدتني على النهوض والجلوس على الفراش قائلة لي بصوت حنون:" ما الذي حدث لك؟ لمَ تفترشين الأرض؟! هل غفوت الليل كله في مكانك هذا؟! ولمَ يبدو عليك الإرهاق والبكاء؟ من أزعجك لتلك الدرجة؟ هيا أخبريني يا مي؟ ".

لم أعلم بما سأخبرها فقد تساءلت بداخلي والعبرات تحاول الفرار من بين جفوني لتنسل بين الحين والآخر، فحدثت نفسي قبل أن أتفوه بكلمة أمام منى:" لا أعلم بماذا أبدأ؟! أبالاتصال الغريب وخيبة أملي، أم باتهامات الشرطي ومن قبله العصبي ومن قبلهم الطبيبة النفسية؟ أم بضياعي التام بين كل تلك الأحداث التي لا أتذكر منها سوى الإحساس بالألم والضياع وعدم الفهم".

لذلك قررت أن أتوقف عن البكاء أولاً، فكفكفت عبراتي المنسابة ببطء وحاولت رسم ابتسامة مصطنعة على شفتاي؛ لأني أكره الشعور دوماً بالضعف أمام الناس، لا أحب نظرة أحدهم بالشفقة لي لذلك أخبرتها على الفور:" لا شيء، فقط إنهاك ربما من البقاء بين أربعة جدران طيلة الوقت، ضقت ذرعاً فقط ولا شيء آخر، لا تقلقي علي فأنا بخير".

لم يبدو على وجهها الاقتناع بكلامي لكنها حاولت ذلك، فربتت على يدي قائلة:" حسناً إن كان الأمر هكذا فلا تحزني، ستخرجين من هنا بمجرد تحسن صحتك،

وزوال الخطر من عليك؛ فقط كل ما تحتاجينه الآن هو الصبر وألا تستسلمي لآلامك، وأنا موجودة هنا، فإن احتجت لباب محكم الإغلاق لأسرارك فأنا هنا لا تقلقي أبداً، ومتى أردت الحديث نادني وستجدينني خير مستمعة لك، والآن لنحضر إفطارك وأدويتك لتتحسن حالتك سريعاً".

"إنها بلسم" أخبرني قلبي بهذا بعد حديث منى معي، حقاً إن حديثها يخفف كثيراً، ذكرتني بمريم وحديثها اللطيف معي، "ليتك هنا معي الآن يا مريم ربما صرت بخير إن رأيتك"، نطقتها بصوت مسموع ولكن لحسن حظي أن الممرضة لم تعد بعد من الخارج؛ بعد تناولي الفطور وأخذ الأدوية طلبت من منى أمراً ورجوت الله أن توافق على طلبي هذا، نظرت إليها أفكر ملياً ثم تشجعت وأخبرتها أخيراً:" منى أريد منك شيئاً، لدي طلب صغير منك أرجو أن توافقي عليه"، ابتسمت وأجابتني بلهفة:" طبعاً، أطلبي ما شئت وسأحاول على قدر الإمكان تنفيذ ما استطعت".

فتململت في البداية ولكن سرعان ما تشجعت فأخبرتها:" حسناً، لقد ضقت ذرعاً بهذه الغرفة وأريد أن أستنشق هواءً عليلاً، فهل أستطيع الخروج قليلاً للخارج؟"، نظرت لي وعلامات الحيرة تظهر جلياً على وجهها، صمتت دقائق ثم قالت:" أممم، الحقيقة لا أعلم إن كان بإمكانك الخروج للحديقة أم لا، لم يخبرني أحد بما يجب وما لا يجب خارج حدود هذه الغرفة، ولكن سأخرج الآن وأطلب الإذن من المسئول وسأعود، اتفقنا؟".

خاب ظني في بداية حديثها ولكن سرعان ما حاولت التشبث بجدران الأمل، فلعل وعسى أستطيع الخروج بعد إلحاح منى على المسئول ذاك فأجبتها بأمل:" حسناً اتفقنا سأنتظرك" ، خرجت الممرضة ربما ظلت بالخارج نصف ساعة أو أكثر بقليل، والأفكار تتناطح بفكري بين يأس وأمل، إلى أن أتت وأحضرت الجواب معها، فهيا أخبريني لنرى إن كان خيراً أم شراً..

ركضت نحوها بعرجة خفيفة وسألتها بسرعة لم أمهلها ثانية حتى تستريح:" هيا أخبريني أنهم وافقوا على خروجي أرجوك"، ظلت صامته ونظرت لي بعينين يملؤهما الحزن، ترددت في البداية لكنها قررت أن تتحدث أخيراً:" حسناً لأكون

صادقة معك لقد حاولت كثيراً معه ولكن دون جدوى، أعتذر كثيراً يا مي فلقد رفض أن تخرجي بمفردك".

خاب أملي لحديثها فتوجهت للفراش وجلست عليه حزينة، كدت أبكي لولا سماعي لضحكاتها المتواصلة وتصفيقها بيديها.. نظرت إليها بغضب لسخريتها من حزني وكدت أصرخ فيها لولا أن بادرتني بضحكات قائلة:" حسناً حسناً لقد خدعتك، لقد وافق المسئول على خروجنا سوياً للحديقة ولكن بشرطين: الأول أن يرافقنا الحارسان اللذان بالخارج، والثاني أن لا يتعدى خروجنا ساعة؛ مسموح لنا بساعة أو أقل فقط بالخارج، اتفقنا؟" لم أصدق ما سمعت، فقط قفزت فرحة من مكاني بدون التفكير في آلام قدماي واحتضنت منى ولكزتها على كتفها لخداعها لي، وبسرعة نظمت نفسي وخرجنا.

تنفست الصعداء موجهة حديثي لمنى:" لا أصدق وأخيراً أستطيع أن أتنفس بحرية، فالهواء عليل جداً والمكان فسيح أفضل من الغرفة بكثير، شكراً يا منى".

نظرت لي منى بسرور قائلة:" حسناً.. لم أفعل الكثير بل هو من فعل، ولكني مسرورة لأنك أفضل الآن..هيا لنذهب ونجلس هناك على الطاولة". ركضت كالصغار ودرت حول الطاولة حتى ضحكت منى وأقسم أني رأيت أحد الحارسين يبتسم خلسة.

جلسنا على الطاولة وظل الحارسان واقفين بجوارنا، لم أحبذ وقفتهم تلك كأنهم غرابيب فوق رؤوسنا، لذلك نظرت لصاحب الابتسامة المختلسة وطلبت منه أن يجلسا بجوارنا، فهناك المزيد من المقاعد كما أن وقوفهما هكذا ليس محبباً ومتعباً قبل كل شيء، ولكن الآخر نظر لي شذراً وقال بجمود وبلكنة عربية ركيكة:" لا نأخذ الأوامر إلا من رؤسائنا ولا نأخذها من الآخرين، وخصوصاً المجرمين".

كان حديثه ذاك كالسهم الذي أصاب قلبي فأدماه، لم أتحدث معه ولم أنظر حتى إليه وحاولت تهدئة نفسي ومنى أيضاً هدأتني، فنظرت للمبتسم قائلة بشيء من السخرية وأنا أقصد الآخر بحدتي:" حسناً لا يهمني ممن تأخذون الأوامر، لكن أعلم أن البشر ما خلقوا إلا أحراراً وليسوا عبيداً للآخرين، لا يهمني إن جلستم أم ظللتم واقفين، افعلوا ما يحلوا لكم حتى إن أردتم العقوا أحذية رؤسائكم".

أنهيت خطابي ونظرت لمنى التي كتمت ضحكها ولم أكترث لهما، ثم بدأنا في الدردشة متجاهلة نظراتهم وبعدها نهضنا لنتجول في الحديقة قليلاً مستمتعة بجمالها وبهاء أزهارها، حتى انقضت الساعة وعدنا للداخل مجدداً.

حزنت لعودتي إلى الغرفة سريعاً لكن منى طمأنتني قائلة:" لا تحزني سنخرج غداً مجدداً وبعد غد وبعد بعد غد وهكذا".. هذا طمأنني قليلاً وقبل أن ألج للداخل لم أر سوى حارساً واحداً خلفنا وهو المبتسم أما الآخر فلا يوجد، لم أهتم لأمره كثيراً وعدت للداخل مع منى التي بدورها ما إن دخلت أعطتني الدواء ثم خرجت لتكمل عملها، فلقد تحسنت صحتي إلى حد ما وقل احتياجي لممرضة معي طوال اليوم، لكن أحزنني بقائي وحيدة.

فلقد اعتدت على منى كثيراً، حتى رامي لم أره منذ يومين لا أعلم أهو بخير حقاً كما يدعي في الهاتف أم لا؟ وهل يستذكر دروسه جيداً ويجيب جيداً على الاختبارات أم لا؟

"حقاً لقد اشتقت إليك يا رامي"... هكذا حدثني قلبي، وبينما أنا مشغولة البال هكذا إذ أقبلت منى بسرعة أعطتني الهاتف وخرجت مجدداً، لقد كان رامي.

حقاً كما يقولون:" جبنا سيرة القط جه ينط"

تحادثنا طويلاً، سألته عن المذاكرة والاختبارات وإن كان أجاب جيداً أم لا، تحدثنا كثيراً قرابة الساعة، ثم أنهى المكالمة بعد إلحاحي بأن يعود لمراجعاته ومذاكرته كي لا يؤلمه رأسه من ثرثرتي الزائدة..

انتظرت منى كثيراً كي تأتي وتأخذ هاتفها لكنها لم تأت، غفوت وأنا أنتظرها وعندما استيقظت في وقت العصر كي أصلي لم أجدها أيضاً، فلقد أتت ممرضة غيرها لتعطيني الإبرة_ كانت أجنبية_ لم تجبني عند سؤالها بالعربية عن منى فخمنت أنها لا تتحدث العربية، لذا سألتها بالإنجليزية:" عذراً، ولكن أين الممرضة الأخرى؛ منى؟" لتجيبني بعدم فهم:" أنا حقاً لا أعلم".

اندهشت لعدم مرور منى ولمرور هذه الممرضة مكانها؛ شعرت بداخلي بحدوث خطب ما بمنى، ولكني دعوت الله أن تكون بخير وأن تكون فقط مجرد تغيير مناوبة و ورديات لا أكثر أو شيء من هذا القبيل، لكم هي مملة تلك

الممرضة حتى إنها لا تبقى كثيراً بعد دوائي أو حقني بالإبرة، سرعان ما تخرج لا تأت إلا في مواعيد الدواء.

إنتهى اليوم ولم تظهر منى بعد حتى إنها لم تهاتفني، ولم تتصل لتطمئن على هاتفها الذي بقي معي.

بدأت أقلق عليها وبدأت الأفكار السيئة تجول بخاطري، لم أستطع النوم فنهضت وخرجت، سألت الحارس إن كان يعلم عن مكان منى أو يعلم لمَ تغيرت مناوبتها هذا اليوم؟! ولكنه لم يفدني بشيء فقط اكتفى بهز كتفيه لعدم علمه، واكتفى الآخر بتولية ظهره لي ولم يتحدث بأي حرف مما أغضبني، لذلك دخلت وصفقت الباب بقوة من خلفي، جلست على الفراش بملل وثبت عيناي على الهاتف منتظرة أن تتصل منى من أي رقم وتطمئنني على نفسها ولكن طال ذلك كثيراً.

خلدت للنوم ولم أشعر بذلك إلا اليوم التالي صباحاً، حينما دخلت الممرضة الأجنبية مرة أخرى ومعها الإفطار والدواء فأخبرتها بشيء من الضيق:" لن آخذ أية أدوية ولن أتناول حتى الإفطار، إلا إن أخبرتني بالحقيقة، فقط الحقيقة!!".

حاولت معي كثيراً أن تجبرني على تناول الإفطار، كي آخذ بعدها أدويتي، ولكنها فشلت لذلك خرجت وأتت مع العصبي _أقصد الطبيب العصبي_ الذي جاء كالمعتاد صارخاً عليّ:" لماذا ترفضين تناول الإفطار؟ ولمَ تصرين على عدم تناول الأدوية؟".

نظرت إليه بغضب وصرخت أنا الأخرى:" لن أضع في فمي شيء حتى تخبروني أين منى؟! ولمَ أتت هذه الممرضة محلها؟"، أخذ شهيقاً بغضب بدا كتنين يستعد لنفث نيرانه ثم زفره بقوة قائلاً في حدة:" لن تأتي مجدداً إلى هنا، فلقد تغيرت المناوبات وتغيرت الأماكن، نقلت لقسم آخر وهذه الممرضة "جيني" أخذت مكانها هنا" ..

لم أصدق ما سمعته وحزنت على نقل منى لمكان آخر، فوجهت حديثي بحزن للعصبي:" أهذا بسببي، بسبب غضبي من الحارس، أليس كذلك؟ تعاقبوني بمنى ولكن هذا ظلم!! عاقبوني بأي شيء إلا منى أرجوكم، لا تفعلوا هذا بي لقد اعتدت عليها كثيراً، فأنا لا أجد هنا من أحدثه ورامي مشغول باختباراته".

نظر لي العصبي بعينين تملؤهما الشفقة وقال في هدوء:" لا ليس عقاباً أو ما شابه هذا عملها كممرضة، تأتي حسب عملها وتذهب أيضاً حسب عملها؛ ليس شيئاً شخصياً بل هي وظيفة وارتباطات، الآن تناولي فطورك وخذي أدويتك ولا تعذبينا أكثر".. ثم ذهب وترك الممرضة جيني معي حتى تتأكد من تناولي الإفطار وشرب الأقراص لتذهب بعده هي الأخرى.

" لقد عدت وحيدة مرةً أخرى" حدثت نفسي وقلبي يعتصر ألماً ودموعي مغرقة وسادتي، لم أنهض من الفراش إلا للصلاة حتى لم أخرج إلى الحديقة عندما أتت لتأخذني جيني، فضلت البقاء في الغرفة باقي اليوم أنظر لهاتف منى وأبكي، حتى أني كنت أحدث الهاتف وأعاتبه وكأنه بشر يسمع ويرى.

حاولت إقناع نفسي أنها ستأتي لتودعني حتى أو ربما لتأخذ هاتفها فهي بالطبع لن تتركه هنا، لابد أن تأتي وتأخذه لكن مر يومان ولم تأتي بعد، ظللت هكذا أربعة أيام متواصلة لا أنهض من على الفراش إلا للصلاة ولا أخرج للحديقة، ولا حتى أتحدث مع الممرضة ولا أرد على رامي عندما يهاتفني أو أتحجج بالنعاس، فأغلق المكالمة سريعاً، لم أستطع التحمل فكل من يقترب مني يبتعد فجأة؛ لذلك استسلمت ليأسي من جديد، حتى إن صحتي بدأت تضعف بسبب حزني المتواصل حتى طغت على وجهي هالات سوداء أحاطت عيناي واصفرار غطى وجهي بالكامل وشحوب..

"لقد تحطمت كلياً؛ وإن ظلت هكذا ستعود حالتها للصفر كما كانت"، نطقها الطبيب للعصبي بحدة الذي بدوره دافع عن عمله:" حاولت معها كثيراً صدقني ولكن دون جدوى، حتى إن الممرضة جيني حاولت معها أيضاً، ترفض الخروج أو ترك الفراش، لا تنهض إلا للصلوات، حتى إن طعامها بات قليلاً تتناوله فقط لتأخذ الأدوية بعده، حاولت معه ولكنه رفض العدول عن رأيه هو مصمم على قراره، لا أعلم ما الذي سأفعله لذلك هاتفتك".

كانا يتحدثان عني ربما، لم أكترث لحديثهما بل لم أكترث من الأساس لوجودهما؛ بت متفرجة الآن أشاهد عن قرب ما يحدث لي ومن حولي دون التدخل في شيء، فليفعلوا ما يريدون لن أبالي بعد الآن..

لم أنتبه لصمتهم إلا بعد مرور زمن يسير من الوقت، عندما حاولت الممرضة جيني حقني بإبرة وقتها نظرت حولي فلم أجد لهما أثراً، لقد ذهبا بعد مشهد الصراع الشفهي الذي دام قرابة النصف ساعة، رحلا دون أن أعلم سبب الصراع أو نتيجته، وكذلك رحلت هي بدورها خلفهم وعدت لوحدتي مجدداً.

لم أكد أغمض عيناي عندما سمعت صراخاً بالخارج كاد أن يفتك بطبلة أذني، لقد كان هو نفسه صوت الطبيب الذي كان يتجادل منذ قليل، أتى مع العصبي، دخل الغرفة بغتة وتقدم نحوي قائلاً بلهجة آمرة امتزجت بالغضب:" هيا انهضي سنخرجك من هنا والآن، هااي ياا حارس ناد لي الممرضة لتأتي في الحال".

ثوانٍ قليلة وجاءت جيني أنهضتني من على الفراش بعد مقاومة مني بعدم تركه، وأمسكت بيدي لتجبرني على الوقوف ولكني رفضت الوقوف أو بمعنى آخر ساقي من رفضت الاستقامة وأبت فصرخ فيّ الطبيب

الفصل السابع عشر:

حرية إلا القليل :

:" ققي الآن وإلا تركتك هنا حتى تتعفن جثتك وأنت على قيد الحياة، هيا انهضي لنخرج من هنا"، أجبرت على إطاعته رغماً عني، فسرت مع الممرضة التي أمسكت بذراعي جيداً وخرجنا من الغرفة إلى الممر ثم المصعد حتى الأسفل ثم إلى الخارج.

وقبل أن تخطو قدمي لداخل سيارة الإسعاف وصل طبيب آخر كبير بالسن إلى حد ما ومعه حراس؛ منهم الحارسين المسئولين عن حراسة غرفتي، ومن خلفه العصبي ساكن جامد لا يتكلم حتى أشار العجوز بيده للطبيب بالتوقف صارخاً فيه بالإنجليزية:" توقف الآن وإلا ندمت!! .

"حاول الحراس إيقاف الطبيب وإعادتي للداخل مجدداً، ولكن صراخ الطبيب فيهم جمد حركتهم، فلقد صرخ فيهم محذراً بنفس لغة الآخر:" ابتعدوا عنها هيا، فإن حاول أي منكم الاقتراب منها سيندم!!".

تعجبت من لهجته الشديدة ولست أنا فقط من تعجب وصدم، فلقد توقف الحراس بالفعل وانسحبوا للخلف، وتركوني أدخل لسيارة الإسعاف برفقة جيني وقبل أن يغلقوا باب السيارة، سمعت ورأيت الطبيب وهو يصرخ في الطبيب الأوروبي المسن ويحذره بإصبعه، ولكن لم أسمع ما قاله له، فلقد أغلق الباب وما هي إلا ثوانٍ حتى تحركت السيارة.

لا أعلم ما الذي حدث للتو ولا سبب خروجي من المستشفى؟ وإلى أين سيأخذونني ومن هذا الطبيب؟ ولمَ كل هذا الصراخ الذي كان قبل قليل؟ لا أعلم

شيء حتى إن الممرضة لم تتحدث معي، فقد اكتفت بالتربيت على كفي قائلة بالإنجليزية:"' لا بأس!!" .

أغمضت عيناي طيلة الطريق ولم أفتحهما إلا عندما توقفت السيارة و وهبطت منها، لم أعلم أين أنا؟ إلا حينما رأيت منى أمامي وبجوارها رامي، وهنا ركضت نحوهما محتضناهما باكية راجية منهما ألا يتركاني مجدداً أعود لتلك المستشفى، بكيت حتى هدأت روحي المضطربة وتوقف قلبي عن الأنين بكيت حتى ارتحت وارتاح عقلي من كثرة التفكير، لم اكترث لإظهار ضعفي أمام الآخرين فقط شعرت بضرورة البكاء حتى ترتاح روحي..

لا يهم المكان ولا الزمان طالما من أحبهم بجواري وحولي؛ وما إن زال الشوق بين ثلاثتنا حتى ولجنا للداخل.

كان البناء مكوناً من ثلاثة طوابق ملوناً باللونين البني والأصفر، صعدنا للطابق الثاني الذي كان عبارة عن؛ شقة واسعة علق خارجها لوح خشبي منقوش بداخله" جمعية الرحمة للجالية المسلمة " وما أن وطأت أقدامنا للداخل حتى ركض إلينا الجميع من نساء وأطفال وكبار في السن، جميعهم التفوا حولنا مرحبين بحفاوة لم أعهدها من قبل.

لم أفهم لمَ كل هذا الترحيب؟ ربما لتركي المستشفى ولتعافي ولكن هل أعرف كل هؤلاء؟ فأنا حقاً لا أتذكر أياً منهم؛ نظرت يميني على منى بنظرات فهمتها هي جيداً فاكتفت بهز كتفيها لأعلى بأن" لا تعلم من هؤلاء "، ثم نظرت على يساري حيث رامي فأجاب بمثل ما أجابت به منى، ولكنه ابتسم فرفعت حاجبي تعقيباً على ابتسامته تلك ولسان حالي يسأله ما بال ابتسامتك هذه؛ لابد من إنه يخفي شيئاً ما عني.

وأثناء تلك المعمعة وهذه الجلبة، وصل الطبيب آمراً الجميع بالهدوء وترك مساحة لنا قائلاً بوجه بشوش غير الذي كان عليه منذ دقائق:" عذراً على المقاطعة على هذا الترحيب الحار ولكن يجب على ضيفتنا الراحة في غرفتها، لذا أشكركم على تعاونكم وترحيبكم اللائق وفرحكم، ولكن إن سمحتم فلتفسحوا لها مجالاً للتنفس بحرية، هيا فليذهب الجميع إلى عمله، وأعدكم أن تجلسوا معها

كما تريدون ولكن بعد راحتها فهي لم تتعافى جيداً كما تعلمون؛ وأجدد الاعتذار مرة أخرى إن كنت أزعجت أحداً منكم بدون قصدٍ مني".

أبدى الجميع تعاونه لحديث الطبيب وذهبوا لأعمالهم، ثم أشار الطبيب لمنى فأدخلتني لأول غرفة في الممر على يسار الباب وجاء معنا رامي وجيني؛ لم أفهم شيء مما حدث لذلك أجلت الاستفسارات قليلاً حتى بقائنا بمفردنا في الغرفة.

وما إن دخلت الغرفة حتى تنفست الصعداء، وبدأت الأسئلة تتناثر من فمي هنا وهناك عل أحدهما يجيبها إجابة صحيحة كي يرتاح داخلي، لذلك بدأت بالأسئلة وأنا على الفراش جالسة:" أين أنا؟ ولمَ تركت المستشفى؟ ولمَ أنت هنا يا منى؟ وأنت يا رامي أليس من المفترض أنك في أيام اختبارات ما الذي جاء بك هنا؟ ومن هذا الطبيب الذي بالخارج ومن هؤلاء؟"، أجابتني منى بابتسامتها المعتادة:" حسناً إهدأي قليلاً سأجيبك على جميع أسئلتك لذا لا تقلقي.

أنت كما قرأت منذ قليل بالخارج في "جمعية الرحمة للجالية المسلمة"، وتركت المستشفى لأن حالتك هناك تسوء ولا تتحسن، أنا هنا ممرضة فهذا عملي كما تعلمين، وجئت هنا لمراقبتك ومرافقتك مع جيني بالطبع إن أرادت.

أما عن الطبيب فهو"رائد" سوري الجنسية، مسئول عن حالتك منذ تلك اللحظة، أما هؤلاء بالخارج فهم كما خمنت الجالية المسلمة، في هذا المكان وليس جميعهم أعتقد وكما لاحظنا جميعنا منذ قليل أنهم فضلوا الترحيب بك والاطمئنان عليك عندما علموا بمجيئك هنا، أما السؤال المتعلق برامي فهو خير من يجيبك عليه".

اقترب مني رامي ضاحكاً وهو عاقد كفيه خلف رأسه وقال بصوته الطفولي الهادئ:" لا تقلقي يا أختي فأنا أنهيت اختباراتي، لذلك تفرغت لك كلياً وسأظل هنا معك إن لزم الأمر وإن احتجت لي ستجديني فوق رأسك".

ضحكت لخفة ظل رامي وارتحت إلى حد ما من حديث منى، وتركتهم يتحدثون سوياً هي وجيني بالإنجليزية لكي توضح لها ما يجب والمطلوب فعله،

واستلقيت على الفراش وبجواري رامي على الكرسي يقلب في هاتفه، بدا كأنه يبحث عن شيء بعينه.

شردتُ فيهم فأنظر تارةً لمنى وجيني مبتسمة وأراقب حديثهم وحركاتهم وألتفت تارةً أخرى لرامي_الذي كان يعبث بهاتفه، وأراقب تعابير وجهه وابتسامته التي يطلقها بين الحين والآخر وحركات وجهه..

"كم أنا محظوظة لامتلاكي أخاً مثله ورفيقة مثل منى؛ ربما تعرفت عليها منذ أيامٍ قلائل، لكنها نجحت في توطن قلبي بجدارة".

وبينما أنا في شرودي ذاك إذ بي أتذكر فجأة هاتف منى، الذي بقي معي فأخرجته من جيبي ونهضت منادية على منى:" صحيح لقد تذكرت هاتفك، تفضلي لقد تركته معي قبل رحيلك ولكن لماذا لم تخبريني قبل رحيلك وتودعيني؟ لماذا تركتني هكذا بلا علم حتى أحزنتني؟!".

فنظرت لي منى بحنان واقتربت مني قائلة:" أعتذر كثيراً على الذهاب هكذا دون إخبارك لكني أجبرت على الذهاب لقسم آخر، لقد طلب مني الرئيس ترك القسم والتبديل مع جيني، حاولت الاعتراض ولكن لم أستطع، فلقد حذرني من إنشاء علاقات مع المرضى، لذلك أجبرت على تغيير القسم، أردت المجيء صدقيني أكثر من مرة لكنه كان يراقبني جيداً، أنا متأسفة حقاً يا مي".

أعلم صدقها لذلك أخبرتها:" لا تعتذري فأنت لم تخطئي في شيء بل أنا من عليه الاعتذار لتعريضك لمثل هذا الموقف، اعذريني يا منى".

اقتربت مني واحتضنتني قائلة:" لا تقلقي لن يتكرر هذا ثانية ولن أتركك أبداً حتى بعد تعافيك، سأظل معك رفيقة وصديقة إن أردت". كم ارتاح قلبي لجملتها تلك، صحيح أني لا أتذكر شيئاً بعد عن عائلتي، ولكن الله في تلك اللحظة رزقني برفيقة صالحة كمنى، أرجو من الله أن يحفظها ويسدد خطاها ويسعد قلبها كما أسعدت قلبي بعد أن كان حزيناً جريحاً..

وفي منتصف رفقتنا تلك نظرت إلى الهاتف وقالت:" هذا ليس هاتفي فهاتفي معي، إنه هاتفك أنت؛ لقد أعطاني إياه رامي عند قدومه للمستشفى، وعندما علم

بتحسن حالتك طلب مني أن يبقى هاتفك معي في حين أردت محادثته أو أراد هو أن يحادثك".

نظرت إليها غير مصدقة:" ولكن كيف؟ لقد كان معك دائماً وماذا عن كلمة المرور كيف كنتِ تعلمينها وهو ليس لك؟"

فأشارت على رامي وأخبرتني:" هو من غير كلمة المرور لتكون اسمك، لذلك كان من اليسير عليّ أن أفتح الهاتف قبل أن أعطيه لك، لكني لم أنظر إلى ما بداخله أو أعبث به صدقيني"، قالت آخر كلمتين برعب فلم أستطع إمساك ضحكتي وأطلقت لها العنان، لتنظر هي لي وينتبه لنا رامي ويضحكان سوياً دون أن يعرف سبب ضحكنا، حتى أن جيني التي لم تفهم حرفاً مما قلناه ضحكت هي الأخرى، ضحكنا حتى آلمتنا معداتنا، بعدها نهض رامي ليودعني ويرحل لمنزله ووعدني أن يأتي غداً مع والديه وخرجت معه منى وجيني ليتركاني أستريح قبل موعد الطبيب بعد ساعتين ليفحصني مجدداً حتى يتأكد من تعافي بالكامل..

ظللت أتقلب على الفراش أحاول إغماض جفوني ولكنهما أبتا الإغماض فظللت أتقلب" .....

الفصل الثامن عشر:

تشتت وحيرة :

استيقظت مي فزعة لصوت ارتطام في الخارج، لتخرج من أحلامها تلك لتجد نفسها في غرفة غير غرفتها ومكان ليس بمنزلها، حتى أنها حاولت الصراخ منادية على صديقتها فلم تفلح لتكميم فمها، ورؤية نفسها مقيدة كما كانت بالأحلام وكما سمعت من قصة مي بلسان الفتاة الغريبة بخارج منزلها..

لم تفهم أو تعي ما يحدث لها حاولت النهوض من على الفراش فلم تستطع، إلى أن تنبهت لصديقتها مقيدة مثلها بجوارها وغارقة في سبات طويل والدم يسيل من رأسها.. فزعت لحالة صديقتها تلك وحاولت الهمهمة علها توقظها من سباتها وتتأكد بأنها بخير.. حاولت تحريك جسدها لكنها كانت مثبته بمكانها لا تستطيع الحراك.. نظرت حولها علها تعلم أين هي؟ يبدو المكان مألوفاً جيداً لها لقد رأت مثل هذا المكان من قبل، ولكن أين لا تتذكر؟

كانتا في غرفة بحجم غرفتها، مظلمة إلى حد ما، تملؤها الغبرة من رائحتها وعطسها المتكرر وإحساسها بالاختناق.. بالغرفة دولاب متوسط الحجم تعلوه بعض الأوراق المكدسة فوق بعضها بدون اهتمام، وعلى الأرض أوراقاً أيضاً ملقاة، يبدو أنه من كثرة تكدس الأوراق فوق الدولاب تساقط بعضاً منها على الأرض.

الباب مغلق والأنوار أيضاً مغلقة ولكن، ضوء النافذة المفتوح قليلاً هو ما أعطى تلك الإضاءة الخافتة، لا توجد شمس إذاً ربما هو وقت العصر أو قبل الغروب بقليل ربما، الفراش المستلقيتان عليه يبدو مهترئاً والخشب متصدع كذلك الحوائط، لا توجد بالغرفة مروحة أو حتى شيئاً للتهوية، لذا لا عجب بشعور مي بالسخونة قليلاً..

تنبهت مي لاقتراب أصوات أقدام من الغرفة تلتها أصوات شجار؛ إنهم ليسوا عرب؟ هكذا استدل عقلها من لهجة المتشاجرين، اقترب الشجار حتى وصل لخلف الباب.. وما هي إلا لحظاتٍ قليلة حتى فتح الباب ليظهر مسببوا تلك الضجة ومرتكبوا ذاك الاختطاف.. ثلاثة رجال ملثمين لا تظهر منهم سوى أعينهم ويبدو أنهم بيض البشرة.. اقترب أحدهم من مي التي سارعت بتمثيل الإغماء قبل دخولهم الغرفة، وقام بلمزها بيديه وإزالة ما كمم به فمها لتستيقظ مظهرة التفاجؤ بمكانها لتصيح بصوت مرتجف:" أين أنا؟ ومن أنتم؟ ولمَ

اختطفتمونا؟"، ليبادرها أحدهم بلهجة عربية ركيكة ساخطة:" أنتم في الجحيم يا عزيزتي، ونحن الشياطين التي ستعذبكم" فنطق الحاء هاء والعين ألف والطاء تاء..

ثم ضحك ضحكة ساخرة تبعه فيها الاثنان الآخران .. مما أغضب مي التي بصقت على وجهه قائلة بحنق:" عليكم اللعنة أنتم وجهنمكم تلك، لن تفلتوا من العقاب صدقاً لن يفلت أياً منكم".

ليصفعها ذاك المتحدث بصفعة كادت أن تطير رأسها من عنقها، لينساب خيطاً من الدماء من فمها، ويسرع ليضع شريطاً لاصقاً على فمها كي لا تصرخ طالبة النجدة .. ليخرجوا ويتركوها في ألمها ذاك الذي أحدثوه في وجنتها ورأسها وروحها من قبلهما..

شيئاً ما في صوت ذاك الأرعن ذكرها بشيء.. نعم لقد سمعت ذلك الصوت من قبل أين!! لا تتذكر؟ حاولت عصر ذاكرتها لكن دون جدوى.. بررت عدم تذكرها بأنه لم يتحدث كثيراً لذلك لم تستطع تذكره، ربما لو تحدث قليلاً بعد لتذكرت صوته.. تناست ألمها ذاك ونظرت مجدداً لصديقتها وهي تهمهم باسمها "منى.. منى استيقظي"... لكنها لم تلبى النداء حينها دب الفزع بقلب مي و أكد لها عقلها الباطن بأن صديقتها ربما فارقت الحياة، فذرفت مي سيلاً من الدموع وهي تهمهم باسم صديقتها، وظلت تبكي دون توقف، وتعالى نحيبها مما جعل أحد الثلاثة ملثمين يعود للغرفة مجدداً، ليصفعها صفعةً أقسى من سابقتها فتدور الغرفة من حول مي وتسقط مغشياً عليها نتيجة لقوة كفه الغاشمة..

رأت مي سيدة تقترب منها بلطف مبتسمة، بدت من ملامحها كامرأة أجنبية ثلاثينية العمر، مسلمة ترتدي حجاباً أزرق اللون وتمسك بيدها طفلة في التاسعة ربما.. اقتربت منها بلطف، ومدت إليها يدها لتلمس وجنتها بيدها الدافئة ثم احتضنتها وهمست في أذنها:" لا تخافي فنحن نعلم ببراءتك، عليك المواجهة والتحمل، فقط لتبرئة نفسك عليك؛ بالمواجهة والمحاربة ". ثم ابتعدت عنها وغادرتها هي والطفلة...

كان هناك صوتاً مكتوماً يعلو من حولها، نظرت يميناً ويساراً تبحث عن مصدر الصوت لتجد منى صديقتها.. وفجأة استيقظت مي على صوت همهمة منى

بجوارها، فتحت عينيها غير مصدقة، لشدة فرحها دمعت وبدأت تجهش بالبكاء مجدداً وهي تردد داخلها " الحمد لله .. الحمد لله ".

نظرت إليها صديقتها مستغربة مكانهما ووضعهما ذاك، لتجيبها مي بهز كتفيها وتشير برأسها ناحية باب الغرفة، لتصمت منى وقد فهمت ما تقصده صديقتها، لتنظر الأولى نحو الباب دامعة العينين مرددة بداخلها:" اللهم أنجدنا ".

ظلت الفتاتان على حالهما ذاك ربما قرابة النصف ساعة، حينما تكرم أحد الخاطفين ودخل الغرفة لرؤية إن كانتا استيقظتا أم لا، ليخرج مسرعاً منادياً للأخرين.

دخلا اثنان منهما صاحب اللغة العربية الركيكة الذي اقترب من منى، ممسكاً برأسها حيث سال الدم منها ليتحدث شامتاً:" إنه غباؤك الذي أصابك بتلك الضربة الموجعة، لو لم تحاولي المقاومة لما أصابك كل هذا الضرر، كم أنتم أغبياء يا مسلمين".

ثم توجه بالحديث لصديقه بلغة لا تعلمها أياً من الفتاتين، ولكن يبدو من حديثهما أنهما يتحدثان عنهما أو ما سيفعلونهما بهما، لنظراتهم إليهما بين الحين والآخر .

أخرج الأرعن هاتفه الجوال وطلب رقماً، ثم تحدث مع صاحبه بصوت عالٍ فبدا كأنه يتشاجر مع من يهاتفه، وتأكدت مي من الشجار عندما أغلق الهاتف بغضب وألقاه أرضاً، ليوجه الحديث مجدداً لرفيقه، الذي خرج بعدها وأتي مرةً أخرى وبحوزته مغلف أصفر ممتلئ وتوجه الآخر نحو النافذة لإغلاقها، وإضاءة لمصابيح .

اقترب الأرعن من منى ومي وبيده المغلف الذي أخذه من رفيقه، وقام بفتحه ثم أخرج منه صوراً لمي ومنى، بدا جيدا من تلك الصور أنهم كانوا يراقبونهما.. فالصور في المكتبة وأمام المنزل وفي الجامعة حتى.. ولكنه توقف عند صورة لمي برفقة صبي صغير يبدو في التاسعة بنفس عمر الطفلة في حلمها منذ قليل، ثم أشار على الصبي ليصيح بلهجةٍ مهددة:" أين الصور؟! أو سنبدأ بهذا الفتى".

كررها مرتين وفي كل مرة ينظر لمي نظرة مرعبة، مهدداً إياها بهذا الصبي الذي لا تتذكره أو تعلم أين رأته من الأساس.. هزت مي برأسها يميناً ويساراً بأنها لا تعلم عن ماذا يتحدث هذا الأحمق، لينزع الشريط اللاصق من فمها فتجيبه:" لا أعلم عن ماذا تتحدث؟ أي صور وأي فتى؟ من هذا؟ أنا لا أعلم أي شيء".

مما أدى لغضب الأرعن وإكمال التقليب في بقية الصور أمام مي ومنى، ليتوقف مجدداً عند صورة لمي برفقة طفلة لتدقق مي النظر جيداً للصورة؛ إنها تشبه الطفلة في الحلم، لا بل هي.. هي نفس الطفلة ولكن من هي؟ وأين تعرفت مي عليها؟

لا تعلم ولا تتذكر أي شيء، أعاد المختطف نفس تهديده الأول لمي ولكن هذه المرة هددها بتلك الطفلة، لتجيب مي نفس إجابتها بأنها لا تعلم أي شيء.. مما أدى لحنق المختطف كثيراً ليلقى بالصور أرضاً ويمسك مي بقسوة من شعرها ويضع سكيناً على عنقها مهدداً إياها:" تحدثي أو قتلتك هنا والآن".

لتجيبه بضحكة عالية مستفزة وبنفس إجابتها السابقة، مما جعله يستشيط غضباً ليتركها ويتوجه لمنى موجهاً سكينه هذه المرة لعنق صديقتها قائلاً:" حسناً سأقتلها هي".

ضحك ساخراً وتعالت ضحكاته، ليدب الفزع في قلب مي لتوجيه السلاح على صديقتها، حاولت مي تهدئة المختطف بلهجة مرتعشة:" حسناً اهدأ.. وأعدك بأني سأحاول تذكر ما الذي تقصده وتريده ومن هؤلاء الذين بالصور، أعدك سأحاول بذل قصارى جهدي لأتذكر أي شيء ولكن لا تؤذ صديقتي أرجوك.. أرجوك سأحاول تذكر كل شيء وسأجيبك على أسئلتك كلها أرجوك لا تؤذها".

وظلت تبكي وترتجف من الخوف على صديقتها التي اصفر وجهها من الفزع، حتى أبعد المجرم السكين عن عنق منى وبدأ بالحديث مجدداً:" حسناً، هيا فلتتحدثي أو ذبحتها كالخراف أمامك ".

لم تكد مي تتحدث حتى بدا على وجه منى الذبول أكثر فأكثر، لدرجة أن تحول لون شفتيها للون الأصفر، وبدأ جسدها يترنح يميناً ويساراً لتسقط في النهاية

على مي مغمضة العينين وبجسدٍ باردٍ كالثلج، لتصرخ مي باسمها بفزع ويضطرب أحد المجرمين مسرعاً، ويقوم بحمل منى للخارج بدون تفكير أو حتى تبرير للمجرمين الآخرين.

هال مي ما رأته فصرخت فيهم والدموع تتساقط من عينيها:" لقد قتلتموها بفعلتكم تلك عليكم اللعنة، أحضروا لها طبيباً فوراً هيا، فكوا وثاقي، أقسم إن حدث لصديقتي مكروهاً أقسم أنكم لن تخرجوا من هنا أحياء، وستندمون أشد الندم على اختطافكم لنا، منى أرجوك لا تستسلمي منى هيا انهضي، منى..... أين أخذها هذا المجرم ؟! منى أحضروا لي منى أرجوكم أرجوكم ... "

لم تتوقف مي دقيقة عن صراخها ذاك، مما دفع أحدهما بتخديرها لتتوقف عن صراخها ذاك خوفاً من أن يكتشف أحد المارة ما يحدث بالداخل؛ وما إن غفت مي حتى أسرع الاثنين لخارج الغرفة، حيث الثالث ومنى ليحتدم بينهما شجاراً جديداً، ويتفقون في النهاية على أخذها لطبيب يعرفونه جيداً خوفاً من أن يصيبها مكروهاً فتأبى مي إخبارهم بما يريدونه.

مضت قرابة الثلاث ساعات ومي في غفوتها تلك، لم تستيقظ إلا عندما شعرت بشيء بارد على وجهها يتقطر لتفتح عينيها وتقفز بفزع مرددة:" منى أين منى؟! ما الذي حدث لها أين هي؟!" وما إن التفتت حيث أشار لها أحد المجرمين، حتى دمعت عيناها فرحاً ورددت في سعادة:" حمداً لله أنك بخير حمداً لله"، لتجيبها منى بإيماء رأسها للأسفل وللأعلى وبابتسامة علت وجهها قائلة بخفوت:" لا تقلقي فأنا بخير والحمد لله لم تفقديني بعد يا صديقتي المجنونة".

لتنهي حديثها بعينين دامعتين تاركة العنان لدموعها تنساب كالسيل، وهنا قطع الأرعن حديث الصديقتين بسخط:" والآن هيا وأخبرينا بما نريد وإلا قتلناكما أنتما الاثنتين هذه المرة، فنحن لن نضيع وقتاً أكثر في هذه السخافات".

حاولت مي الهدوء وربط الأفكار داخل عقلها جيداً، فهي لا تتذكر أي شيء ولا تعلم ما الذي ستخبرهم به، ولكنها مضطرة على اختلاق أي شيء كي لا يؤذوا منى مرة أخرى، لذلك حاولت مجاراتهم بما يريدون حتى تنقذ منى منهم، فأخذت نفساً عميقاً قبل أن تخبرهم بهدوء مصطنع:" حسناً.. سأخبركم بما أعلمه وما أتذكره؛ هذا الصبي في الصور معي هو ابن أحد الجيران وكنت أساعده في

دروسه وهذه الطفلة ابنة صديقة لوالدتي كانت قد صنعت لها معروفاً فيما مضى لذلك أرادت أن ترد المعروف ولكني رفضت، فأصرت طفلتها على مرافقتي للتنزه معاً، بمعنى آخر ليس لي علاقة قوية معهم إلا أنها مجرد معرفة قديمة، فهم لا يعرفوني جيداً كما أني لا أعرفهم، سوى مرحباً يا صبي ومرحباً يا صبية ليس أكثر من ذلك، أما الصور التي تريدها مني فصدقاً لا أعلم أين هي الآن ولكنها كانت معي"..

أنهت مي جملتها تلك وهي تنظر لمنى في محاولة لامتصاص استفساراتها، التي بدت عالقة على وجهها ثم أعادت نظرها للأرعن لتؤكد له صدق حديثها كله، كي لا يشك بكذبها ولكنه سرعان ما سألها بعدم فهم:" ماذا تقصدين ب كانت معي؟!"، أجابت مي بسرعة:" أعني أنها كانت معي سابقاً، كنت أحتفظ بها جيداً ولكنها سرقت، هذا ما قصدته ولا أعلم من سرقها ولا متى؟! إن كنت ستسألني مجدداً".

نظر لها غير مصدق لما قالته ثم أردف قائلاً:" أنت تكذبين أليس كذلك؟!" رمقته مي بنظرة غاضبة وانفعلت فيه صارخة:" ولمَ أكذب عليك، أخبرتك بما تريد فإن صدقت كان وإن لم تصدق فهذا شأنك وحدك، فأنا لست في موقف يسمح لي بالكذب، أنا أحاول النجاة هنا مع صديقتي لا الموت، أفهمت؟! لذا لا تتهمني بالكذب مجدداً".

لم يستسغ المجرم حديث مي الأخير ولكنه أظهر أمامها التصديق، وذهب للخارج مع زملائه بعد أن كمم فم مي ومنى مجدداً، سمعتهم مي يتحدثون معاً بلهجتهم تلك التي تجهلها تماماً، فحاولت الاستيعاب وفهم كلمة واحدة ولكنها لم تفلح بهذا الأمر، فهذه لغة غريبة عليها لم تمر بعقلها من قبل ولا حتى سمعتها قبل ذلك كما تتذكر.

مضت قرابة ساعة قبل أن يعود الأرعن مجدداً للداخل موجهاً الحديث إليها بتهديد:" سنترككم الآن ولكن إن تبين لنا أنك تكذبين وأن الصور ما زالت معك، سأقتلهم جميعاً وستتسببين بموتهم أنت لا أحد غيرك سمعتني؟! لذا يستحسن أن يكون كلامك صحيحاً كله"، أجابته مي بإيمائها لأعلى وأسفل موافقة على حديثه

فاقترب منها ووضع يديه على أنفها مخدراً إياها بمحرمة لتغيب عن وعيها مجدداً..

خدرها المختطف هي ومنى وأخذوهما من تلك الغرفة لمنزلها ووضعوهما على الفراش تاركين رسالة بجوارهم قبل آن يغادروا...

"مي مي مي استيقظي مي لا تفزعيني، هيا انهضي.. مي لا تقلقيني أكثر... انظري لقد جاء رامي مي مي" استيقظت مي فزعة على صوت منى، التي استمرت بإيقاظها لمدة ربع ساعة وما إن أفاقت حتى احتضنتها مي قائلة:" الحمد لله على نعمة وجودك بجواري، لا تتركيني مجدداً أو قتلتك أنا بيدي"، قالت كلمتها الأخيرة وهي دامعة لتنظر إليها منى بحنان قائلة:" الحمد لله أننا بخير ولم يصبنا شيء لقد قلقت عليك كثيراً حاولت إفاقتك كثيراً لكن دون جدوى، لدرجة أني خفت من أن يكون قد أصابك شيء أو استنشقت كمية كبيرة من الغاز المتسرب.. حقاً لقد ارتعبت كثيراً"

.. ابتعدت مي قليلاً عن منى الجالسة بجوارها على الفراش ورمقتها بنظرة خالية من أي تعبير على الإطلاق، محركة رأسها بغير فهم متسائلة:" ماذا؟! ماذا تقصدين باستنشاق الغاز؟! عن أي غاز وأي تسرب تقصدين لم أفهم؟ عن ماذا تتحدثين؟! أأنت بخير يا منى؟! لم يصيبوك بأذى أليس كذلك؟! هل ضربوك على رأسك بشدة؟!" أنهت أسئلتها تلك وهي تدور بعينيها حول منى وتبحث في رأسها عن أية إصابات.

لتقاطعها منى مهدئة إياها:" اهدأي.. اهدأي.. ألا تتذكرين ما حدث منذ قليل؟!"، لتجيبها مي بسرعة:" بلى أتذكر، ألا تتذكرين أنتِ ما حدث لنا من اختطاف وأولئك الأشرار!! لقد آذونا ألا تتذكرين يا منى؟!".. ذهلت منى من حديث مي فصرخت بغير فهم:" ماذا؟! أي اختطاف هذا ومن هم الأشرار؟! أأنت مستيقظة فعلاً يا مى أم لا زلتي تحلمين؟! مي أنت بخير أليس كذلك؟!".

وضعت منى كفها على جبهة صديقتها لتتحسس درجة حرارتها متمتمة:" درجة حرارتك مرتفعة قليلاً، ولكن ليس بالشيء الخطير.. أنت بخير؟! أتشعرين بأي ألم يا مي؟! هيا أخبريني".

رمقتها مي بنظرة بلهاء لعدم وعيها بما يحدث من حولها، ولكن سرعان ما تحولت نظرتها البلهاء تلك لأخرى فزعة عندما دارت بعينيها حول الغرفة صارخة:" ماذا؟! ..أين نحن؟! هذه ليست غرفتي، أين وضعونا أولئك القذرون لقد كذبوا علينا، أخبروني أنهم سيتركوننا وشأننا لقد كذبوا علينا، عليهم اللعنة مجرمون قذرون كاذبون".

حاولت منى تهدئة مي وطمأنتها، فأسرعت وأحضرت لها كوب ماء بارد لتخبرها بلطف:" حسناً اهدأي قليلاً واشربي الماء، بعدها لنتحدث عن أولئك المجرمون حسناً؟!"، أذعنت مي بصعوبة لحديث منى وحاولت الهدوء بعد شرب الكوب كله مرة واحدة لتتحدث بعدها بهدوء:" حسناً هدأت، ولكن أخبريني أين نحن الآن؟! ولمَ أنت هكذا بهذا البرود وكيف تتصنعين تلك الطمأنينة وكأن شيئاً لم يحدث و.."، لم تكد تنهي حديثها واستفساراتها حتى قطع الحديث طرقات الباب، ثم تبعها دخول طفل إلى الغرفة لتصرخ مي بغير تصديق:" تباًا، إنه هو ذاك الطفل في الصورة، كيف وجدنا يا منى؟!" ليرمقها رامي بنظرةٍ متفاجئة ويلتفت لمنى بغير فهم متسائلاً:" ماذا؟! ما الذي يحدث هنا؟! أهي بخير؟! آنسة منى أهي بخير؟!".

نهضت منى بسرعة من على الفراش، وتوجهت لرامي ساحبة إياه لخارج الغرفة بعد أن قالت لمي:" حسناً سأعود بعد قليل اهدأي، وسأخبرك بما تريدين معرفته، اتفقنا؟!" لتتوجه خارج الغرفة مع رامي الذي ما إن أغلقت الباب خلفها حتى سألها مسرعاً:" ما الذي يحدث؟!" لتنظر إليه منى محاولة ترتيب ما يدور بفكرها من أفكار مبعثرة لتجيب:" حقيقة لا أعلم ما الذي يحدث، أظن أنها فزعت من كابوس أو ربما هذا تأثير تسرب الغاز، ربما خافت نتيجة لاستنشاقها القليل من الغاز، فتداخل خوفها بحلمها فتوترت أعصابها قليلاً.. أرجوك اهدأ أنت، وأخبر الطبيب رائد فوراً ولكن كن حذراً لكي لا يسمعك أحد أخر ولا تأتِ مجدداً، فقط انتظرني هنا وأنا سأفهم من الطبيب وسأخبرك.. حسناً؟!".

أومأ رامي برأسه موافقاً لإرشادات منى الممرضة وذهب لمناداة الطبيب كما أخبرته، وما هي إلا دقائق حتى أتى الطبيب لغرفة مي التي كانت برفقة منى تحاول فهم ما يحدث من حولها، وما إن اقترب الطبيب حتى بادرته مي متسائلة:" من أنت؟! وماذا تفعل هنا؟! ما الذي يحدث يا منى أخبريني"، حاولت

منى تهدئة مي بإخبارها الحقيقة:" هذا الطبيب رائد ألا تذكرين؟! إنه من أخرجك من المستشفى وأتى بك إلى هنا؟! مي ما الذي يحدث لك؟ هل عدت لنسيان ما حولك مجدداً؟!".

حاولت مي هضم ما أخبرته إياها منى ولكن بدون جدوى، فلقد بقى عالقاً في منتصفها لتجيب سؤال منى بسؤال آخر:" أي مستشفى وأي طبيب؟! من هذا؟ وماذا يحدث هنا؟ وكيف نسيتِ أنت ما مررنا به منذ قليل يا منى؟! حباً في الله ما الذي يحدث هنا أنا لا أفهم شيئاً؟!".

اقترب الطبيب من مي بحذر ليجلس على المقعد المجاور لفراشها محدثاً إياها بهدوء وحذر شديدين:" حسناً اهدأي، فقط تنفسي بهدوء.. شهيق وزفير هيا ببطء لا تقلقي فقط تنفسي براحة.. الآن هيا أخبريني ماذآ تقصدين ولكن بهدوء تام وبدون انفعال.. حسناً أخبريني بكل شيء بالتفصيل ولا تنسي شيئاً".

ألقت مي نظرة مطمئنة على الطبيب بعدها نفذت ما طلبه منها، ثم حاولت تذكر ما حدث لهما منذ قليل لتتحدث بهدوءٍ تام:" حسناً لقد كنت بغرفتي مع منى وغفوت، لاستيقظ وأرى أنفسنا مقيدتين ومكممتين بمكان لا أعلمه، لم أفهم ما الذي حدث إلا حينما دخل ثلاثة أشخاص ملثمين حيث قيدونا وهددونا وأروني بعض الصور لنا أنا ومنى في المكتبة والشارع حتى أمام المنزل وكانت هناك صورتين لي، الأولى برفقة صبي كان يبدو كذاك الطفل الذي كان هنا منذ لحظات والأخرى برفقة فتاة بعمره تقريباً، لا أعلم من هي، وبدأ أحد المختطفين بتوجيه الأسئلة لي عن بعض الصور التي لا أعلم عنها شيء، ثم هددوني بالطفلين وعندما لم يحصلوا على شيء مني وضعوا السكين برقبة منى وهددوني بها، فاضطررت للكذب عليهم وأخبرتهم بأن الصور سرقت مني، وأني لا أعرف هذين الطفلين حق المعرفة فاقتنعوا هم بذلك الأمر، وأخبروني بأنهم سيتركوننا وشأننا وسيفكوا وثاقنا.

وآخر ما أتذكره هو أنهم خدرونا لاستيقظ وأجد نفسي هنا، في البداية ظننته المنزل ولكن خاب ظني فهذا ليس منزلي، وعند استيقاظي وجدت منى تحدثني عن شيء آخر، تسرب غاز أو شيء من هذا القبيل، هذا ما حدث بالتفصيل، فهل لك أن تخبرني بما يحدث هنا وأين أنا؟!"، نهض الطبيب من مقعده واقترب من

مي ليقيس درجة حرارتها ليجدها مرتفعة جداً، فيسرع للخارج دون أن يتفوه بكلمة ليعود مسرعاً وبيده إبره ودواء خافض للحرارة ليأمر مي بتناول الدواء ثم يحقنها بالإبرة لتغلق عيناها وتغفو من جديد ....

" مي هيا قاومي مي لا تستسلمي، مي جميعنا ننتظرك هنا فلا تيأسي، مي مي وبدأ الصوت بالخفوت لينقطع تماماً".

" لقد استيقظت" صرخ بها رامي لتدخل منى مسرعة على صراخه، ومعها الطبيب الذي قام بدوره بتقريب كشاف صغير من عين مي وتفحصها لينطق بهدوء وراحة:" الحمد لله لقد تحسنت حالتها عن ذي قبل، حمداً لله على سلامتك يا مي لقد أقلقتنا" ليغادر تاركاً ابتسامته معلقة في الهواء من خلفه، لتسرع منى وتحتضن مي قائلة بفرح:" لا تقلقينا هكذا مرة أخرى يا مي، أقسم بالله أن قلبي كاد أن يتوقف فزعاً عليك"، لم تفهم مي كلمة واحدة مما قالوه فاكتفت بالصمت والتمسك جيداً بحضن صديقتها، فهذا يريحها ويشعرها بالأمان إلى حدٍ كبير ..

ظلت مي على حالها الصامت ذاك قرابة النصف ساعة تدور بمقلتيها أرجاء الغرفة قبل أن تعلق قائلة:" أهذا حلم؟! أم ذاك هو الحلم وهذا واقع؟!"، لتنظر لها منى بغير فهم قائلة:" ما هو هذا وذاك، ماذا تقصدين يا مي أعتقد أنك ما زلتِ تهلوسين، فهذا هو الواقع و ذاك هو الحلم، أنت الآن في الواقع بيننا هنا في أمان وكل من حولك هم حقيقيون ليسوا وهماً أو سراباً فلتطمئني".

رسمت مى ابتسامة على وجهها وأسندت ظهرها على الحائط وعلقت نظرها على السقف، وهي مغمضة العينين لترتب في عقلها ما حدث وما يحدث.. فانسحبت منى ورامي من الغرفة وتركوها بمفردها علها تعود لوعيها من جديد.. حاولت مي ترتيب الأفكار وربط الخيوط ببعضها البعض وتوصلت لنتيجة أن الاختطاف ما هو إلا حلم، ولكن ماذا لو كانت هي الآن في حلم لم تصحو منه بعد؟! ماذا لو دخلت في قصة الفتاة الغريبة لتمتزج بأحداثها وتذوب في ثناياها كبطلتها الغامضة ذات الهواجس؟!..

ماذا لو كان حلماً بداخل حلم حتى أن ما يحدث الآن هو حلم لم تستيقظ منه بعد؟! فتحت عينيها فجأة والتفتت من حولها لتعثر على أي شيء يجيبها عن أسئلتها الغريبة تلك، لتقع عينيها على مكتب رصت فوقه جرائد وأوراقاً فأنزلت

قدميها لتسير حيث المكتب ونهضت، لكنها سقطت فجأة على الأرض: عندما تحاملت على قدمها اليمنى فلقد آلمتها كثيراً، ولم تتحمل ثقل جسدها فزلت وسقطت بشدة.

لم تيأس بل زحفت على الأرض زحفاً إلى أن وصلت للمكتب ورفعت يدها وسحبت ما عليه لتتساقط الأوراق حولها، لترى ما صدمها أكثر من صدمتها بآلام قدمها..:" إنها صورتي ولكن لماذا؟!" كانت صورتها مطبوعة في كل الجرائد التي سقطت على الأرض، وخبر واحد متداول بكل الصحف باللغتين العربية والإنجليزية بخطٍ عريض:" إصابة الطالبة مي بجروح عميقة وإلحاقها بالمستشفى".

لتقرأ ما كتب تحت هذا العنوان فتزداد صدمتها أكثر:" أصيبت اليوم الطالبة مي المصرية الملتحقة بجامعة**** بكلية الآداب بجروح عميقة، جراء محاولة قتلها على يد مجهولين في محاولة دعس بسيارة مجهولة، وأصيبت الطالبة بجروح في رأسها ويدها وساقها طبقاً لما وردنا من المستشفى المكلفة بعلاجها، وقد تداولت القنوات الإخبارية أخباراً متناقضة حول إصابتها تلك وتورطها بالحادث الإرهابي الأخير لمحاولة تفجير فاشلة لمسجد في المنطقة الغربية من البلاد، كما أفاد بعض الشهود العيان عن رؤيتها برفقة المتورطين بالتفجيرات الماضية لمطعم وسينما.. ولكن أنكر ونفى المسئولين عن التحقيق بقضية التفجير الأخيرة أية علاقة لمي بالانتحاريين الذين تم القبض عليهم الشهر الماضي في إحدى البارات القريبة من المطعم الذي تم تفجيره سابقاً".

هكذا قرأت مي الخبر في أكثر من جريدة لتزداد فزعاً أكثر من ذي قبل، لم تتمالك مي نفسها بعد قراءة هذه الأخبار ورؤية تلك الصور لتصرخ بصوت عالٍ والدموع تتساقط من عينيها كالسيل وتلقي بالأوراق من أمامها:" كاذبون، كلكم كاذبون؛ أنا لم أؤذي أحد ولن أؤذي أي أحد، هم من آذوني واختطفوني وسببوا لي الآلام، لقد تذكرت كل شيء، كل شيء صار واضحاً أمامي هم السبب هم السبب".

لتدخل منى الغرفة على صراخ مي راكضة، لتحتضنها بقوة وتحاول تهدئتها قائلة:" لا بأس أنا أصدقك، لا بأس أنتِ لست مجرمة أنتِ ضحية.. مي لا تجزعي واهدأي ......" مي مي ...

الفصل التاسع عشر:

كش ملك :

" لتفتح عينيها على نظرات منى والأطباء الفزعة والفرحة في آن واحد:" لقد أفاقت المريضة من غيبوبتها الحمد لله"، نطقها أحد الأطباء لترتسم البسمة على وجوه البقية ومنهم منى التي امتزجت مشاعرها بين الفرح والألم لآلام مي..

لم تستوعب مي ما يدور من حولها فقد كانت في غرفة مختلفة تماماً عن ذي قبل، معها ثلاثة أشخاص بالإضافة لمنى، تحيطها أجهزة وخراطيم معلقة تخرج وتدخل منها سوائل، مكتظة برائحة المعقمات التي ملأت الجو تماما.

لم تتفوه بكلمة واحدة فلقد أحست بثقل في لسانها، كما لم تستطع الحراك من على الفراش فقط اكتفت بإغلاق وفتح جفونها والنظر يميناً ويساراً بتعجب على ما يدور من حولها.. فحصها أحد الأطباء جيداً، ثم انسحب برفقة ممرضة من الغرفة، لم يبقى سوى طبيبة واحدة ومنى التي جلست بجوار مي ممسكة بيدها متحدثة مع الطبيبة بصوت منخفض بالإنجليزية، لم تلبث بضع دقائق حتى غادرت الطبيبة وظلت منى معها بمفردهما، التي لم تتوقف لحظة عن الابتسام وشكر الله على إفاقة مي.

فبدأت في الحديث بصوت هادئ مع مي التي أنصتت لها بكل اهتمام:" مرحباً بعودتك سالمة إلينا أتعلمين؟! كنت متأكدة من إفاقتك قريباً.. كل يوم كنت أدعو أن تفيقي، دعوت بهذا طيلة شهر كامل والحمد لله في آخر يوم فيه ها قد صحوتي وأفقتي الحمد لله..

رامي أيضاً كان يدعو معي ومريم ومحمد حتى فاروق كان يتمنى إفاقتك اليوم قبل الغد، الحمد لله أنك عدت لوعيك بعد تلك المدة الطويلة.. لقد أخبرتني الطبيبة بأن إشاراتك الحيوية بخير وصحتك تتحسن و يجب أن يحادثك الجميع لتستمعي لهم وتحاولي التحدث معهم، لأن شهراً كاملاً بدون حديث ليس جيداً لك، لذلك سأحدثك عن ما تريدين وستنصتين لحديثي الطويل رغماً عنك" قالتها منى بضحك.

ابتسمت مي لكلام منى الأخير وهزت رأسها موافقة، وعادت تنظر للغرفة نظرة سريعة من حولها متخيلة ما عاشته طيلة شهر فيها بدون حراك ..

بدأت منى في الحديث مجدداً وانتبهت لها مي بكل حواسها لتفهم ما حدث:" والدتك كانت هنا، ولكنها ذهبت للمنزل لترتاح قليلاً برفقة والدة رامي بعد إصرار ومحاولات كثيرة".

لمعت عينا مي عند سماعها لكلمة *والدتك* ودمعت عيناها متذكرة حنانها وعطفها، لقد تذكرتها تذكرت عائلتها ووالدتها مهجة قلبها وروحها، إنها الروح والقلب ولكنها توقفت لحظة لماذا والدتها وحسب أين والدها؟! لذلك نظرت لمنى نظرة متسائلة فهمتها منى جيداً فأسرعت مطمئنة:" والدك عاد لمصر لتدهور حالة جدك عند سماعه مؤخراً بأخبارك، لم يرد أحد إخباره بما حدث لكِ بسبب إصرار والدك، لضعف بنيانه وتدهور صحته المتواصلة بسبب كبر سنه، ولكن بمجرد انتشار الأخبار في مصر عما جرى لكِ، سمع على الفور وللأسف لم يتحمل قلبه فأصيب بأزمة قلبية ولكنهم استطاعوا إنقاذه ووضعه تحت الملاحظة المستمرة حمداً لله.

لذلك اضطر والدك للعودة ومحاولة طمأنته قليلاً عليك، وأنا على يقين تام أنه بمجرد سماعه عن عودتك للوعي سيقفز فرحاً، لا تقلقي وسيصعد بأول طائرة إلى هنا برفقة والدك أيضاً " .

فرح قلب مي بسماع هذه الأخبار الذي كاد أن يتوقف فزعاً على والدها وجدها، ولكنه اطمأن إلى حدٍ كبير بعد ذلك، لتكمل منى حديثها:" أنا منى صديقة دربك منذ نعومة أظفارنا حتى بعثتنا للخارج، أتذكرينني؟!"

لتهز مي رأسها إيجاباً وتعلو وجهها ابتسامة مشرقة، لتكمل منى حديثها بضحك:" حسناً، لقد رفرف قلبي لتذكرك إياي لذا سأكمل وأنا مطمئنة، جاء الآن دور رامي فهو أخوك الذي لم تلده والدتك، لم يغفل له جفن منذ عدة أيام طوال، لقد صمم على المكوث هنا عندما توقع الأطباء بتحسن حالتك خلال هذه الأيام، لذا صمم على البقاء هنا معك حتى يراك مفتوحة العينين من جديد بصحة وعافية بعد صمتك التام طيلة شهرٍ كامل.

تذكرين رامي أليس كذلك؟!" توقفت منى عندما رأت مي دامعة العينين إثر حديثها عن رامي، وقد رق قلبها لدموع مي التي هزت بدورها رأسها مجيبة ولسان حالها يريد أن يجيب:" نعم أتذكره بالطبع، عن أي شيء تسأليني!! إنه أخي وقلبي وعقلي والنبتة التي فزت بسقايتها ومراعاتها في هذا البلد الأجنبي الغريب".

لتكتفي منى بالحديث عن بقية ذكريات مي هذا اليوم لتدعها وتخرج لترتح قليلاً، تذكرت مي كل شيء عن حياتها وأهلها ورامي ومنى، لم تصدق أنها ظلت طيلة شهرٍ كامل في غيبوبة، نتيجة للحادث الأليم الذي تعرضت له والذي بمجرد تذكرها لوقائعه المؤلمة، حتى ذرفت عيناها سيولاً من الدموع لتعود بها الذاكرة للوراء قبل الحادث بأيام...

فتذكرت أول يوم تعرض لها شابين أجنبيين بالسب والإهانة لمجرد ارتدائها حجاباً وزياً غريباً عن ثقافتهم، لقد آذوها بالسب والإهانة لها ولزيها ولدينها بالتخلف والرجعية، وأمروها بالعودة لديارها وأن لا تلوث أعينهم بهذه المناظر المقززة، لقد دمعت عيناها لسماع تلك الإهانات وصدمتها لوجود مثل هذه العقليات حتى هذا العقد من الزمن، أيعقل أن توجد مثل هذه العقليات في هذا القرن!!

لمَ كل هذا الكره والبغض والتنمر لمن يختلف معهم في الدين واللون واللغة لمَ كل هذا الغضب؟! لقد خلقنا سواسية من أصلٍ واحد وهو آدم وحواء، فلمَ كل تلك النظرات الدونية.

تذكرت مي حالتها عندما سارت بسرعة تجاه بيت رامي بعد تعرضها لهذا التحرش، وهي مغرورقة العينين لتدخل البيت وتمسح عبراتها كي لا تقلق رامي، الذي بمجرد أن رأى وجهها علم أنها تخفي شيئاً ما، وأصر عليها لمعرفة ما يعكر صفوها ولكنها نفت أنها مستاءة في البداية، وبعد إصرار منه أخبرته بما جرى ليستشيط قلب رامي غيظاً وبغضاً لأولئك المتحرشين، ويقرر إخبار والده ليشكوهم لرفيقه الشرطي فاروق ويتخذ الإجراءات اللازمة لردعهم، ولكن مي رفضت وأقسمت على رامي أن يبقى هذا سراً بينهما وإن تكرر مرةً أخرى ستخبر الشرطي بنفسها ليتفقا سوياً على كتمان الأمر.

بعد هذا الحادث، تعرضت مي لصدمة أشد حيث تعرض لها نفس الشابين، ولكن هذه المرة لم يكن تحرش لفظي بل وصل للأذى الجسدي، فلقد لكمها أحدهما في معدتها عندما تعرضا لها للمرة الثانية، كانت مي قد قررت بعد رؤيتهما مجدداً أن تخرج هاتفها وتصور ما يجري، لذا قامت بالفعل بإخراج هاتفها الجوال وصورت ما بدأوه من ألفاظ مسيئة وإهانات لها ولدينها، ولكن

عندما انتبه لها أحدهما ركض نحوها لاكماً إياها في معدتها، محاولاً أخذ الهاتف منها، مما دفعها للسقوط أرضاً متلوية من الألم وهروبهم بعدما تجمع المارة ناحيتها..

تذكرت هذا الحادث لتتساقط دمعة من عينها وهي ممسكة بمعدتها عند تذكرها لذاك الألم، فحدثت نفسها:" لقد جرحوا قلبي وجسدي بوحشية" .. لتفتح عينيها وتنظر إلى ذراعها و قدمها لتتوالى عليها أحداث يوم التفجير كما لو أنه حدث بالأمس.. لتعود بذاكرتها للوراء فترسم ما حدث بالتفصيل..

يوم الحادث :

كانت مي متجهة للمسجد كعادتها كل جمعة لتصلي الظهر جماعة، ولكن قبل ولوجها للداخل لفت نظرها شاب يرتدي قبعة أخفت أكثر مما يجب، خمنت في البداية أنه رجل صيانة نظراً لما يحمله ويرتديه، فكما تعلم كان هناك عطلاً في دورة مياة السيدات.

لم تبالي كثيراً فمضت وتوجهت حيث مصلى السيدات، وقبل إقامة الصلاة تذكرت أنها ليست على وضوء فأسرعت لدورة المياة لتتوضأ، وبمجرد دخولها رأت صندوقاً تحت حوض الماء، لتحدث نفسها في ريبة:" إنه يشبه صندوق العامل ولكن لمَ تركه هنا؟ أو ربما تراه نسيه وخرج؟!"، كادت أن تقترب منه ولكن شيئاً ما بداخلها حذرها، فتركته وخرجت مهرولة حيث إمام المسجد فهو المسئول عن نظافة المسجد ونظامه؛ لتخبره بما رأته..

وما هي إلا دقائق حتى دخل الإمام برفقة شيخين لدورة المياة ورأوا الصندوق، فاتصلوا برقم الصيانة ليخبروهم بالصندوق الذي نسيه العامل ليفاجئوا بأنهم لم يرسلوا أحداً بعد، وأن العامل سيأتي في الرابعة مساءً، مما دفع الإمام للاتصال بالشرطة وإخبارهم بما حدث ليأتي المحقق فاروق برفقة محمد ومعهم فريقاً من تفكيك المتفجرات، ليكتشفوا بعدها أن ما بالصندوق قنبلة.

كان المشهد أشبه بفيلم رعب، الفزع والخوف من انفجار القنبلة من جهة ومن إنتشار الخبر خارج المسجد من جهةٍ أخرى، فينقلب الوسط ويسوء الوضع أكثر.

تم إخراج جميع المصلين للخارج، حيث ظلوا يترقبون بحذرٍ ما يحدث بالداخل، فأصوات دعواتهم وتضرعهم لله بحماية أرواحهم ومسجدهم وأفراد الشرطة أدمى القلوب واقشعرت له الأبدان، رأت مي نفسها منكمشة أمام المسجد والدموع تغرق عينيها والخوف يدب في روحها، فهي لم تتوقع أن يصل الأمر لتلك الدرجة، فما الذي فعله مصلين سلميين ليستحقوا أن يتحولوا لرماد بتلك الطريقة البشعة، فلمَ الكره لتلك الدرجة؟! ما الذي ارتكبوه ليستحقوا تلك القسوة؟!

مضت الدقائق كالسنين، لم يتوقف التضرع لحظة حتى تمكن الفريق والحمد لله من إبطال مفعول القنبلة قبل انفجارها بدقائق، فدب الفرح بين الجميع ولكن الجميل لا يدوم طويلاً للأسف، فلقد انتشر خبر القنبلة سريعاً بين الأزقة المجاورة حتى وصل الأمر لمدرسة الطفل القريبة من المسجد، ليعم الفزع بين الأطفال والمعلمين الذين فشلوا في السيطرة على تدافع الأطفال وهرولتهم للخارج، فتوالت الأخبار عن حوادث تصادم واختناق بين الأطفال الفزعين..

تشكلت تلك الأحداث بقسوة في ذاكرة مي كأنها حدثت للتو، نفضت مي تلك الذكريات وعادت للواقع، فضلت النوم هرباً مما سيزعجها إن أكملت تذكر باقي اليوم، وما إن أغلقت عينيها حتى سمعت صراخاً بالخارج.

وعمت الضوضاء لتفتح مي عينيها، وفجأة اقتحم الغرفة ثلاثة أشخاص يرتدون زياً عسكرياً ومن خلفهم طبيب من شدة لهثه كاد أن يتوقف نبضه، بدا من لهثه وسرعة تنفسه أنه كان يركض بأقصى ما لديه خلفهم.

قبل أن تعتدل مي تحدث أحد الضباط لمي بلهجة صارمة بالإنجليزية:" أرى أن جسدك عاد لعافيته مبارك.. إذاً سنبدأ باتخاذ كافة الإجراءات اللازمة والمتأخرة للأسف، لذا سنبدأ بأخذ أقوالك الآن"، أنهى جملته هذه وإلتفت لضابط بجواره ليشغل الثاني مسجل صوت ويبدأ بالتسجيل..

تقدم للأمام قليلاً وجلس على مقعد بجوار مي ثم بدأ حديثه بنفس اللغة:" حسناً لنبدأ.. ما اسمك بالكامل؟! وكم عمرك؟! وما هي جنسيتك وديانتك؟!"... نظرت له مي بدون مقدرة على الحديث أو حتى إخراج أية حروف، فرمقها الضابط بنظرة غاضبة منتظراً إجابتها عدة دقائق بدون جدوى، قبل أن يكرر أسئلته مرة

ثانية ولكن بنبرة أعلى قليلاً.. ثم انتظر، لم يلبث بضع دقائق حتى التفت لقائده للخلف تعلوه علامات التعجب لعدم جواب مي.

ليلقي القائد على الطبيب نظرة كلها استفسار، فينطق الأخير بخوف:" لقد أخبرتكم أن حالتها لم تتحسن بالكامل فهي لا تستطيع التحدث بعد، ولكنكم صرختم عليّ واتهمتموني بالتواطؤ معها، صحيح أن المريضة عادت لوعيها لكنها لم تعد بالكامل، فلا يزال نطقها غائباً نتيجة للصدمة التي تعرضت لها أثناء الحادث" ..

شعر الضباط بخيبة أمل فتركوا الغرفة وخرجوا، وخرج معهم الطبيب وبقيت مي بمفردها في حالة صدمة، لا تعلم ما الذي سيحدث بعدها ولا ما الذي سيحكمه عليها القدر بعد خروجها من هذه الغرفة وكيف ستواجه العالم الخارجي، إن ثبت ما يردده الكارهون..

أثناء تفكيرها ذاك المتواصل تذكرت والدتها وكيف ستواجه نظرات الجميع الغاضبة، فالعالم لا بد وأنه ينظر إليها كإرهابية مجرمة كما وصفتها أخبار الغرب.. كيف لقلبها أن يتحمل هذه الاتهامات الباطلة، وكيف سيواجه جدها الراقد في مصر بين الحياة والموت هذه النظرات؟ وكل أصابع الاتهام موجهة لحفيدته، بأنها المخططة والمنفذة لتلك الهجمات الغاشمة".

ولكن لمَ هذا الظلم ولمَ الأمور قلبت هكذا رأسا على عقب؟! فالمجني عليه صار مجرماً والمجرم صار مجنياً عليه، ما لهذا الميزان المائل، كيف يحكم هؤلاء القوم؟! " هكذا حدثت مي نفسها بانفعال متذكرة أحداث ووقائع اليوم الأليم..

تذكرت مي عندما خرجت من المسجد بعد الصلاة، بعد محاولة التفجير الفاشلة بيوم، لتري ملثماً يحاول التعدي على مصلية مسنة خارج المسجد يبدو أنه كان يتربص بها، لتسرع وتدافع عن العجوز وتقف حاجزاً بين المعتدي والسيدة، لتنهال عليها هي اللكمات، فاستطاعت رغم آلامها دفع الملثم ليسقط أرضاً ويركض نحوه اثنين من المصلين ليهرب المعتدي راكضاً والمصليان خلفه.

تذكرت مي احمرار وجهها نتيجة للطمه مراراً وتكراراً من قبل المعتدي، وحجابها الذي كاد أن يتمزق بين يديه، لتضع يديها بتلقائية شديدة متحسسة موضع الكدمات، لتعود سريعاً لذكرياتها ..

فقد نظرت للعجوز بعينين دامعتين، وشرعت تقبل رأسها وكفيها معتذرة لها عما بدر من ذلك المعتدي، وحمدت الله أنها استطاعت اللحاق والإسراع لتردع هذا المعتدي قبل أن يؤذي العجوز أو يتسبب في مقتلها.

وما هي إلا دقائق حتى عجت ساحة المسجد بالمصلين بعد أن سمعوا عن حادثة الضرب هذه، والتفت النساء حول مي والسيدة لتفقد حالتهن وبعد قرابة ربع ساعة؛ بدأت الجموع تخف بعد تحذير رجال الشرطة لهم من تلك التجمعات، وبعد أن اطمئنانهم على حالة مي والسيدة.

هدأت مي بعد حادثتها تلك و ساعدتها بعض المصليات من تنظيم حالها وهندامها، لتخرجن خارج ساحة المسجد وتعبر الطريق مع ما تبقى من المصليات.

وفجأة حدث ما لم يكن بالحسبان، فجأة سمعت صراخاً وهرولة في كل مكان وأجساداً تطايرت هنا وهناك واسودت الدنيا من حولها..

لتصرخ مي بدون وعي منها وهي مغمرة العينين بالدموع:" لقد دعسونا بوحشية" وازدادت صرخاتها وبدأ جسدها بالتشنج، وعلى صراخها لتدخل على إثره صديقتها منى التي ركضت نحو مي تحاول تهدئتها وإسكان تشنجاتها المتزايدة ولكن بدون جدوى.

ركضت منى خارجاً منادية الطبيب، وما هي إلا دقائق حتى هرول إلى الغرفة طبيبها المسئول وممرضة محاولين تهدئة مي التي لم تتوقف ثانية عن صراخها، أو تشنجاتها إلا بعدما حقنها الطبيب بإبرة مهدئة ليتراخى جسدها وتخور قواها ويضعف صراخها وتغفو من جديد..

" كان الأمر جنونياً " نطقها أحد الأطباء خارج الغرفة ليحدثه آخر:" ما الذي حدث لها، لقد كان كل شيء طبيعياً" ..

وبداخل الغرفة كانت منى تبكي بحرقة لما آلت إليه حالة مي، وبجوارها رامي الذي بمجرد مهاتفته لمنى وسماع ما حدث، جاء راكضاً وعينيه تمتلآن بدموع الألم على أخته وحارسته وحاميته مي...

" يبدو أنها تذكرت الحادث اللعين " تحدثت بها منى ليجيبها رامي بعينين حمراوتين:" نعم هكذا يبدو، ظننت أنها تعافت ولكن ما زال هول الحادث يفتك بذكرياتها، لن يختفي بسهولة" ..

كانت مي في عالم آخر تماماً؛ عالم لا يزوره الضوء قط ولا حتى ظلال الإنس.

لا يوجد سوى الفراغ من أمامها ومن خلفها وعن يمينها ويسارها، لا أحد يؤنس وحدتها ولا جماد حتى يحيط بها لا شيء سوى الصمت والفراغ ورائحة الموت..

الفصل العشرون:

الشرير:

"أخبرتك بأنك لن تتخلصي مني بسهولة، ولن تستطيعي الخروج من هنا ما دمت موجوداً وبشروطي أنا فقط" بصوت رخيم وضحكة شريرة تكررت هذه الجملة مراراً وتكراراً في سبات مي العميق، وفجأة وسط الظلام الدامس لاح نور ضعيف يحيط بالغرفة الزجاجية وبداخلها الفتاة المريبة؛ التي كانت تبحث عن مصدر هذا الصوت المخيف الذي يتكرر صداه من حولها، ظلت تدور في الغرفة باحثة عن مصدر الصوت حتى أيقنت في النهاية أنه صوت فقط بلا صاحب فدب الفزع بها أكثر، وكلما على الصوت وارتفع كلما انكمشت في مكانها أكثر، فتلون جسدها للأصفر وظلت تنكمش أكثر فأكثر حتى خارت قواها وسقطت مغشياً عليها، وبمجرد سقوطها وغيابها عن الوعي حتى ارتفعت الضحكات الشريرة أكثر وضجت الغرفة كلها بالضحكات وفجأة توقف كل شيء.

لم تفهم مي ما الذي يحدث ولم تعي أين هي في تلك اللوحة الواقعية؛ أهو واقعها أم كابوساً آخر مخيفاً وهي مركزه، ما الذي يحدث من حولها؟ لا تعلم فهي لم تكن بالأصل موجودة في الحلم بل كانت متفرجة، فهي راوية الحلم على أية حال..

ظلت الفتاة ملقاة على الأرض بلا حراك مدة نصف أو أكثر، وبعد لحظات بدأت تعود لوعيها شيئاً فشيئاً، وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها في مكان آخر غير غرفتها، مكان مظلم ورائحة العفن تصرخ فيه من كل زاوية من زواياه، وبرودة قارصة تشل الأطراف، وأصوات كثيرة متداخلة من حولها لم تستطع تمييز أية منها ولا حتى مصدرها..

وفي منتصف هذا كله بدأت تشعر بأن نفسها بدأ يضيق شيئاً فشيئاً، كأن المكان يضيق من حولها وهكذا بالفعل كان.

فلقد ضاق المكان كثيراً حتى شعرت بأن الجدران تنطبق على جسدها، وكلما حاولت المقاومة التصقت بها الجدران أكثر، فبدأت بالصراخ طالبة النجدة ولكن محاولاتها جميعها لا جدوى لها.

فلا أحد بالمكان لينقذها ولا أحد سيأتي ليوقف سحق الجدران لعظامها، وعندما أيست وأيقنت بأنه لا مفر أو ملجأ لها من تلك النهاية القاسية، أرخت جسدها وتركته بلا مقاومة أو سيطرة عليه وأغلقت عينيها واستسلمت للبرودة لتتغلغل بداخلها..

فجأة سمعت صوتاً بدا لها مألوفاً، لم يلبث بضعة ثواني حتى صار الصوت اثنين فثلاثة فأربعة، حتى تداخلت الأصوات في بعضها وامتزجت معاً ولكنها استطاعت تمييز جملة واحدة طويلة؛ ظلوا يرددونها كثيراً، كانوا يرددون جميعهم في صوت واحد:" لا تيأسي، فقط قاومي فجميعنا هنا حولك ننتظرك فهيا قاومي".

لم تتوقف الجملة بل ظلت تتكرر ويدوي صداها أرجاء المكان المظلم، ليدب الأمل في روح الفتاة ويسعد قلبها لتصرخ على صراخهم وأصواتهم المرتفعة:" أنقذوني، فأنا لا أقوى على الحراك أرجوكم فليخرجني أحدكم من هذا القبر الموحش، أرجوكم فلينقذني أحد قبل أن تسحق عظامي بين هذه الجدران".

استغاثت وصرخت وبكت لكن لم يظهر أمامها أحد، فظننت أنها تتخيل وتلك الأصوات موجودة فقط في مخيلتها بسبب حاجتها الشديدة لإنقاذ، فتحولت فرحتها التي لم تلبث إلا دقائق صغيرة إلى حزن وبكاء وشعور بالعجز.

هذا المشهد أدمى قلب مي فشعرت بما شعرت به الفتاة بل وأشد، أرادت أن تصرخ بأعلى ما لديها من صوت راجية ربها أن ينقذ الفتاة ويخرجها.

"أخرجني من هنا يا رب، لا أعلم ما الذي أفعله هنا ولا ما الدافع وراء تعذيبي هذا!! فقط أرجوك يا ربي أن تخرجني من هنا، أرجوك يا ربي أرجوك"_ رجاء وبكاء وضعف وحسرة وندم وعدم فهم_ هو ما شعرت به الفتاة، جميعهم

ممزوجين ببعضهم البعض لينتجوا ركاماً قاسياً على روحها المشتتة وقلبها الضعيف وجسدها المنهك.

ولهول هذا وشدته على الفتاة شعرت مي بما شعرت به الفتاة بالاختناق، لمجرد رؤيتها في هذا الموقف المؤلم من غير حولٍ لها أو قوة ومحاطة بكل تلك المثبطات، حاولت مي التدخل في الحلم؛ فحاولت الصراخ والاستغاثة ولكنها لم تقوى على شيء، لم يكن بيدها شيء حتى الصراخ لم تسمعه الفتاة حتى يسمعه غيرها فيأتي وينقذها، فتوقفت مي عن الصراخ وظلت مرغمة في موقفها ذاك على موقف المتفرج..

في منتصف تلك الآلام والأحزان وفقدان الأمل، كما قالت الآيات الكريمة "إن مع العسر يسراً"، حدث لينقشع الظلام ويتسع المكان، فتحولت خيالات الفتاة لحقيقة تنقذها وأدعيتها ورجاؤها ليد تشد على أذرها، وتحقق ما قيل" عبد يدعو ويتمنى ورب يجيب" لتنفرج أسارير الفتاة وتتخلص من مأزقها ويتسع المكان ويضاء.. لا تعلم من أين يأتي الفرج بغتةً ولا متى؟ ولكن ربما دعوة صادقة ونية صافية هي من سرعت به.

عادت الفتاة لغرفتها الزجاجية حيث مقعدها ومذكراتها التي كانت تقرأ منها فيما سبق، لا تعلم كيف؟ أو ما الذي حدث لتعود؟ وأين كانت منذ قليل؟

فجلست حيث اعتادت وأمسكت بالمذكرات تبحث عن ما يدلها عن أي طرف خيط لتفهم ما يحدث لها وما سيحدث مستقبلاً، فبدأت تقلب في الصفحات باحثة عن أي شيء، أي طرف خيط يوصلها لما تريد ولكنها فوجئت، فجميع الأوراق بيضاء خالية لم تمسسها الأيادِ أو يلمسها القلم!!

فصارت تحدث نفسها بغير تصديق:" ولكن كيف؟! ما الذي حدث؟! لم تكن تلك الصفحات فارغة، لقد كانت ممتلئة بالكلمات والجمل، كنت أقرأ منها يوميات مي، لا أصدق، ما الذي يحدث؟!" قلبت فيها مرارًا وتكراراً دون جدوى فالصفحات كانت فارغة ونظيفة لم تلطخ بحبر أو غيره..

وسط ذهول مي والفتاة مما يحدث عادت الضحكات الشريرة مرةً أخرى، وعاد الصوت المخيف من جديد يوجه حديثه للفتاة قائلاً:" لقد أخبرتك بأنك لن

تستطيعي الخروج من هنا إلا بشروطي، شروطي أنا وحسب، فإن كنت تريدين معرفة ما الذي يحدث من حولك فلتنفذي أوامري، ولتستمعي جيداً وتنصتي لما أقول".

لم تفكر الفتاة كثيراً وفوراً هزت رأسها موافقة، قالتها بصوت عالٍ:" موافقة... أجل موافقة، فلتخبرني بما تريد" ، ليجيبها الصوت المخيف:" جيد والآن فلتنفذي تلك الأوامر جيداً وكلما برعت في المهام كلما أسرعت في الخروج من هنا لحريتك، والآن انظري للمذكرات التي بين يديك واقرأي ما كتب بدون توقف".

الفصل الواحد والعشرون:

ذكريات من الماضي:

الخامس عشر من مايو لعام سبعة عشر بعد الألفين ميلادية الساعة الثانية ظهراً، مصر.

في إحدى مستشفيات مصر الخاصة؛ وبغرفة العمليات تحديداً، أجرى طبيبين (ذكر وأنثى) وثلاث ممرضين بينهما ممرضة عملية جراحية لأحد اللاجئين السوريين، عملية الزائدة الدودية لشاب في العشرين من عمره، وبعد إجراء العملية بنجاح، قامت الممرضة بنقل المريض لغرفة العناية المركزة حتى يفيق من أثر البنج.

مضت مي برواق ذات المستشفى باحثة عن غرفة والدة منى، التي نقلت هنا بعض تعرضها لوعكة صحية، وأثناء بحثها ذاك سمعت صراخاً آتياً من إحدى الغرف لتركض حيث الصوت.
" إنني أتألم، فليسعفني أحدهم، النجدة فما عدت أحتمل الألم، أنتِ فلتساعديني" ليمسك الصارخ بيد مي التي صرخت في فزع:" النجدة، أنت!! ابتعد عني، فأنا لست بممرضة هنا".. ويضغط الرجل على يد مي التي حاولت جذب يدها بقوة من تلابيب الرجل، وما هي إلا دقائق حتى أسرع إليهما أحد الممرضين ممسكاً بيد المريض ساحباً إياه لداخل الغرفة، معتذراً لمي التي ارتسم الهلع على وجهها وملأت الدموع عينيها.

عادت مي خطوتين للخلف وهي ترتجف خوفاً بعد اعتذار الممرض لها، بدون أن تتوقف عن البكاء ولحسن حظها بأن والدها آتى سريعاً من خلفها ليحتضنها مهدئاً إياها، محاولاً فهم ما جرى، ليقول لها في هدوء:" ششششش لا تجزعي فأنا هنا، ما الذي حدث؟" لتلتفت مي للأمام محتضنة والدها بقوة، محاولة الإجابة عليه بصوت متقطع وحديث مختلط بالبكاء:" لقد.. لقد.. حاول الرجل أن يؤذيني.. لقد .. لقد جذبني من يدي بالقوة... خفت كثيراً.. وصرخت فيه... أن يتركني .. و.. و لكنه رفض"..
ليواصل الأب احتضان مي والتربيت على رأسها مهدئاً إياها ومطمئناً لها بكلماته:" لا تقلقي، فلن يؤذيك أي أحد وأنا بجوارك".

لم يحاول الضغط عليها كثيراً أو محاولة معرفة ما حدث بالتفصيل، فكما بدا من ردة فعل مي بأنها في حالة صدمة ومن الجيد أن يهدأ من روعها بدلاً من الضغط عليها وسؤالها عن الذي حدث...

بعد دقائق من محاولة تهدئة مي التي نجحت إلى حد كبير، أمسكها والدها من يدها وذهبا حيث باب غرفة والدة رفيقتها منى بالخارج؛ و ما أن وقعت عينا منى عليها حتى ركضت إليها، والقلق يرتسم على وجهها، لتسألها عن ما الذي حدث لتبكي هكذا فلقد احمرت مقلتيها كثيراً.
تركهما والد مي وذهب لزيارة المريضة التي تحسنت حالتها بشكل كبير وكانت على وشك مغادرة المستشفى، ولكن بحسب تعليمات الطبيب ستتأخر قليلاً لإجراء بعض الفحوصات النهائية للاطمئنان جيداً على صحتها.

جلست منى برفقة مي على إحدى مقاعد غرفة الانتظار بالخارج، وبدأت مي بسرد ما حدث لها منذ قليل:" كنت في طريقي إليكم عندما سمعت صراخ أحدهم، فدفعني فضولي لرؤية صاحب هذا الصراخ، وبمجرد اقترابي من غرفته حتى جذب يدي بقوة وبدأ بالصراخ عليّ، لم أعلم كيف أتصرف أو ماذا أفعل سوى الصراخ والبكاء علّه يتركني، لقد ارتعبت كثيراً من أن يفعل بي شيئاً سيئاً".

اقتربت منى من صديقتها واحتضنتها مربتة على ظهرها وبهدوء تام أخبرتها:" لا بأس، لقد مضى الأمر، لا تقلقي فأنت بخير الآن والحمد لله أنه لم يؤذيك، يبدو أنه يعاني كثيراً ويتألم لذلك لم يستطع السيطرة على نفسه أكثر، فالألم يا صديقتي لا يحتمل"..
هدأت مي واقتنعت بحديث منى قليلاً وسحبت نفسها للخلف مؤكدة على كلامها:" بالفعل، فالألم لا يحتمل على الإطلاق، فلقد كان ينزف بشدة من جرحه الغائر في قدمه، فلابد من أنه يعتصر ألماً نتيجة لنزيف كهذا، ولكن ردة فعلي تلك كانت طبيعية لمثل حالتي، فأنا أكره المستشفيات والأطباء كما تعلمين، يقشعر بدني بمجرد رؤية دماء أمامي فكيف بنافورة دماء كادت أن تغرقني ".

أنهت حديثها لتسري في جسدها قشعريرة باردة فتضم ذراعيها بشكل تلقائي، وملامح التقزز ترتسم جلياً على وجهها.
قطع صمت الصديقتين رنين هاتف مي لتجيب بهدوء:" نعم يا أبي، لا تقلق فأنا بخير الآن، حسناً عد أنت لعملك وسأظل هنا مع منى حتى تنتهي فحوصات والدتها وسأعود معهم، لا تقلق عليّ.. حسناً، إلى اللقاء" أنهى والدها الاتصال عائداً لعمله، تاركاً مي برفقة منى ووالديها.

حقيقة بشعة:

توقفت فتاة الغرفة الزجاجية عن القراءة فجأة، متلفتة عن يمينها ويسارها بغير فهم، باحثة عن صاحب الأوامر والضحكات الشريرة وقبل أن تتحدث، صرخ صاحب الصوت الشرير فيها:" لماذا توقفتِ؟ ألم أحذرك من عدم التوقف!! هيا فلتكملي.." .
فزعت الفتاة من صراخه المفاجئ، وهمّت بالقراءة ولكن شيئاً ما بداخلها أبى الانصياع لأوامر الشرير، لتنهض عن مقعدها مبعدة إياه للخلف قليلاً، لتصرخ بكل قوتها ضاربة كفها بقوة على سطح المكتب:" لا لن أكمل، فما هي إلا ذكريات قد مرت عليها السنوات فلمَ اقرأها؟ لقد وعدتني بأن تتركني وشأني إن نفذت أوامرك، ولكن لا أرى أوامر؛ فقط ذكريات ولت منذ سنين، لذا نقض العهد".

كاد قلب مي يتوقف من هول ما رأت وسمعت، فلقد أذهلها ما فعلته الفتاة وما قررته، ولم يرهبها هذا الشرير الذي لا يفلح إلا بالصراخ والضحك بصوت مزعج ومخيف.

لم تلبث فرحة مي إلا ثوانٍ معدودة، فقد قطع تلك الفرحة اهتزاز قوي ومخيف للغرفة الزجاجية وبداخلها الفتاة التي سقطت أرضاً من قوة الاهتزاز.
ظلت الأرض تهتز من أسفل الغرفة محدثة اضطراباً في كل محتويات الغرفة، ليتبعثر المكان فتسقط الطاولة أرضاً وكذلك المقعد، وتتبعثر أوراق المذكرات وتتساقط أرضاً هنا وهناك، بدا الأمر كما لو أن زلزالاً قويا قد ضرب تلك البقعة بالتحديد دون سواها، والمخيف في الأمر أن مي وهي الراوية في حلمها قد شعرت بتلك الهزة فكيف بالفتاة وهي مركز تلك الأحداث؟

من شدة اضطراب الغرفة وتبعثرها يميناً ويساراً تبعثرت الفتاة بها كإحدى أوراق تلك المذكرات، فلقد تخبطت بكل أرجاء الغرفة حتى نزف رأسها وامتلأ وجهها دماً، فما كادت ترى عينيها من كثرة صبغته باللون الأحمر.

استمر الاهتزاز على حاله قرابة النصف ساعة، حتى هدأت الأرض عن اضطرابها وسكنت الغرفة، كم هو عجيب أن تظل الجدران ثابتة رغم تلك الضجة، فلم يتأثر جزيئ منها إلا مجرد تصدع أصاب عليّة الغرفة_ تصدع بطول أقصر إصبع في يد مي_ .

بمجرد سكون الأرض ظهر الصوت المزعج من جديد، موجهاً تلك المرة تحذيراً للفتاة أقصى من ذي قبل، فوجه حديثه بصوته الجهوري المقيت للفتاة قائلاً:" حذرتك مراراً من مخالفة أوامري، لكن يبدو أنك لا تريدين الخروج سالمة من جحيمك هذا، أكملي القراءة في انصياع ولا تفكري مجدداً في تحديّ، فكلما جابهتني خسرت جزأ من حريتك وخسرت هي جزأ من حياتها".

قال كلمته تلك والفتاة تحاول الاعتدال ململمة شتات نفسها، لتنهض والألم ينخر بها في كل أطراف جسدها وهي متحاملة على قدميها، لتستفسر بغير فهم عن مقصده قائلة:" حياتها؟ حياة من؟" فيبادرها بالإجابة ضاحكاً:" من ترى وتسمع الآن" ألقى جملته تلك و صدى الضحكات يتعالى .

شعرت مي بانقباضاً في قلبها عند ذكره لتك الكلمات، وأسرعت الفتاة تتلفت من حولها باحثة عن تلك التى ترى وتسمع، لكنها لم تجد شيئاً لتغضب موجهة حديثها للشرير بحنق:" لا أحد هنا بشرياً سوانا، أقصد سواي فمن تقصد؟" ليجيبها بسرعة:" مي هنا.." لتلتف الفتاة للوراء فتسرع مي كذلك بالالتفاف حيث تنظر الفتاة.

اتسعت عينا مي بمجرد سقوطهما على ما خلف الفتاة، وأصدرت الفتاة نفس ردة فعل مي المتفاجئة؛ فما كان بخلف الفتاة كان كفيلاً بأن يلجم لسان كلتيهما، وأي شخص آخر بمكانهما.
فلم يكن بخلف الفتاة سوى مرآة كبيرة بعرض الحائط الزجاجي وطوله، مرآة حفرت بداخلها جسد الفتاة ووجه مي، حتى إن ملامحهما المذهولة طبعت عليها بالتفصيل.

"كيف هذا؟" عبارة أفلتها لسان الفتاة بفزع، ليتعالى من حولها ضحكات الشرير.
مدت الفتاة يديها لتتحسس سطح المرآة وتتأكد من أنها لا تحلم، أو يخيل لها، " تباً؛ إنها غائرة" لفظتها الفتاة بصراخ عندما غاصت يديها لداخل المرآة، لتسحبهما بسرعة بمجرد ملامستهما لشيء دافئ، وتقرر إدخالهما مجدداً لتتأكد إن كان هذا حقيقياً بالفعل.
لم تصدق مي ما شعرت به فلقد أحست بيد الفتاة على وجهها، شعرت بكفها وهو يلامس بشرتها، لقد كان بارداً كالثلج.

" أهي شبح؟" أخرجت مي جملتها هذه بذهول بمجرد ملامسة الفتاة لوجهها، فلقد سرت قشعريرة باردة على جسد مي بعدها، ولكن كيف شعرت بملامستها؟ بل كيف أرانا جسداً واحداً؟ كيف أنا والمسخ شخصاً واحداً؟ فهي لا تشبهني على الإطلاق، كما أن لا ملامح لها، فلا يوجد به سوى عينين، هذا مستحيل" نطقت جملتها الأخيرة بصوت مسموع كفاية ليعقب الشرير عليها بسخرية قائلاً:" ما المستحيل؟ فكلاكما شخص واحد، منذ البداية وأنتما جسداً واحداً، ألم تستطيعي تمييز صوتك؟ حتى لون عينيك العسليتين؟ فكيف إذاً لم تلاحظي ملابسك؟ أو حتى جرح ذراعك وقدمك، فالجرح لم يندمل حتى هذه اللحظة".

دقائق من الذهول والصمت مرت ببطء، ثم بدأ يتكشف كل شيء أمام مي؛ لتزاح الستائر جميعها ويتضح كل شيء بعدها.

فلقد كانت الفتاة هي نفسها مي، صوتها، عينيها، لون بشرتها البيضاء ووجنتيها الحمراوتين كذلك، شعرها القصير بل حتى ثوبها المفضل نفسه، نعم هو نفسه ما ارتدته يوم الحادث، كل شيء يصرخ أمامها بأنها مي_ هي نفسها تلك المسخ، ولكن ما الذي حدث لوجهها، تراه هل تشوه هكذا بسبب الحادث اللعين؟ لقد تحولت لمسخ جراء هذا الحادث، لمسخٍ تقززت منه بمجرد رؤيته.

تحسست مي وجهها بشكل تلقائي لتتأكد من أن وجهها ليس مشوهاً كتلك المسخ ولكن أصابعها ارتجفت بمكانها، فلا فم لها أو أنفٍ كذلك.

وضعت كلتا كفيها على وجهها لتتأكد مما شعرت به، لتصرخ بصوت ممزوج بألم:" لاا كيف هذا؟ ولكن كيف أتحدث؟ كيف أتنفس؟ لاا لا يمكن، فأنا لست مسخاً، لست مسخاً" لتسقط أرضاً وتتلوى من الألم ويديها ما زالت تتحسس وجهها لينخفض صوتها ويخبو صراخها وهي تردد:" لست مسخاً، لست مسخاً، لست مس..." ليظلم المكان وينقطع الصوت تماماً .

الفصل الثاني والعشرون:

أول أوامر الشرير:

" حسناً لنعد للداخل فلابد من أنهم أنهوا الفحوصات" نهضت منى برفقة مي فور إنهائها تلك الجملة متوجهتان لداخل الغرفة حيث تجلس والدة منى ووالدها.

بعد ساعة من إنهاء الإجراءات والفحوصات وقع الوالد على إذن الخروج من المستشفى، متوجهين للخارج سابقين منى ومى، أخذ الزوج بيد زوجته حتى السيارة خارج المستشفى، ولحقت بهما الفتاتان مع حقيبة والدتها وبقية الأغراض التي أحضروها معهم.

قبل الخروج من باب المستشفى طلبت مي من منى أن تسبقها للخارج وعادت حيث الغرفة فلقد نسيت أخذ هاتفها، أذعنت منى لطلب مي وخرجت منتظرة إياها في السيارة، ظلت مي بالداخل قرابة النصف ساعة ثم أتت راكضة وملامح وجهها تمتزج بالقلق، ركضت حتى دخلت للسيارة دون أن تلفظ حرفاً واحداً، وبمجرد جلوسها انطلق والد منى عائداً للمنزل.

طيلة الطريق لم تتحدث مي ولكن صديقتها منى شعرت بأن شيئاً ما قد حدث ليعكر صفو مي مجدداً، لم تنتظر منى حتى تصل للمنزل بل سألتها على الفور وبصوت هامس:" ما الأمر؟ ما سبب ملامحك تلك وامتزاجها بالقلق هكذا؟ هل تعرض لكِ المريض مرة أخرى؟"

لم تنتبه مي لحديث منى، لتلكزها بعدها منى في ذراعها مكررة نفس الأسئلة، ولكن مي اكتفت بهز رأسها يميناً ويساراً بأن لا شيء حدث، وفضلت الصمت حتى وصلوا للمنزل، نزلت مي واطمأنت على والدة منى وعادت لمنزلها بعد رفضها بتهذيب طلب والد منى توصيلها للمنزل بالسيارة مبررة ذلك بأن المسافة قريبة، كما أنها تريد السير بمفردها حتى المنزل، فأذعن لها والد منى مودعاً إياها هو وابنته منى وزوجته.

في الطريق سارت مي بخطوات سريعة متلفتة بين الحين والآخر خلفها كأنها تهرب من شيء ما يلحق بها.
قطعت مي المسافة بين منزل منى ومنزلها في عشر دقائق بعكس عادتها، فهي تقطعها في أكثر من ربع ساعة بسيرها المعتاد والطبيعي.
بمجرد دخولها للمنزل توجهت لغرفتها مباشرة دون رؤية والدتها أو طمأنتها على والدة منى، ألقت حقيبة ظهرها أرضاً ثم ألقت بجسدها على الفراش، بدون أن تبدل حتى ملابسها.

ظلت مي على حالها ذاك دقائق معدودة قبل أن تدخل والدتها للغرفة، وتسألها عن صحة والدة منى ومتى جاءت؟ ولماذا لم تخبرها بمجرد قدومها للمنزل؟..

اكتفت مي بإجابات مختصرة مثل:" بخير لا تقلقي، أتيت منذ بضع دقائق، من شدة الإرهاق لم أخبرك بقدومي، فلتعذريني الآن يا والدتي فأنا متعبة جداً وأريد النوم قليلاً" لتخرج الأم مطفأة النور من خلفها وكذلك الباب.
وما هي إلا دقائق قليلة حتى نهضت مي من فراشها وتوجهت حيث الباب لتحكم إغلاقه بالمفتاح، وتوجهت لحقيبتها وأخرجت هاتفها الجوال وعبثت به، فتحت مقاطع الفيديو وضغطت على أول مقطع لديها تم تسجيله منذ أقل من ساعة.

" لم أعد أتحمل سأخبر المدير بكل شيء" .. " هل أنتِ حمقاء؟ إن أخبرتهم فهل سيصدقك؟ تخيلي معي أنك أخبرته بما سمعت، هل تظنيه سيعاقبهم؟ ماذا لو كان هو أيضاً متورطاً معهم؟ كيف ستتصرفين حينها؟ بل السؤال هو كيف ستكون عاقبتك؟" ... " وما الحل من وجهة نظرك؟ أن نظل متفرجين هكذا فبدلاً من مشاركتهم جريمتهم بالفعل نشاركهم بالصمت؟ لا أستطيع فضميري المهني والإنساني يحتم عليّ التدخل وعدم الصمت" .. " حسناً فلتذهبي وتخبريهم بما رأيته، هيا انهضي وأخبريهم بأن اثنين من أمهر الأطباء بالمستشفى وبعض الممرضين معهم يتاجرون بالأعضاء، هيا اذهبي!" ..." حسناً سأذهب ولكن

عليك بالشهادة معي كذلك، فلن يصدقني المدير إن ذهبت بمفردي وسيسألني أين الدلائل؟" ..." لذلك بالتحديد أخبرتك أن تصمتي، لأن لا دليل معك ضدهم، فلو كان معك دليلاً حياً بين يديك لأبلغنا عنهم الشرطة وليس المدير فقط"....." حسناً والحل الآن؟ هل تقترح أن نذهب ونجبر المريض على الاعتراف المسجل بأنه باع كليته للمستشفى إجباراً؟ أم الضغط عليه للاعتراف المصور على الأطباء المشاركين في تلك الجريمة؟"...." لا أعلم ولكن.... تباً يبدو بأن أحدهم يتجسس علينا" .. ويتوقف الفيديو.

أعادت مي مشاهدة الفيديو مراراً وتكراراً، والذي كان مجرد تصوير لظلين اثنين أحدهما لأنثى والآخر لذكر، كما بدا من حوارهم الهامس في إحدى زوايا ممرات الطابق السفلي للمستشفى التي لا يتواجد بها أحد، بالقرب من غرفة المفقودات حيث ذهبت مي لتحضر هاتفها، بعدما وجده أحد عمال النظافة وأخذه لغرفة المفقودات بالمستشفى.

دارت الاستفسارات والأفكار بخلد مي، فماذا ستفعل بهذا الفيديو؟ هل ستخبر منى أم ستخفيه عنها؟ ماذا ستفعل به، هل تخبر الشرطة؟ لكن ماذا لو أدخلت نفسها في مشاكل بسببه؟ ماذا لو توصل لها أحد الأطباء المتهمين؟ ماذا لو جلبت لأسرتها الأذى؟

أثناء تناطح الأفكار هذا بخلد مي، تراءت لها فكرة حمقاء ولكنها تغلغلت في فكرها حتى أحكمت السيطرة عليه؛ ماذا لو ذهبت للمستشفى مجدداً وكشفت هؤلاء المجرمين؟ يا لها من مغامرة لطالبة في السنة الثانية من مرحلتها الثانوية، فلطالما تمنت مي أن تساعد بلدها في شيء إيجابي، فها قد أتت لها الفرصة على طبق من فضة كما يقولون، فلماذا لا تستغلها؟ فهي في النهاية ستساعد بلدها في درء إحدى خلايا فيروس خطير من التطور واقتلاعها من مكمنها.

رسمت مي لنفسها خطة بدت من سيرها سهلة التحقيق ولكنها لم تعلم بخطورتها إلا عندما غاصت فيها حتى عنقها.
بعدها بثلاثةٍ أيام عادت مي لنفس المستشفى بحجة أنها تريد عمل صورة دم كاملة، ومن حسن حظها أن معمل التحاليل كان مكتظاً بالبكتيريا أكثر من البشر، لذا سيتأخر دورها قليلاً.

فقررت أن تتجول مي في المستشفى قليلاً حتى اقتراب دورها، وبخطوات واثقة تجولت ومضت في طريقها، فها هي تسأل أحد الممرضين عن قسم الباطنة و متى سيأتي الطبيب المعالج بالضبط؟
ونراها في ممر آخر تسأل عن الصيدلية لصرف العلاج، لتأخذ جولة بين ممرات المستشفى كافة وتحاول التحدث مع الموظفين والموظفات لتصل لصاحبي الصوت بالفيديو.

مضى النهار بطوله دون أن تصل مي لأية وجهة، فهي لم تجد لا أصحاب الظل ولا حتى قامت بتحليل للدم، غادرت مي المستشفى خائبة أحد الأملين وهو صاحبي الظلين، أما الآخر فأعطاها دفعة أمل جديدة لتتمكن في الغد من المجيء مجدداً لتقوم بهذا التحليل.

استعدت مي كثيراً لليوم التالي فشحنت بطارية هاتفها بالكامل، كما سمعت قبلها من منى بأن والدتها ينقصها علاجاً ولا يوجد سوى بصيدلية المستشفى، لذلك أخذت منها اسم العلاج ليكون حجتها في البحث عن الاثنين مطولاً، وخلدت للنوم ليلتها باكراً، حتى تنهض نشيطة لمواجهة تلك المعمعة .

في الصباح استعدت مي للمستشفى فخرجت صائمة بسبب التحليل، وقبل دخولها المستشفى جذب انتباه أذنيها صوت مميز، لتلتفت للخلف وتقع عينيها على طبيبة محجبة تتحدث مع أحدهم بالهاتف، كانت من حديثها غاضبة وربما دلت ملامحها على شدة حنقها ولكنها للأسف خبأت أسفل نظارتها الشمسية الكبيرة.
مرت الطبيبة بجوار مي التي سرعان ما أسقطت حقيبتها أمامها، لتنحني الطبيبة بتلقائية معيدة الحقيبة لمي، وأكملت سيرها بابتسامة هربت سريعا من شفتيها، لصراخها في الهاتف من جديد.

ربما الرائي تعجب تصرف مي السخيف منذ قليل، لكن إن أمعن النظر جيداً ليد مي سيعلم مقصدها الحقيقي من ذاك الفعل.
دخلت مي بعد الطبيبة مباشرة وهي مخبئة شيء ما في كفها، لتنظر له بابتسامة جانبية خفيفة وتدسه بسرعة بجيب معطفها، وتكمل طريقها حيث معمل التحاليل الذي كان فارغاً اليوم بعكس الأمس.

دقائق قليلة وخرجت مي من المعمل منتظرة نتيجة تحاليلها بالخارج، لتنتهز الفرصة وتبحث عن مكتب الطبيبة المحجبة التي قابلتها بالخارج، سارت مي في

الممر نفسه تبحث عن الطبيبة شيرين قسم نساء وتوليد، كما ظهر من بطاقة تعريفها التي سقطت من جيب البلطو الطبي بالخارج.

بعد ربع ساعة من البحث توصلت مي لمكتب الطبيبة شيرين، وقبل أن تطرق الباب إذ بالصوت الثاني يخترق أذنها أيضاً.

تحدث صاحب الصوت للطبيبة مازحاً:" تبدين جميلة اليوم، فمتى العرس؟" لتجيبه الطبيبة بسخرية:" لا عرس بدون عريس".

لتقطع مي حوارهما الشيق هذا لدرجة السخف بطرقها على الباب.

لحظات حتى تكرم الطبيب ناطقاً:" تفضل" لتفتح مي الباب برفق معتذرة قدومها لمكتب الطبيبة، وما إن أخرجت البطاقة من جيب معطفها ومدت يدها، حتى قفزت الطبيبة من مكانها وأسرعت لمكان مي وبصوت طفولي قالت:" أووبس، الID لقد سقط مني مرة أخرى بدون انتباه، الحمد لله أنك وجدته يا عزيزتي، شكراً لكِ" لتجيبها مي بابتسامة:" لا شكر على واجب، تفضلي".

كادت مي تخرج من المكتب ولكن نداء الطبيب عليها جمد قدميها مكانهما" هاااي، انتظري"، توترت مي من إيقاف الطبيب لها، فهي لم تفعل أي شيء بعد، فماذا يريد منها؟".

تسمرت مي مكانها وازدادت ضربات قلبها حتى كاد أن يغشى عليها من شدة توترها، لينطق الطبيب أخيراً:" حقيبتك مفتوحة من الخلف" لم ينهي الطبيب جملته، حتى تنفست مي الصعداء ملتفة للخلف حيث الحقيبة، ثم نظرت للطبيب وبابتسامة سريعة شكرته:" أووه، شكراً". لتنزع حقيبة ظهرها من خلفها وتسرع في الخروج قبل أن يلاحظ الطبيب أي شيئاً آخر.

خرجت مي وقطعت الممر حتى وصلت لمعمل التحاليل وهي لا تفكر سوى بأن خطتها كادت أن تنكشف، فتباً لإصرارها على معرفة الحقيقة، وتباً لشجاعتها المزيفة في الإمساك بالمجرمين، ما شأنها هي والمجرمين وتجارة الأعضاء.

أمرت نفسها بغضب:" ستأخذين نتيجة التحاليل وتحضري العلاج لوالدة منى، وستعودين فوراً للمنزل، لا شأن لكِ بجرائم أو تجارة أعضاء، فلتتركي الأمر لمن لهم السلطة".

وبالفعل توجهت مي لمعمل التحاليل وانتظرت نتيجتها حتى أخذتها، ثم توجهت مباشرة للأسفل حيث صيدلية المستشفى، وهي في طريقها للصيدلية رن هاتفها، لقد كانت والدتها التي قلقت لتأخرها كل هذا الوقت في المستشفى، لتخبرها مي بأنها أخذت لتوها نتيجة التحليل، وستحضر الدواء لوالدة منى وستعود على الفور، لتنهي بعدها والدتها الاتصال.

أكملت مي طريقها للصيدلية ولكن في طريقها رأت المريض الذي أخافها من قبل، لقد كان منتظراً عند الصيدلية، لتركض مي للخلف مختبأة في إحدى الغرف الجانبية، وظلت تراقب المريض من غرفتها تلك حتى يذهب، وأثناء اختبائها هذا، سمعت همسات بالقرب منها، لتنظر بسرعة خلفها فلم تجد أحداً.

فزعت مي بسبب تلك الهمسات التي مازالت مستمرة رغم عدم وجود أحد بالغرفة معها، لتدخل للداخل لتجد جداراً يفصل بين غرفتين؛ اقتربت مي بحذر من الجدار، ووضعت أذنها لتتبين مصدر تلك الهمسات، وما سمعته قد أجرى اللعاب في فمها.

فأسرعت وفتحت هاتفها بعد أن فعّلت خاصية "كتم الصوت للمكالمات"، وفتحت مسجل الصوت وسجلت ما يدور.

" لقد وقعت أيدينا على عميل مناسب" .. " من ؟ ومن أين تعرفه؟ ومتى التسليم؟" ....." طفل مختطف، كبده جيد وكليتيه جيدتين، كما أن مقلتيه صافيتين، و..." ..." ماذا؟ طفل؟ لا، لم ينحدر عملنا لهذه الدرجة، فلتلغي الصفقة" ...." لكن لماذا؟ فالطفل ليس له أهل، كما أن عملنا ليس قتله أو اختطافه، سيأتينا على طبقٍ من فضة" ..." لا، أخبرتك بأن هذا ليس مستوانا، فنحن لا نتاجر بأطفال مختطفين، فلا يهمنا سوى التراضي بين الطرفين" ..." ولكن ما وجهة نظرك؟ فإن كان هذا محرماً ومجرّماً فذاك أيضاً مجرّم، فبمَ اختلفنا؟" ..." أخبرتك ولن أتحدث كثيراً، أبلغهم بالرفض، ولا تطل الحديث أكثر، فإن انتبه لحديثنا هذا أحدهم سنسافر لرحلة بلا عودة، فلتحذر" ..."حسناً، كما تريد، سأخبرهم برفضنا، إلى اللقاء" ..

كادت مي تنسحب بهدوء بعد سماعها لهذا الحديث ولكن ما حدث بعدها غير رأيها، فعادت لإكمال التسجيل..
" مرحباً، اسمع.. طبيبنا رفض العرض، لا.. فهو يخشى أن يلوث يديه بدم طفل، لا لا تلغي، سأبحث عن طبيب غيره، لا تقلق فالمستشفى مليئة بهم..، حسناً ولكن متى التسليم؟ جيد جداً.. بعد غد، الساعة الثانية فجراً أفضل، حسناً، لا.. لا تقتله الآن فكلما كانت الأجساد حية كلما زادت فرصها، حسناً وداعاً".
لينهي المتحدث المكالمة ويغادر مخلفاً ورائه حنقاً كبيراً في قلب مي، وغضباً ملأ عينيها لتسيل دموعها كالسيل.

خرجت مي مباشرة من حيث تختبئ لخارج المستشفى، بدون أن تلتفت للوراء، ركضت بدون انتباه حتى أنها ارتطمت بأحد المارة الذي كاد أن يسبها ولكنها أكملت طريقها بدون اعتذار حتى، فهرولت حتى توارت المستشفى من خلفها عن الأنظار.
ذهبت حيث أقرب مركز للشرطة ولكن أبت قدميها الدخول، فانتظرت طويلاً أمام القسم، وسرعان ما التفت للوراء وعادت للمنزل.

دخلت غرفتها مباشرة كما فعلت بالأمس، وكررت ما فعلت ولكن تلك المرة انزوت على فراشها وأطلقت العنان لدموعها وهي تتذكر ما سمعته منذ قليل، ظلت هكذا قليلاً ثم سرعان ما غفت بدون وعي، لتراودها الكوابيس عن ما سمعت.

فرأت جثث أطفال مقطعة إرباً، وجثثاً لمختلف الأعمار ملقاة في كل مكان بالمستشفى، ورأت الأطباء ملثمين بكماماتهم تغوص أيديهم في الدماء، لقد كان المكان كمسلخ للبشر بدلاً من الحيوانات.

كان يعج بصراخ الأطفال في كل مكان، وفجأة رأت نفسها بالمكان مقيدة اليدين والقدمين، وحولها الأطباء بأدوات الجراحة يقتربون منها لتقطيعها أشلاءً، كانت تحاول الصراخ ولكن فمها كان مكمماً فدمعت عيناها حتى تحول لون دموعها للون الدم من شدة البكاء، حاولت تحرير نفسها والهرب، لكنها لم تفلح.

اقترب منها أحدهم وبيده السكين ليغرسها في جسدها بتعطش كبير للدماء، لتصرخ مي فزعة من ذلك الكابوس، فتدخل والدتها الغرفة راكضة على صراخ

ابنتها، فتحتضنها مطمئنة إياها ومرددة الأذكار إلى أن غفت مي مجدداً، لتنسحب الأم خارج الغرفة بعد أن تأكدت من غرق مي في النوم، بدون فهم لمَ حدث منذ قليل مع ابنتها.

ظلت مي بقية اليوم غارقة في نومها العميق، لم تستيقظ إلا في اليوم التالي صباحاً عندما أيقظتها والدتها بحنان، لتفتح مي عينيها وتجهش بالبكاء لتذكرها ما حدث بالأمس في المستشفى، فتحتضنها والدتها مهدئة إياها ومستفسرة عما يحزنها، ولكن مي أبت إخبار والدتها بالحقيقة وأخبرتها بأنها سمعت أخباراً سيئة وتوترها في طريقها للمنزل البارحة مما أصابها بانهيار وبسببه رأت كوابيساً.

حاولت الأم تصديق ابنتها فهي لم تكذب عليها أبداً فما الداعي لكذبها اليوم؟ ونهضت لتحضر لها الفطور، بعد إصرار من رفض مي تناول الإفطار والخروج لمنزل صديقتها.

تناولت مي إفطارها سريعاً وتحممت لتنشط جسدها وعادت لغرفتها تفكر في حل لما حدث، فهي مخيرة بين أن تخبر الشرطة وتريهم الأدلة، وبين أن تعود للمستشفى وتخبر الطبيبين بما سمعت فيبحثا هما عن حل وينتهي دور مي.

لكن تفكيرها في مصير الطفل المختطف، أقلقها وأوجع قلبها عليه، لذا بعد تفكير طويل نهضت وقبل أن تبدل ملابسها، فتحت حاسوبها المحمول ونسخت مقطع الفيديو والتسجيل الصوتي ثم أغلقت الجهاز، بدلت ملابسها وتوجهت للمستشفى، وبداخلها شيئاً واحداً؛ هو معرفة مكان الطفل وإنقاذه قبل أن يقتله الوحوش.

وصلت مي للمستشفى، وتوجهت لمكتب الطبيبة شيرين التي بمجرد رؤيتها حتى حيتها مبتسمة، متسائلة إن كانت تريد منها شيئاً، أم أتت لرفيقها الآخر.

قبل أن تنهض الطبيبة وتترك المكتب لبدأ مناوبتها، بادرتها مي بسؤال سريع أوقفها عن الحراك:" ماذا ستفعلين لو كنت سبباً في إنقاذ حياة طفل صغير من براثن تجارة الأعضاء؟" .. لتنظر الطبيبة بذهول لوجه مي مستفهمة بصوت مضطرب، مبتلعة ريقها بعدها بصعوبة:" ماذا؟ ماذا تقصدين؟"..

لتقترب مي من المقعد بجوار المكتب وتجلس عليه بدون إذن الطبيبة، مشيرة إليها بالجلوس حيث المقعد الآخر المقابل له، لتبدأ في توضيح ما تقصد بصوت حزين:" لقد سمعتكما منذ أيام تتحدثان حول تجارة أعضاء، حديثك وخوفك وقتها هو ما شجعني لمحادثتك اليوم، فأرجوك ساعديني" أنهت مي جملتها تلك وهي تذرف الدموع..

حاولت الطبيبة ربط الكلمات ببعضها البعض، وتهدئة مي وحثها على متابعة حديثها، فهي لم تفهم مقصدها بعد، فاقتربت من مي وربتت على كتفها ومسحت دموعها، وقالت في قلق:" ماذا تقصدين بحديثك؟ أرجوك فلتفهميني بهدوء مقصدك".

حاولت مي التهدئة من روعها ومسح دموعها، لتجيب الطبيبة في صوت متقطع:" لقد سمعت حديثكما عن تورط أحد الأطباء بتجارة الأعضاء، ولكن البارحة سمعت بأذنيّ ذلك، سمعت الطبيب يتحدث مع موظف آخر خمنت أنه ممرض عن تجارتهم للأعضاء، وسجلت ما سمعت، إنه معي هنا في هاتفي".. لتخرج هاتفها من حقيبتها وتفتح مقطع الفيديو، وتري الطبيبة ما سجلته.

ربع ساعة من الصمت التام دامت بين الطبيبة ومي، حين سمعت التسجيل ورأت الطبيبة مقطع الفيديو بهاتف مي، لتسأل مي وهي تبتلع ريقها بصعوبة:" هل سمع أحد غيرك تلك التسجيلات؟ وهل أخبرتي الشرطة؟" .. لتجيبها مي بسرعة:" لا، لقد خفت كثيراً من ردة فعلهم في المنزل، لذلك لم أخبرهم بما سجلت، كما أني كنت على وشك الذهاب للشرطة، لكن لم أتمكن من إخبارهم أيضاً" أنهت حديثها والدموع تتكدس بجفونها تستعد للانسياب مجدداً.

تنفست الطبيبة الصعداء وصمتت برهة من الوقت، قبل أن تكمل حديثها في شجاعة واضحة:" هيا فلنخبر المدير بذلك؟ فلدينا الآن دليلاً قوياً بين أيدينا، كما توجد شاهدتين وليست واحدة، فهيا سنذهب لمدير المستشفى الآن، ثم سنذهب للشرطة".

نهضت الطبيبة وبيدها الهاتف ومن ورائها مي التي شعرت بارتفاع ضربات قلبها نتيجة لهذا التشويق والحماس، وتوجهتا لغرفة مدير المستشفى، الذي بعد طرق الطبيبة لباب غرفته سمح لهما بالدخول.

كان بالداخل الطبيب الآخر رفيق الطبيبة والذي كان اسمه محمد، كان يجلس أمام مكتب المدير، الذي سرعان ما اعتدل في جلسته عند رؤيته لشيرين ومي، ليسرع مستفهماً من شيرين:" ما الخطب؟" لتقترب منه شيرين مقربة إليه الهاتف قائلة بتحدٍ:" الدليل معي الآن".

لم يفهم المدير عن ماذا يتحدث الطبيبان ليقطع حديثهما متسائلاً:" ما الذي يجري هنا؟ ومن هذه" مشيراً بإصبعه لمي، لتسرع شيرين مجيبة إياه في هدوءٍ تام:" يؤسفني إخبارك يا سيدي بأن مستشفاك تتاجر في الأعضاء، والدليل معي" أنهت حديثها المختصر مشيرة لهاتف مي الذي بقى في يدها.

صرخ فيها المدير بغير صبر:" ماذا؟، عن أية تجارة أعضاء تلك تتحدثين؟".. لتبدأ شيرين في سرد ما رأته وسمعته منذ أيام؛ "أتذكر الشاب السوري الذي أجريت له عملية الزائدة الدودية؟" ليجيبها المدير بهز رأسه موافقاً، فتكمل الطبيبة سرد قصتها:" حسناً، لقد خرجنا سوياً قبل غلق جرحه بسبب عملية أخرى طارئة، جئتك طالبة مساعدتك فيها.

صمتت الطبيبة لثانية للتنفس ثم أكملت حديثها:" بعد انتهائنا منها بنجاح، عدت لغرفة الشاب السوري مجدداً لأطمئن على صحته بعد نجاح عمليته، وقبل أن أدخل إليها سمعت حديث رفيق الشاب في الهاتف، لقد كان يتحدث مع أحدهم حول بيع إحدى كليتي المريض للمستشفى، صدمني الموقف ولكني سرعان ما انسحبت بسرعة قبل أن يراني، حينها أخبرت محمد بما سمعت ولكنه نصحني بالسكوت، وبالفعل قررت الصمت خوفاً على نفسي وخاصةً أن لا دليل معي، ولكن هذه المرة لم استطع فبيدي دليل استطاعت مي من تسجيله". أنهت شيرين حديثها مقربة هاتف مي للمدير لتريه الدليل.
جالت مي بعينيها على المدير ومحمد تارة وعلى شيرين تارة أخرى، حاولت فك شيفرة ما يدور في خلد المدير، فربما كان هو متواطئاً معهم في ذلك الأمر، أو ربما كان ضحية لمثل هذه المؤامرة القذرة.

وما أن سمع المدير التسجيلين وشاركه محمد في الاستماع والرؤية حتى أبديا ردة فعل متفاجئة عند سماع التسجيل .
لم يرتح قلب مي لهما فهنالك سراً يخفيانه بالتأكيد، بعد مشاهدة المقطع جلس المدير على المقعد واضعاً يديه على رأسه ناظراً للأسفل، ظل هكذا صامتاً، في حين اقترب محمد من شيرين هامساً في أذنها بشيء لم تتمكن مي من سماعه،

ولكنها علمته بعدها، فلقد أخرجتها شيرين للانتظار بالخارج، إلى أن يجتمع ثلاثتهم ويقررون ما الذي سيحدث بعدها، حاولت مي أخذ هاتفها معها لكن الطبيب محمد أخبرها بتركه بالداخل.

جلست مي في الرواق أمام غرفة المدير والأفكار تجول بخلدها ذهاباً وإياباً، فماذا لو قام ذاك الطبيب بحذف الأدلة وتهديدها بأذيتها أو أذية أهلها إن أخبرت الشرطة؟ أو ماذا سيكون القرار الذي سيتخذونه سوياً، هل سيتغاضون عن تلك الجريمة؟ أم سيبلغون الشرطة؟

بعد حوالي نصف ساعة من الأفكار المتناطحة برأسها، خرجت الطبيبة برفقة هاتفها الجوال، وعلى وجهها علامات الحزن، وسرعان ما أخبرت مي:" لقد قام المدير بحذف الأدلة من هاتفك، وسيقوم بنفسه بفتح تحقيق فيما حدث، لذا لا داعي لإخبار الشرطة أو أي أحد بما سمعتي أو شاهدتي، حتى لا تؤذي نفسك أو تتسببي بسوء سمعة للمستشفى".. وقعت تلك الكلمات على مسامع مي كالحجارة من شدتها، لم تنبس مي بأية كلمة وظلت متفاجئة بسبب سلبية ردة فعل هذا المدير وأطباؤه.

تجمعت العبرات بعين مي ومدت يدها لأخذ هاتفها من يد الطبيبة، ومضت في طريقها للمنزل بدون أن يسمع لها صوتاً، عادت مي لمنزلها وهي تجر أذيال الخيبة من ورائها، ومشهداً واحداً يحوم برأسها وهو مشهد الطفل مقتولاً وجثته فارغة تماماً من الأعضاء.

قطرات سقطت بللت الورقة لتذوب بداخلها الحروف...

سقطت دموع المسخ مغرقة أوراق المذكرات، لتتوقف عن القراءة ناظرة للمرآة حيث مي محتجزة، لترى ملامح الحزن والألم التي ارتسمت على وجهيهما.

تعالت بعدها ضحكات الشرير، ليتحدث بعدها موجهاً حديثه للمسخ قائلا في سخرية:" والآن هل عرفت ما هو أول أمر؟ أم أثر الحادث بما تبقى من عقلك، فصعب عليك فهمه؟".

توقفت المسخ عن بكائها مجيبة الشرير بكل حنق:" لا لن أنفذ ما تريد حتى لو... حتى لو خسرت جزءاً من حياتي مقابل ذلك، فما تريده خبيث للغاية، ومجحفاً بحق إنسانيتي". أنهت جملتها تاركة العنان لعبراتها من جديد.

صوت تصفيق غطى على انهيار المسخ وبكائها تبعه حديث الشرير الساخر للمسخ:" يا لها من شعارات جميلة وملهمة، لقد أدميتي قلبي بحديثك هذا".

وفجأة تحول الهدوء الممتزج بالسخرية لصراخ بصوت مرتفع، مغلفاً بأسلوب تهديد وتحذير:" فلتنسي كل تلك الذكريات، انسها الآن، وإلا تحول ما تبقى من ذكريات لديك لخرابٍ تام، خراب ستتخبطين بداخله للأبد فتتمنين بعدها الموت رحمة لك، مما ستلاقيه".

تعالت فجأة أصوات الصراخ من داخل المرآة، فتحدثت مي ونبرات الغضب جلية في صوتها:" لن تقدر على إجباري بشيء، مهما حاولت وتعالت تهديداتك فلن أمسح ولو جزأً صغيراً من ذكرياتي تلك، لن أنسى ما حييت، سأحول جنتهم المزيفة لجحيم دامي".

الأمر الثاني:

قطع صراخ مي الغاضب ضحكات الشرير وحديثه، دام الأمر كثيراً، لتنهض المسخ من مقعدها متوجهة للمرآة، لتشكر مي على شجاعتها تلك وعدم خوفها من تهديدات الشرير.

أرادت أن تدخل يديها حيث مي لاحتضانها والتخفيف عنها قليلاً وبالفعل فعلت، وبمجرد تلامس يديها لجسد مي حتى تصلب سطح المرآة وعلقت ذراعيها بالداخل حتى منتصفهما، لتصرخ الفتاة في ألم ومي في خوف.

حاولت الفتاة تحرير ذراعيها ولكن كلما حركتهما انغمست قطع الزجاج بهما أكثر، رغم الألم ونزيف الدماء لم تتوقف الفتاة عن محاولات تحرير ذراعيها، اقتربت مي من الزجاج من الداخل وحاولت تحطيمه ولكنها لم تفلح، فظلت تضرب بكل قوتها على سطح المرآة من الداخل حتى تورم كفيها.

دام هذا الموقف لدقائق شعرت فيهم الفتاة كما لو أنها ساعات من شدة ألم ذراعيها، دقائق من الألم والصراخ والدموع وقلة الحيلة دامت، حتى قطعهم صوت الشرير من جديد قائلاً في تحدٍ:" أخبرتك من قبل، إن تحديتني ما الذي سيصيبك، رغم ذلك حاولت... لكم هو رائع هذا الشعور؛ فريسة ضعيفة تتلوى من الألم ومفترس يستمتع ويتلذذ بأنينها المستمر".

صرخت مي في الشرير وأمرته بغضب قائلة:" فلتحررها والآن"..... قهقه الشرير وعلت قهقهته، مجيباً إياها:" آسف يا عزيزتي، فأنا لا أنفذ الأوامر ولا أجيب على الأسئلة، أنا أطرح الأسئلة فقط، لذا لا تأمريني والتزمي الصمت".

صمتت مي وطال صمتها حتى ظنت الفتاة بأنها فزعت من تهديدات الشرير لها، ولكن صمتها كان بسبب شيئ آخر قفز بفكرها بغتةً ذكرها بشيء، لقد تذكرت شيئاً مضت عليه مدة من الزمن، قطعت مي صمتها صائحة في الشرير:" إنه أنت!! أنت الدجال، إنه صوتك ونبرتك وسخريتك نفسها، أنت هو نفسه، ولكن لماذا تصر على هذا الأمر، ما الرابط بينك وبين تجارة الأعضاء هذه، إلا إذا... إلا إذا كنت أنت ذاك الطبيب الجزار، نعم لا بد من أنك هو".

ضحك الشرير مصفقاً بيديه، وبذات النبرة الساخرة أجاب مي:" رائع، لم أكن أتوقعك بكل هذا الذكاء، ولكنك تأخرت كثيراً حتى اكتشفت ذلك، نعم أنا هو الطبيب ولكن ما قصة الدجل تلك بي، هذا ما لا أعلمه، ولكن لا يهم؛ ما يهم الآن أنك ستمحي هذه الذكرى وللأبد من عداد ذكرياتك هذا وبعدها ستتحررين للأبد، فلقد أرهقتني طويلا منذ علمت بسرك وبتسجيلاتك التي ستلقيني في السجن حتى تتعفن جثتي، ولكن ليس بعد الآن فلقد حولتني معرفتك سري لجسد يخشى من الغد؛ جسد بلا عقل من كثرة التفكير بمتى سيأتيني العقاب على فعلة لم أفعلها، بل حتى أني رفضت فكرة ذاك الأحمق؛ نعم فأنا لست بجزار كي أقتل مقابل سرقة الأعضاء، ولكني أفضل التجارة فكلا الطرفين سيفوز، ولكنك أنت بشجاعتك المزيفة وخططك الطفولية وتدخلاتك التي لا جدوى منها من أجبرني باللحاق بك حتى خارج حدود بلادنا لإسكاتك أو لتهديدك، لن أسامحك على ما حولتني له؛ لقد حولتني لقاتل متسلسل_نعم_ فأنت السبب في تحولي هذا، لو أنك لم تسجلي ما سجلته من صوت ومقاطع لما وضعت نفسك في هذا الموضع أبداً، ولكنك حمقاء، لأنك جذبتي إليك أعتى المجرمين، فلم تجذبينا فقط بل جذبتي إليك المتطرفين، وكل هذا بسبب أحلامك الفضلى في تحويل العالم القذر لجنة لا تذبل أبداً، يا لك من حمقاء حالمة". أنهى حديثه هذا لتتحول أنظار مي للفتاة

ولذراعيها العالقتين في المرآة وسحب الأفكار تتجمع بخلدها باحثة عن حل وسط أو سبيلاً للخلاص.

قطع حديث مي صوت الشرير الحانق على مي ليكمل حديثه:" أنت من عليك الدفع الثمن لا أنا، فما أنا إلا طبيب مغلوب على أمره لم ينفذ سوى أوامر المدراء، أما أنتِ فلم يجبرك أحد على ما فعلته حتى الآن، لذا تستحقين أشد أنواع العقاب، حتى وإن لم أرحمك أنا فسيأتي من يبغضك لتدخلاتك المراهقة وسيؤذيكِ بكل ما لديه من قوة، لذا فلا ترهقي جسدي أكثر ولتنفذي الأوامر بدون مجادلة أكثر، فلقد سئمت منك ومن إدعاءاتك المتكررة بالمقاومة".

لتجيبه:" موافقة.. سأنسى كل ما تريد لكن بشرط، حرر الفتاة أولاً؛ فهي لا تتحمل فقدان جزء آخر من جسدها، وأخبرني ما هو أمرك الثاني، ثم سأفعل كل ما تريد، ولكن كيف علمت مكاني بعد تلك المدة الطويلة وكيف علمت بأني أحمل تسجيلات تدينك؟".

أنهت مي حديثها لتنظر لها الفتاة وتهز برأسها رافضة فكرة مي، ولكن بإيماءة من مي وبابتسامة خفيفة فهمت مغزاها وسمعت بقلبها ما تقصده مي، صمتت الفتاة وكأنها رضيت بالاتفاق.

تحدث الشرير بعدها مباشرة وكأنه اقتنع بفكرة مي:" جيد وأنا موافق على تحرير الفتاة أولاً ولكن، لن أحررها إلا قبل أن أعلم جوابك عن الأمر الآخر، لذا سأدخل في التفاصيل مباشرة ولكن قبل التفاصيل سأجيب تساؤلك يا عزيزتي؛ أتذكرين ذاك اليوم حين قابلتي مدير المستشفى؟ لقد هاتفني حينها وأسمعني ما دار بالداخل من اتهامات لشيرين بفضح الأمر للشرطة، ما لم تعلمه الطبيبة هو بأن المدير هو اليد المدبرة لكل شيء، فهو من يسيرنا بعصاه وهو من يحركنا بخيوطه لأجل مصالحه القذرة، لذلك أراد مني مراقبتك جيداً وألا أؤذيك قبل أن أتأكد من أنه لا دليل آخر لديك... توقف قليلا قبل أن يكمل

"ولكنك كنتِ بارعة يا عزيزتي فلقد استطعت أن تضللي طريقنا كي لا نتعقبك للمنزل؛ لا أعلم حقيقة إن كنت تعلمين بأمر من يراقبك أم لا، ولكنك كنتِ بارعة للغاية في إضاعتنا لك، لذا قمنا بوضع خطة جديدة؛ لم أضعها أنا بالطبع بل الممرض الأحمق الشره للمال هو من وضعها وبتدبير من المدير..

حلمك المتكرر هذا باختطافك في مخزن؛ أتذكرينه؟ ليس حلماً في الواقع بل حقيقة، بدأ عندما وصلتك رسالة على هاتفك الجوال من الطبيبة شيرين بأنها وجدت دليلاً آخراً مهماً سيلقي بالمجرمين في السجن للأبد، وكان اللقاء بقرب المشفى القديم، بالتأكيد لم تفوتي الفرصة وركضتِ حيث المكان مهرولة، فأنا أعلم تشبثك بالحقيقة جيداً هو من سيلقي بكِ للهاوية، ما لم تعلميه وقتها بأن الطبيبة أيضاً كانت طعماً لكِ كما أنتِ كنتِ طعماً لها.. أوقف سرده الحانق صوت قهقهاته العالية الذي تعالى عن السابق.. ليكمل بعدها حديثه

.."وكلتاكما كنتما طعماً غبياً كفاية سهل التخلص منه وللأبد، لم أحبذ فكرة قتلكما ولكن الممرض كان مصراً على التخلص منكما بل وسرقة أعضائكما، لذا كان هذا ما سيحدث لولا معرفة الأحمق محمد بمكان شيرين_ المتيم بها حد الجنون_، لذا آتى محذراً لنا من إرسال كل الأدلة للشرطة إن مسسناكما، وهذا ما حدث، فحياتنا كانت مقابل حياتيكما " ....
وقبل أن تجيب مي، أكمل الشرير:" أما عن معرفتي لمكانك هنا هو بسبب الأخبار المتداولة عنك ودخولك للمستشفى، وجدتها فرصة لإسكاتك للأبد، كي أتخلص من مخاوفي وعيش ما تبقى لي في راحة، ولكنك أيضاً حتى بمرضك هذا كنت كالشوكة في الحلق، لا أعلم ماذا فعلتي كي تحاطي بكل تلك الحراسة والمراقبة المتجددة لغرفتك، حتى وأنتِ غائبة عن الوعي كنتِ أذىً لي"..

صمت بعدها مطولاً وقبل أن تتحدث مي صرخ محذراً:" حادثة التفجير، الحريق الذي حدث بمنزل الطفل و الصور وجميع ما معك من دلائل ضد المذنبين الفعليين لجرائم الدين تلك، لتمحها أيضاً".

خرجت الفتاة عن صمتها، وقبل أن تتحدث مي مستفسرة عن طلبه ذاك وما علاقته بالحادث، صرخت الفتاة موجهة صراخها للشرير:" لا، لن تفعل أي من هذا؛ لا الأمر الأول ولا حتى الآخر، لن ندع المجرمين يفلتوا من العقاب، ليس بعد الآن، مي أرجوك فلترفضي هذه الأوامر، فتحريري لن يكون نتيجة لظلمك أو لغيرك من الأبرياء، أرجوكِ فلترفضي"..

تسمرت قدما مي بلا حولٍ أو قوة بدون حراك لدقائق، نظراتها تجول بين الفتاة تارة، والفراغ من حولها حيث يصدر صوت الشرير تارةً أخرى، وقبل أن تكمل الفتاة رجاءها نطقت مي:" حسناً، موافقة"... ومع آخر كلمة سالت عبراتها كشلال قوي.

ما هي إلا ثواني معدودة حتى صدق الشرير في وعده وحرر الفتاة، لتخبرها مي بأن تذهب حيث المذكرة وتمزق كل الذكريات المقصودة، توجهت الفتاة بألمٍ وحسرة حيث الطاولة لتمزق الصفحات، و قبل أن تنفذ الأمر بإعدامها صرخت مي:" لاا... فلتهربي من هذا السجن وتحرري نفسك قبل أن يؤذيك الشرير مرةً آخرى" .. لم تكد مي تنهي حديثها حتى دست الفتاة الأوراق المتناثرة أرضاً بين باقي أوراق المذكرة واحتضنتها بين يديها، وركضت صوب المرآة حيث تقبع مي لتدفع نفسها بكل ما لديها من قوة للداخل مغمضة العينين، وفجأة عمّ الظلام وتمكن الصمت من كل مكان.

العودة:

راحة اجتاحت جسد مي وهدوء عمّ الأرجاء وصوت حنون تردد في خفوت" قاومي.. لا تيأسي، فقط تذكري أننا ننتظرك هنا، فمهما طال الأمر فنحن هنا، بجوارك.. فقط قاومي"...

ظلام دامس، دقات قلب متسارعة، تنفس مضطرب، أصوات غامضة مخيفة، حركات متتالية، برودة قارصة تجمد العروق، رائحة نفاذة تخترق الصدور، وجسد ميت لا يتحرك.. أين أنا؟!

فتحت مي جفونها وبنفس وتيرة السؤال السابق كررت:" أين أنا؟" تصلبت يد الطبيب المعالج عند سماعه لهذا السؤال، مجيباً بخوف:" أنتِ في المستشفى، هل تتذكرين؟" .. بدقات قلب متسارعة وحدقتين مضطربتين ويداً متصلبة في مكانها ألقى سؤاله، لتجيبه بعدها مي والقلق بادٍ في وجهها:" أجل، أتذكر ولكن أين الفتاة؟"

تنفس الطبيب الصعداء وظهر الارتياح على وجهه، ولكن سؤال مي الأخير أوقف ارتياحه من منتصفه، ليسرع مستفسراً:" عن أي فتاة تتحدثين؟".. أجابت مي ونظراتها تجوب المكان:" المسخ، أين هي؟ هل أذاها الشرير؟ أم تحررت من بين براثنه!!".

لم يفهم الطبيب ما تقصده مي بسؤالها، لذا حاول تهدئتها ومسايرتها ليستفسر أكثر عن ما تقصده، فألقى عليها سؤاله:" أي مسخ، هل تقصدين شخص ما في أحلامك ونومك العميق؟".. نظرت له مي وعلامات الاستغراب ترتسم على وجهها مجيبة:" أي حلم؟ أنا أتحدث إليك بكل وعي، أين هي الفتاة؟ أم أنت هو الشرير وقمت بأذيتها؟".

بدا القلق على وجه الطبيب، وانسحب خارج الغرفة، تاركاً مي خلفه وكل علامات الجنون تشير إليها، فتوجه الطبيب لأستاذه بالخارج لرؤية ما آلت إليه حال المريضة، مريضة الغيبوبة .

دقائق وآتى الطبيب برفقة ذاك الغاضب الذي كان في أحلامها من قبل، ليقترب منها لفحصها، وسؤالها عن حالها وما تشعر به:" بمَ تشعرين يا آنسة؟ وهل تتذكرين ما حدث قبل إغفاؤك هنا؟" نظرت إليه مي وبصوت هادئ أجابت:" لا أشعر بشيء على الإطلاق، لا ألم ولا خوف ولا حتى فرح، هل هذا سيء؟ نعم أذكر ما حدث لقد أفقت ثم غفوت مجدداً، أليس كذلك".

توقف الطبيب عن فحصه بعد إجابة مي تلك، ثم بادرها بسؤال آخر:" ما الذي رأيته خلال سباتك الطويل؟ هل تتذكرين منه شيئاً مميزاً؟ أو هل أثار فضولك شيئً ما؟".

صمتت مي قليلاً قبل أن تجيب بنفس وتيرة نبرتها الهادئة:" رأيت كل شيء هنا، الغرفة والخراطيم والأطباء، كل شيء كأنه حقيقي وليس حلماً، حتى أني رأيته هو" أنهت حديثها مشيرة للداخل.

ليجيبها الداخل في توتر وهو مشيراً لنفسه:" ولكن هل تعلمين من أنا؟".. لتجيبه مي سريعاً:" لا، ولكني رأيتك في حلمي، ليس أنت وحسب بل جميعكم" أنهت حديثها وهي مبتسمة.

فرح الطبيب بحديث مي حتى إنه اقترب من زميليه متسائلاً عن ما حدث للمريضة، تحدث ثلاثتهم فيما بينهم ثم خرجوا تاركين مي من خلفهم في دوامتها.

وبمجرد خروج الأطباء حتى انسل من بينهم الثالث إلى زاوية بعيداً عنهما مخرجاً هاتفه الجوال، عابثاً في أزراره ليرسل رسالة احتوت بين طياتها بالإنجليزية:" لقد تم الأمر، لا خوف"، ليخبأ هاتفه بعدها في جيبه ويعود للاثنين.

عجّ مدخل المستشفى بالخارج بالأقدام وملأت الصحافة المكان، ليسرع المارة بالتجمع حولهم لمعرفة سبب تجمعهم، حيث بدأت القنوات تتوالى بمجرد ورود خبر إفاقة مي.

" وردنا الآن بأن المريضة_الطالبة_ مي عادل محمد أفاقت من غيبوبتها بعدما دامت شهراً كاملاً بسبب تعرضها لحادثة دعس، يذكر أن الطالبة مي عربية فهي مصرية الجنسية أتت هنا منذ عامين في بعثة تعليمية لكلية الآداب.

تعرضت مي لحادث دعس سيارة أمام مسجد السلام في وسط المدينة، والتي راح ضحية لتلك الحادثة امرأة وطفلتها غير عشرات المصابين، يذكر أن هذا الحادث ليس الأول من نوعه فقد تعرض العديد من المسلمين في أكثر من منطقة لمثل تلك الحوادث.

الطالبة مي كانت متهمة سابقاً بالإنضمام لجماعة متطرفة قامت بالعديد من حوادث التفجير في أكثر من مكان لغير المسلمين، ليس لدينا أية معلومات عن تلك الأخبار ولكن ما نعلمه هو حسب الشائعات المترددة بالإضافة لخمسة متهمين آخرين بحسب القضية المعروفة بقضية "إ5"، والتي سيتم البت فيها بمجرد تعافي المريضة بالكامل كما أوضح المسئولين.

يذكر أن مي ذات الثاني والعشرين ربيعاً، هي مكتشفة القنبلة التي وضعها الإرهابيون في مسجد السلام، وحسب أقوال الشهود العيان بأن الطالبة ليس لها يد في أي من تلك الجرائم، فهي مسالمة ولا تؤذي أحد، معنا الآن من أمام مستشفى الحرية المتواجدة بها مي، أحد أقربائها.. مرحباً.. أخبرنا في البداية ما صلة قرابتك بمي؟

ليجيبها الفتى بفخر:" إنها أختي التي لم تلدها أمي، ولكنها أختي التي وهبني الله إياها" .. جميل هي تلك الرابطة بالتأكيد، هل من الممكن أن تعرفنا عن نفسك؟... :" رامي، أدعى رامي، لبناني الجنسية في الصف الثالث الابتدائي، من أصل مسيحي، ولكني أعتبر مي أختي بل هي في الحقيقة أكثر من أخت"....

يا لها من رابطة قوية تلك التي تربطكما، رغم اختلاف ديانتيكما إلا أن قلبيكما اتحدا سوياً.
قصتكما؛ كيف بدأت؟ أخبرنا سريعا عن هذا؟" .... بابتسامة لاحت سريعاً على ملامح رامي أجاب:" منذ عام ونصف، عندما أتت لبيتنا كمربية، مذ تلاقت أعيننا بدأت علاقتنا المميزة، تعلمت منها الكثير فمهما تحدثت في صفاتها فلن أوفيها حقها، ولكن كل ما أعلمه وأؤمن به أنها بريئة وستظل كذلك، حتى وإن رأيتها بأم عيني تذنب فلن أصدق، لأن أختي لا تؤذي قط، هي تداوي فقط"....

أنهى رامي المقابلة متوجهاً للداخل ليرى مي ويطمئن عليها، مخلفاً ورائه الكثير من الألغاز والأسئلة لعلاقتهما المميزة تلك، أكملت المراسلة الأخبار:" حسناً، رأينا منذ ثواني رامي أخ مي كما وصف علاقته، ودافع عنها بطريقة أخجلتنا جميعاً، كما سنوافيكم بعد خروج مي ببقية التفاصيل، في النهاية نتمنى أن تظهر الحقيقة كاملة وأن تعيش بلادنا آمنة وبخير"...

ركض رامي بخطوات سريعة حيث غرفة مي، وبعد دقائق من وصوله لأمام الغرفة وجد هرجاً ومرجاً أمام الغرفة ليركض باتجاه والديّ مي ومنى الذين بدا على وجوههم القلق أكثر من الفرحة باستعادة مي وعيها..
" ما الأمر؟ هل مي بخير؟" بلسان متلعثم من شدة التوتر وجه رامي سؤاله لمنى، لتجيبه الأخرى بنفس الوتيرة من القلق:" لا أعلم، لا يخبرونا بشيء ولا يسمحوا لنا برؤيتها كذلك، لا أعلم ما الذي حدث؟" ..

ليبتعد والد مي قليلاً من مكانه متوجهاً لشاب عشريني وسيم، يبدو من ملامح وجهه ولكنته_ أوروبي الجنسية، فيسأله والد مي بهدوء بالانجليزية:" ما الأمر؟ بماذا أخبروك؟" .... التفت إليه الشاب وبصوت خفيض أجاب:" الأمر ليس بما أخبروني، بل بما لم يخبروني به، إنهم يخفون عنا شيئاً ما، أشك بأنه شيء متعلق بتدهور حالة مي الأخيرة" .

نظر إليه والد مي وعلامات الاستفهام بادية على وجهه جلياً فيبادر مستفهماً:" ماذا تقصد؟ وما هو الأمر الذي يخفونه عنا، لا تزد من توتري يا بني فقلبي لن يتحمل أكثر".... أسرع الشاب بالإجابة على والد مي، داساً بخفة ورقة صغيرة مطوية في كف الوالد، ليفتحها على الفور ويقرأ ما دون بداخلها في صمت

ليتساءل بعدها في سرعة:" ما هذا يا عبد الله؟ عن أي خطر تقصد؟ أهذا خط مي؟" ألقى سؤاله الأخير وعلامات القلق تجمعت لترتسم سريعاً على وجهه..

أسرع عبد الله بالتوضيح في هدوء، مربتاً على كتف والد مي:" أجل هو خطها، حسناً مي أخبرتني في هذه الورقة بأن حياتها في خطر محدق طالما هي هنا، وطالما هي في أوراق المستشفى بكامل وعيها وبأحسن حال و.." ..... قبل أن يكمل عبد الله حديثه قاطعه والد مي بسرعة مستفهماً:" ماذا تقصد؟ تقصد القضية والاتهامات الموجهة إليها، أليس كذلك؟" ... هز الشاب رأسه نافيا لحديث والد مي، وعقب بهدوء:" لا ليست القضية هي الخطر، بل المستشفى هي الخطر المحدق، كتبت مي في رسالتها بأن الخطر يحوم حول رأسها لذا هي مضطرة بما ستفعله، ما قصدته هو؛ المجرم الذي يعرض حياة مي للخطر بل ويحاول آذيتها هو طبيب هنا، كما أنها رأته بأم عينيها في غرفتها، فاضطرت مي للتظاهر أمام الأطباء بالنسيان وتشتت عقلها، لتنجو بحياتها فقط من هذا المجرم، وكل ما علينا فعله هو مسايرة وضعها هذا، والإدعاء بالتصديق بأنها نسيت كل شيء متعلق بما قبل الحادث، وبمجرد خروجها من هنا بخير سنبحث عن حل جديد وبسرعة لكي يتم القبض على المجرم ومن عاونه".

أصمت حديث عبد الله والد مي عن الكلام تماماً، وأخذ يفكر ملياً بما سمعه وبما سيحدث فيما بعد، وبينما هو في صمته العميق هذا، اقتربت منه زوجته وبصوت مبحوح تماماً لشدة بكائها ونواحها أياماً على وحيدتها، قالت:" ما الأمر؟ بمَ أخبركم الأطباء؟ هل هناك وضعاً خطيراً بحياة مي؟" ...

أنهت حديثها والدموع تتساقط من عينيها بغزارة، وقبل أن يجيبها عبد الله أشار له الوالد بالتوقف، واقترب من زوجته بحنان محتضناً إياها لتهدئتها هامساً في أذنها بلين:" لا تقلقي فصغيرتنا بخير تماماً، لقد تحسنت حالتها كثيراً عن ذي قبل، ولكننا مجبرين بالإدعاء أمام الجميع بعكس هذا كله وهذا فقط لأمنها، حسناً؟ فلتطمئني الآن وتمسحي دموعك الحارة تلك ولتحمدي الله على ردها إلينا بكل خير وسلاماً" أنهى حديثه الهامس طابعاً بقبلة يتخللها العشق على رأسها، أزالت بسحرها كل الحزن والألم المتجمع في قلبها وروحها.

بعد انتهاء الحوار بين الزوجين، اقترب منهم أحد الأطباء الذين كانوا بجوار مي فور إفاقتها لمواساتهم في رفق قائلاً بصوت هادئ وبنبرة تردد بالعربية:" حمداً لله فلقد أفاقت المريضة و نظراً للفحوصات وإشاراتها الحيوية فهي بخير تماماً،

ولكن.." توقف الطبيب بعد تلفظه لهذه ال "لكن" فأسرعت الأم وبنبرة مضطربة تتسائل:" ولكن ماذا؟ ما الأمر" ليكمل الطبيب حديثه بثقة مزيفة كشفت تمثيله من ملامحه القلقة:" ولكن، يبدو أنها تواجه تشتتاً بسيطاً في الأفكار وتداخلاً بين الحلم والحقيقة، وهذا أمر بديهي بسبب ما وجدناه بداخل معدتها، بعدما أصر الأطباء بعمل غسيل معدة لها لشكهم في إعطائها شيئاً أثر باتزانها العقلي والجسدي".

التفت الجميع لبعضهم البعض بعد حديث الطبيب بتلك الكلمات الأخيرة، ليسرع عبد الله في قلق متسائلاً بعربية جيدة إلى حدٍ ما:" وما هذا الذي وجدتموه بالتحديد في معدتها؟" ليسرع الطبيب مجيباً بشيء من عدم الفهم:" البنزوديازبين!! حقيقة لا أعلم كيف تواجدت كل تلك الجرعة من الأقراص المنومة في معدتها، ولكن المختصين يعتقدون أن تدهور حالتها المفاجئ ذاك بسبب تلك المادة التي استخلصت منها" ..

قطع حديث الطبيب كلمة غاضبة قفزت بدون إذن من فم عبد الله:" سحقاً!!" .. ليلتفت الطبيب متعجباً من غضب الشاب، متسائلاً في عجب:" ما الأمر؟ هل هناك ما تخفيه عنا؟" أنهى سؤاله ونظرات الريبة تتجمع في عينيه.. ليجيبه عبد الله سريعا بالانجليزية:" لا، لا يوجد شيء مهم، ولكن مي كانت تتناول الأقراص المهدئة منذ مدة ولكنها ليست بالقريبة، بسبب شعورها بالأرق، فنصحتها بمتابعة طبيب ووصف لها الطبيب هذه الأقراص ولكنه حذرها من الإكثار منها، لذا غضبت لأنها لم تستمع لتحذيرات الطبيب، ولكن كيف بقيت تلك المادة في معدتها ولم تذوب؟" .

صاح الوالد والوالدة بنفس الوقت في قلق:" ماذا؟ أقراصاً منومة، وأرق!! لكن لمَ لم تخبرنا بذلك يا بني؟ وكيف أخفت عنا مي شيئاً خطيراً مثل ذلك؟" .. ليسرع عبد الله بالإجابة بالعربية:" لا لم يكن الأمر خطيراً لتلك الدرجة، لذلك لم تخبركما حتى لا تشعركما بالقلق عيها في غربتها هذه، كما أنها تحسنت بعد زوال أرقها القديم والذي كان بسبب ما علمته قبل بعثتها ودفنته عميقاً بداخلها، هذا ما أخبرتني به مي وكذلك منى والذي لا أرى أنه من المفيد لها أو لصحتها التحدث عنه مجدداً" ثم التفت لمنى قائلاً:" أليس كذلك يا منى؟" لتهز منى رأسها بالإيجاب وتتلفظ بها:" أجل، هذا ما حدث"..

ليقطع الحديث صوت أنثوي اقترب ببطء حيث لم ينتبه عليه أحد وبالانجليزية قال:" حديثهما صحيح، فأنا أعرف مي منذ شهور وكانت تتابع عند شقيقي حمزة كذلك، هو الذي أخبرني بأن حالتها بدأت تتحسن وبدأ الأرق يتركها شيئاً فشيئاً، ولكن الذي تسبب بتناول تلك الجرعات، ليس مي، بل هناك شخصاً آخر تعمد حقنها بهذه المادة وبدون إذن صحي من أحد"..

أنهت حديثها الغامض هذا لتلتفت إليها كل الأعين المتواجدة في هذا المكان، وبصوت متقطع لفظ الأب:" لم أعد أعي أي شيء، ما الذي يحدث لابنتي؟ ومن هذا الذي يريد أذيتها؟ لا أعلم شيء، كل ما أعلمه هو أني أريد السلامة لطفلتي والأمان، لا شيء آخر" .. أنهى حديثه محتضناً كتف زوجته التي وافقته الرأي برأسها.

وما هي إلا لحظاتٍ حتى سمح الأطباء لعائلة مي بزيارتها، ودخلت معهم الطبيبة والطبيب العربي للداخل، وقبل أن يتوجه الجميع لداخل الغرفة، لفت نظر عبد الله والطبيبة أحد الأطباء الذين كان يراقبهم من بعيد، ليلتفت عبد الله للطبيبة ويومئان لبعضهما البعض برأسيهما بدون حديث ويدخلا.

حاول الطبيب المتجسس الدخول لغرفة مي ولكن، بأمر من الطبيبة منع دخول أي أحد لزيارة مي غير عائلتها، لينسحب الطبيب للخلف طاوياً الأرض بقلق ممسكاً هاتفه في اضطراب.

في الداخل احتضنت مي والديها ومنى ورامي كذلك والطبيبة التي اتضح إنها مريم زوجة فاروق الألمانية، اجتمع الأحبة في الداخل مرحبين بعودة مي لوعيها بكامل صحتها وبدأت الأمور في الاتضاح قليلاً..
" مرحباً بكما، لقد أخمدت رؤيتكما لهيبي المحترق بداخلي، لقد ظننت أني لن أجتمع بكما مرةً أخرى، ولكن حمداً لله أن عمري لم ينتهي بعد قبل أن أشبعه بتواجدكما، منى؛ صديقتي ورفيقة دربي كذلك، لقد فرحت كثيراً برؤيتك يا عزيزتي، رامي؛ أخي الصغير الذكي، لقد اشتقت إليكما أنت ومنى كثيراً، الطبيبة مريم؛ أختي الكبيرة وناصحتي وهديتي من الله في غربتي، لقد أسعدتني رؤيتك وكيف هي طفلتك نور؟ " تحدثت مي والدموع تغرق وجهها ووالديها يحتضناها بحنان لإزالة الشوق.

.. لتجيبها مريم بابتسامة غطت وجهها:" بخير، حمداً لله، لقد كانت مصرة على المجيء معي لرؤيتك، ولكن والدها أقنعها بزيارتك في منزلك وليس المستشفى، فلقد سئمَ من رؤية المستشفيات كثيراً" ..

أكملت مي اشتياقها للجميع:" الطبيب الغاضب" ماجد" لقد رأيتك في حلمي كثيراً، أتعلم؟ كنت كما قابلناك أول مرة أنا ومنى، غاضباً ومتكبراً" أنهت جملتها تلك ضاحكة، وهي تغمز بعينيها لمنى التي توردت وجنتاها في خجل..

أجابها ماجد بضحك:" كم هو رائع أن أقابلك في أحلامك كما واقعك، كم أنا محظوظ" .. قطع صوت ضحك الطبيب ماجد، صوت سعلة مصطنعة أطلقها عبد الله بغضب بجوار ماجد، موجهاً حديثه الغاضب لمي:" وماذا عن الفزاعة التي تقف هنا؟ ألا يوجد لها ترحيب حار كغيري من الأحبة، أوه، نسيت بأني لست جزءً بعد من هذه اللوحة الجميلة" أنهى حديثه والغيرة تصرخ من وجهه، ونظراته التي رمقت ماجد بغيظ وهو يتضاحك مع مي، لتقطع والدة مي هذا الجو الغاضب في مزاح:" أيعقل هذا يا بني، فأنت ابني الثاني الذي لم ينجبه رحمي، لك مكاناً بالطبع في لوحتنا الجميلة هذه، وستتوج قريباً أيضاً في عائلتنا".

تبسم الشاب من حديث والدة مي، ونظر بهيام لمي، التي هربت بسرعة من تلك النظرات، لتغير من دفة الموضوع على الفور موجهة حديثها لوالديها:" لقد اشتقت لرؤيتكما كثيراً، لا أصدق بأني أفقت وأخيراً من غيبوبتي تلك، اااه لو تعلمون مدى فرحتي برؤيتكم جميعاً من حولي".

بعد أن زال الشوق بين مي وأسرتها، وجهت مي حديثها لمريم والطبيب العربي والقلق يرتسم على وجهها:" إنه هنا، لقد رأيته، الدجال لاحقني إلى هنا"

حاولت مريم تهدئة مي وحدثتها في حنان :" نعلم لذلك اجتمعنا بك هنا ولنخبرك بما توصلنا له" قطعت مي حديث مريم في عدم فهم مستفسرة:" ما الأمر؟" لتخرج مريم زجاجة أقراص بلاستيكية صغيرة من جيبها، وتقربها من مي وهي تهزها، مجيبة:" هذا هو الأمر، هذه المادة التي استخرجت من معدتك هي الأمر المهم يا عزيزتي، فسبب تدهور حالتك هو شخص يعلم جيداً استخدامك لهذه الأقراص، ويعلم كل العلم بأضرارها على المدى البعيد، لذا بالتأكيد هو طبيب، كما أني أعتقد بأني علمت هويته"..

عقبت مي موافقة على كلام الطبيبة لتتحدث في ثقة:" أجل، كما أني علمت من هو أيضاً، إنه هو الدجال في أحلامي، هو نفسه الطبيب المصري الذي كان يتاجر بالأعضاء منذ ثلاث سنوات مضت، هو نفسه من أعتقد ومتأكدة منه؛ من يريد التخلص مني، لقد رأيته منذ قليل هنا، بدت على وجهه ملامح القلق عندما أفقت، ولكنه سرعان ما شعر بالارتياح عندما ادعيت فقدان الذاكرة وتشتت ذهني".

تحدث ماجد موجهاً حديثه لمريم في قلق:" والآن ماذا سنفعل بعد معرفتنا بالمجرم؟ هل سنبلغ إدارة المستشفى بمحاولة تعريض حياة مريضة هنا للخطر؟ أم هل سنخبر الشرطة على الفور؟" ليجيبه عبد الله سريعا:" لا هذا ولا ذاك، أرى أنه من الأفضل أن نتأنى، ونخطط جيداً، فكل ما سنواجهه به مجرد شكوك ولا دليل فعلي بين أيدينا بأنه هو من فعل فعلته هذه، لذا سيكون من الخطر أن نكشفه الآن، فقد يكون لديه أعوان سيؤذون مي إن علموا بكشفه".

وافق الأب والأم على كلام عبد الله وكذلك مريم التي صاحت مصفقة بكفيها في فرح:" وجدتها، لقد وجدت الحل، سأخبر فاروق ومحمد بما توصلنا إليه وبخبرتهما في الشرطة سيجدون طريقة بالتأكيد"..أنهت حديثها ووافقها كل من بالغرفة، لتخرج هاتفها الجوال وتضغط الأرقام لتتصل بزوجها الضابط فاروق شارحة له ما حدث وما تم اكتشافه حتى هذه اللحظة.

النهاية:

نهضت والدة مي راكضة للخارج وعلامات القلق والاضطراب بادية على وجهها، وما إن وجدت أحد الأطباء أمامها حتى ركضت نحوه وبنفسٍ لاهث أشارت إلى غرفة ابنتها ليفهم الطبيب على الفور ما تقصده السيدة، وبسرعة وبدون تردد ركض الطبيب للداخل، ليجد مي تصرخ وهي ممسكة برأسها وتصيح بكلمات لم يفهمها لتغير اللغة ولكنه اقترب منها مهدئاً إياها ومحاولاً فهم ما تريد..

وسط محاولات الطبيب تهدئة مي وصياحها المتكرر وتلويها من الألم، ارتفع صراخها ليسمعها الطبيب الدجال كما أسمته مي، فيسرع لداخل الغرفة، وبمجرد دخوله تصلبت قدميه لما سمعه، فلقد صرخت مي باسمه عدة مرات:" لا أخرج

من رأسي، إنه هو الدجال من يريد قتلي، لا سأخبرهم باسمك يا سعيد، لاا لم أعد أتحمل"..

كاد الطبيب ينسحب للخلف عندما سمع اسمه، ولكنه تذكر فجأة أنه يدعى طارق هنا وليس بسعيد، لذا حاول التشجع والبقاء مبخراً سحابة القلق التي تراكمت سريعاً بداخله، وبينما الدجال في صمته ذاك وتناقضه الداخلي إذ بالطبيب الآخر يصيح فيه بالإنجليزية:" هيا أسرع وأحقن المريضة بمهدئ، كي لا تتدهور صحتها من جديد، هيا" .. لينفذ الدجال ما أمر به على الفور.

بعد هدوء مي وسكون صراخها، خرج الدجال على الفور متوجهاً لزاوية منعزلة عن الأعين، ليخرج هاتفه مجرياً اتصالاً بدا مهماً من همسه وجديته:" لقد تذكرت شيئاً ما، لا أستطيع البقاء أكثر من ذلك في نفس المكان، سأكشف إن رأتني، لا أستطيع فهي مراقبة طيلة الوقت، لا .. لا استطيع المجازفة بنفسي، فلتذهب للجحيم، لن أنفذ أوامرك، فلتفعل ما تريد لم أعد أخشى تهديداتكم فلقد أدخلتموني في مصائب لا نهاية لها، سأختفي من هنا على الفور.. " أنهى الاتصال ملقياً الهاتف في سلة القمامة بجواره، ليسرع الخطى متلفتاً يميناً ويساراً كي يطمئن من أنه لم يسمعه أحد.

في نهاية الممر رأي الطبيب شخصاً بدا من تصرفاته بأنه كان يراقبه، لذا لم يكمل الطبيب المسير ودخل في إحدى الغرف مغلقاً بابها من خلفه، ركض الرجل خلف الطبيب وحاول فتح الباب ولكنه كان موصداً من الداخل، حاول الرجل مراراً فتح الباب بهدوء حتى لا يشك به أحدهم ولكن بلا جدوى.

كاد سعيد يموت رعباً مما حدث وهو مفترش الأرض خلف الباب، ولسان حاله يردد:" ليتني لم أقحم نفسي في مصيبة كتلك، عليكم اللعنة لقد أقحمتم رأسي في طريق لا فرار منه، عليكم اللعنة".. ظل الطبيب هكذا ينتحب في صمت حتى كاد رأسه ينفجر من الصداع.

بعد أن فشل الرجل من الولوج لداخل الغرفة انسحب للخلف وأكمل مسيره في الممر وأخرج هاتفه من جيبه مرسلاً رسالة لأحدهم، وما هي إلا ثواني حتى أتاه الجواب على رسالته والذي كان " لا تترك قمامة خلفك" لترتسم ابتسامة خبيثة على وجه الرجل، فيغلق هاتفه ويعيده لمكانه ويتوجه لغرفة بجوار غرفة الطبيب سعيد.

اقتحم الرجل الغرفة والتي كان بداخلها مريضاً كبيراً بالسن، لم يستطع الحديث أو التحرك من فراشه عند رؤية الرجل، مما ساعد الرجل كثيراً لتنفيذ مهمته التي وكل بها، ليكمل الرجل خطواته متوجهاً لشرفة الغرفة الموصدة ليفتحها بحذر ويخرج منها، نجح الرجل في الخروج من الشرفة بحذر وسار ببطء على أنابيب الماء الموصولة بجميع الغرف من الخارج، وما هي إلا ثانيتين حتى تمكن من الوصول للشرفة المجاورة ومن حسن حظه أنها كانت مفتوحة، تمكن الرجل من الدخول للغرفة وما إن وقع ناظر الطبيب سعيد على الرجل حتى قفز رعباً وصرخ بأعلى صوته.

وقبل أن يتمكن الطبيب من الهروب للخارج اقترب منه الرجل مهدداً إياه بالتوقف عن الصراخ وإلا قتله بسكين كان يحمله بجيب زي الأطباء الذي كان متنكراً به، وما إن اقتربت خطوات الرجل من الطبيب حتى ألصق السكين بعنقه وكاد أن يجز عنقه بها وفجأة عجت الغرفة برجال الشرطة، فلقد تمكنت الشرطة من اللحاق بالرجل قبل أن يقتل الطبيب.

لم يبدي الرجل أية مقاومة فلقد كشف أمره، كما أذعن الطبيب لأوامر الشرطي فاروق الذي كبل يديه وقاده أمامه للخارج.

وما هي إلا لحظات حتى تم اقتياد الدجال والرجل لخارج المستشفى إلى مقر الشرطة للتحقيق معهما، تمكنت الشرطة من القبض عليهما بسبب مراقبتهم لهما وتسجيلاتهم التي زرعوها بالممر، وتم التحفظ عليهما و كذلك هاتفيهما في مركز شرطة المدينة حتى يتم التحقيق في كل شيء.

ب داخل مخفر الشرطة؛ اجتمعت وسائل الإعلام لتتحدث مع كلاً من فاروق ومحمد حول أحداث القضية، ليدور الحوار كالآتي:" ضابط فاروق؛ لقد سمعنا عن القبض على أحد المتهمين في قضية مي، أيمكنك أن تطلعنا على آخر مستجدات القضية؟" .. تنحنح فاروق مجيباً بصوته الجهوري:" حسناً، لقد تمكنا من القبض على جميع مرتكبي الحادث الإرهابي، وما زالت التحقيقات مستمرة، سيتضح كل شيء بعد الانتهاء منها" ..

لتسرع المراسلة في التساؤل:" حسناً، وماذا عن دور الطالبة مي في تلك الحادث؟ أهي حقاً متورطة معهم؟" .. ليجيب محمد نيابة عن فاروق الذي ابتعد مجيباً على هاتفه، بدت على محمد ملامح الغضب بمجرد سماعه لهذا السؤال ليجيب في شيء من الضيق:" بالطبع لا دور لها في تلك الحادث، فجميعنا نعلم بأن مي هي من اكتشف القنبلة، كما أنها تعرضت لمحاولة قتل، فإن كان لها يد في تلك الجريمة لما تعرضت للدعس ولما رقدت في غيبوبتها لمدة شهر، فكيف تعقلون؟"..

شعرت المراسلة بالخجل لاتهام مي بتلك الطريقة، فأسرعت تزيل خجلها بسؤال آخر:" اعتذر على سؤالي ولكني لا أتهمها بدوري، بل أسرد الأخبار المتداولة ليس إلا، حسناً ماذا عن صحة المريضة، هل تحسنت الآن؟ وهل ستتواجه مع المجرمين في المحكمة الأسبوع القادم؟".. تسربت مشاعر الغضب من وجه محمد واختفت تماماً، مجيباً بعدها في هدوء:" نعم ، حمداً لله فلقد تحسنت المريضة بشكل كبير، وستتواجه نعم في المحكمة مع المجرمين، والآن وداعاً فمازال لدينا الكثير من الأعمال والتحقيقات، شكراً لكم".. أنهى الحديث مشيراً للصحافة بالخروج من داخل قسم الشرطة.

وبداخل المحكمة نطق القاضي بالحكم:" وفقاً للأدلة التي تواجدت بين أيدينا والتي رأيناها، قضت المحكمة بتبرئة المتهمة مي من كل ما نسب إليها من تهم، وبالسجن مدى الحياة على كلاً من المتهمين في حادثة الدعس المعروفة وقتل امرأة وطفلتها وإصابة العشرات، كما قضت المحكمة بالسجن لخمس سنوات للطبيب المعروف بسعيد أو طارق لتعريض حياة مريضة للخطر وسحب ترخيص مزاولته للطب، كما سيرحل لبلاده للبت في قضية متاجرته بالأعضاء، رفعت الجلسة".

لتضج المحكمة بالتصفيقات الحارة والتهنئات لبراءة مي وعقوبة المجرمين، ولسان حالها يقول: لن أكتفي بهذا القدر وسأحارب".

في مصر؛ بعد القضية بشهر وتعافي مي بالكامل، اجتمعت العائلتين في منزلٍ واحد، عائلة مي ومنى ورامي ووالديه جاءوا لزيارة مصر ومعهما الطبيب

ماجد وعبد الله الأجنبي محتفلين بخطبة منى وماجد، لتتجه كل النظرات في فرح ل" عبدالله" الأجنبي بعد إسلامه ومي التي تضرجت وجنتاها بالحمرة.

أثناء تلك الأحداث توجهت مي لعبد الله بالحديث متسائلة بريبة:" ولكن كيف علمت مكان الصندوق الذي أخفيت بداخله الصور؟" ليجيبها عبد الله والبسمة ترتسم على وجهه:" إنه سر العشق يا عزيزتي".

النهاية

ومضات:

المتحرش ما هو إلا خنزير قذر تجذبه القذارة حتى يغوص بداخلها ولا ينتبه إلا حينما يتحول لجزء من بركة القذارة تلك.. لذا يجب إقتلاعه نهائيا كي لا يملأ عالمنا الجميل بالأمراض..

عقاب المتحرش يجب أن يكون عبرة ليعتبر من تحمله نفسه ويحركه شيطانه لمثل تلك الأمور الشنيعة بطفولتنا البريئة..

الإسلام لا يعني درأ الحرية بل الإسلام هو منبع الحرية ولكن لمن يعقل..

عند طوي صفحة العالم سيعلم الجميع من المحق ومن المخطئ ولكن حينها لن ينفع الندم؛ لذا شغل طواحين عقلك جيدا وفكر بقلبك وابحث عن الحقائق ولا تسمعها من الحمقى..

الله خلق لنا عقلا "كلمة معنوية وليست مادية لتلمس" كي نحسن التفكير لا أن نلقيه في قمامة التحرر من الدين والركض حيث اللادين..

الشهيد حي يرزق في الجنان، لذا لا تبكوا الشهداء بل ادعوا الله اللقاء بهم والعيش معهم..

الإسلام ليس إرهابا بل هو منبع السلام الداخلي والخارجي ولكن لمن يعقل..

لكل مهنة في مصر أهميتها..

أخبار صحيحة موثقة بالصحف:

تجارة الأعضاء ليست كذبة!!

نشر مركز " المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة" تقريرا ذكر فيه أن هناك أكثر من 10 آلاف عملية بيع وشراء للأعضاء البشرية بالسوق السوداء سنويا، وما بين 5 إلى 10% من جميع عمليات زراعة الكلى على مستوى العالم تتم عبر عمليات الاتجار والتهريب عبر الحدود، وتحقق أرباحا سنوية تتراوح بين 600 مليون دولار و1.2 مليار دولار، في حين ترفعها تقديرات أخرى إلى 8 مليارات دولار سنوياً، لكن لا توجد إحصاءات تفيد بحجم ظاهرة الإتجار بالأعضاء البشرية في المستشفيات العامة أو المصحات الخاصة.

40 ألف مريض في ألمانيا على قائمة الانتظار..

تشير تقارير الأمم المتحدة إلى إجراء ما يقرب من 10.000 جراحة زرع كلى سنوياً، إلا أن هناك تقديرات أخرى تؤكد ارتفاع هذا العدد إلى 20 ألف جراحة سنوياً، خصوصاً أن الطلب على زرع الكلى يتزايد على خلفية ارتفاع أعمار سكان الكرة الأرضية بشكل ملحوظ.

وفي أوروبا وحدها يقف 40 ألف مريض على قائمة الانتظار للحصول على كلية، وفي ألمانيا: ينتظر ثمانية آلاف مريض يحتاجون لكلى، ولم ينجح سوى 2.850 مريضاً في تحقيق هدفهم خلال العام الماضي، وبحسب معطيات ألمانية موثقة، يموت يومياً في ألمانيا ثلاثة أشخاص

تقريباً من عداد المسجلين على قائمة الانتظار، معظمهم من مرضى القلب والكبد.

لم ننسى قط :

-شهداء حادث نيوزيلندا
-مسلمي تركستان الشرقية (الإيغور)
-مسلمي الروهينجيا
-مسلمي ميانمار
-مسلمي فرنسا
-مسلمي ألمانيا
-مسلمي إسبانيا
-مسلمي النرويج
-مسلمي النمسا
-مسلمي أمريكا
-مسلمي بريطانيا
-مسلمي سريلانكا
-شهداء فلسطين
-مسلمي الهند
-مسلمي أثيوبيا
-مسلمي تايلند
-مسلمي إفريقيا الوسطى (مدينة زيزي)

-مسلمي أوروبا عامة
-مسلمي العالم أجمع ممن تعرضوا لانتهاكات وتخريب لبيوتهم متعمد وطرد لهم وحرق وقتل وتهديد واغتصاب؛ قديما " الحروب الصليبية" وحديثا " الإسلاموفوبيا".

- هديل صلاح الهمشلون.
- ضياء بركات، يسر أبو صالحة و رزان أبو صالحة.
- وغيرهم الكثيرون أطفالا ونساء ورجالا وصبيانا حتى أن الرضع لم يسلموا.

كنت أود أن أضع الصور لضحايا الكره ولكن كي لا أنسى أحدا منهم أو أعيد الذكريات الأليمة لذويهم فضلت الكتابة فقط فالحروف لن تنسى قط..

رحم الله قلوبا نقية وأرواحا صافية لم يكن ذنبها سوى أنها آمنت بالله وبمحمد خير الخلق صلوات الله وسلامه عليه..

تمت بحمد الله